طريق النجاة من شر الغلاة

كتبه (بالفارسية) المرحوم الأستاذ

حيدر علي قلمداران القُمِّي

(١٩١٣ - ١٩٨٩م)

تعريب وتقديم وحواشي

سعد رستم

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب:	طريق النجاة من شر الغلاة
المؤلف:	الأستاذ حيدر علي قلمداران القُمِّي
تعريب، تقديم وحواشي:	سعـد رستـــم
سنة الطبع:	١٤٣٢هـ. ق مطابق مع ٢٠١١ م- الطبعة الأولى
البريد الإلكتروني:	book@aqeedeh.com
الناشر:	**www.aqeedeh.com** موقع **العقيدة** باللغة الفارسية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فهرس الأبحاث

بحث حول اختصاص علم الغيب بالله ٤١

بحث حول الولاية وحقيقتها ١٦٩

بحث حول الشفاعة وحقيقتها ٢٤٧

بحث في زيارة المزارات وفقه الزيارات ٣٥٣

بحث حول الغلو والغلاة ٥١٧

خلاصة مباحث كتاب "طريق النجاة من شر الغلاة» ٥٦٧

فهرس المحتويات

مقدّمة المترجِم ٥

مقدِّمة المترجم ٩

صورة لغلاف الكتاب باللغة الفارسية ١٥

توطئة ١٧

الدافع لتأليف هذا الكتاب ٢٣

بحث حول اختصاص علم الغيب بالله ٤١

موقف القرآن والأئمَّة من دعوى علم الأئمَّة بالغيب ٤٣

النبيُّ لا يعلم من الغيب سوى الوحي! ٤٧

الأئمة الأطهار عَليهِمُ السَّلام يبرؤون من القول بهذه العقيدة ٥٥

عقيدة أصحاب الأئمَّة فيهم عَليهِمُ السَّلام ٦١

ماذا تقول سيرة الأئمة عليهم السلام بشأن علمهم بالغيب! ٧٣

أقوال كبار علماء الشيعة في نفي علم الأئمَّة بالغيب ٨٩

الدافع لهذا النمط من التفكير المُغَالِي المعاند للدليل ١١١

العلم بالغيب غير مفيد للإنسان ١١٦

[المفهوم الصحيح لـ«الإمام» و«الإمامة»] ١٢٢

[المعـنى الحقيقي للتوسُّل و«الوسيلة»] ١٢٥

[نظرة إلى مفهوم الشفاعة وما أصابه من تحريف] ١٣٢

ملحق تأمُّل في رسالة «سهو النبيّ ﷺ» وآراء العلامة المحقِّق آية الله الحاجّ الشيخ محمد تقي الشوشتري ١٣٧
خلاصة «رسالة في سهو النبي ﷺ» للعلامة الشوشتري ١٤٣
مناقشة وجوه طعـن الشيخ المفيد (رح) ١٥٤
الخاتمة ١٥٧
قائمة المصادر والمراجع ١٦١

بحث حول الولاية وحقيقتها ١٦٩
[نقد العبارات الشركية في افتتاحية كتاب «أمراء الكون»] ١٧١
[نقد تفسير صاحب كتاب «أمراء الكون» لمعنى «الولاية»] ١٧٩
[تخبُّطات مؤلف «أمراء الكون» في محاولاته حل الإشكالات العقلية المترتبة على تفسيره للولاية] ١٨٥
الدلائل على بطلان ادعاءات آية الله العظمى! ١٩١
[ما ترويه بعض كتب الصوفية من خوارق لمرشديهم وأقطابهم يفوق ما تذكُرُهُ عن الأئمة!!] ٢٢٨
[اعتراف أبي الفضل النبوي بعدم ادّعاء الأئمّة لمقام الإمارة على الكون! ومحاولته الفاشلة للإجابة عن هذا الإشكال] ٢٣٢

بحث حول الشفاعة وحقيقتها ٢٤٧
مقدمة المؤلِّف ٢٤٩

بحث في زيارة المزارات وفقه الزيارات ٣٥٣
مقدمة المترجم ٣٥٦
١- تـمـهـيـد ٣٥٩
٢- الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارات المراقد في الإسلام ٣٦٩
٣- حلُّ إشْكَالٍ ورَفْعُ مُعْضِلَةٍ ٣٨٧
٤- علّة الاهتمام الزائد بالزيارات ووضع الأحاديث في فضائلها.............. ٣٩١
٥- الأحاديث الباقية من الفرق الضالّة ٣٩٩
٦- أضرار أحاديث الزيارة وخصومتها لآيات القرآن ٤٠٩
٧- ضعف روايات الزيارات في ضوء علم الرجال............................. ٤١٥
٨- خطبة المؤلف في الصحن الحسيني المطهَّر في كربلاء ٤٤٩
٩- تمحيص دعاء «الزيارة الجامعة الكبيرة» ٤٥٥
١٠- منشأ تعظيم القبور والغلوّ في الأموات وآثارها السيئة ٤٧٥
ملحق[1]: البناء على القبور في بلادنا وحكمه في ديننا! ٤٩٠
مصادر ومراجع الكتاب والتحقيق ٥١١

بحث حول الغـلو والغـلاة ٥١٧
تمهيد في علل نشأة الغُلُوّ في الأديان.. ٥٢٠
مبدأ نشأة الغُلُوّ في الإسلام وبين الشيعة ٥٢٦
تسرب بعض عقائد الغلاة القدماء إلى المتأخرين..................................... ٥٣٠
براءة أئمة أهل البيت من الغلو ولعنهم الغلاة ٥٤٢

تمكُّن الغلاة من دسّ كثير من أخبار الغلوّ بين الآثار الصحيحة المروية عن الأئمة ٥٥٧
مصادر التأليف والتحقيق لبحث الغلوّ ٥٦٤

خلاصة مباحث كتاب "طريق النجاة من شر الغلاة» ٥٦٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لِلَّهِ وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى سيَّما خاتمهم محمد المختار المُجْتَبَى وآله مصابيح الدُّجى وأنوار الهدى، وصحبه أهل التُّقَى والوَفَا، ومن على نهجهم مشى وبهديهم اهتدى وبعد،

فمن أسوأ الآفات التي عانت منها جميع الرسالات السماوية آفة غلوّ بعض أتباعها في أنبيائهم وأوليائهم إلى درجة التأليه الصريح - كما في النصرانية - أو التأليه الضمني بإضفاء الصفات الإلـهية إليهم كما في فرق الغلاة المنتسبين للإسلام، فقد غلا بعض غلاة الصوفية من المنتسبين للسنة (كالبريلوية مثلاً) في النبي ﷺ فجعلوه حاضراً ناظراً في كل زمان ومكان، يسمع دعوة الداعين ويلبي نداءات المستغيثين، ونفوا عنه حقيقة البشرية واعتبروه نوراً من الله وأثبتوا له علم الغيب والعلم بكل شيء بما في ذلك علم الساعة، وغير ذلك من صنوف الغلوّ المخالفة لصريح آيات الكتاب. وبمثل ذلك غلت بعض الفرق من المنتسبين للشيعة في النبي ﷺ والأئمة من آله -عَليهِمُ السَّلام- فنسبوا إليهم تلك الأوصاف وبعضهم زاد في الغلوِّ فنسب للنبي والأئمة تدبير الكون والإحياء والإماتة وتقسيم أرزاق العباد والحكم بينهم يوم المعاد وغير ذلك من صفات الله وأفعاله!! وبعضهم الآخر ألّـهَ الإمام عليَّ بن أبي طالب عليه السلام أو النبيَّ والأئمة صراحةً كفرقة السبئية وفرقة الخطابية وفرقة النميرية والمفوِّضة وغيرهم من فرق الغلاة.

وقد بذل أئمة أهل البيت -عَليهِمُ السَّلام- جهوداً كبيرةً في فضح أولئك الغلاة وإعلان البراءة من أقاويلهم ومن غلوِّهم هذا في حقِّهم، ولعنوهم وحذَّروا من أخطارهم وأفكارهم، كما بذل علماء الرجال (من الشيعة الإمامية) جهوداً مشكورةً في تعقُّب أولئك الغلاة وفضحهم

وبيان أحوالهم وأخبارهم، وقد أجمع علماء الشيعة الأصوليون المحققون على تكفير الغلاة وتضليل أقاويلهم واعتبارهم نجسين، حتى قال مرجع الشيعة الإمامية الأعلى في عصره السيد أبو القاسم الخوئي (رح) في فتواه الشهيرة حول المفوِّضة الغلاة: «..إن الكتاب العزيز (أي القرآن) يدلُّ على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه (إلى أن قال): فهذا الاعتقاد [أي الغلوّ والتفويض] إنكارٌ للضروري..فيبتني كفر هذه الطائفة (الغلاة والمفوضة»).

لكن الغلاة تمكّنوا قديماً من دسِّ كثير من الأخبار المختلقة والقصص الملفَّقة الطافحة بالغلوّ بين الشيعة، فبذروا بذلك بذوراً خبيثة للغلوِّ يمكنها أن تُنْبِتُ في كلِّ عصرٍ وزمان غلاةً منحرفين يحيون أقاويل أسلافهم من الغلاة القدماء لاسيما المفوّضة الملعونين على لسان الأئمة الطاهرين، وهذا ما كان يحصل فعلاً، مما كان يضطر العلماء الأصوليين إلى التصدي للتيارات المغالية والتحذير منها ورفض ما تتمسك به من أخبار اعتماداً على القاعدة الذهبية العظيمة التي وضعها الأئمة من آل الرسول -عَليهِمُ السَّلام- وهي العرض على القرآن الكريم، فما وافقه أُخذ به وما خالفه ضُرب به عرض الحائط، فقد وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نصوص عديدة بهذا المعنى كقولهم «**لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق الكتابَ والسُّنَّة**» و«**ما جاءكم من حديث لا يُصدِّقُه كتابُ الله فهو باطل**» و«**كلُّ شيءٍ مردودٌ إلى كتاب الله والسنَّة، وكلُّ حديث لا يُوافق كتابَ الله فهو زُخْرُفٌ**» ونحوها من الروايات[1].

وفي الستينات من القرن الماضي (الميلادي) ظهر في قم/ إيران، شيخٌ من المنتسبين إلى العلم يُدْعى «**أبو الفضل النبويّ**»، ولقَّبه من نشر كتابه **بلقب آية الله العظمى** زوراً وبهتاناً، وألف كتاباً

---

(١) انظرها لدى الشيخ الكليني، «أصول الكافي»، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ج١ص٦٧- ٧١، والحر العاملي، «وسائل الشيعة»، ج ١٨/ ص ٧٩، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي. وقد حكم بعض الأساطين، كالشيخ الأنصاري، بتواتر أخبار العرض على الكتاب تواتراً معنوياً كما في كتابه الرسائل، ج١/ ص٢٤٥-٢٤٧، (أو ص٦٨-٦٩ من الطبعة الحجرية).

(بالفارسية) سمّاه «**أُمراي هستي**» (أي أمراء الكون) نحى فيه منحىً مفرطاً في الغلوِّ بزَّ فيه كلَّ من سبقه من الغلاة!! إذْ جعل فيه المعصومين الأربعة عشر - على حد قوله - (أي النبيّ ص وفاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر -عَليهِمُ السَّلام-) حُكّاماً وأمراء على عالم الوجود يُسَيِّرون جميع الكائنات ويدبِّرون جميع شؤون المخلوقات، فيحيون ويميتون ويرزقون ويشفون، ويقسمون أرزاق العباد ويقومون على شؤونهم... وأن إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم.. واعتبر أن لا شركَ في ذلك لأن كل ذلك يتم بإذن الله لا استقلالاً منهم عن الله!! وَزَعَمَ أن هذه هي الولاية التكوينية المطلقة التي بيَّنها الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [المائدة/ ٥٥]!!، كما فسّرَ الشفاعة على نحو يجعل النبيَّ والأئمّة أصحاب حق مطلق وكلمة لا تُردّ في إنقاذ جميع من انتسب إليهم ووالاهم من عذاب يوم القيامة ولو أتوا بأعمال شركية وبذنوب كالجبال الرواسي.... إلى غير ذلك من أصناف الغلوّ التي لا يقرِّها قرآن ولا شرع وتتنافى تماماً مع التوحيد الذي هو أساس الإسلام.

فقام الأستاذ الفاضل «حيدر علي قلمداران القُمِّيّ» - الذي يُعَدُّ من أبرز أعلام الاعتدال والتصحيح من الشيعة الجعفرية في إيران في القرن المنصرم - فردّ عليه ردّاً شاملاً مبيِّناً مخالفة أقواله للقرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة وتعاليم أئمة العترة النبوية، فألف كتاباً بالفارسية من خمسة مباحث أسماه «راه نجات از شرِّ غلاة» (**أي طريق النجاة من شر الغُلاة**) ضمَّنه المباحث التالية:

١- «**بحث در ولايت وحقيقت آن**» أي **بحث في الولاية وحقيقتها**.

٢- «**بحث در اختصاص علم غيب به خدا**» أي **بحث في اختصاص علم الغيب بالله**.

٣- «**بحث در شفاعت وحقيقت آن**» أي **بحث في الشفاعة وحقيقتها**.

٤- «**بحث در باره غلاة**» أي **بحث حول الغلاة**.

٥- «**بحث در باره زيارت**» أي **بحث حول زيارة المراقد**.

وقد ترجمنا المباحث الثلاثة الأخيرة إلى العربية من قبل، وبقي المبحثان الأولان دون ترجمة

نظراً لفقدان نسخهما لكن أبناء المؤلف وأصحابه تمكنوا من وجدانهما وأعادوا طباعتهما مع مبحثي الشفاعة والغلو في كتاب واحد منقَّح ومُراجع ومُحَلًّى بحواشي مفيدة وتعليقات لآية الله البرقعي وهو من أصحاب المؤلف ومن يشاركونه في الفكر، كما أضافوا في آخر الكتاب تعليقاً على «رسالة في سهو النبي ﷺ» لآية الله الشوشتري لارتباطها بموضوع الكتاب، وقد حصلت على نسخة من هذا الكتاب، فقمت بترجمة البحثين الأولين المتبقيين اللذَيْن لم نترجمهما فيما سبق أي «**بحث في الولاية وحقيقتها**»، و«**بحث في اختصاص علم الغيب بالله**»، مع الرسالة الملحقة بهما حول «سهو النبي ﷺ» فكان هذا الكتاب الحالي الذي نقدم له.

وقبل ختام المقدمة أودّ الإشارة إلى أمرين فيها:

الأول: أن حواشي هذه الترجمة إما للمؤلف الأستاذ قلمداران فأُوْرِدَتْ كما هي، أو لآية الله البرقعي فميَّزتُها برمز (البرقعي) في آخرها، أو للمترجم أي كاتب هذه السطور، وهي أغلب الحواشي، وميَّزتُها برمز (تر) في آخرها.

الثاني: أن الترجمة ركَّزت على إيصال المعنى بلغة عربية سلسة أكثر من الترجمة الحرفية، وفي هذا الإطار اقتضت الترجمة أو اقتضى توضيح بعض العبارات والمطالب ذكر جملة أو كلمة من عندي بين معقوفتين [...] بين كلام المؤلف رحمه الله، فليُعْلَم.

اللهَ تعالى أسأل أن يتقبَّل منا هذا العمل، ويعفو عما بدر منا فيه من خطأ وزلل، إنه وليُّ التوفيق، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

المترجم

مقدِّمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه وحده نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، ففي الستينات من القرن الماضي (الميلادي) قبل حوالي أربعين عاماً ونيِّف نشر أحد الغلاة المتطرفين من المنتسبين إلى العلم من الشيعة الإمامية ويُدْعَى آية الله العظمى السيد أبو الفضل النبوي، في قم/ ايران، كتاباً (بالفارسية) سمَّاه «أُمرايِ هستي» (أي أمراء الكون) طرح فيه نظرية الولاية التكوينية المطلقة للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والأئمة الاثني عشر من آله عليهم السلام، واعتبر أن الله جعلهم أمراءَ العالَم ومدبري شؤونه ومقسمي أرزاق العباد والقَيِّمِين على شؤونهم... وأن إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم.. وأنهم شفعاء شيعتهم ومخلصو مواليهم يوم القيامة وغلا في مفهوم الشفاعة حتى وكأنها صكٌّ حتميٌّ في الغفران لكل من انتسب إلى الأئمة واعتبر نفسه من شيعتهم وأقر بلسانه بولايتهم مهما كانت أعماله وأفعاله حتى ولو لم يقم بشيء من حقوق الله وانتهك حقوق العباد، ومات مصرّاً على كبائر الذنوب وظلمٍ وموبقاتٍ تبلغ عنان السماء!!

فقام أحد أعلام الاعتدال من الشيعة الجعفرية، الأستاذ الفاضل «حيدر علي قلمداران القُمِّيّ» فردّ عليه ردّاً شاملاً مبيِّناً مخالفة أقواله للقرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة وتعاليم أئمة العترة النبوية، فألف كتاباً بالفارسية من خمسة مباحث أسماه «راه نجات از شرِّ غلاة» (أي طريق النجاة من شر الغُلاة) ضمَّنه المباحث التالية

«بحث در اختصاص علم غيب به خدا» أي بحث في اختصاص علم الغيب بالله.

«بحث در ولايت وحقيقت آن» أي بحث في الولاية وحقيقتها.

«بحث در شفاعت وحقيقت آن» أي البحث في الشفاعة وحقيقتها.

«بحث در باره غلاة» أي البحث حول الغلاة.

«بحث در باره زيارت» أي البحث حول زيارة المراقد.

ولم يتمكَّن من طبع كتابه جملةً واحدةً، نظراً لما أوجده حراس الخرافات والغلو من عراقيل أمامه فاضطرَّ إلى طباعة كلِّ بحث سِرّاً وعلى حدة في بعض مطابع المدن والبلدات المجاورة لمدينته قم. ثم أعاد عام ١٩٧٩م. طباعة البحثين الثالث والرابع أي (بحث شفاعت) و(بحث غلوّ) في كتاب واحد، وهاأنذا أقدم للقراء الكرام ترجمة الكتاب أي ترجمة هذين البحثين، بعد أن ترجمتُ فيما سبق بحث الزيارة (أي زيارة المراقد).

ولا بد في هذا المقام من توضيح بعض النقاط حول موضوع الشفاعة:

من المعلوم أن الشفاعة من الموضوعات التي اختلفت فيها وجهات نظر المسلمين منذ قديم الزمان فمع أن الكلَّ أثبتها يوم القيامة إلا أنهم اختلفوا في مستحقِّها فكان الناس فيه أقساماً:

١ - قسمٌ غلا في إثباتها وجعلها متاحةً ومضمونةً يقيناً لكلِّ عاصٍ ولو مات مُصِرَّاً على كبائر الإثم والفواحش منتهكاً لحقوق الله والعباد، ومن هؤلاء المرجئة الذين قالوا لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة ولَم يجعلوا الأعمال جزءاً من مفهوم الإيمان، كما أن منهم غلاة الشيعة الإمامية وغلاة الصوفية، الذين استندوا في إثباتهم مثلَ هذا المفهوم المغالي للشفاعة إلى عديد من الروايات والأخبار (الضعيفة)، وفتحوا بذلك الباب واسعاً أمام المجرمين والعصاة كي يستمروا مرتاحين في شهواتهم وآثامهم متكلين على هذه الشفاعة الحتميَّة التي ستأخذهم - فقط لأنهم بالاسم من أمة محمد أو من شيعة الأئمة من آل الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) - إلى جنات الرضوان، ولو لم يعملوا خيراً قط وماتوا مصرين على كل الموبقات والجرائم وكبائر والإثم والفواحش!.

٢- وقسمٌ ضيَّقها إلى حدٍّ أنه نفاها عن العاصين المذنبين، وجعلها للمؤمنين الصالحين التائبين فقط، لزيادة درجاتهم ورفع منزلتهم في الجنة، تفضُّلاً من الله عليهم، ومن هؤلاء الوعيدية أي المعتزلة والخوارج، ويمثّلهم في عصرنا الشيعة الزيدية والإباضية.

٣- وقسم توسط في الأمر فقال إنّ من مات مصرّاً على الكبائر أَمْرُهُ موكولٌ إلى الله إن شاء

عفا عنه وإن شاء عذَّبه، مع قولهم أنه في الأصل مستحقٌّ للعذاب ومتعرِّضٌ للوعيد بحسب نصوص الكتاب والسنة، فأثبتوا الشفاعة يوم القيامة للمذنبين وللتائبين وحتى لأهل الكبائر ممن يشاء الله أن يغفر لهم بإذنه، مع قولهم بأن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر فَإِنَّ الشَّفِيعَ عِنْدَ الْبَشَرِ يُؤَثِّر على المشفوع إليه ويُغيِّر قراره ويحمله على تغيير حكمه، في حين أن اللهَ تعالى لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فهو الذي يأمر أولاً بالشفاعة فَالْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيْهِ، فَلَا يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ بِوَجْهٍ. فَسَيِّدُ الشُّفَعَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَجَدَ وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ اللهُ: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاسْأَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَيَحُدُّ لَهُ حَدًّا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، فلا يشفع أحدٌ لأحدٍ إلا بإذنه جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وبهذا جعلوا أمرَ الشفاعة والغفران موكولاً كلَّه إلى الله فلم يُيْئِسُوا الناس من رحمته الواسعة القريبة من المحسنين، كما لم يطمِّعُوهم بغفرانه الحتمي ويؤمِّنوهم من مكر الله على نحوٍ يجرِّئُهُم على الاسترسال في المعاصي والكبائر دون توبة، بل يبقى العبد بين الخوف والرجاء، وهذا هو مذهب المعتدلين المحققين من الشيعة وأهل السنة، الذي يستندون فيه إلى عدد من الأحاديث الصحيحة.

وقد ذهب المؤلف قلمداران في بعض مناحي بحثه حول الشفاعة إلى نحو هذا الموقف، بيد أنه نظراً إلى كثرة ما وجده في كتب الروايات لدى الشيعة الإمامية من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة والأخبار الملفَّقة العجيبة والممجوجة في موضوع شفاعة النبي والأئمة وفاطمة (عليهم السلام) والتي جُلُّ رواتها من الغلاة والكذابين، حسب ما تُبَيِّنُهُ كتبُ علم الرجال الشيعية ذاتها، تكوَّنت لديه ردَّةُ فعلٍ فأنكر جميع أحاديث الشفاعة، واقتصر على مفهومها القرآني فحسب، فرأى أن القرآن الكريم يؤكِّد أن يوم الدين يومٌ لا يُغْنِي فيه مولىً عن مَولىً شيئاً وَأَنَّه يومٌ لا بَيْعٌ فيه وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ، وأنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ جميعاً، وأنه لا يقوم بها إلا من أَذِنَ اللهُ له القيام بها

بحق من ارتضاه الله، وهم المؤمنون الموحدون التائبون، إذ لا شك أن الله لا يرتضي أهل الشرك ولا أهل الكبائر المجرمين المصرين على آثامهم، فلما كانت الشفاعةُ لِلَّهِ جميعاً فدور النبي والأولياء فيها دورٌ تشريفيٌّ لإظهار فضلهم ومقامهم فحسب، وليس فيها أي حتمٍ على الله ولا استقلالٌ بها -أي لم يعطِ اللهُ تعالى بها أحداً (شيكاً على بياض) كما يُقال- ولا فيها ثَنْيٌ لِلَّهِ عن حكمه، ولا إلغاءٌ لإنذاراته ووعيده، ورأى أن شفاعة النبي والملائكة والمؤمنين هي استغفارهم الذي أمرهم اللهُ تعالى أن يطلبوه للمؤمنين خلال حياتهم في عالم الدنيا، والذي لن يَنْتَفِعَ منه يوم القيامة إلا الصادقون في إيمانهم المسلمون لِلَّهِ في حياتهم، يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، فالأمر أوّلاً وآخراً موكولٌ لربِّ العزَّةِ والجلال، الذي بيَّن أنَّ كُلَّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ، وأنه ليس بأمانِيِّنا ولا أمانيِّ أهل الكتاب بل مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً. وقد اقترب المؤلّف في بعض ما ذهب إليه- إلى حدٍّ ما - مِنْ مذهب الوعيدية من المعتزلة والشيعة الزيدية أيضاً.

وقد تأكّد للمؤلِّف هذا المفهوم للشفاعة من مطالعته لعديد من الأحاديث الواردة عن النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والأئمة الهداة من أهل بيته الكرام عليهم السلام، ذكرها في هذا الكتاب، أكدوا فيها بأكثر العبارات صراحةً أنهم لن يغنوا عن أتباعهم شيئاً وأن لا نجاة لمسلمٍ يوم القيامة إلا بالتقوى والورع والعمل الصالح.

وخلاصة القول أن المؤلف اجتهد مخلصاً فيما طرحه من رأيٍ حول المفهوم الصحيح للشفاعة، وقد حالفه الصواب في نواحٍ كثيرةٍ وربّما جانبه الصواب في نواحٍ أخرى، ولا حرج في ذلك، فالمجتهد مأجورٌ إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ، ما دام له دليلٌ مسوِّغٌ فيما يذهب إليه من قَول.

هذا وترجمتنا للكتاب لا تعني طبعاً بالضرورة أننا نتفق معه في كل جزئيةٍ مما قاله، وإن كنا نوافقه في المفهوم العام للموضوع، وفي رفض الروايات المكذوبة والأحاديث الموضوعة التي تزكم رائحة الوضع فيها الأنوف، وما تطرحه من شفاعةٍ استقلاليَّةٍ حتميَّةٍ واسعةٍ مبنية على مجرَّد

المحبّة القلبية والولاء اللساني للأئمة من آل الرسول - عليهم السلام - فتشمل كل مُدَّعٍ للإسلام والتشيُّع بلسانه مهما كانت أعماله، حتى ولو كان ممن مات مصرّاً بغير توبة على كبائرَ كالجبال الراسيات!!، لأن مثل ذلك المفهوم للشفاعة - كما يقول المؤلف - يقضي على كل إنذارات القرآن ويلغي جميع آيات الوعيد ويناقض مئات الأخبار النبوية الصحيحة التي تضمَّنت الوعيد الأكيد لفاعلي كثير من كبائر الآثام المصرّين على أنواع من الموبقات وأصنافٍ من الفواحش والظلم، كما أن ذلك المفهوم يُفْقِدُ المعنى من إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع وفرض الأحكام.

هذا ما أردت توضيحه في هذه المقدمة، أسأل الله تعالى أن يتقبَّل منا هذا العمل، ويعفو عما بدر منا فيه من خطأ وزلل، إنه وليُّ التوفيق، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

المترجم

صورة لغلاف الكتاب باللغة الفارسية

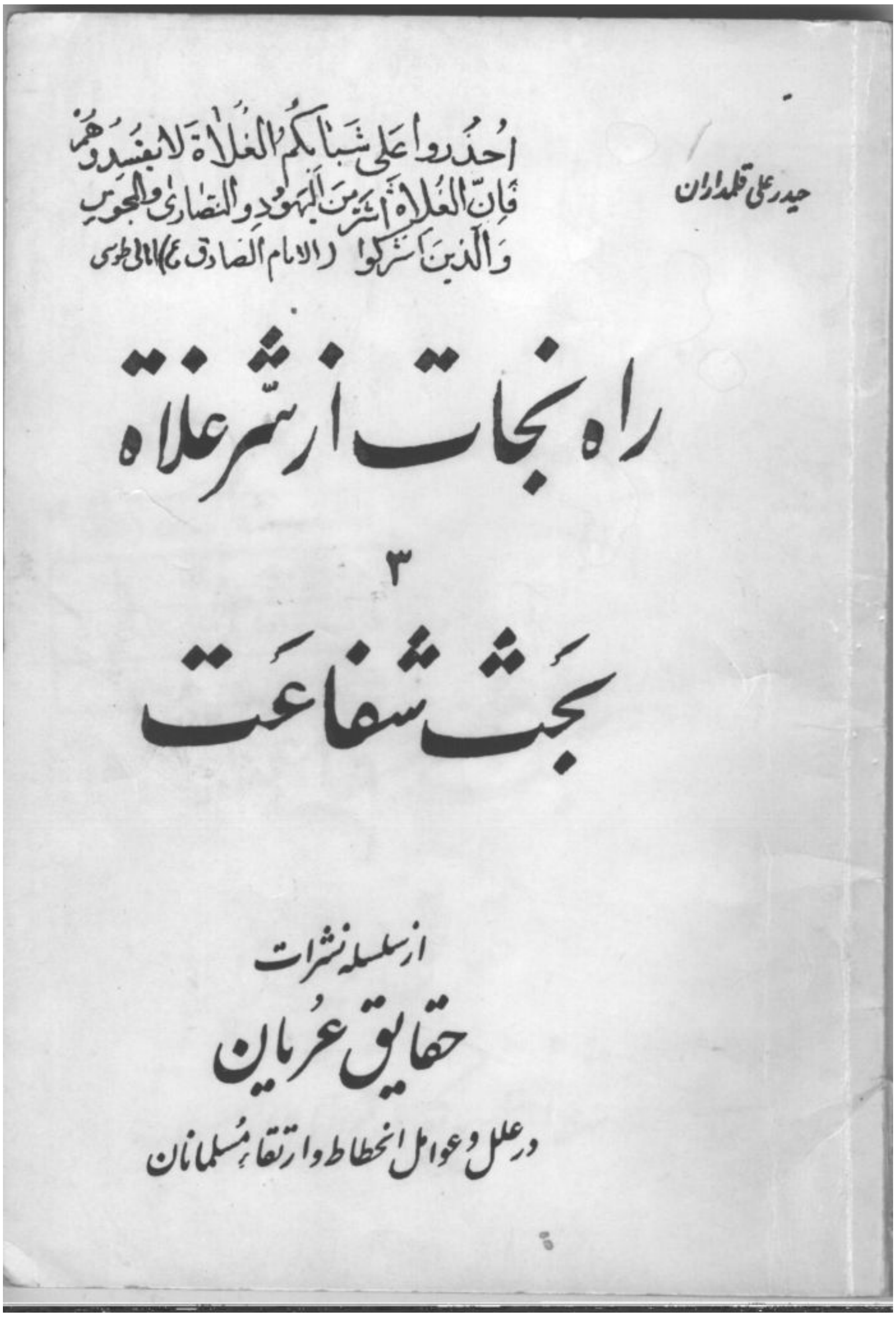

حیدر علی قلمداران

احذروا علی شبابکم الغلاة لا یفسدوهم
فإن الغلاة شر من الیهود و النصاری و المجوس
و الذین أشرکوا (الامام الصادق ع) امالی طوسی

راه نجات از شر غلاة

۳

بحث شفاعت

از سلسله نشرات

حقایق عریان

در علل و عوامل انحطاط و ارتقاء مسلمانان

توطئة

الحمدُ لِلَّهِ ربِّ العالمين، المتفرِّدُ في ألوهيته الذي لا شريك له ولا نظير في الخلق والرزق، هو وحده المحيي المميت، وهو وحده المعبود بحق، لا مُعين له في تدبير أمور خلقه ولا مشير، ولا نائب له ولا وزير. ليس لأحد من مخلوقاته من ملائكته المقربين أو أنبيائه المرسلين أو أوليائه الصالحين طريق إلى أسرار علم غيبه المكنون. لا يُظْهِرُ على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يطلعه بالوحي على شيء من أخبار المستقبل أو شذرات من علم ما كان وما يكون ليكون ذلك حجة لرسالته وتصديقاً لنبوته، لطفاً منه بعباده، وتأييداً منه لنبوة من أرسله برسالاته، أما ما سوى ذلك فإنه لا يُسمح لأحد من الخلق بالدخول إلى حرم الغيب الإلهي أو الورود إلى حمى كبريائه اللامتناهية، وخفيات مكنوناته المحجوبة، ومن تطلع من الشياطين إلى هتك حجب الغيب تلقته حرس السماء بشهب النار، فعاد ذليلاً حسيراً وسقط مذموماً مدحوراً.

والصلاة والسلام بلا حدٍّ على النبيِّ المحمود الذي سدّ برسالته الأبدية كل طُرق خداع العوام وإضلال البسطاء واستغلالهم. ولم يحطم الأصنام ويهدم معابد الأوثان فحسب بل أرسى قواعد التوحيد وأحكم بنيانه غاية الإحكام بحيث أن كل من دخل في شرعه ونهل من معين شريعته صار موحّداً كاملاً لا يمكن أن تتطرَّق الوثنيةُ إلى ذهنه ولا أن يأتي إلى مخيِّلته خيال اصطناع أي معبودات زائفة غير الله.

ورغم أن النبيَّ ﷺ كان زبدة الخليقة وكانت ماهيته وصورته مبعث دهشة أهل العلم والحقيقة، إلا أنه كان متواضعاً ومنكسراً أمام الله إلى درجة أنه كان يهتم بعبوديته لربه تعالى أكثر من اعتزازه برسالته، وبمجرَّد أن سمع بعض المتملّقين يمدحونه بما كانوا معتادين على مدح صناديدهم وكبرائهم به قال: «**لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي**

نَبِيّاً»[١]. وقرَّر بأمر من ربه أن يعلن المسلمون هذا المنصب -منصب العبودية- في كل تشهّد في صلواتهم التي يؤدُّونها صباح مساء حيث يشهدوا أمام ساحة القدس الربوبية الأحدية بعبودية النبيِّ لِـلَّهِ تعالى قائلين: «**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**» مقدمين وصفه ﷺ بالعبودية على وصفه بالرسالة كي يُعلَمَ أن شرف العبودية مُقَدَّمٌ على مقام الرسالة.

كما روى خادمه «أنس بن مالك» أن بعض الناس لما خاطبوا النبيّ ﷺ بقولهم: «يَا رسول الله! يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا» قال لهم ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ! أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَالله مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[٢].

كما روى صادق العترة الطاهرة عليه السلام بسند سلسلة الذهب عن آبائه الطاهرين عن أمير المؤمنين - عليه صلوات الله- قال:

«**إن رسول الله ﷺ خرج على نَفَرٍ من أصحابه فقالوا له مرحباً بسيدنا وَمولانا! فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ثم قال ﷺ: لا تقولوا هكذا وَلكن قولوا مرحباً بنبيِّنا وَرسولِ ربِّنا، قولوا السداد من القول وَلا تغلوا في القول فتمرقوا**»[٣].

ولما تشرّف وفد «عامر بن صعصعة» بزيارة نبي الله ﷺ وتشرَّفَ وتنوّر بمحضره المبارك، وقام رجل من الوفد يُدعى «أبو مطرف عبد الله بن الشخّير» فقال: «**يا رسول الله! أنت سيدنا وذو الطول علينا**»، فاستاء النبي ﷺ من مثل هذا الإطراء وقال: «**السيدُ الله، لا يستهوينّكم**

---

(١) محمد بن محمد بن الأشعث (قرن ٤ هـ)، «الأشعثيات» [ويُسَمَّى أيضاً «الجعفريات»]، ص ١٨١. وَالقطب الراوندي (٥٧٣هـ)، «النوادر»، ص ١٦. (تر)

(٢) الإسلام في القرن العشرين، ص١٢٦. قلتُ (المترجم): أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أنس بن مالك، ٣/ ١٥٣، و٣/ ٢٤١. وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن صحابيّه لم يخرج له سوى مسلم. (تر)

(٣) «الجعفريات»، ص١٨٤.

الشيطان»[1].

وأَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ[2] فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ!**»[3].

وقال «أنس بن مالك»: «**لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيَ أصحاب رسول الله ﷺ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إليه لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ**»[4].

وأفضل السلام وأكمل التحيات على آله الأطهار وعترته الأبرار لاسيما رأس سلسلتهم الإمام الكبير حضرة علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وآله- الذي حذَّر في خطبته «القاصعة» في نهج البلاغة، الناسَ من تقليد ساداتهم وكبرائهم الذين تكبَّروا وترفَّعوا فقال: «وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً... [إلى قوله].. **أَلَا فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِم**...»[5].

---

(١) ابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ج١/ ص٣٣٢. وانظر سنن أبي داود، (٤٢) كتاب الأدب/ (١٠) باب في كراهية التمادح، ح (٤٨٠٨)، وقال الألباني: صحيح. ومسند أحمد، ٤/ ٢٤ و٢٥. وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم. (تر)

(٢) (ترعد) أرعد الرجل أخذته الرعدة. والرعدة الاضطراب. (الفرائص) واحدتها فريصة، لحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة. وأرعدت فرائصه كناية عن الفَزَع.

(٣) سنن ابن ماجه، ح (٣٣١٢)، ٢/ ١١٠١،، وقال المحقق بعده: «في الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات». وقال الشيخ الألباني: صحيح. (تر)

(٤) رواه (بلفظ قريب) الترمذي في سننه، (٤٤) كتاب الأدب عن رسول الله / (١٣) باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، ح (٢٧٥٤)، وقال قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه أحمد في مسنده: ٣/ ١٣٢ و٣/ ٢٥٠ وقال محققه: صحيح على شرط مسلم. (تر)

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢. (تر)

وكما جاء في «نهج البلاغة» وفي الروضة من «الكافي» وفي المجلد الثامن من «بحار الأنوار»أن علياً كان يقول: «**وَ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الفَخْرِ ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الكِبْرِ وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ واسْتِماعَ الثَّنَاءِ ولَسْتُ بِحَمْدِ الله كَذَلِكَ ولَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً للهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ ورُبَّما اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ البَلَاءِ فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى الله سُبْحَانَهُ وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلَا تُكَلِّمُونِي بِما تُكَلَّمُ بِهِ الجَبَابِرَةُ ولَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِما يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ البَادِرَةِ ولَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ولَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ولَا التِماسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ العَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ العَمَلُ بِهِما أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّما أَنَا وأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وأَعْطَانَا البَصِيرَةَ بَعْدَ العَمَى**»(١).

ومع أن صدره كان صندوقاً للعلوم الإلهية التي تعلَّمها من حضرة خير البريَّة إلا أنه كان يقول عن أسرار الخليقة وسرّ الموت والحياة في آخر لحظات عمره: «**وَكَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ**»(٢).

وكان يُظْهِر عدم معرفته بشيء يجهله الآخرون ويقول للخليفة الثالث: «**وَ وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ولَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ...**»(٣).

والسلامة والرشاد والهداية والإرشاد لمن سلكوا صراط الله المستقيم الذي هو الحدّ الوسط

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٦، والكافي، ج١/ ص١٢٣، الحديث ٦. (تر)

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٩، وإثبات الروضة، ص١٥٣. (تر)

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٤، ص ٢٣٤. (تر)

بين الإفراط والتفريط وابتعدوا عن اليأس من رحمة الله والأمن من مكره فكانوا يطلبون من ربهم الهداية على الدوام ويسألونه أن لا يجعلهم من المغضوب عليهم ولا الضالين.

الدافع لتأليف هذا الكتاب

ابتُلِيَ دينُ الإسلام المقدس منذ بدء ظهوره بمعارضين وأعداء ألدَّاء كمشركي مكة واليهود والنصارى في المدينة واليمن وفي سائر البلدان والقبائل، ولكن سرعان ما استسلم أولئك الأعداء والمعارضون أمام دلائل الإسلام الواضحة وبراهينه المحكمة فأسلموا لِلَّهِ أو على الأقل كفُّوا عن محاربتهم له وقبلوا بالصلح ودفع الجزية، ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا لم يلجأ أعداء الإسلام الذين لا يُحصى عددهم إلى سلاح العقل والعلم لمواجهة الإسلام لأنهم يعلمون تمام العلم أنهم سيُفضحون ويخيب سعيهم ويخرجون من هذه المعركة منهزمين يجرون أذيال الخيبة والخسران.

رغم كل الجهود التي بذلها ولا يزال يبذلها المبشرون النصارى الذين يمتلكون إمكانيات هائلة وقدرات مادية ومعنوية كبيرة لأجل إضعاف الإسلام فإن التاريخ يشهد والوضع الحاضر يدل على أنهم لم يستطيعوا أن يُنْجزوا شيئاً يُذكر في هذا المجال وأُصيبوا بالهزيمة والخيبة.

إلا أنه مع الأسف الشديد لا يمكن إخفاء الهزائم والخسائر والمفاسد وإراقة الدماء والجهل والتعصب والحوادث الكارثية التي تعرَّض لها الإسلام من قبل المسلمين أنفسهم وبسبب تفرقهم إلى فرق وطوائف متناحرة ومتعادية.

بعد غروب شمس النبوّة حدثت مباشرة وعلى عجل حادثة سقيفة بني ساعدة بشأن خلافة النبي الأكرم ﷺ وعلى كل حال بُذرت بذرة بقيت محاذيرها على مر الزمن واستغلها مثيرو الفتنة مما عاد بالوبال على المسلمين إلى يومنا هذا ولعل آثارها السيئة ستبقى إلى يوم القيامة!

منذ ذلك الزمن انشق صف المسلمين ثم وقع بينهم الاقتتال لأسباب متنوعة وبحجج وذرائع مختلفة وسُفكت من الدماء في هذا الأمر ما لو جمع بعضه إلى بعض لشكَّل بحراً مخيفاً، كما أُنفقت من الأموال ما يعجز الحاسبون عن إحصائه!وكم من بيوت هُدِّمت ونساء رُمِّلت وأطفال يُتِّموا وأصبحوا بلا معيل وكم من نفوس زكية وبريئة احترقت بنار الفتنة! الله وحده يعلم!

والعجب العجاب أنه لو دُرست الأسس المشتركة والعقيدة الواحدة التي تشترك فيها تلك الفرق المختلفة والمذاهب المتعدّدة لتبيّن بكلّ وضوح أن الجميع يعبدون إلهاً واحداً ويؤمنون بنبوة نبيٍّ واحد: «محمد بن عبد الله» ﷺ، ويمتلكون كتاباً واحداً ويتّجهون إلى قبلة واحدة وأعمالهم وعباداتهم من صلاة وزكاة [وصوم وحج] واحدة وليس بينهم من الفروق أكثر مما بين مجتهد وآخر في المذهب نفسه!

المسألة الوحيدة التي تُعتبر مصدر وأساس هذه العداوة والبغضاء هي مسألة «**الإمامة**» التي لم يعد اليوم لحقيقتها أثر ولا خبر على الأرض! وفي الواقع أصبح نزاع هذين الفرقتين الكبيرين مثل نزاع الأحمقين في قصة الملا نصر الدين (جِحا) اللذين كان أحدهما يسأل الله ألف غنمة والآخر يسأله مئة ذئب! ثم انجرّت المطالبة بهذين الطلبين غير المنطقيين إلى نزاع وجدال دموي بينهما!!

لا شك أن هناك أيْدٍ خفيَّةٌ معاديةٌ للإسلام من مصلحتها النفخ في نار العداوة وجعل معركة الجدال أكثر دموية بل ربما تكون تلك الأيادي هي التي أشعلت نار الفرقة والفتنة منذ البداية، وعلى كل حال وأياً كان الأمر فإن أسباب الشقاء والنزاع الذي وقع بين المسلمين في هذا المجال إنما صنعتها أيدي المسلمين أنفسهم ثم استفاد منها العدو بذكائه وخبثه، ولا يُنتَظر من العدو سوى ذلك، والأحمق هو الذي يتوقع من عدوه الرحمة والعدل والإنصاف!

كان أعداء هذا الدين الخارجيين كامنين له بالمرصاد على الدوام وكانوا يستغلُّون كلَّ حادثة لبثِّ الاختلاف والنزاع بين المسلمين ولقد نجحوا في تحقيق هدفهم الذي هو إخفاء حقيقة الإسلام المضيئة وستر حقائقه المشرقة عن أعين أهل الدنيا.

فمثلاً لم تكن لمسألة «**الإمامة**» في بداية الأمر كل تلك الأهمية، وإذا كان قد حدث فيها أمر مخالفٌ للأَوْلى، فإن الـمُدَّعِي الحقيقي لها [الإمام علي] غضَّ الطرف بكل سماحة وسمو نفس عن حقِّه الطبيعي والمشروع فيها، وتَبعَ بكلِّ بُعْد نظر ما اختاره أكثرية المسلمين وبايع هو وأسرته الخليفة المنتخب! وبقي طيلة الفترة التي سبقت قبول الناس له خليفةً عليهم ودعوتهم إياه للقيام

بهذه المسؤولية، جالساً في بيته، تلبيةً لطلب خلفاء زمانه، ولم يتوان عن المشاركة برتق وفتق بعض الأمور عندما كان يُطلب منه ذلك، كما لم يقصِّر في تقديم أي نصح فيه نفع للخلفاء ولعامّة المسلمين، وفي الفترة التي تولَّى فيها مضطراً ومجبراً أمر الخلافة لم يُنْقل عنه أي إشارة إلى أنه كان ينوي نقل تلك الخلافة من بعده إلى أولاده بل -كما يذكر المؤرخون - لمّا أدركت علياً الوفاةُ سُئل: «**يا أمير المؤمنين! أرأيت إن فقدناك، ولا نفقدك، أنبايع الحسن؟ فأجاب: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.**»[1].

وبعد أن رحلت روحه المطهرة إلى الملأ الأعلى، ثم وجد خلفه الكريم الإمام الحسن نفسَه غير متمكِّنٍ من إدارة أمور المسلمين لقلّة الناصر وعداوة العدوّ الشرس قرَّر أن يتنازل لمنافسه الداهية المكَّار بكل كرمٍ وزهد في الرئاسة عن منصب الخلافة، حفاظاً على وحدة عالم الإسلام. ولو لم تكن حقارة فطرة يزيد بن معاوية وخبث طينته وانتهاكه السافر لحريم المحرمات الإلهية، ولو لم يدعُ أهلُ الكوفة الإمامَ الحسين لاجتثاث الظلم والقضاء على الجور لما قبل ببيعتهم له ولما نهض ذلك النهوض ولسار على درب أبيه الكريم والجليل الذي كان يقول: «**لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ!**»[2].

وإذا رأينا أن بعض أبناء ذلك الإمام الهمام وأحفاده الكرام نهضوا معترضين على حكومات عصرهم الظالمة بل قام بعضهم بثورات مسلحة دموية فإن ذلك لم يكن إلا لرؤيتهم أن أحكام الإسلام لا يُعْمَل بها ولا تُراعى التعاليم والقواعد التي أرست بنيانها الشريعة المطهرة في السياسة والحكم وإلا فإن لسان حالهم كان يقول مثل قول جدهم: «**وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**». أي أن أولئك الأجلاء الكرام كانوا ينظرون إلى الدنيا وإلى الحكم كما ينظر الرجل العاقل إلى الريح الذي يخرج من مقعد العنزة أو المخاط الذي يخرج من أنفها!

---

(١) مروج الذهب: للمسعودي: ج٢ / ص ٤٢٥، وتاريخ الأمم والملوك: للطبري: ج٥/ ص ١٤٦- ١٤٧، والبداية والنهاية: لابن كثير: ج٧ / ص ٣٢٧. (تر)

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣.

وإذا صدر عن بعضهم شيء في هذا الصدد كان مثل ما قاله علي عليه السلام لعمه العباس عندما رجع من عند عمر: «**وَاللهِ مَا بِيَ رَغْبَةٌ فِي السُّلْطَانِ وَلَا أُحِبُّ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لِإِظْهَارِ العَدْلِ، وَالقِيَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**»(١).

كما يروي لنا عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فيقول: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ وهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيمَةَ لَهَا. فَقَالَ عليه السلام: «**وَالله لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً**»(٢). وكان يناجي ربه دائماً بقوله: «**اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ولَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ**»(٣).

وعلى كل حال إذا كان المراد من «**الإمامة**» هو الرئاسة والزعامة فإنها لم تكن مطلوبة ولا مرغوبة في نظر أولياء الله، وإذا كان المقصود من الإمامة هداية الناس وإرشادهم إلى صراط الله المستقيم فإن هذه الإمامة منصب لا يمكن لأحد أن يغصبه منهم، فلما كان الناس يسألون أولئك الأئمة الأجلاء عن أحكام الله وعن بيان ما أنزل الله كانوا يُجيبونهم ويُبَيِّنون لهم ما يسألون عنه أوضح بيان، ولولا أن خلفاء زمانهم كانوا ينظرون إليهم بعين المنافس لهم، ويتصورون أنهم يعملون ضدّ حكوماتهم، لما تعرّض أولئك الخلفاء أبداً إلى نشاطهم الدعوي وإمامتهم الإرشادية، لكن ثورات بعض أحفاد علي عليه السلام ضدّ المتوسدين لسدة الخلافة ألقت في أذهان الخلفاء التصوُّر بأن إقبال الناس على أي إمام من آل علي والتفافهم حوله ليس إلا تمهيداً لثورته عليهم!

إذن لم تكن مسألة «**الإمامة**» في بداية الأمر موضع اهتمام أولياء الله ولكن مع مرور الزمن واختلاط المسلمين بأتباع الملل الأخرى وشعوب الأمم المجاورة في بلاد فارس والروم ورؤية

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩/ ص٥١. والمجلسي، «بحار الأنوار»، ج ٣١/ ص ٦٩. (تر)

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٣، ص ٧٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١، ص ١٨٩.

الناس لما كانت تقدِّمه تلك الشعوب لقياصرتها وملوكها من إجلال وتعظيم وتمنحه له من مقام وجبروت بدأت مسألة الإمامة تأخذ منحىً آخر وأصبحت موضع عناية واهتمام طلاب اللذائذ والشهوات. ولا يخفى الحال الذي يكون عليه المحرومون والخاسرون في الصراعات السياسية على الحكم وكيف أنهم عندما يخسرون في ميدان السباق فإنهم لا يجلسون صامتين، بل يحاولون في كل مناسبة أن يعبِّروا عن عُقْدَتِهِم بكل الوسائل المتاحة لهم والتي أسهلها اللسان والقلم اللذان يُستخدمان للانتقام من منافسيهم وتلبية نار الحسد تجاههم، فيصولون ويجولون في هذا الميدان ثم يورثوا ذلك لمن يخلفهم من بعدهم، وهذا ما حصل وتواصل حتى وصلنا إلى هذه النتيجة التي نجدها اليوم!

في أيامه الأولى لم يخرج أمر النزاع على الخلافة عن حالته الطبيعية كثيراً. كان بعضهم يعتبر أن معيار الأهلية لذلك المنصب هو -حسب سنن الجاهلية- كِبَر السن والوراثة، أما الذين تشبَّعوا بتعاليم الإسلام فكانوا يرون أن معيار الأهلية للخلافة يكمن في العلم والسوابق المشرقة في الإسلام فكانوا يبحثون عن المؤهَّلين لذلك المنصب بين مجاهدي بدر وأحد كي يطبِّقوا أحكام الدين في الأمّة من إقامة للصلاة وجباية للزكاة وتأمين للحدود والثغور ونصرة للمظلوم وضرب على أيدي الظالمين والقيام بفريضة الجهاد وأمثالها وكان الذين نالوا منصب الخلافة إنما يحترمون ذلك المنصب من خلال التشبُّث بتلك المعاني.

أما الذين حُرِموا منها رغم محاولاتهم الوصول إليها والذين حلَّت بهم النكبات والأذى في هذا السبيل فقد أخذوا يخترعون لهذا المقام شروطاً صعبةً وثقيلةً ويشترطون لمنصب الإمامة والرئاسة امتلاك فضائل خارجة عن قدرة البشر العاديين إلى الحدّ الذي أصبح فيه منصب حكم البلاد وسياسة العباد الذي كان أمراً عاديّاً ومعروفاً منذ آلاف السنين في جميع أنحاء الدنيا، منصباً يتلو مقام الله ومقام الرسول، وصار من اللازم لصاحب ذلك المنصب أن يكون معصوماً عصمةً كاملةً مطلقةً وطاهراً طهارةً مطلقةً! وأخذوا يطرحون بظنونهم وأوهامهم أن لا حقَّ لأحد في الحكم وإدارة دفّة أمور المسلمين إلا إذا كان منصوصاً عليه من قبل الله تعالى! وقالوا بهذه الصفة

والخصوصية بحقّ أفراد معدودين قالوا إن الله تعالى نصَّ على تعيينهم في هذا المنصب والمقام - منصب الإمامة- نصّاً خفياً وجليّاً وحصروا ذلك بعليٍّ عليه السلام وأحد عشر من أولاده وذريته، فميَّزوهم عن الكثيرين من فضلاء ذرية الإمام علي باسم الأئمة الاثني عشر. هذا رغم أن أحداً من أولئك الأئمة الكرام الأجلاء -باستثناء الإمامين الحسنين عليهما السلام- لم يخطُ أي خطوة باتجاه السعي لحيازة الخلافة بل كانوا يرفضون الاستجابة لمن عرضها عليهم من المسلمين كالإمام زين العابدين والإمام جعفر بن محمد -عليهما السلام- أو الإمام علي بن موسى الرضا - سلام الله عليه- الذي أبى وامتنع [في بداية الأمر] عن قبول ولاية العهد التي عرضها عليه الخليفة المأمون العباسي.

مع ذلك فإن مَنْ كانوا أكثر مَلَكِيَّةً من الملك! جعلوا من موضوع «**الإمامة**» موضوعاً مثيراً بشدَّة للاختلاف والنزاع وأشعلوا لأجله نيران الفتنة والفساد إذْ كانوا يحاولون مرَّةً تِلْوَ الأخرى أن يدفعوا بعض أولئك الأئمة المحبوبين والمشهورين من أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الثورة ضد حكام زمانهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وكلّما أوصلوا إماماً إلى يد العدو حتى تمكن من قتله، ذهبوا نحو إمام آخر ليدفعوه إلى الثورة والمصير ذاته!!

ولما لم تؤدِّ تلك الحركات إلى نتيجة، باستثناء حكومتين أو ثلاث لأولاد علي وفاطمة في مصر واليمن وبعض البلاد الأخرى، ونشأت فرق متعددة وطوائف مختلفة باسم الشيعة في أنحاء بلدان العالم الإسلامي وكانوا يَدْعُون الناس للانضمام إليهم باسم الأئمة من أولاد علي عليه السلام، ولم يقتنعوا بالحكومات القائمة بسبب ما وضعوه من شروط عجيبة ومخترعة لمنصب الإمامة والرئاسة، فكانوا يتحجَّجُون ويسعون في الواقع نحو غايات أخرى! وفي الوقت ذاته كانوا يُضيِّقون دائرة شروط الوصول إلى الحكم أكثر فأكثر، من خلال كتابة الكتب التي أخذوا يضعون فيها شروطاً عجيبةً للإمام، إلى أن وصل الأمر في النهاية إلى أنهم حُبِسوا داخل الشبكة التي نسجوها بأيديهم حتى فقدوا في النهاية الحكومة الشرعية الحقَّة التي كانوا يحلمون بها

ويدعون إليها والتي وضعوا لها كل تلك الخيالات والأوهام في أذهانهم![1] وهكذا تعطَّلت أحكام الإسلام العظيمة والحياتية وهُجر العمل بها، ومن الجهة الأخرى كان المتشرعون وطلاب الحكومة الحقَّة في نزاع ومعارضة وتمرّد مستمرّ ضدّ حكومات وقتهم بسبب عدم التزامها بالإسلام.

لو اقتصرت الخسائر والآثار السلبية الدنيوية التي سببها النزاع حول مسألة «**الإمامة**» على ما ذكرناه لهان الأمر، ولكن الأمر لم ينته عند ذلك الحدّ، ولم تقتصر الخسائر على وقوع الفرقة بين أبناء أمة الإسلام ونشوب النزاعات الدموية بينهم، بل امتدّ الخَطْبُ أخيراً إلى خسائر لا يمكن تعويضها، وإلى إثم لا يمكن -بنص القرآن الكريم وبرهان العقل السليم- غفرانه، ألا وهو ما دخل مذهب التشيُّع من غلوّ وإفراط في هذا المجال أصبح مادة خصبة لدفعِ مخالفي مذهب التشيُّع إلى اعتبار الشيعة مشركين غير مسلمين وإعطائهم مبررات للمزيد من الجرأة والجسارة في تضليلهم، فقد صارت الأفكار المغالية المدسوسة من قبل الغلاة حججاً ومستندات قوية لأعداء الشيعة تجعلهم أكثر جرأة في إذلال [عامَّة] الشيعة وتحقيرهم وقتلهم وتدميرهم مما يؤدي بلا شك إلى الخسران الأخروي الأبدي لفاعليه. لقد قام بعض الغلاة بإحياء الوثنية وتعدد الآلهة بصورة جديدة ووسَّعوا أمر «**الولاية**» - التي لا تعني في الأصل سوى المودة والمحبة ويمكن التوسع في معناها لتشمل الرئاسة- فأوصلوها إلى «**الولاية التشريعية**» ثم وسَّعوها لتصل إلى «**الولاية التكوينية**»!! وهكذا رفعوا مقام أئمّة الإسلام الذين كانوا هداة للأنام فحسب إلى حد القَيُّومية على أمور العالم والنيابة عن الله والوزارة له في تدبير الكون بل الولاية المطلقة في تسيير أمور عالم الإمكان! وبذلك تم إحياء عقائد «**المفوِّضَة**»[2] -لعنهم الله- من جديد بين صفوف

---

(١) راجع كتابنا «الحكومة الإسلامية».

(٢)أجمع علماء الشيعة الأصوليون المحقِّقون على تكفير الغلاة وتضليل أقاويلهم حتى قال مرجع الشيعة الإمامية الأعلى في عصره السيد أبو القاسم الخوئي (رح) في فتواه الشهيرة حول المفوِّضة الغلاة: «..إن الكتاب العزيز (أي القرآن) يدلُّ على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلّها بيد الله سبحانه (إلى أن قال):

فهذا الاعتقاد [أي الغلوّ والتفويض] انكارٌ للضروري..فيبتني كفر هذه الطائفة [الغلاة والمفوضة]». هذا وقد عقد الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن بابويه القمي) (٣٨١هـ) في كتابه «اعتقادات الإمامية» الذي يُعَد الكتاب الأساسي والأهم والأقدم في بيان عقيدة الشيعة الإمامية، باباً خاصاً (الباب ٣٧) في نفي الغلوّ والتفويض، وأورد فيه أحاديث عديدة عن الأئمة يبرؤون فيها ممن ينسب إليهم مثل هذا الأمر ويلعنونه، وقال: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل جلاله وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة، وأنه ما صغَّر الله جل جلاله تصغيرهم شيء، وقال جلّ جلاله: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ؟؟﴾ (آل عمران: ٧٩-٨٠)..». ثم أورد الصدوق أحاديث عديدة عن الأئمة يبؤونت فيها ممن ينسب إليهم مثل ذلك المقام [مقام التفويض] ويلعنون القائلين به. من ذلك هذا الحديث المروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني بري ء من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادَّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ. اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك فالعن النصارى الذين صغَّروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريتك. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولاحياةً ولا نشوراً. اللهم مَنْ زَعَمَ أنَّا أربابٌ فنحنُ منه بَراءٌ ومَنْ زَعَمَ أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براءٌ منه كبراءة عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى. اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما يدَّعُون ولا تَدَعْ على الأرضِ منهم دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً». وروي عن زرارة أنه قال: «قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً من وُلْدِ عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض فقال عليه السلام: ما التفويض؟ فقلت يقول: إن الله عز وجل خلق محمداً ؟ وعلياً عليه السلام ثم فوَّض الأمر إليهما فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا، فقال عليه السلام: كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فاقرأ عليه الآية التي في سورة الرّعد، ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (الرعد/ ١٦) فانصرفتُ إلى الرجل فأخبرته بما قال الصادق عليه السلام فكأنما ألقمته حجراً، فقال:وكأنما خرس».]] انتهى. الشيخ الصدوق، «اعتقادات

الشيعة بصورة أشدّ حدَّةً!

كلَّما مرَّ زمنٌ على مسيرة هذا المذهب وجدنا أن كثيراً من أتباعه يقعون من ناحية العقيدة والعمل في إفراط أو تفريط، فكلّما ازداد غلوُّهم بشأن الصالحين وأولياء الإسلام كلما نقص التزامهم بالعمل والتقوى إلى الحدّ الذي أصبحت معظم منهيّات الإسلام مستباحة ورائجة بين العوام وتُركت معظم أوامر الله في المجتمع وهُجرت واتخذها الناس ظهرياً!! فتجد سوق الربا والاحتكار والضرر والإضرار والكذب والانهيار رائجةً ومتاع الفسق والفجور في المجالس والخلوات مستشرياً ورخيصاً!

وأساساً إن تلك النتيجة هي الهدف الأساسي لعامة الغلاة في الدنيا، لأن عُبَّادَ الأصنام إنما رفعوا أصنامهم في هذه الدنيا إلى حد الإلهية، لأنهم كانوا يدركون أن أعمالهم القبيحة التي يثقل على وجدانهم ارتكابها ويشهد عقلهم وفهمهم على قبحها ويعلمون أن آثارها السيئة ستحيق بهم يوماً ما، فكان خوفهم من تلك العقوبة على أعمالهم دافعاً لهم للبحث عن ملجأ وملاذ يعفيهم من آثار أعمالهم القبيحة تلك، فأخذوا يعبدون الأصنام ويقولون إنها ستشفع لهم عند الله كما قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس/ ١٨]، وبالمثل قام اليهود الذين يتفوقون على إبليس في الخبث والتزوير والغش والتدليس، بتصوير بعض أنبيائهم بأنه «ابن الله» وباعتبار أنفسهم أبناء الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ [المائدة/ ١٨]، لكي يُسكِتوا وجدانهم بهذه الطريقة. كما تصور النصارى لفرط استغراقهم في المعاصي أن عيسى ابن الله بل الله ذاته وقالوا إن محبته كافية ومغنية عن جميع العبادات واجتناب المنهيات وأنه [بصلبه ودمه] أصبح شفيعاً لجميع المذنبين إلى يوم القيامة!!

الإمامية»/ باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض، ص٧٤ فما بعد، والمجلسي، «بحار الأنوار»: ج ٢٥/ ص ٣٤١ - ٣٤٤.

ولم يكن للغلاة في دين الإسلام المقدَّس منذ بداية أمرهم من هدف وغاية سوى استباحة المحرَّمات وارتكاب المنكرات، كما نرى ذلك واضحاً في قصة أولئك الذين ألَّهوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد رُوِيَ «أن مولى المتَّقين عليا عليه السلام مرَّ بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً! فقال: أسفرٌ أم مرضى؟؟ قالوا: لا، ولا واحدة منهما! قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في نهار رمضان؟ فقاموا إليه فقالوا: أنت أنت! يومئون إلى ربوبيته! فنزل عليه السلام عن فرسه فألصق خده بالأرض وقال: ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام. فأبوا، فدعاهم مراراً، فأقاموا على كفرهم فنهض إليهم وقال: شدوهم وثاقاً وعَلَيَّ بالفعلة والنار والحطب، ثم أمر بحفر بئرين، فحفرتا إحداهما سربا والأخرى مكشوفة وألقى الحطب في المكشوفة وفتح بينهما فتحا وألقى النار في الحطب فدخن عليهم وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا إلى الإسلام فأبوا فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم فأحرقوا»[1].

ومنذ ذلك الحين نشأت فرق الغلاة ضمن الإسلام كالمنصورية والخطابية والشلمغانية والنصيرية، فهؤلاء لما كانوا لا يستطيعون أن يصرفوا النظر عن شهواتهم ويكبحوا نفوسهم الأمارة بالسوء ويمتنعوا عن اللذات المحرمة، أو لما لم يكونوا يعتقدون من الأساس بالمبدأ والمعاد (أي بالله واليوم الآخر) وكانوا يرومون الحصول على لذاتهم وإشباع شهواتهم من أموال الآخرين ونسائهم وولدانهم، وكانوا يَرَوْن أن عقائد الناس الدينية تحول بينهم وبين الوصول إلى تلك الرغبات، لذا اخترعوا أساطير باسم الدين وافتروا أكاذيب وألقوا بين العوام عقائد مغالية ليجعلوهم مستعدين للتجاوب مع رغباتهم ومآربهم.

واليوم أيضاً لو لاحظنا الأمور بدقة لرأينا أن الأشخاص الذين ينسبون إلى الأئمة امتلاكهم

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨/ ص ١١٩ - ١٢٠. رواه بسنده التالي: أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي المعروف بنوين وروي أيضاً عن علي بن محمد النوفلي عن مشيخته. (تر)

للولاية التكوينية والقدرة على التصرفات المطلقة في عالم الوجود والذين يعتبرون الأئمة «أمراء الكون»، هم أشخاص أدركوا أن لا سبيل لهم إلى إرضاء إلهٍ عليم وبصير ولطيف وخبير ومنزه عن العواطف البشرية وعن الأب والولد، ولا سبيل إلى الوصول رغباتهم عن طريقه لأنه إلهٌ [غنيٌّ عن العالمين] لا يؤثر فيه التملُّق والإطراء، بل قد وضع لكل عمل أجراً ولكل تصرف جزاءً أو ثواباً وقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة/ ٧، ٨]، وقال أيضاً: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فصلت/ ٤٦] و[الجاثية/ ١٥]،، وقال كذلك: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ ﴾ [آل عمران/ ٣٠].

وقال: ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [النحل/ ١١١]. وقال أيضاً: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [الزمر/ ٧٠]. وقال: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ ﴾ [الأنعام/ ١٣٢]. وقال كذلك: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ ﴾ [الكهف/ ٤٩]، وقال أيضاً: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس/ ٥٤].

فهذه الآيات تؤكِّد بكل وضوح أن الإنسان لا ينال سوى نتائج أعماله ولا يحصد إلا ما زرعته يداه، وآيات القرآن تحث الإنسان دائماً على النظر فيما يدخره لغده من أعمال صالحة وسيئة وأن لا يغفل عن نفسه، فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ ﴾ [الحشر/ ١٨]. ويقول كذلك: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ/ ٤٠].

كما أن مسألة الشفاعة في الإسلام ضيقة إلى حد تكاد تكون معه معدومة! كما تؤكد هذا المدعى آيات كريمة عديدة وتبيِّنه بوضوح، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة/ ٤٨ و١٢٣]، أو قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ ﴾ [البقرة/ ٢٥٤]، وسنبحث بعون الله هذا الموضوع بتفصيل وافٍ في قسم الشفاعة من كتابنا هذا.

أقول لما رأى غلاة زماننا أنهم لا يستطيعون التأقلم مع مثل هذا الإله وأن يراقبوا كل صغيرة وكبيرة من أعمالهم، عمدوا إلى الغلو في الأئمة فراراً من عذاب الضمير، واخترعوا أحاديث عجيبة بل أكاذيب فاضحة بعيدة عن المنطق والعقل والشرع، ورفعوا بعضاً من أولياء الله إلى مقام الإلهية! ثم فتحوا باب شفاعتهم للمؤمنين وجعلوه واسعاً بوسع السماء والأرض! كي تشملهم هذه الشفاعة وتجعلهم في مأمن من التعرض لجزاء أعمالهم القبيحة وتجعلهم مستحقين لجنات الخلد وأعلى درجات العليين بل في درجة يصبحون فيها دائنين لِلَّهِ!

وما أحسن ما فهمه سلمان الفارسي الذي قال عنه الإمام محمد الباقر - عليه السلام - سلمانُ المحمدي، إن سلمان منَّا أهلَ البيت، وقال: إنه كان يقول للناس: «**هربتم من القرآن إلى الأحاديث، وجدتم كتاباً رقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقطمير والفتيل وحبة خردل فضاق ذلك عليكم وهربتم إلى الأحاديث التي اتسعت عليكم.**»[1].

أجل لقد روّجوا سوق الأحاديث الموضوعة التي تقول إن المسلم يمكنه أن يصل إلى أعلى درجات الجنان وأن يُعفى من المجازاة على جميع السيئات بقراءة دعاء أو زيارة قبر أو ذرف دمعة حتى لو كان ذلك رياءً! وهو ما سنشرحه لاحقاً إن شاء الله ونبيِّن أن القرآن بعيد كل البعد عن هذه الادعاءات الباطلة.

كان ذلك الدافع للغلوّ دافعاً شيطانياً في الواقع بل كان في الحقيقة هو ذلك الغرور الذي يلقيه إبليس في النفوس ليجرّها عن طريق الدين [المحرَّف] نحو جهنم. إنه الغرور ذاته الذي حذَّر الله الإنسانَ من أن يوقعه الشيطان فيه فقال: ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [النساء/ ١٢٠].

وإذا كان الدافع للغلوّ في أولياء الله الصالحين وإشاعة مثل تلك الأقوال القبيحة والمنكرة والعقائد السخيفة والشركية بحقهم، في الأزمنة السالفة، هو الغرور الشيطاني وتسويلات

(١) رجال الكشي، ص/ ١٨.(تر)

النفس الأمارة بالسوء، أو كان الدافع لذلك هو سعي أعداء الأئمة -عليهم السلام- لإيجاد ذرائع ومبررات للإضرار بالأئمة وشيعتهم وإيذائهم وتعريضهم للقتل والنهب؛ فإن علَّة الغلوّ في زماننا هي أمر آخر يضاف إلى تلك العلل الماضية. هذه العلة هي نكبة وجود دولة غاصبة باسم إسرائيل تُعَدُّ اليوم ألدّ أعداء الإسلام. إنها دولة اليهود الصهاينة الذين مكّنتهم الدول الاستعمارية لاسيما انجلترا وأمريكا من السيطرة على قلب عالم الإسلام وقبلة المسلمين الأولى بيت المَقْدِس. ولما كان وجود مثل هذه الدولة في قلب عالم الإسلام باعثاً ومحركاً لاتّحاد الشعوب المسلّمة ضدَّها، لأن المسلمين وأبناء كل أرض يخرج منها نداء الله أكبر يعتقدون انطلاقاً من تعاليم دينهم أن بيت المقْدِس متعلِّقٌ بجميع المسلمين وأنه من الواجب على كل فرد مسلم كبيراً كان أم صغيراً حتى النساء والأطفال أن يدافعوا بأرواحهم وأموالهم عن كل أرض من أراضي الإسلام تتعرض لأطماع الغزاة وغزوهم ليصدوا أولئك الغزاة ويخرجوهم من ديار المسلمين. هذا رغم أن مبدأ الجهاد هذا قد تُرك ونُسِيَ بفعل الدسائس الشيطانية التي يقوم بها اليهود في كل فترة ليبعدوا المسلمين عن مثل تلك العقيدة الجهادية حتى أنه لم يعد أحد يأتي عليها بذكر اليوم في المجالس والمنابر، لكن رغم ذلك لا تزال هذه العقيدة تبعث الخوف والرعب في قلب تلك الدولة الغاصبة الملعونة ومن يقف وراءها.

رغم أن بذرة العداوة والبغضاء بسبب الاختلاف في موضوع الإمامة قد بذرت بين المسلمين منذ سنوات وقرون ماضية طويلة وأثمرت ثماراً مرة ومشؤومة أدت إلى حروب واقتتال ودماء كثيرة، مع ذلك لما وُجد بين المسلمين بلطف الله وفضله علماء ومثقفون قاموا بتوعية أمة الإسلام إلى هذه المخاطر وتنبيههم إلى حيل الأعداء ومكرهم وسعيهم إلى بث الفرقة بينهم عن هذا الطريق كي يوقعوهم في أسباب الشقاء، ولَمَّا بدأت تلك التوعية تُؤتي أُكلها وبدأت نار العداوة تخبو وتحل محلها الألفة والمحبة، فإن تلك الدولة اليهودية الصهيونية الهدامة والمشؤومة أدركت أنه لا بقاء لها بين الدول التي أكثر أهلها من أهل السنة، فلجأت إلى وسيلتين كبيرتين لتفرقة المسلمين وشغلهم ببعضهم، ولطالما استخدم الاستعمار هاتين الوسيلتين للقضاء على معارضيه

دون أن يتمكن من تحقيق أغراضه، بيد أن الاستعمار لما كان مطمئناً إلى فعاليّة سلاحه هذا وحماقة معارضيه، عاد إلى استخدام الحربة ذاتها وقد حصل بواسطتها على نتائج مفيدة له ولا يزال! هاتان الوسيلتان هما:

١- موضوع القومية والتعصب القومي الذي هو من آثار الجاهلية وعصور البربرية. هكذا تم دفع زعماء بعض الدول الإسلامية إلى رفع الشعارات القومية والتغني بأمجاد العروبة واعتبار العرب قوماً متميّزين ومنفصلين عن سائر المسلمين وبهذا أبعد العرب عن أنفسهم وعن نصرتهم أكثر من ستمائة مليون مسلم من مسلمي العالم واكتفوا بمئة مليون عربي[١] من مسلمين ويهود ونصارى، كما نلاحظ ذلك حتى اليوم.

٢- والحربة الأخرى وهي أقل خطراً من الحربة الأولى لكن أثرها أقوى من أثر جيش ذي مئة مليون جندي! وهي إثارة موضوع النزاع بين الشيعة والسنة! وليس هناك أفضل من إحياء وتقوية هذا الخلاف لزرع العداوة والشقاق بين المسلمين العرب الذين أكثرهم من أهل السنة، والمسلمين غير العرب الذين يشكّل الشيعة كثرةً بينهم!

ولذلك نجد أنه في هذه السنوات التي نشأت فيها دولة اليهود تم تأليف كتب كثيرة وطباعتها ونشرها لأجل تجديد النزاع بين تينك الفرقتين الكبيرتين ووقعت بينهما أعمالٌ لا إنسانية ولا يقرها الإسلام لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. من ذلك قتل المرحوم «أبو طالب اليزدي» في مكة المكرمة محل الأمن الإلهي وتأليف كتب مثيرة للفتنة ومحرضة على العداوة مثل «الصراع بين الوثنية والإسلام» وإعادة طباعة كتب مثل «العواصم من القواصم» وعشرات الكتب الأخرى ونشرها بين السنة بهدف بث الفرقة والعداوة بين أبناء الفريقين، وفي مقابل ذلك قام كُتّاب من الشيعة بتأليف كتب تشعل نار العداوة أيضاً، ولا يسعنا أن نذكر اسم هذه الكتب لأن مؤلفيها لا يزالون أحياء ويمتلكون نفوذاً وتأثيراً، ونكتفي بالإشارة إلى أن هذه

---

(١) هذه الأرقام التي يذكرها الأستاذ قلمداران (رح) إنما كانت حين تأليفه لكتابه هذا في ستينيات القرن الميلادي الماضي أي قبل حوالي خمسين عاماً، أما الآن فقد تضاعفت. (تر)

الكتابات إنما تُنْشَرُ بهدف إشعال نار العداوة بين تينك الفرقتين، وقد تم في هذا الصدد إحياء بعض الكتب القديمة التي كتبها بعض القدماء لتحقيق مصالح السلاطين وأرباب السياسة في الأزمنة الماضية، فأعيدت طباعتها من جديد حتى أن بعض الكتب التي كانت في مجلد واحد أُخرجت في عشرة أجزاء أو أكثر ونُشرت بين المسلمين كي تحقق تلك الأغراض المشؤومة!

بهذا قدَّم أولئك الكتّاب -دون أن يدروا- خدمة مجانية لأعداء الإسلام والمسلمين ووسيلةً ناجعةً يمكنهم استخدامها لتحقيق أهدافهم، هذا رغم أننا على يقين أن كثيراً من أولئك الكتّاب أناس غافلون لا يدركون الآثار السيئة التي تحملها كتاباتهم ولا ينتبهون إلى أن أيادي الاستعمار تستغل هذه الأمور لتحقيق مآربها. ولكي نبيِّن للقراء الكرام نموذجاً عن هذا الأمر نذكِّرهم بقضيّة تأليف كتاب قيّم:

قبل عدة سنوات ألف أحد الكُتَّاب الإيرانيين الفضلاء ويدعى «نعمة الله صالحي نجف آبادي» كتاباً في موضوع شهادة سيد شباب أهل الجنة الإمام أبي عبد الله الحسين- عليه السلام- عنوانه «شهيد جاويد» (أي الشهيد الخالد)، وقد ذكر في كتابه أدلة عقلية وشرعية حول حقيقة فلسفة الثورة الحسينية. ولم يكن ما ذكره بدعاً من الأمر ولا كان في كتابه أي فكرة ليس لها سابقة، ولما كان المخاطَبون المستهدَفون من الكتاب هم طبقة المتعلِّمين المثقَّفين فقد راعى مؤلِّفه فيه مطلب كل قارئ متعلِّم مفكِّر، ورغم أنه عرض كتابه -من باب الاحتياط- على عدد من كبار العلماء أولي الأبصار كي يبدوا ملاحظاتهم عليه، إلى حد أن اثنين من كبار الفقهاء قرَّظا الكتاب واعتبراه تأليفاً ممتازاً، إلا أنه بمجرد نشر الكتاب بدأ قرَّاء مراثي العزاء المأمورون والخطباء المأجورون يشنون هجماتهم على الكتاب ويذمون محتوياته ويسيئون الكلام بحق مؤلفه ويعتبرونه ضالاً مضلاً! وقد صدرت فتاوى عجيبة وغريبة من بعض آيات الله وقد كُتب حتى اليوم أكثر من عشرين كتاباً في الرد على ذلك الكتاب!! وكأن القيامة قد قامت وكأن الحسين بن علي -عليهما السلام- قد قُتل من جديد في كربلاء أو كأن الكعبة المشرَّفة قد هُدمت!!

قد يتصوَّر بعضهم أن الدافع لهذا الموقف هو التعصب المذهبي التقليدي للخطباء والكتّاب

الذي هو نوعٌ من الغيرة الدينية العاميّة والتعصُّب الجاهل! نعم يمكن أن تكون المسألة كذلك إذا وجدنا أن هذا الشعب يتصرَّف بهذه الطريقة ويُبْرِز هذه الغيرة الدينيَّة تجاه جميع أو بعض الوقائع التي يجترئُ فيها بعض الناس على المعتقدات الدينية والمذهبية، ولكن لكي نعلم أنه لم يكن لدى أولئك الكتّاب أو الخطباء تلك الغيرة الدينية ولا التعصب المذهبي، ما علينا إلا أن نلاحظ أنه في ذات الوقت الذي انتشر فيه كتاب «شهيد جاويد» انتشر في طهران والمدن الأخرى كتاب آخر بعنوان «أفكار الميرزا فتح علي آخوندزاده» وكان عدد نسخه المطبوعة أكثر، وتم فيه إنكار الله والاستهزاء بالنبيّ وبأحكام الشريعة ولم يوفِّر صاحبُهُ شيئاً من الإهانة لأولياء دين الله وقد بيعت مئات النسخ من ذلك الكتاب في كل مدينة، ومع ذلك لم نسمع أحداً علا صوته ضدَّه فلماذا؟ السبب أنه لم يكن هناك محرِّك ولا كان لأحد اهتمام بأمره!

وكذلك قام عبدٌ من عباد الله الصالحين[١] في طهران بنشر كتاب باسم «درسي از ولايت» (أي درس من الولاية)، ولم يتجاوز فيه حدود العقل والشرع ولا بمقدار شعرة، بل أدرج فيه بعض عقائد الشيعة أنفسهم! ولكن لما ذهب بشأن مسألة «**الولاية**» مذهباً معتدلاً قامت قيامة بعض الناس ضدَّه وبدأت تُكتب الكتب وتصدر الفتاوى في الردّ عليه وقام البعض بتحريض عوام الناس وإثارتهم لضرب المؤلف وسحقه! وكذلك لما قام المؤلف ذاته بكتابة كتاب بيَّن فيه عدم صحّة الدعاء المعروف بدعاء الندبة، تحركت الغيرة الدينية المقلوبة لدى بعضهم وبدأت تصدر بحقّ المؤلف فتاوى التضليل بل وصل بعضهم إلى حدّ تكفيره! ولا زال سوق التفسيق والتضليل رائجاً والمعركة تزداد اشتعالاً.

لماذا تحدث كل هذه الحركات؟ ومن المستفيد منها سوى دولة إسرائيل المشؤومة وشعبها الصهيوني الملعون؟! لو أنفق اليهود الصهاينة أموالاً طائلة على السلاح لما حقَّقوا تلك الفائدة والتأثير الذي يكسبونه من مثل تلك الحركات؟! فما أعظم الفائدة التي يستفيدونها عندما يشون النزاع والاختلاف بين الشيعة والسنة وبين الشيعة أنفسهم!

---

(١) يقصد آية الله السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي. (تر)

قلنا إن الغلاة والأعداء يهدفون من خلال هذه المساعي إلى تحقيق هدفين: الأول هو سعي الغلاة لاستعطاف قلب أولياء الله الذين يعتقدون أنهم «شفعاؤهم عند الله»، أو مالكو مُلْكِ الله وملكوته، وتصورهم أنهم بتلفيقهم ونشرهم لمثل هذه الأوهام والترهات فإنهم سيبدلون قانون الله تعالى وسنته التي لا تتبدل حول الجزاء على الأعمال وتبديل السيئات بالحسنات! ويعتقدون أنهم بتملقهم ومدائحهم لأولئك الأولياء سيوصلون أنفسهم لدرجة الرضوان وللحور والقصور في أعالي الجنان!

أما هدف الأعداء من نشر هذه الأوهام فهو تشويه صورة الدين المشرقة وعرضه بصورة كريهة كي ينفر منه العقلاء من الخاصة ويتجرأ الجاهلون من العامة على الانغماس في المعاصي والفسق والفجور، كما أن الشيطان والنفس الأمارة الموجودين في باطن كل شخص يشكّلان - كما ذكرنا - دافعاً قويّاً للغرور والسرور بنشر مثل هذه الأكاذيب.

إن الكتب التي كُتبت في هذا الموضوع في السنوات القليلة الماضية لا تعد ولا تحصى وقد تنافس في هذا الميدان الجميع من علامة الزمان إلى الطفل الذي تعلم الأبجدية حديثاً ومن الخطيب المفوَّه إلى قارئ المراثي والمآتم! وتسابقوا في السفاهة! ولا يسعنا في هذا الكتاب المختصر أن نتعرّض لجميعهم وأن نبين خطأ ما يقولونه ومناقضة عقيدتهم لأحكام الشريعة الأبدية الإلهية المتقنة، وسنكتفي بذكر ما يمليه علينا وجداننا وضميرنا أمام رب العالمين، وبحمد الله تعالى ليس لنا من هدف من بيان هذه الحقائق سوى رضا الله ربنا وخالقنا وخدمة شريعته ودينه الذي نؤمن به ونلتزم به، وتوعية إخوتنا في الإيمان. وقد اخترنا من بين جميع تلك الكتب والرسائل والمقالات أحد أهم ما كتبه ونشره أولئك الغلاة وهو كتاب «**أمراء هستي**» (أي أمراء الكون) تأليف الشيخ «**أبي الفضل النبوي**» وقمنا بنقده وتمحيص ما جاء فيه.

وسبب انتخابنا لهذا الكتاب هو: أولاً- أن مؤلفه يلقب نفسه بلقب «**آية الله العظمى**»! وهو أكبر لقب علميّ يطلق في زماننا على عالم ومرجع ديني، فمؤلفه بتلقيبه لنفسه بهذا اللقب أو برضائه بتلقيب ناشر كتابه له بهذا اللقب يفصح عن اعتقاده أنه أهل لمقام المرجعية وجدير بها.

وبالتالي فلا يستطيع أصحاب الحوانيت المذهبية وبائعي الخزف أن يحتجوا علينا بأننا بانتقادنا لمذهب معين لا يجوز أن نستند إلى أفعال وأقوال العوام أو الأفراد متوسطي العلم بل لا بد من الرجوع إلى أقوال أئمة المذهب ومراجعه المجتهدين وأفعالهم، لأن الكتاب الذي ننقده تأليف لأحد «**آيات الله العظمى**»!.

ثانياً: قلَّد المؤلف في كتابه العلماء الكبار والمعروفين واستخدم اصطلاحات الفلاسفة والحكماء والمتكلمين وأحياناً انتقد كلامهم وعلق عليه. فكتابه مهم وجدير بالتدقيق والتأمل من هذه الناحية.

ثالثاً: لم يوفِّر المؤلف في كتابه هذا شيئاً من الأقوال الشركية وعبارات الكفر، بل ابتدع أموراً لم تكن تخطر أبداً على بال الغلاة القدماء واخترع لها التوجيهات والتأويلات والتبريرات واعتبر المعصومين الأربعة عشر مُدبِّري الكائنات ومُسيِّري الأرض والسموات!! وقال في حقِّ الأئمَّة ما لم يقل مثله أي مشرك في الأصنام وطرح ذلك بوصفه عقيدةً دينيةً وحكماً ضرورياً مسلَّماً به! وبناء على ذلك فمناظرة [ناشر] مثل عقائد الكفر تلك ومحاربة مثل تلك الاعتقادات أوجب وأهم من أي أمر آخر، وسيكون فضح أخطاء هذا المؤلف سبيلاً لإسكات وقطع السبيل على الآخرين من أمثاله.

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

١

بحث حول اختصاص علم الغيب بالله

موقف القرآن والأئمَّة من دعوى علم الأئمَّة بالغيب

نُريد الآن أنْ نرى مدى صحَّة ادِّعاء من يدَّعي أن الإمامَ عالمٌ بما كانَ وما يكونُ من أمور عالم الإمكان، من وجهة نظر القرآن الكريم والأئمة أنفسهم، وأن نتبيَّن هل تصحّ هذه الدعوى أم أنها كاذبة قطعاً ولا أساس لها من الصحة؟

لقد أمر اللهُ تعالى نبيَّ آخر الزمان ﷺ فقال: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام/ ٥٠].

كتب المرحوم الشيخ الطوسي الذي يُعَدُّ من أكبر العلماء والمفسرين الشيعة، في تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول: «**أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن يقول لعباده: (لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ) أغنيكم منها (وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ) الذي يختصّ بعلم الله تعالى فأعرفكم مصالح دنياكم، وإنما أعلم قدر ما يعلّمني الله من أمر البعث والجنة والنار، وغير ذلك، ولا أدَّعي أني ملك، لأني إنسان تعرفون نسبي، لا أقدر على ما يقدر عليه الملك، وما أتبع إلا ما يوحِي الله به إليَّ. وبين لهم أن المَلَك من عند الله، والوحي هو البيان الذي ليس بإيضاح نحو الإشارة والدلالة**»[1].

ثم كتب المرحوم الشيخ الطوسي -رحمة الله عليه- يقول: «وإنما أمره بأن يقول ذلك لئلا يدَّعوا فيه ما ادَّعت النصارى في المسيح، ولئلا يُنْزِلُوهُ منزلةً خلاف ما يستحقُّه. ثم أمره بأن يقول لهم: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ؟) أي هل يستوي العارف بالله تعالى وبدينه العالم به مع

---

(١) الشيخ الطوسي، تفسير التبيان في تفسير القرآن، الطبعة القديمة، طهران، ج١/ ص٦١٣، أو الطبعة الجديدة المحققة، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، طهران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٤/ ص ١٤٢.

الجاهل به وبدينه، فجعل الأعمى مثلاً للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله ونبيه». وتابع بعد أسطر يقول: «وإنما المراد (وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ) فأشاهد من أمر الله وغيبته عن العباد ما يشاهده الملائكة المقرَّبون المختصون بملكوت السماوات»[(١)]. انتهى كلام الشيخ الطوسي.

كانت تلك آية واضحة من القرآن الكريم يأمر فيها الرب سبحانه نبيه أن يعلن أنه لا يعلم الغيب وأنه ليس بملَك، أي أنه لا يمتلك حتى قدرة مَلَك من الملائكة!

وكان ذلك تفسير أحد أكبر علماء الشيعة في أهم التفاسير الشيعية لتلك الآية، ولم نضف على ما قاله أي كلمة من عندنا.

فقارنوا الآن مضمون تلك الآية الكريمة وتفسير أكبر علماء الشيعة لها بكلمات الكفر التي قالها آية الله عظمى القرن العشرين (!) أبي الفضل النبوي حيث قال إن العلم الذي أثبته الله لنفسه بقوله: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ ﴾ [سبأ/ ٣]، ثابت بعينه للأئمة أولياء الله!! قارنوا بين القولين جيداً واحكموا هل قول أبي الفضل النبوي هذا شرك أم لا؟

وأمر الله تعالى نبيه أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٨]. فإذا كان النبيُّ لا يملك نفعَ نفسه ولا ضرَّها إلا إلى الحدِّ الذي يشاؤه الله، أي ذاك الاختيار الذي منحه الله للإنسان ليجلب لنفسه النفع والضرر ليكون مسؤولاً عن عمله، فكيف يكون قادراً على جلب النفع ودفع الضرر عن الناس؟؟.

وقد فسّر الشيخ الطوسي -رحمة الله عليه- هذه الآية الكريمة بقوله: «أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول للمكلفين إني (قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ) أن يملّكني إياه، فمشيئته تعالى في الآية واقعةٌ على تمليك النفع والضر لا على النفع والضر، لأنه لو كانت

---

(١) المصدر السابق.

المشيئة إنما وقعت على النفع والضر كان الإنسان يملك ما شاء الله من النفع، وكان يملك الأمراض والأسقام وسائر ما يفعله الله فيه مما لا يجدله عن نفسه دفعاً.

ومعنى الآية إني أملك ما يملّكني الله من الأموال وما أشبهها مما يملكهم ويمكنهم من التصرف فيها على ما شاؤوا، وكيف شاؤوا. والضر الذي ملّكهم الله إيّاه هو ما مكنهم منه من الإضرار بأنفسهم وغيرهم، ومن لم يملّكه الله شيئاً منه لم يملكه.».

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٨]. ما نصه: «**معناه إني لو كنت أعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات في المستقبل وما يخسر من ذلك فكنت أشتري ما أربح وَأتجنّب ما أخسر فيه، فتتكثر بذلك الأموال والخيرات عندي، وكنت أعدّه في زمان الخصب لزمان الجدب (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) يعني الفقر إذا فعلت ذلك.**»

ثم قال الشيخ -عليه الرحمة-: «**وقال البلخي: لو كنت أعلم الغيب لكنت قديماً، والقديم لا يمسه السوء لأن أحداً لا يعلم الغيب إلا الله**..... وقوله تعالى: (إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) **معناه لست إلا مخوِّفا من العقاب محذِّراً من المعاصي ومبشِّراً بالجنَّة حاثاً عليها غير عالم بالغيب**»[1]. انتهى كلام الشيخ الطوسي عليه الرحمة والغفران.

إذن الآية الكريمة تشير، لا بل تصرِّح بأن من ينسب إلى النبي ﷺ علم الغيب، ليس بمؤمن، فما بالك بمن ينسب علم الغيب إلى من هو أدنى من النبيّ؟!

إن جميع آيات الكتاب الإلهي تؤكِّد هذه الحقيقة وتصدِّقها. فلا ندري ما الذي عرض لآية الله أبي الفضل النبوي وأمثاله حتى عموا عن رؤية هذه الشواهد والدلائل الواضحة من كلام الله تعالى في آيات القرآن ومن السيرة العطرة لنبي آخر الزمان وتاريخ وسير الأئمة من آله والتي تنادي بأعلى صوتها أنه لا النبي ولا أي أحد آخر سوى الله تعالى يعلم الغيب، وتصريح القرآن بأن كل من كان عالماً بالغيب، سواء كان نبياً أم من هو أقل رتبة منه، فإن من الخواص الحتمية

---

(١) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، الطبعة (القديمة) طهران، ج١/ ص٧٧٣.

والتلقائية لهذا العلم هي أن يسعى إلى جلب النفع لنفسه ودفع الضرر عنها، وبالتالي فلم يكن أحد منهم عالماً بالغيب لأننا نعلم من سيرتهم علم اليقين أنهم لم يكونوا قادرين على دفع كثير من الأضرار وجلب كثير من المنافع لأنفسهم في كثير من محطات حياتهم. مع هذا يصر صاحبنا على أن الأئمة كانوا يعلمون العلم الذي وصفه الله بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ/ ٣]!!!

نسأل الله الهداية لهؤلاء الذين يكذِّبون بدعاويهم وأقوالهم آيات القرآن وينحرفون عن صريح ما أنزل الله ويضلون الناس عن شريعة الله الحقة!

إن حضرة المعبود يقول لنا على لسان حضرة نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ...﴾ [هود/ ٣١]، وقد مر معنا تفسير هذه الآية الكريمة عندما نقلنا تفسير الشيخ الطوسي للآية الخمسين من سورة الأنعام فلا نعيده، وإنما ذكرنا هذه الآية الكريمة تأييداً وتأكيداً لنفي علم الغيب عن الأنبياء ولنبيِّنَ أن شعار جميع الأنبياء كان ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾.

وفي سورة هود ذاتها أيضاً نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

وكذلك يقول سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل/ ٦٥].

إذا عرفنا ذلك فعلينا أن نرى ما الذي دفع صاحبنا آية الله العظمى! إلى التعامي عن كل تلك الآيات الصريحة والإصرار على قوله إن الأئمة أولياء الله يعلمون الغيب، وأي غيب؟ إنه الغيب الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾!! [يونس/ ٦١].

ولنا أن نسأل ألم يكن الأئمة أنفسهم من كائنات الأرض والسماء؟! أفلا يلزم من ادعاء آية

الله النبوي ذاك أن لا يكونوا من كائنات الأرض والسماء وأن يكونوا بالتالي -نعوذ بالله- آلهة للسموات والأرض! ألا يستحي ذلك الرجل من الله؟!

إن الآيات في هذا الموضوع كثيرة ونكتفي بما ذكرناه تجنّباً للإطالة وما ذكرناه كاف لأهل الإنصاف.

النبيُّ لا يعلم من الغيب سوى الوحي!

وفيما يلي نذكر الآيات التي تدلّ دلالة صريحة على أن نبيَّ الله ﷺ لم يكن يعلم شيئاً من الغيب سوى ما يوحيه الله إليه أحياناً، وأن ما كان يُوحَى إليه من قول أو فعل كان يطبّقه على الفور وما أُمر بتبليغه كان يبلّغه حالاً لعامَّة الموجودين ولم يكن يخفي شيئاً مما أوحاه الله إليه.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف/ ٩].

ويقول أيضاً: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾
[الأنبياء/ ١٠٨-١١١].

يقول العالم الجليل الشيخ الطوسي في تفسيره لهذه الآيات:

[[(فان تولوا) يعني إن أعرضوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من إخلاص التوحيد، فقل لهم (ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ) أي أعلمتكم على سواء في الإيذان تتساوون في العلم به، لم أظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره، **وهو دليلٌ على بطلان قول أصحاب الرموز، وأن للقرآن بواطن خُصَّ بالعلم بها أقوامٌ.**

وقيل على سواء (في العلم) أي صرت مثلكم، ومثله قوله ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ..﴾ أي ليستوي علمك وعلمهم. وقيل معناه: لتستووا في الإيمان به.

وقوله ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ **معناه لست أعلم إن ما وعدكم الله به من العقاب أقريب مجيئه أم بعيد.**

وقوله ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ **أي لستُ أدري لعلَّ التأخير شدَّةً في عبادتكم يظهر بها ما هو كالسرِّ فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل.**]][1] انتهى.

هنا يشير الشيخ -عليه الرحمة- إلى نقطة هامة حول بطلان دعاوي الغلاة، إذْ يبيِّن أن كل ما يقوله القرآن من تعاليم فإن معرفته والعلم به عام لجميع الخلق على السواء فليس هناك في القرآن شيءٌ خاصٌّ بفريق دون فريق آخر حتى يستطيع بعضهم أن ينفذ من هذه الحجَّة ليصطاد عوام الناس البسطاء!!

لو لاحظتم أقاويل الغلاة لرأيتم أنهم يدعون أن للقرآن بطوناً تصل إلى سبعين بطناً، وأن العلم بالقرآن خاصٌّ بالأئمَّة فقط ولا نصيب لأحد في الدنيا من العلم به!!

و وَاضحٌ أن هذا يفتح الباب على مصراعيه للغلاة ليلفِّقوا كلَّ ما عنَّ على خاطرهم من أمور ثم ينسبونه إلى الأئمة، فإذا أشكل أحد المؤمنين عليهم وَوجد أن كلامهم غير مقبول لعدم توافقه مع ظاهر القرآن، قالوا له: إن ما نقوله هو واحد من البطون السبعين التي يعلمها الإمام وحده من معاني القرآن!! وأنت لا تستطيع أن تفهم ذلك، فليس أمامك إلا أن تقبل هذا الكلام الوارد عنهم!!.

وهذا بالضبط ما أتى به صاحبنا آية الله العظمى (!) في الصفحة ٣١١ من كتابه حين نقل عن ابن عباس قوله: «**لقد فسَّر لي ابن أبي طالب باء بسم الله منذ بداية العشاء وحتى أذَّن المؤذنُ لصلاة الفجر!**». وأن الإمام [عليّاً] قال له: «**يا ابن عباس! لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب**»!!

---

(١) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، الطبعة (القديمة) طهران، ج٢/ ص ٢٩٧.

ولا ندري ما هي تلك المعاني والموضوعات التي لم يقُلْهَا أمير المؤمنين عليه السلام لأحد سوى لابن عباس، ولم يؤثر عن ابن عباس شيء منها!!

وهنا يعربد أبو الفضل النبوي ويقول: «مَن الذي يستطيع أن يكتب حتى كتاباً واحداً ضخماً بل كتاباً عادياً في تفسير فاتحة الكتاب، أو من الذي يستطيع أن يتكلّم ساعتين على الأقل في تفسير بسم الله». ثم ينسب إلى الإمام أموراً ولا يأتي عليها بأي دليل مع كل أسف.

إن جناب آية الله (!) يظن أن كلَّ ادعاء يدعيه الغلاة حقيقةٌ ثابتةٌ!! إن كل ذلك التطبيل والتهويل إنما يصحُّ إذا كان لدينا نموذجٌ واحدٌ على الأقل ولو صغيرٌ عن كل ذلك التفسير الذي يملأ سبعين بعيراً الذي ذكره ابن عباس (هذا إن كان قد قال مثل ذلك أساساً؟!)، وإذا استطاع «أبو الفضل النبوي» أن يبرزه لنا، وإلا فإن ما لا نملك عنه إلا مجرد الادّعاء، لا يمكن لعاقل أن يصدقه أو يجعله دليلاً على عقيدة!

إن هذه الادعاءات أكاذيب صاغتها عقول الغلاة وأعداء الدين ونسبوها إلى أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، كما قال الشيخ الطوسي أيضاً **إن القول بأن للقرآن بواطنٌ خُصَّ بالعلم بها أقوامٌ** قولٌ باطلٌ.

ومن جملة التفاسير التي نسبها إلى الأئمة الصديق الجاهل أو العدو العالم أو أعداء القرآن، ذلك التفسير المنسوب كذباً للإمام المظلوم الحسن العسكري عليه السلام، ويا ليت مثل هذا التفسير لم يكن موجوداً بين الشيعة ولا بين المسلمين أصلاً!

ولقد أوضحنا في الصفحات (١٨٨ إلى ١٩٠) من كتابنا «**ارمغان آسمان**» [أي هدية السماء] الذي طبعناه ونشرناه قبل ١٢ سنة، اختلاق هذا التفسير المليء بالكذب وعدم وثاقته. وَلِـحُسْنِ الحظ أَيّد العلامة المحقق سماحة الحاج الشيخ «**محمد تقي الشوشتري**»[1] -أدام الله ظلَّه الوارف-

(١) هو العلامة المدقِّق والرِّجَاليّ المحقِّق آية الله الشيخ «محمد تقي بن الشيخ محمّد كاظم الشُّوْشْتَرِيّ» أو «التُستري»، من علماء الإمامية المعاصرين في إيران ولد في النجف عام ١٣٢٠هـ، ثم انتقل مع أبيه صغيراً إلى «تُسْتَر» جنوب إيران واستقر فيها حتى وافاه الأجل عام ١٤١٥هـ، ترك عدة آثار قيمة أشهرها كتابه

في كتابه القيِّم وعديم النظير الموسوم بـ«**الأخبار الدخيلة**» والذي طُبع ونُشر قبل سنتين، ما نقوله بشأن هذا التفسير بأفضل بيان وأوضح برهان.

في هذا التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري الذي جمع خليطاً من حقٍّ وباطل وأوقع بعض علماء الشيعة في الخطأ والاشتباه وجعلهم يظنون صحة نسبته إلى الإمام المظلوم، ثمة أقاويل وموضوعات ينفر منها كل من لديه أدنى شعور!

وقد قام **العلامة الشوشتري** -دام بقاؤه- كما قلنا، في كتابه «**الأخبار الدخيلة**» (ص١٥٢ إلى ٢٢٨) بانتقاد هذا التفسير وبيان كذب واختلاق مندرجاته ووصل في النهاية إلى القول: «**إذا كانت هذه الأخبار المذكورة في هذا التفسير صحيحة فالإسلام باطل من أساسه! لأنه يتضمن الجمع بين الضدين وهذا من المحالات!**»[1].

إن مطالعة دقيقة لكتاب العلامة الشوشتري القيِّم تُظْهر حجم الأكاذيب التي افتراها أعداء الدين أو أصدقاءه الجهلاء الذين هم أحياناً أسوأ من الأعداء، والتي بدأ تلفيقها منذ الصدر الأول وفي فترة حياة الأئمة الكرام ذاتها وكانت تُنْسَب إلى أولئك الأئمّة الأعزّاء، وتُبَيِّنُ كيف قتلوا أولئك المظلومين الذي كان كلامهم الحقيقي دُرَرَاً، قتلوهم لا بحدِّ السيف والسنان بل بالقلم واللسان! إلى درجة أنهم صوَّروا أولئك الأئمة الكرام بصورة أعداء الحقيقة -والعياذ بالله- وبصورة أناس عابدين لذواتهم وجاهلين بالله!

وإذا حصل مثل هذا الدسّ والافتراء في زمن الأئمة أنفسهم، فلا عجب أن يحصل أضعافه

«**الأخبار الدخيلة**» في مجلد ثم أضاف إليه فيما بعد مستدركاته في ٣ مجلدات، ويعتبر أول كتاب يعالج موضوع وضع ودس وتحريف الحديث في مصادر الحديث الإمامية. وله «قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» و«النجعة في شرح اللمعة» وله كتاب رجالي ضخم باسم «قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال» طبع في ١١ مجلداً. قال عنه الشيخ المعاصر آية الله جعفر السبحاني: «هو من المشايخ الأعاظم الذي يضنّ بهم الدهر إلاّ في فترات قليلة». (تر)

(١) محمد تقي الشوشتري، «الأخبار الدخيلة»، ص٢٢٨.

في الأزمان اللاحقة وفي زماننا!!

والأسوأ منهم أولئك الأشخاص الذين يقومون اليوم بنشر تلك الأكاذيب والافتراءات والغلوّ وترويجها بين الناس، ويشوِّهون بذلك الوجه النورانيّ للدين ويجعلونه مكروهاً ومنفوراً لا يمكن لأي عاقل أن يقبل به فضلاً أن يعتبره وسيلة لسعادة آخرته.

كما نرى مع الأسف في عالم العلم والمعرفة حفنة من مدعي العلم والدين يقدِّمون للناس ثُفْل[١] ونفايات تلفيقات فلاسفة اليونان وترهات كشكول المتسولين والنسَّاك المرتاضين في الهند وإيران! فيقدِّمون تلك الأباطيل بثوب جديد، ثم إذا قام عبدٌ من عبيد الله[٢] بالردّ على أوهامهم في كتاب باسم «**درس في الولاية**» أو بيَّن لهم عدم وثاقة «**دعاء الندبة**» وأمثال ذلك من الكتب المحقِّقة ونشرها، قامت قيامة مُدَّعي الحرص على الدين ولم تقعد، وبذلوا كل قواهم للرد عليه وملؤوا منابرهم بسببه وشتمه والنيل منه وتحريض عوام الناس ضدَّه!!!

أجل، كان كلامنا حول آيات القرآن التي تبين بكل صراحة ووضوح أنه لا النبيُّ ولا أحدٌ سواه يعلم الغيب إلا ما أوحاه الله لرسله من أمور ليبلِّغوها للناس.

يقول القرآن الكريم في هذا الموضوع أيضاً: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة/ ١٠١].

كتب الشيخ الطوسي -عليه الرحمة- في تفسيره لهذه الآية: [﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ أي لا تعرفهم يا محمد ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي نحن نعرفهم][٣].

فالقرآن يصرح بأنَّ نبيَّ الله لم يكن يعلم حتى المنافقين الذين كانوا من حوله! فما بالك بأن يعلم علماً ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ أو يحيط بعالم الإمكان!!

---

(١) الثُّفْلُ بالضمّ: ما اسْتَقرَّ تَحْتَ الشيءِ مِن كُدْرَةٍ ونحوِها.

(٢) يقصد به آية الله البرقعي. (تر)

(٣) الطوسي، «التبيان»، ج١/ ص٨٥٤.

ويقول الله تعالى للنبي الخاتم ﷺ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء/ ٣٦]. يقول الشيخ الطوسي في تفسيرها: «ثم نهى نبيه ﷺ أن يقفو ما ليس له به علم»[١].

ويقول الله تعالى على لسان نبيه الكريم: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [ص/ ٦٩]. ويقول الشيخ الطوسي: «ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول أيضاً (**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**) يعني بالملأ الأعلى الملائكة اختصموا في آدم حين قيل لهم ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ في قول ابن عباس وقتادة والسدي، فما علمتُ ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى.»[٢].

تلاحظون إذن أنه في جميع الآيات الكريمة المذكورة يوصي اللهُ نبيَّه الأكرمَ ليس أن ينفي عن نفسه علم الغيب فحسب بل أن يبين أنه لا يعلم حتى بالمنافقين من الأعراب الذين كانوا حوله أو الذين هم من أهل المدينة، وأنه ليس له علم بحقيقة حالهم، كما أنه لا يدري ماذا يفعل الله به وبالناس المعاصرين له؟ ولا يدري أقريب ما كان يعدهم الله به أم بعيد هو؟ كما لا يعلم هل أن هذا التأخير لما يعدهم الله به امتحان لهم أم غير ذلك؟

إذا كان الأمر كذلك فهل نصدق كلام الله تعالى ونعتبره حقاً أم نصدق ذلك المُتَلَقِّب بآية الله العُظْمى (!) الذي يقول إن الأئمة وأولياء الله يملكون ذلك العلم ذاته الذي وصف الله به نفسه بقوله: ﴿ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟؟! [سبأ/ ٣].

هل كان الله –والعياذ بالله– يكذب بقوله إن النبيَّ لا يعلم شيئاً من الغيب سوى ما أطْلَعَهُ الله عليه من خلال الوحي وأمر النبيَّ بتبليغه للناس أم أن الآخرين هم الذين يقولون خلاف ذلك هم الذين يكذبون؟؟

ولقد تمسَّك هؤلاء في مقابل كل تلك الآيات المحكمات التي مرَّت معنا والتي نفت علم

---

(١) الطوسي، «التبيان»، ج٢/ ص٢٠٤.

(٢) الطوسي، «التبيان»، ج٢/ ص٥١١.

الغيب عن غير الله وأكدت أن النبي قد أُمر أن يعلن للناس حقيقة عدم علمه بالغيب، اللهمَّ إلا ما يُوحى إليه من مضامين الشرع، وأنه ليس بينه وبين سائر البشر أي امتياز من هذه الناحية، تمسكوا بجزء من آية كريمة وهي عبارة (إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) في قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن/ ٢٦-٢٨]، وانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج/ ١١]!

كما تلاحظون إن كل ما تقوله تلك الآيات [من سورة الجن] هو أن الله يُطْلِعُ أحياناً على غيبه من يرتضيه من رسول أو ملاك أو بشر ثم يراقبه حتى يبلِّغ ذلك الغيب الذي هو وحيُ الله، إلى الناس. وفي هذه الآيات عددٌ من النقاط لا بد أن نلاحظها:

١- عالم الغيب هو الله تعالى وحده فقط، ولا يظهر أحداً على غيبه.

٢- أحياناً يظهر على غيبه من يرتضيه من رسول.

٣- بعد أن يظهر شيئاً من غيبه لرسوله يراقبه ويحرسه حتى يبلغ ذلك الغيب إلى الناس كما أُوحي إليه.

٤- هذه الحراسة والرقابة هي التي تُسمَّى اصطلاحاً «العصمة» وهي التي تبقى حتى يقوم الرسل بإبلاغ رسالة ربهم إلى الناس.

٥- اللهُ محيطٌ بكلِّ ما لدى الأنبياء ويحصي كلَّ شيء ويعلم بما يتمُّ من إنقاص أو زيادة -إن حدثت- في إبلاغ رسالته فقد أحصى كلَّ شيء عدداً وأحاط بكل شيء خبراً.

إذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نرى ما هو الغيب الذي يظهره الله تعالى على من ارتضاه من رسول؟!

يجب أن نرجع إلى القرآن الكريم نفسه لفهم هذا الأمر، ونبحث فيه عن مضمون هذا الغيب الذي يظهره الله على من ارتضاه من رسول:

يقول سبحانه بعد أن يقصَّ علينا قصة نذر امرأة عمران ما في بطنها لِلَّهِ وولادة مريم

والإتيان بها إلى بيت المقدس وكفالة زكريا لها: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾ [آل عمران/ ٤٤].

إن كلَّ من له أدنى اطلاع على التاريخ والأناجيل الموجودة اليوم بين أيدي النصارى ويلاحظ كيف حُرّفت قصة مريم في تلك الكتب السماوية المحرَّفة يدرك ويقرُّ أن ما قصَّه القرآن كان من أنباء الغيب، لأنه لم يكن أحد من البشر قبل نزول القرآن يعلم قصة مريم بالكيفية والصورة التي بينها القرآن. إن قصة حمل مريم وولادة عيسى عليه السلام وتربية يوسف النجار زوج مريم لعيسى الوليد وسائر المضامين الموجودة في الأناجيل الأربعة تختلف وتبتعد بُعْدَ السماء عن الأرض عما ذكره القرآن في هذا الصدد، مما لم يكن أحدٌ يعلمه قبل نزول القرآن.

وكذلك بعد أن يقصَّ الله تعالى علينا في سورة هود قصَّة نوح ودعوته قومَه إلى التوحيد وأمرَ اللهِ له بأن يصنع الفلك أي السفينة الكبيرة وأن يركبها هو ومن آمن معه ثم كيفية مخالفة ابن نوح لأبيه وغرقه في الطوفان، يقول: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ ... ﴾ [هود/ ٤٩].

وكذلك بعد أن يقص علينا القرآن الكريم قصة يوسف يقول: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾ [يوسف/ ١٠٢]، مما يبين أن قصة يوسف بالصورة والكيفية التي جاءت في القرآن كانت من الأخبار الغيبية التي أظهرها الله لرسوله وقد أبلغها الرسول بتمامها وكمالها للناس، وقد صرحت بداية سورة يوسف بهذا المعنى أي بعدم اطلاع النبي على تلك القصة قبل نزولها عليه فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف/ ٣].

فتبين بذلك بشكل واضح أن الغيب الذي أظهره الله على من ارتضاه من رسول هو الوحي والأخبار الغيبية التي أصبحنا نعلمها نحن مما في القرآن الكريم ونقرؤها متى شئنا، ولم تعد أمراً سريّاً ولا غيباً خفياً!

فهل يبقى هناك مجال بعد أن تبين ما ذكرناه لمثل تلك الخدع والأكاذيب التي تدعي –على

رغم المعنى الواضح والمقصود البيِّن لتلك الآية- تلك الترهات والتلفيقات والتصوُّرات الباطلة والخيالات المخترعة والأوهام البعيدة؟!

الأئمة الأطهار عليهمُ السَّلام يبرؤون من القول بهذه العقيدة

بعد أن ذكرنا عشر آيات كريمة من القرآن تنصُّ على عدم علم النبيِّ أو غيره بالغيب نذكر في هذا الفصل عشرة أحاديث من كتب الشيعة الموثوقة حول الموضوع ذاته وهي أحاديث يصدِّقها القرآن الكريم، ونكتفي -كما هي عادتنا في إثبات كل موضوع- بعشرة أدلة أو أحاديث، «**تلك عشرة كاملة**» ونعتقد أنها كافية لطلاب الحقيقة وأهل الإنصاف.

١- في رجال الكشي (طبع كربلاء، ص٢٥٢) وَأمالي الشيخ الطوسي (ص ١٤): «عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ عَنِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الحَسَنِ (أي الإمام موسى الكاظم) أَنَا وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الحُسَيْنِ، فَقَالَ يَحْيَى: **جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَعْلَمُ الغَيْبَ؟! فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله ضَعْ يَدَكَ عَلَى رَأْسِي فَوَالله مَا بَقِيَتْ فِي جَسَدِي شَعْرَةٌ وَلا فِي رَأْسِي إِلا قَامَتْ. قَالَ ثُمَّ قَالَ: لا وَالله مَا هِيَ إِلا رِوَايَةٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ.**»».

أي أن ما أُوحي إلى الرسول من أخبار الغيب ننقله لكم من خلال الرواية عن رسول الله ﷺ.

٢- بعد ذِكْرِ أمير المؤمنين عليه السلام بعضاً من أخبار الأتراك وَوصفه أحوالـهم وبيانه لبعض حوادث المستقبل «**قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الغَيْبِ! فَضَحِكَ** (عليه السلام) **وقَالَ لِلرَّجُلِ -وكَانَ كَلْبِيّاً-: يَا أَخَا كَلْبٍ! لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وإِنَّمَا عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ومَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ .. **الآيَةَ** ﴾ **فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ومَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً، فَهَذَا عِلْمُ الغَيْبِ الَّذِي**

لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلا اللهُ، ومَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ (صلى الله عليه وآله) فَعَلَّمَنِيهِ ودَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.» (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨).

من البديهي أن العلوم التي تحفظ في الصدور ويتّسع لها العقل ليست علم الغيب الذي يتضمَّن الاطلاع في كل آن وساعة على حوادث العالم ومجريات عالم الإمكان، بل هو علم يستطيع كل شخص أن يعلِّمَهُ للآخرين.

٣- وجاء أيضاً في (ص ٢٤٨) من كتاب «**رجال الكشي**» الذي يُعَدُّ من كتب الشيعة المشهورة، والذي لخَّصه الشيخ الطوسي، ما نصُّه:

«عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: أَيَّ شَيْءٍ سَمِعْتَ مِنْ أَبِي الخَطَّابِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّكَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى صَدْرِهِ وَقُلْتَ لَهُ عِهْ وَلَا تَنْسَ! وَإِنَّكَ تَعْلَمُ الغَيْبَ وَإِنَّكَ قُلْتَ لَهُ عَيْبَةُ عِلْمِنَا وَمَوْضِعُ سِرِّنَا أَمِينٌ عَلَى أَحْيَائِنَا وَأَمْوَاتِنَا! قَالَ: لَا وَاللهِ مَا مَسَّ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي جَسَدَهُ إِلَّا يَدَهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي قُلْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ! فَوَ اللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَعْلَمُ. فَلَا آجَرَنِيَ اللهُ فِي أَمْوَاتِي وَلَا بَارَكَ لِي فِي أَحْيَائِي إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ. قَالَ: وَقُدَّامَهُ جُوَيْرِيَةٌ سَوْدَاءُ تَدْرُجُ، قَالَ: لَقَدْ كَانَ مِنِّي إِلَى أُمِّ هَذِهِ أَوْ إِلَى هَذِهِ كَخَطَّةِ القَلَمِ فَأَتَتْنِي هَذِهِ فَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ مَا كَانَتْ تَأْتِينِي. وَلَقَدْ قَاسَمْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَسَنِ حَائِطاً بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَصَابَهُ السَّهْلُ وَالشِّرْبُ وَأَصَابَنِي الجَبَلُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي قُلْتُ هُوَ عَيْبَةُ عِلْمِنَا وَمَوْضِعُ سِرِّنَا أَمِينٌ عَلَى أَحْيَائِنَا وَأَمْوَاتِنَا، فَلَا آجَرَنِيَ اللهُ فِي أَمْوَاتِي وَلَا بَارَكَ لِي فِي أَحْيَائِي إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ شَيْئاً مِنْ هَذَا قَطُّ!».

٤- وكتب المرحوم الشيخ عباس القمي يقول: روى المسعودي عن «يحيى بن هرثمة» أنه لما انطلق بالإمام الهادي من المدينة وكان يقوم بخدمته ويحسن السلوك معه، وكانوا في الطريق فرأوا يوماً أن الإمام الذي كان راكباً كان يرتدي قماشاً واقياً من المطر وقد عقد ذنب فرسه، يقول: فتعجَّبْتُ من صنيعه لأن السماء كانت صافية ولم يكن فيها غيوم بل كانت الشمس ساطعة، ولكن لم تمض برهة من الزمن إلا وظهرت الغيوم في السماء وهطل المطر بغزارة وأصابنا من المطر أمر عظيم فنظر إليَّ الإمامُ وقال لي: إني أعلم أنك أنكرتَ صنيعي وتعجبتَ منه **وظننتَ أنني**

أعلم من أمر المطر ما لا تعلمه أنت، ولكن الأمر ليس كما ظننتَ، لكنني كنتُ أعيش في البادية وعرفت الريح التي عقبها المطر فلما أصبحتُ اليومَ وهبَّت الريحُ عرفت من رائحتها قرب هطول المطر فصنعت ما صنعت... الخ[1].

٥- جاء في كتاب «أصول الكافي» (باب الإشارة والنص على الحسن بن علي -عليهما السلام-) وفي كتاب «نهج البلاغة» وفي كتاب «إثبات الوصية» للمسعودي (ص١٥٣) باختلاف يسير في اللفظ أنه لما ضرب ابن ملجم -لعنه الله- أمير المؤمنين عليه السلام وحُمل إلى منزله «**فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كُلُّ امْرِئٍ مُلَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ عِلْمٌ مكنونٌ مَخْزُون**»[2].

إن هذه الجمل التي نطق بها حضرة الإمام في آخر ساعات عمره الشريف أفضل دليل على أنه لم يكن مطلعاً على أمر وكيفية مقتله،رغم أنه كان مشتاقاً إلى الشهادة كل الشوق. كما أن هذه الجمل حجر قوي في فم الغلاة الذين يدعون علم الإمام بالغيب، حتى أنهم ادعوا أن الإمام قام بإيقاظ قاتله في المسجد كي يقوم بجريمته!!.

٦- روى «محمد بن إدريس العجلي الحلي» في كتابه القيم «السرائر» (ص٤٨٦)، في قسم المستطرفات منه، نقلاً عن كتاب «محمد بن علي بن محبوب» أنه روى عن عباس عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن الفضيل قال: «**ذكرتُ لأبي عبد الله - عليه السلام - السهوَ فقال: وَينفلتُ من ذلك أحدٌ؟! ربما أقعدتُ الخادمَ خَلفي يحفظ عليَّ صلاتي. إياكم وَالغلو فينا!...**»[3]. من البديهي أن الإمام الذي لا يحفظ أحياناً أفعال صلاته إلا بمعونة شخص آخر لا يمكن أن يكون مطلعاً على الغيب الذي وصفه الله بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي

(١) الشيخ عباس القمي، «منتهى الآمال»، كتابفروشي اسلاميه، ج٢/ ص٣٧٨.

(٢) انظر نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٤٩. (تر)

(٣) المجلسي، بحار الأنوار ج ١٠/ ص ٩٢، من الطبعة الجديدة. (تر)

ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ/ ٣]!

وكل من يعتقد بمثل ذلك إما مجنون يجب أن يعالج في مستشفى المجانين أو مشرك سيلقى جزاء المشركين.

٧- وروى الكشي أيضاً بسند صحيح عَنِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «**قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ** عليه السلام: **إِنَّهُمْ يَقُولُونَ! قَالَ: وَمَا يَقُولُونَ؟؟ قُلْتُ: يَقُولُونَ يَعْلَمُ قَطْرَ المَطَرِ وَعَدَدَ النُّجُومِ وَوَرَقَ الشَّجَرِ وَوَزْنَ مَا فِي البَحْرِ وَعَدَدَ التُّرَابِ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ! فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ! لا وَاللهِ مَا يَعْلَمُ هَذَا إِلا اللهُ»!**»[1].

وأقول: رغم أن معرفة تلك الأمور لا تجعل الشخص عالماً بالغيب علماً مساوياً لعلم الله ﴿**عَالِمِ الغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**﴾ [سبأ/ ٣]، ولا مدبراً للكون والمكان، فإن الإمام - عليه السلام - نفى ذلك عن نفسه بوضوح وحصر هذا العلم بالله.

٨- روى الشيخ الطوسي في كتابه «تهذيب الأحكام» (طبع النجف، ج٣/ ص٤٠) الحديث رقم ١٤٠، والمجلسي في المجلد ١٨ من «بحار الأنوار» (طبع كمباني ص٦٢٥) فقال: «**عَلِيُّ بْنُ الحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العَرْزَمِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ** عليه السلام **قَالَ: صَلَّى عَلِيٌّ** عليه السلام **بِالنَّاسِ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ وَكَانَتِ الظُّهْرَ فَخَرَجَ مُنَادِيهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام **صَلَّى عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ فَأَعِيدُوا وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**».

وأقول: هل هناك أحمق يصدق أن الإمام علياً - عليه السلام - الذي كانت صلاة الظهر في نظره أعز الأعمال والعبادات ورغم ذلك لم يدْر أنه صلاها دون طهارة، يعلم علم الغيب وأسرار السموات والأرضين على نحوٍ: ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ**﴾ [سبأ/ ٣]؟! فلعن الله الغلاة الذين افتروا تلك الأوهام وأضلوا الناس.

٩- جاء في كثير من الأحاديث أن الراسخين في العلم هم الأئمة الأطهار، من ذلك ما جاء في «أصول الكافي» في باب عنوانه: «**بَابُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ هُمُ الأَئِمَّةُ -عَليهِمُ السَّلام-**».

---

(١) رجال الكشي، ص ٢٩٩. والمجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥/ ص ٢٩٤. (تر)

وقد جاءت هذه الأحاديث أيضاً في تفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير البرهان.

هذا رغم أن هذه الصفة (الرسوخ في العلم) تشمل كل شخص عالم راسخ في علمه، كما وصف الله تعالى علماء اليهود والنصارى بهذه الصفة حين قال عنهم: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ١٦٢]. ولكن لما روت كتب حديث الشيعة خاصة كتاب «أصول الكافي» عن حضرة الصادق - عليه السلام - أنه قال: «**الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ -عَليهِمُ السَّلام-**»[1].

فنحن أيضاً نستفيد مما تفضل به أمير المؤمنين - عليه السلام - في صفة الراسخين بالعلم وبيانه أنهم لا يعلمون الغيب حيث قال: «**وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ المَضْرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ البَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً...**» [نهج البلاغة، الخطبة ٩١].

ومراد الإمام هنا من عدم العلم بالغيب نفي العلم بتأويل متشابهات القرآن الذي بيَّنه اللهُ تعالى بقوله: ﴿ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران/ ٧]. إذن الأئمة -عَليهِمُ السَّلام- الذين هم الراسخون في العلم لم يكونوا، حسب بيان أمير المؤمنين - عليه السلام -، يعلمون تأويل متشابهات القرآن، وقد مدحهم الله تعالى بإقرارهم بجهلهم بهذا الأمر فما بالك بادعاء علمهم بجمع حوادث عالم الإمكان! ولا أدري ماذا يقول غلاة عصرنا المجانين بشأن هذا البيان الواضح؟

١٠ - جاء في كتاب «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي، وَفي المجلد السابع عشر من كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي (طبع كمباني، ص٣٤٥)، هذا التوقيع الذي صدر عَنْ الإمام الثاني

---

(١) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج ١/ ص ٢١٤. (تر)

عشر رَدّاً عَلَى الغُلَاةِ، وقد جاء جَوَاباً لِكِتَابٍ كُتِبَ إِلَيْهِ عَلَى يَدَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ الكَرْخِيِّ، ونورده فيما يلي في ختام هذه الأحاديث العشرة التي ينفي فيها الأئمة علمهم بالغيب ليكون ختامه مسكاً، ونص التوقيع الرفيع هو ما يلي:

«يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ! تَعَالَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَصِفُونَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ لَيْسَ نَحْنُ شُرَكَاءَهُ فِي عِلْمِهِ وَلَا فِي قُدْرَتِهِ بَلْ لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل/ ٦٥]،...... يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ آذَانَا جُهَلَاءُ الشِّيعَةِ وَحُمَقَاؤُهُمْ وَمَنْ دِينُهُ جَنَاحُ البَعُوضَةِ أَرْجَحُ مِنْهُ وَأُشْهِدُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَكَفَى بِهِ شَهِيداً وَمُحَمَّداً رَسُولَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ كُلَّ مَنْ سَمِعَ كِتَابِي هَذَا أَنِّي بَرِيءٌ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ يَقُولُ إِنَّا نَعْلَمُ الغَيْبَ أَوْ نُشَارِكُ اللهَ فِي مُلْكِهِ أَوْ يُحِلُّنَا مَحَلّاً سِوَى المَحَلِّ الَّذِي نَصَبَهُ اللهُ لَنَا وَخَلَقَنَا لَهُ أَوْ يَتَعَدَّى بِنَا عَمَّا قَدْ فَسَّرْتُهُ لَكَ وَبَيَّنْتُهُ فِي صَدْرِ كِتَابِي.....

فَكُلُّ مَنْ فَهِمَ كِتَابِي وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَا قَدْ أَمَرْتُهُ وَنَهَيْتُهُ فَلَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ مِنَ اللهِ وَمِمَّنْ ذَكَرْتُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ»(١).

ونكتفي بما ذكرناه ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥ / ص ٢٦٦ -٢٦٨. (تر)

عقيدة أصحاب الأئمَّة فيهم عَليهِمُ السَّلام

سنذكر في هذا الفصل بعض النماذج المختصرة لعقيدة خواص أصحاب الأئمة -عَليهِمُ السَّلام- بعلم أئمتهم، تُظهِرُ بوضوح أنهم لم يكونوا يعتقدون إطلاقاً بعلم الأئمة بالغيب، بل لم يكونوا يعتقدون بامتلاك الأئمة لما هو أقل بكثير من علم الغيب! وذلك لكي تستبين درجة ضلال غلاة عصرنا وبعدهم عن الحقيقة:

١- جاء في كتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم (ص٩٩)، والمجلد الثامن من كتاب «بحار الأنوار» (طبع تبريز، ص٤٥٠)، عبارات بالمضمون التالي:

«وَ خَشِيَ معاويةُ أن يبايع القراءُ عليَّاً على القتال، فأخذ في المكر وَأخذ يحتال للقراء لكيما يحجموا عنه وَيكفوا حتى ينظروا.

قال وَإن معاوية كتب في سهم: من عبد الله الناصح فإني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم ثم رمى معاوية بالسهم في عسكر عليٍّ عليه السلام فوقع السهم في يدي رجل من أهل الكوفة فقرأه ثم أقرأه صاحبَهُ فلما قرأه وَأقرأه الناسَ أقرأه من أقبل وَأدبر، قالوا: هذا أخ ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية، فلم يزل السهم يقرأ وَيرتفع، حتى رُفع إلى أمير المؤمنين، وَقد بعث معاويةُ مائتي رجل من الفعلة إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور وَالزبل يحفرون فيها بحيال عسكر علي بن أبي طالب فقال عليٌّ عليه السلام: ويحكم! إن الذي يعالج معاويةُ لا يستقيم له وَلا يقوم عليه وَإنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فالهوا عن ذلك وَدعوه. فقالوا له: لا ندعهم وَالله يحفرون الساعة.

فقال عليٌّ يا أهل العراق لا تكونوا ضعفي، ويحكم! لا تغلبوني على رأيي! فقالوا: وَالله لنرتحلن فإن شئت فارتحل وَإن شئت فأقم. فارتحلوا وَصعدوا بعسكرهم مليَّاً وَارتحل علي في

أخريات الناس»[(١)].

وكذلك قصة رفع المصاحف وتعيين الحكمين حيث قام أصحاب الإمام بفرض تعيين الحكمين عليه [وفرضوا عليه أبا موسى الأشعري ليكون الحكم من طرفه] وعشرات القصص الأخرى التي تبيِّن أن الأكثرية الساحقة لأصحاب الإمام لم تكن تعتقد أنه عالم بالغيب وليس هذا فحسب بل كان كثير منهم -للأسف- يتصورون أنه أقل حنكة في السياسة وإدارة الملك من معاوية، كما نوّه الإمام أكثر من مرة إلى هذا فقال: «الدهر أنزلني أنزلني حتى قيل معاوية وعلي».

٢- لم يكن أبناءُ عليٍّ أنفُسُهم - طبقاً لما تذكره التواريخ والأخبار - يعتقدون في أبيهم ما اعتقده غلاة الشيعة فيه فيما بعد!.

والشاهد على ذلك ما رواه الشيخ المفيد في «المجالس» ونقله عنه المجلسيُّ في «بحار الأنوار» (المجلد الثامن/ ص٣٥٣) قال: «**وَ قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَ أَحَاطَ النَّاسُ بِعُثْمَانَ اخْرُجْ مِنَ المَدِينَةِ وَاعْتَزِلْ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا بُدَّ لَـهُمْ مِنْكَ، وَإِنَّهُمْ لَيَأْتُونَكَ وَلَوْ كُنْتَ بِصَنْعَاءَ، وَأَخَافُ أَنْ يُقْتَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَأَنْتَ حَاضِرُهُ.**»[(٢)]. فأجاب الإمام ابنه قائلاً: «**فَقَالَ يَا بُنَيَّ! أَأَخْرُجُ عَنْ دَارِ هِجْرَتِي؟! وَمَا أَظُنُّ أَحَداً يَجْتَرِئُ عَلَى هَذَا القَوْلِ كُلِّهِ...**»[(٣)].

من الواضح أنه لو كان الإمام الحسن يعتقد في أبيه الكريم أنه عالم بالغيب وعارف بظاهِرِ كلِّ أمر وباطنِهِ لما أشار عليه بالخروج من المدينة والاعتزال؟! أفلا تعقلون؟

٣- في المجلد الثامن من كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي (طبع كمباني، ص٣٨٧)، وأمالي الشيخ المُفِيدِ وأمالي الشيخ الطوسي (ص ٥١)، بسندهم «عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ عَلِيٌّ بِالرَّبَذَةِ سَأَلْتُ عَنْ قُدُومِهِ إِلَيْنَا فَقِيلَ خَالَفَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ وَصَارُوا إِلَى البَصْرَةِ فَخَرَجَ يُرِيدُهُمْ فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَجَلَسْتُ حَتَّى صَلَّى الظُّهْرَ وَالعَصْرَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَامَ إِلَيْهِ ابْنُهُ

(١) وقعة صفين، ص ١٩٠ - ١٩١. (تر)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣١ / ص ٤٨٧. (تر)

(٣) المصدر السابق. (تر)

الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَلِّمَكَ، وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: لَا تَبْكِ يَا بُنَيَّ وَتَكَلَّمْ وَلَا تَحِنَّ حَنِينَ الجَارِيَةِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ القَوْمَ حَصَرُوا عُثْمَانَ يَطْلُبُونَهُ بِمَا يَطْلُبُونَهُ إِمَّا ظَالِمُونَ أَوْ مَظْلُومُونَ فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ النَّاسَ وَتَلْحَقَ بِمَكَّةَ حَتَّى تَؤُبَّ [تَثُوبَ] العَرَبُ وَتَعُودَ إِلَيْهَا أَحْلَامُهَا وَتَأْتِيَكَ وُفُودُهَا فَوَاللهِ لَوْ كُنْتَ فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَضَرَبَتْ إِلَيْكَ العَرَبُ آبَاطَ الإِبِلِ حَتَّى تَسْتَخْرِجَكَ مِنْهُ. ثُمَّ خَالَفَكَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَسَأَلْتُكَ أَنْ لَا تَتْبَعَهُمَا وَتَدَعَهُمَا فَإِنِ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ فَذَاكَ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ رَضِيتَ بِمَا قَسَمَ اللهُ، وَأَنَا اليَوْمَ أَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْدَمَ العِرَاقَ وَأُذَكِّرُكَ بِاللهِ أَنْ لَا تُقْتَلَ بِمَضِيعَةٍ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ عُثْمَانَ حُصِرَ فَمَا ذَاكَ وَمَا عَلَيَّ مِنْهُ وَقَدْ كُنْتُ بِمَعْزِلٍ عَنْ حَصْرِهِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ ائْتِ مَكَّةَ فَوَاللهِ مَا كُنْتُ لِأَكُونَ الرَّجُلَ الَّذِي يُسْتَحَلُّ بِهِ مَكَّةُ. وَأَمَّا قَوْلُكَ اعْتَزِلِ العِرَاقَ وَدَعْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَوَاللهِ مَا كُنْتُ لِأَكُونَ كَالضَّبُعِ تَنْتَظِرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهَا طَالِبُهَا فَيَضَعَ الحَبْلَ فِي رِجْلِهَا حَتَّى يَقْطَعَ عُرْقُوبَهَا ثُمَّ يُخْرِجَهَا فَيُمَزِّقَهَا إِرْباً إِرْباً؛ وَلَكِنَّ أَبَاكَ يَا بُنَيَّ يَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ العَاصِيَ الْمُخَالِفَ أَبَداً حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي...»[1].

وقصة خيانة ابن عباس في ولايته على البصرة وخيانة سائر الولاة من خواصِّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والتي سيأتي بيان بعضها لاحقاً أوضح دليل على أنه لم يكن هناك في ذلك الزمن مثل ذلك الاعتقاد في حق الإمام.

٤- كان «**سُفْيَانُ بْنُ أَبِي لَيْلَى**» أحد خواص أصحاب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ويشهد على مدى قربه من الإمام ما رواه الكشي في رجاله (ص١٥) عن الإمام موسى بن جعفر - عليه السلام - ضمن حديث، أنه: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ..... [إلى قوله]... ثُمَّ يُنَادِي الْمُنَادِي «أَيْنَ حَوَارِيُّ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ [وَ] ابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ»؟ فَيَقُومُ سُفْيَانُ بْنُ أَبِي لَيْلَى الهَمْدَانِيُّ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الغِفَارِيُّ...».

هذا الحواريُّ الخاصُّ للإمام الحسن - عليه السلام - الذي سينادَى بوصفه حَوَارِيَّ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٢/ ص ١٠٣-١٠٤. (تر)

يوم القيامة، قال هو نفسه للإمام الحسن: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ»! وذاك طبقاً للرواية التالية التي رواها الكشي في رجاله (ص١٠٣) عن أبي حمزة عن الإمام محمد الباقر - عليه السلام - قال:

«جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الحَسَنِ - عليه السلام - يُقَالُ لَهُ سُفْيَانُ بْنُ لَيْلَى وَهُوَ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَدَخَلَ عَلَى الحَسَنِ وَهُوَ مُحْتَبٍ فِي فِنَاءِ دَارِهِ فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ: انْزِلْ وَلَا تَعْجَلْ فَنَزَلَ فَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ فِي الدَّارِ وَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ. قَالَ فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ: مَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ قَالَ عَمَدْتَ إِلَى أَمْرِ الأُمَّةِ فَخَلَعْتَهُ مِنْ عُنُقِكَ وَقَلَّدْتَهُ هَذَا الطَّاغِيَةَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالَ فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ عليه السلام سَأُخْبِرُكَ لِمَ فَعَلْتُ ذَلِكَ...»[1].

هكذا نرى أن كل ما فعله الإمام الحسن أنه أمر «سفيان بن أبي ليلى» بالصبر والاصطبار، ولم يقل له أبداً: اسكت! إني عالمٌ بالغيب وعارفٌ بما ستصير إليه الأمور لذا قمت بما قمت به!! كما أن «سفيان بن أبي ليلى» أيضاً لم يكن يعتقد في حق الإمام الحسن بمثل تلك العقيدة ولا كان أحد من الشيعة في زمن الحسن يعتقد فيه بمثل ذلك. (للاطلاع أكثر على هذه القضية يراجع رجال الكشي).

٥- جاء في المجلد العاشر من «بحار الأنوار» (ص١١٥) أن «مُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَةَ الفزاري» (أحد رؤوس الكوفة ومن شيعة الإمام الحسن) وَ«سليمان بن صُرَد الخزاعي» (أحد الصحابة الأجلاء ومن أشراف الكوفة ومن زعماء الشيعة المعروفين) قالا للإمام الحسن عليه السلام: «مَا يَنْقَضِي تَعَجُّبُنَا مِنْ بَيْعَتِكَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَكَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ كُلُّهُمْ يَأْخُذُ العَطَاءَ وَهُمْ عَلَى أَبْوَابِ مَنَازِلِهِمْ وَمَعَهُمْ مِثْلُهُمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ سِوَى شِيعَتِكَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ وَالحِجَازِ ثُمَّ لَمْ تَأْخُذْ لِنَفْسِكَ ثِقَةً فِي العَقْدِ وَلَا حَظّاً مِنَ العَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَشْهَدْتَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وُجُوهَ أَهْلِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَكَتَبْتَ عَلَيْهِ كِتَاباً بِأَنَّ الأَمْرَ لَكَ بَعْدَهُ كَانَ الأَمْرُ عَلَيْنَا أَيْسَرَ

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤ / ص ٢٣- ٢٤. (تر)

وَلَكِنَّهُ أَعْطَاكَ شَيْئاً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَمْ يَفِ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَالَ عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ إِنِّي كُنْتُ شَرَطْتُ شُرُوطاً وَوَعَدْتُ عِدَاةً إِرَادَةً لِإِطْفَاءِ نَارِ الحَرْبِ وَمُدَارَاةً لِقَطْعِ الفِتْنَةِ فَلَمَّا أَنْ جَمَعَ اللهُ لَنَا الكَلِمَ وَالأُلْفَةَ فَإِنَّ ذَلِكَ تَحْتَ قَدَمَيَّ وَاللهِ مَا عَنَى بِذَلِكَ غَيْرَكَ وَمَا أَرَادَ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَقَدْ نَقَضَ فَإِذَا شِئْتَ فَأَعِدِ الحَرْبَ خُدْعَةً وَائْذَنْ لِي فِي تَقَدُّمِكَ إِلَى الكُوفَةِ فَأُخْرِجَ عَنْهَا عَامِلَهُ وَأُظْهِرَ خَلْعَهُ وَتَنَبَّذْ إِلَيْهِ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ. وَتَكَلَّمَ البَاقُونَ بِمِثْلِ كَلَامِ سُلَيْمَانَ. فَقَالَ الحَسَنُ عليه السلام: أَنْتُمْ شِيعَتُنَا وَأَهْلُ مَوَدَّتِنَا فَلَوْ كُنْتُ بِالحَزْمِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا أَعْمَلَ وَلِسُلْطَانِهَا أَرْكَضَ وَأَنْصَبَ مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ بِأَبْأَسَ مِنِّي بَأْساً وَلَا أَشَدَّ شَكِيمَةً وَلَا أَمْضَى عَزِيمَةً وَلَكِنِّي أَرَى غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ وَمَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا حَقْنَ الدِّمَاءِ فَارْضُوا بِقَضَاءِ اللهِ وَسَلِّمُوا لِأَمْرِهِ وَالزَمُوا بُيُوتَكُمْ وَأَمْسِكُوا.»[1].

يا ترى لو كان هذان الصاحبان الجليلان للإمام الحسن يعتقدان في حقه أنه يعلم الغيب، هل كانا يقترحان عليه مثل ذلك الاقتراح؟! الجواب واضح. أضف إلى ذلك أن الإمام الحسن عليه السلام نفسه لم يدَّعِ أيضاً شيئاً من ذلك في إجابته على اقتراحهما.

وقد أضاف «ابن شهرآشوب» في «المناقب» أن «حجر بن عدي» (وهو من خواص أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن -عليهما السلام-) كان حاضراً في ذلك المجلس أيضاً فقال للإمام: لوددت أنك كنت مت في مثل ذلك اليوم ومتنا نحن أيضاً معك! ولم نر مثل هذا اليوم!. فهل يمكن لمن يعتقد بعلم الإمام بالغيب أن يقول له مثل هذا الكلام؟

وقد ذكرت كتب التواريخ كراهة الإمام الحسين - عليه السلام - لمبايعة أخيه الإمام الحسن - عليه السلام - لمعاوية ومن أراد الاطلاع على ذلك يمكنه أن يرجع إلى كتب التاريخ مثل تاريخ دمشق لابن عساكر![2]

٦- كان «زرارة بن أعين» من خواص أصحاب الإمام جعفر الصادق وشيعته المخلصين

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤ / ص ٢٩- ٣٠. (تر)

(٢) يُراجع كتابنا «شاهراه اتحاد» (أي طريق الاتحاد) حاشية الصفحة ١٤١.

وقد وردت في فضله أحاديث كثيرة. ورغم ذلك نجد أنه -كما تفيده عدة أخبار في كتب الشيعة- لم يكن يعتقد في الإمام الصادق عليه السلام أنه يعلم الغيب وليس هذا فحسب بل كان يعرب عن شكه أو تحفظه بشأن بعض أقوال الإمام الصادق أو فتاويه العادية. فمثلاً جاء في رجال الكشي (ص١٤١): «عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عيسى بن أبي منصور وَأبي أسامة الشحام وَيعقوب الأحمر، قالوا كنا جلوساً عند أبي عبد الله [الإمام الصادق] (عليه السلام) فدخل عليه زرارة فقال إن الحكم بن عتيبة حدَّث عن أبيك أنه قال: صلِّ المغرب دون المزدلفة؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أنا تأملته، ما قال أبي هذا قط، كذب الحكم على أبي، قال، فخرج زرارة وَهو يقول: **ما أرى الحَكَمَ كذَبَ على أبيه.**»

أقول: من الواضح من هذه الرواية أن زرارة علاوة على عدم اعتقاده بعلم الإمام الصادق بالغيب كان ينفي -تلويحاً- علم الإمام العادي ببعض الأمور!.

٧- وفي رجال الكشّي أيضاً (ص ١٢٠) أن زرارة اطلع على رسالة كتبها الإمام الصادق عليه السلام إلى أحد شيعته الذي اختفى خوفاً من الملاحقة، فلم يقتنع بما كتبه الصادق في الرسالة وقال: «**إني كنت أرى جعفراً أعلم مما هو...**»[1].

٨- جاء في كتاب «تنقيح المقال» (ج١/ ص١٦٦) بالإسناد عن عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ القَصِيرِ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «ائْتِ زُرَارَةَ وَبُرَيْداً وَقُلْ لَهُمَا مَا هَذِهِ البِدْعَةُ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»؟؟[2] فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ مِنْهُمَا فَأَرْسَلَ مَعِي لَيْثَ المُرَادِيِّ. فَأَتَيْنَا زُرَارَةَ فَقُلْنَا لَهُ مَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ: **وَالله لَقَدْ أَعْطَانِيَ الِاسْتِطَاعَةَ ومَا شَعَرَ!**».

وقد روى الكشّي أيضاً هذه الرواية (ص ٢٠٨) وَفي آخرها زيادة: «**وَ أَمَّا بُرَيْدٌ فَقَالَ وَالله لَا أَرْجِعُ عَنْهَا أَبَداً!!**»[3].

---

(١) رجال الكشي، ص ١٥٧-١٥٨. (تر)

(٢) قال المجلسي في شرح هذا الخبر: كانت بدعتهما في القول بالاستطاعة. (تر)

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢ / ص ٣١٠. (تر)

٩- وفي رجال الكشّي أيضاً (ص ١٣٣) جاء: «عن زياد بن أبي الحلال، قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وَصدَّقناه وَقد أحببتُ أن أعرضه عليك. فقال: هاته. قلت: فزعم أنه سألك عن قول الله عز وَجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران/ ٩٧]؟ فقلتَ: من ملك زاداً وَراحلة، فقال: كل من ملك زادا وَراحلة فهو مستطيع للحج وَإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألني وَلا هكذا قلتُ، كذب عليَّ وَالله، كذب عليَّ وَالله، لعن الله زرارة لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي: من كان له زاد وَراحلة فهو مستطيع للحج؟. قلت: وَقد وجب عليه، قال: فمستطيع هو؟ فقلت: لا حتى يؤذن له، قلتُ: فأُخْبرُ زرارةَ بذلك؟ قال: نعم. قال زيادٌ: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبد الله (عليه السلام) وَسكتُّ عن لعنه، فقال: **أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وَصاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال!**.».

تلك كانت عقيدة زرارة في علم الإمام.

وزرارة هذا - الذي عرفنا رأيه واعتقاده في علم الإمام - هو نفسه رُوِيَ عن الإمام الصادق - عليه السلام - أنه قال عنه: «**رَحِمَ اللهُ زُرَارَةَ بْنَ أَعْيَنَ لَوْلَا زُرَارَةُ لَانْدَرَسَتْ أَحَادِيثُ أَبِي**»[1].

و رُوِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (الصادق) عليه السلام يَقُولُ: «**مَا أَحَدٌ أَحْيَا ذِكْرَنَا وَأَحَادِيثَ أَبِي إِلَّا زُرَارَةُ وَأَبُو بَصِيرٍ الْمُرَادِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَبُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَلَوْلَا هَؤُلَاءِ مَا كَانَ أَحَدٌ يَسْتَنْبِطُ هُدًى. هَؤُلَاءِ حُفَّاظُ الدِّينِ وَأُمَنَاءُ أَبِي عَلَى حَلَالِ الله وَحَرَامِهِ وَهُمُ السَّابِقُونَ**

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧ / ص ٣٩٠، نقلاً عن كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد عليه الرحمة. وروي نحو ذلك أيضاً عن الإمام الصادق فيما رواه الكشي بسنده «عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ عليه السلام يَقُولُ: بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ بِالْجَنَّةِ بُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيُّ وَأَبُو بَصِيرٍ لَيْثُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرَادِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَزُرَارَةُ أَرْبَعَةٌ نُجَبَاءُ أُمَنَاءُ اللهَّ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ لَوْ لَا هَؤُلَاءِ انْقَطَعَتْ آثَارُ النُّبُوَّةِ وَانْدَرَسَتْ». انظر: الكشي، رجال الكشي، ص ١٧٠. والحرّ العاملي، «وسائل الشيعة»، ج ٢٧/ ص ١٤٢. (تر)

إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة.»[١].

١٠ - وَفي رجال الكشّي أيضاً (ص ١٥٣ و١٥٤) عَنْ شُعَيْبٍ العَقَرْقُوفِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَتْ وَلَهَا زَوْجٌ فَظَهَرَ عَلَيْهَا؟ قَالَ: تُرْجَمُ المَرْأَةُ وَيُضْرَبُ الرَّجُلُ مِائَةَ سَوْطٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ. قَالَ شُعَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي الحَسَنِ [أي الإمام الكاظم عليه السلام] فَقُلْتُ لَهُ: امْرَأَةٌ تَزَوَّجَتْ وَلَهَا زَوْجٌ؟ قَالَ: تُرْجَمُ المَرْأَةُ وَلَا شَيْءَ عَلَى الرَّجُلِ. فَلَقِيتُ أَبَا بَصِيرٍ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُ أَبَا الحَسَنِ عليه السلام عَنِ المَرْأَةِ الَّتِي تَزَوَّجَتْ وَلَهَا زَوْجٌ؟ قَالَ: تُرْجَمُ المَرْأَةُ وَلَا شَيْءَ عَلَى الرَّجُلِ، **فَمَسَحَ صَدْرَهُ وَقَالَ: مَا أَظُنُّ صَاحِبَنَا تَنَاهَى حُكْمُهُ بَعْدُ!.»**[٢].

وقد روى الكشِّيّ في رجاله الرواية ذاتها بسند آخر عن شُعَيْبٍ العَقَرْقُوفِيِّ وفي آخرها أن أبا بصير: «ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ يَحُكُّهَا [وقال]: **أَظُنُّ صَاحِبَنَا مَا تَكَامَلَ عِلْمُه!»**[٣].

تلك كانت عقيدة «أبي بصير» في علم الإمام. والعجيب أن أبا بصير هذا هو الشخص ذاته الذي يروي الغلاةُ أن الإمام الصادق - عليه السلام - قال له: «**إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ!!**»[٤] كما مر معنا فيما سبق.

تشهد هذه الأمثلة العشرة من مواقف وأقوال بعض أصحاب الأئمة -عَليهِمُ السَّلام- الخاصين أنهم فضلاً عن عدم اعتقادهم بعلم أئمتهم الغيب،كانوا يعترضون أحياناً على رأي الأئمة في بعض الأمور العادية، فهل يمكننا أن نصدق أن الأئمة كانوا يقولون لمثل هؤلاء الأصحاب إنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما يكون؟!

هذا بمعزل عن أن كل من كان يؤمن بالله والقرآن واليوم الآخر لا يمكنه أن يقول بمثل ذلك القول في حق الأئمة، وأن تلك الادعاءات ليست في الواقع إلا من اختراع الغلاة وتلفيقات

---

(١) الحرّ العاملي، «وسائل الشيعة»، ج ٢٧/ ص ١٤٤. (تر)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٦ / ص ٥٨. (تر)

(٣) المصدر السابق. (تر)

(٤) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج١/ ص ٣٩-٤٠. (تر)

أعداء الإسلام وأعداء الأئمة -عَليهِمُ السَّلام-.

لو دقَّقتم النظر في جميع الأخبار التي تتحدث عن علم الأئمة بالغيب والموجودة في كتب الشيعة مثل «الكافي» و«بصائر الدرجات» و«مدينة المعاجز» وغيرها لرأيتم أنه علاوة على مخالفة متون تلك الروايات للقرآن الكريم، فإن أسانيدها ضعيفة ورواتها غلاة، رغم أنه حتى لو كانت أسانيدها صحيحة لوجب طرح متونها وعدم الاعتناء بها أصلاً طبقاً للأمر المؤكد للأئمة -عَليهِمُ السَّلام- أنفسهم الذين أمروا أن يضرب بعرض الحائط كل ما يُنقل عنهم مما يخالف كتاب الله.

لقد عقد الكُلَيْنِيّ في كتاب «الكافي» الذي يُعتبَر من أفضل وأهم كتب الحديث لدينا معشر الشيعة بعد القرآن، أبواباً بخصوص علم الأئمة -تصلح مستنداً لأمثال صاحبنا آية الله العظمى(!) أبي الفضل النبوي على دعواه علم الأئمة بالغيب- فذكر باباً بعنوان: «بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ -عَليهِمُ السَّلام- إِذَا شَاءُوا أَنْ يَعْلَمُوا عُلِّمُوا»، أورد فيه ثلاثة أحاديث، وقد اعتبر العلامة المجلسي في كتابه «مرآة العقول» الحديث الأول منها ضعيفاً والحديثين الثاني والثالث مجهولين فالنتيجة صفر!! هذا بمعزل عن أن متون هذه الروايات الثلاثة تخالف العقل والقرآن كما سبقت الإشارة إليه.

ثم عقد باباً بعنوان: «بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ -عَليهِمُ السَّلام- يَعْلَمُونَ مَتَى يَمُوتُونَ وَأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا بِاخْتِيَارٍ مِنْهُم»، وذكر فيه ثمانية أحاديث، الحديث الأول والثالث والرابع والسابع منها ضعيفة والحديث الثاني مجهول والحديث الخامس مرسل والحديثان السادس والثامن حسنان فليس في هذا الباب إذن حديث صحيح واحد، هذا بمعزل عن مخالفة هذه الأحاديث لنص القرآن.

ثم عقد باباً بعنوان: «بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ -عَليهِمُ السَّلام- يَعْلَمُونَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَأَنَّهُ لَا

يَخْفَى عَلَيْهِمُ الشَّيءُ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِم»[١]، وأورد فيه ستة أحاديث الأول والثاني والثالث منها ضعيفة والحديثان الخامس والسادس منها مجهولان والحديث الرابع فقط اعتبره العلامة المجلسي صحيحاً[٢]، إلا أنه لا يتضمن ما يفيد علم الأئمة بما كان وما يكون وكل ما فيه أن الإمام الباقر - عليه السلام - عاتب تلاميذه لأنهم كانوا يساوون بين علم أئمتهم وعلم أئمة مخالفيهم. وقال: «أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى افْتَرَضَ طَاعَةَ أَوْلِيَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ ثُمَّ يُخْفِي عَنْهُمْ أَخْبَارَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَقْطَعُ عَنْهُمْ مَوَادَّ العِلْمِ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِمَّا فِيهِ قِوَامُ دِينِهِم؟؟»[٣].

ومن الواضح تماماً أن المراد من أخبار السموات والأرض التي فيها قوام الدين ليس علم ما كان وما يكون بالمعنى الذي يذهب إليه الغلاة، بل هو العلم المتعلق بأحكام الدِّين والذي لا شكّ أنّ الأئمّة الأطهار كانوا كاملي المعرفة به. ولهذا السبب بالذات قال السيد المرتضى علم الهدى[٤] في كتابه «الشافي في الإمامة» (ص ١٨٨ وَ١٨٩):

«معاذ الله أن نوجب له [إي للإمام] من العلوم إلا ما تقتضيه ولايته، ويوجبه ما وليه، وأسند إليه من الأحكام الشرعية، وعلم الغيب خارج عن هذا.» ثم قال: «فأين هذا من العلم بالحِرَف والمهن والقيم والأروش، وكل ذلك مما لا تعلق له بالشريعة ولا كلف أحد من الأمة إماماً كان أو

(١) راجعوا بشأن أحاديث هذه الأبواب الثلاثة في أصول الكافي كتابنا «عرض أخبار أصول بر قرآن وعقول» (أي عرض أخبار أصول الكافي على القرآن والعقل) ص٥٣٧ فما بعد. (البرقعي)

(٢) إن الراوي المتصل بالمعصوم لهذا الحديث هو «ضريس الكناسي» فإذا كان «ضريس بن عبد الواحد الكناسي» فإنه طبقاً لتقييم العلامة المامقاني شخص مجهول، فالحديث مجهول وليس صحيحاً. (البرقعي)

(٣) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج١/ ص ٢٦١-٢٦٢. (تر)

(٤) هو السيد الشريف أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، ويُعْرِف بالشريف المرتضى، وهو أخ الشريف الرضي، واشتُهِرَ لدى الإمامية بلقب «السيد المرتضى علم الهدى» (٣٥٥ - ٤٣٣هـ)، كان علماً من أعلام الشيعة الإمامية وفقهائهم القدماء المرموقين، تولى رئاسة الطائفة الإمامية في عصره، وترك عدَّة مؤلَّفات قيِّمة أهمها: «الشافي في الإمامة» وكتاب «تنزيه الأنبياء والأئمة» وكتاب «الغُرَر والدُّرَر» ويُعْرَف بـ«أمالي المرتضى»، وكتاب «الانتصار». (تر)

مأموماً العلم به لا على سبيل الندب ولا الإيجاب؟ وإنما تكليفهم المتعلّق بالشريعة في ذلك أن يرجعوا إلى أهل القيم والمعرفة بالصناعات، لا أن يقوموا ذلك بأنفسهم.».

وقال الشيخ الطوسي في كتابه «تلخيص الشافي» (ص ٣٢١) أيضاً:

«**فأما قولهم إنه يجب أن يكون عالماً بسائر المعلومات وبالغيب، فلا شبهة في بطلانه، لأن من المعلوم أن جميع ذلك لا تعلق له بباب الدين، ولا الإمام حاكمٌ في شيء من ذلك..**»[(١)].

أجل، تلك هي الأحاديث التي جاءت في كتاب «الكافي» في هذا الموضوع ورأينا أنه لا يوجد منها حديث صحيح واحد، رغم أنه حتى لو فرضنا أن بعضها صحيح السند وحتى لو بلغ عدد هذه الأحاديث الصحيحة المئات لما غير ذلك من الأمر شيئاً لأنه طبقاً لأمر الأئمة أنفسهم - سلام الله عليهم أجمعين- لا بدأن نضرب بها عرض الحائط لأن متونها تخالف مخالفة صريحة آيات القرآن الكريم، كما رأينا في استعراضنا للآيات التي تؤكد بكل وضوح وصراحة اختصاص علم الغيب بالله وحده وتنفيه عن أي أحد من البشر.

وأما ما جاء في كتاب «بصائر الدرجات» المنسوب لـ«محمد بن الحسن الصفّار»[(٢)] فقد ذكرنا فيما سبق عدم وثاقة هذا الكتاب حسب ما قاله الشيخ الجليل «محمد بن الحسن بن الوليد» أستاذ الشيخ الصدوق الذي كان يُعْرِضُ عن ذلك الكتاب وربما لم يكن يعتبره من تأليف الصفار أساساً، وقد ذهب بعض علماء الرجال مثل «ابن داوود» و«الشيخ البهائي» إلى وجود شخصين باسم الصفار أحدهما ثقة والآخر غير ثقة وهو مؤلف «بصائر الدرجات». فإذا كان الأمر كذلك فهل يمكننا أن نحارب القرآنَ كتابَ ربِّنَا وندع عقلنا ووجداننا لأجل أحاديث مذكورة في كتاب مثل كتاب «بصائر الدرجات» هذا؟!

---

(١) الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي، تقديم وتعليق السيد حسين بحر العلوم، قم، مؤسسة انتشارات المحبين، ١٣٨٢ هـ شمسية، ج١/ ص ٢٥٣.

(٢) اعتبر الأستاذ المحقق «محمد باقر البهبودي» الصفّار متساهلاً في رواية الحديث. يراجع في ذلك كتاب «معرفة الحديث» مركز انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، ص١٠٩. (البرقعي)

ماذا تقول سيرة الأئمة عليهم السلام بشأن علمهم بالغيب!

سنذكر في هذا الباب نماذج لوقائع وأحداث وقعت لبعض الأئمة، تشهد بكل وضوح، ويفهم منها كل إنسان ذي لبٍّ ووجدان استحالة أن يكون من وقعت لهم عالمين بالغيب أو مطِّلعين على ما وراء حجب المستقبل، فوقوع هذه الحوادث للنبي وبعض الأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- كاف وحده لليقين بانتفاء علمهم بالغيب حتى لو لم تأتِ آيات القرآن الكريم التي نفت بشدة علم الغيب عن أحد سوى الله.

١- كان النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو زبدة الخليقة وأفضل عباد الله ورسول رب العالمين إلى الخلق أجمعين ينتظر في كثير من الموارد نزول الوحي عليه للحكم في بعض القضايا، بحيث أنه قبل نزول الوحي بشأنها ما كان له علم بها!

وللاطلاع على نماذج لهذه الوقائع لا بد من الرجوع إلى كتب السيرة حيث نجد فيها نماذج كثيرة لهذا الأمر، وسنكتفي هنا بالإشارة إلى أوضح ما جاء في ذلك.

إن قضية الإفك وتخلُّف عائشة عن القافلة ومبيتها وحدها في البيداء ثم عودتها في اليوم التالي برفقة «صفوان بن المعطل» وانتشار أقاويل سيئة وبشعة بشأنها تعد من أوضح وقائع تاريخ الإسلام، إلى درجة نزول عدة آيات من القرآن في سورة النور بشأن تلك الحادثة.

وكلُّنا يعلم أيَّ حال وانزعاج عانى منه النبيُّ من هذه القصَّة حيث اتُّهمت أصغر نسائه بالزنا برجل أجنبي، وقد تناهى إلى سمعه مكرراً كنايةً أو صراحةً هذا الاتهام لأهله ولم يكن يملك حلاً لردّ تلك التهمة! وطبقاً لما جاء في كتب السيرة وللحديث الذي روته عائشة نفسها بقيَ رسول الله قرابة شهر يعاني من القلق بشأن هذه القضية ولم ينزل عليه فيها وحي بعد. إلى درجة أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذهب إلى عائشة يوماً وقال لها: «يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ

تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.»[١].

وقد ذكرت بعض المصادر أن القضية كانت محيِّرة لرسول الله ﷺ إلى درجة أنه دَعَا أميرَ المؤمنين عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَزيد بن حارثة - ابنه المُتَبَنَّى - يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ عائشةَ، فَأَمَّا زَيْدٌ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بعدم تطليقها وقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَهْلَكَ، وَمَا نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا، وَأَمَّا أميرُ المؤمنين عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - سلام الله عليه - فَقَالَ: «يَا رَسُولَ الله، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ»، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «**أَيْ بَرِيرَةُ! هَلْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟؟**» فشهدت بَرِيرَةُ بطهارة عائشة[٢].

إلى درجة أنه روي أن أمير المؤمنين عليه السلام ضرب بَرِيرَةَ كي لا تكتم أمراً حول هذا الموضوع، ومع ذلك قالت بَرِيرَةُ: «**لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا. ما عَلِمْتُ عَلَيها إِلاَّ خَيْرًا**». حتى نزل الوحي بعد شهر أو أكثر [من بدء الحادثة] وَنزلت الآيات التي مطلعها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**...الآيات﴾ [النور/ ١١]، التي أعلنت طهارة عائشة وبراءتها.

وذهب بعضهم إلى أن الآيات المذكورة في سورة النور إنما نزلت بشأن «مارية القبطية» إذ إنها أيضاً اتُّهمت بما يشبه هذه التهمة، فإن صح هذا فإنه لا يغير من الأمر شيئاً وتبقى صورة الحادثة كما هي!

فإذا كان الأمر كذلك فأي شخص يستطيع أن يدعي أن رسول الله ﷺ كان عالماً بالغيب، وكيف يتَّسق ذلك مع القلق الذي عانى منه بعد سماعه لاتهام بعضهم لأهله؟ فأي علم بالغيب هذا الذي لم يمكّن نبي الله من معرفة حقيقة الأمر منذ بداية وقوعه بل تركه في شك وتساؤل هل ارتكبت أهله الزنا أم لا؟! وحسناً ما قاله الشاعر الشيخ سعدي [الشيرازي]:

تو بر اوج فلک چه دانی چیست   چون ندانی که در سرایِ تو کیست؟!

---

(١) صحيح البخاري، ٤/ ١٧١٥، حديث رقم (٣٩١٠)، وصحيح مسلم، ٤/ ٢١٢٩، حديث رقم (٢٧٧٠). (تر)

(٢) المصدرين السابقين. (تر)

أي: كيف لك أن تعلم بما يجري في أعلى الفلك إن كنت تجهل ما يجري في منزلك؟!

نكتفي بما ذكرناه بشأن أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونشير إلى حادثة الرجيع وحادثة بئر معونة التي وقعت في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، والتي تشهد بكل وضوح بعدم علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب، ومن أراد التفصيل فنحيله إلى كتب السيرة النبوية على صاحبها أزكى صلوات الله وسلامه.

٢- أما بالنسبة إلى سيرة وأحوال أمير المؤمنين - عليه السلام - فينبغي أن نعلم أن الغلو في حقه كان أشد من الغلو في سائر الأئمة، وقد لُفقت خطب مشحونة بالغلو ونُسبت إليه وذلك مثل: «خطبة البيان» و«الخطبة التَّطْنَجِيَّة»[1] التي أوردها آية الله العظمى صاحبنا هذا! في الصفحة ٤٥٢ من كتابه نقلاً عن الكتاب الموثوق جداً!!! لأبي بكر الشيرازي، لذا لا بد من الانتباه أكثر إلى سيرة أمير المؤمنين. ففي هذه الخطبة المختلقة الأخيرة نُسب إلى حضرة أمير المؤمنين ادعاؤه بصراحة الإلهية-والعياذ بالله- وأنه وصف نفسه بصفات الباري تعالى التي وصف الله بها نفسه في القرآن فقال: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٣]، فنسبت الخطبة إلى أمير المؤمنين أنه وقف في منبر البصرة خطيباً ونسب إلى نفسه تلك الصفات وما هو أعلى منها من ذلك قوله:

«أَنَا دَحَوْتُ أَرْضَهَا وَأَنْشَأْتُ جِبَالَهَا وَفَجَّرْتُ عُيُونَهَا وَشَقَقْتُ أَنْهَارَهَا وَغَرَسْتُ أَشْجَارَهَا وَأَطْعَمْتُ ثِمَارَهَا وَأَنْشَأْتُ سَحَابَهَا وَأَسْمَعْتُ رَعْدَهَا وَنَوَّرْتُ بَرْقَهَا وَأَضْحَيْتُ شَمْسَهَا وَأَطْلَعْتُ قَمَرَهَا وَأَنْزَلْتُ قَطْرَهَا وَنَصَبْتُ نُجُومَهَا... وَأَنَا... وأنا... [حتى يصل إلى قوله]: وَأَنَا الْأَوَّلُ

(١) الخطبة التَّطْنَجِيَّة خطبة موضوعة طويلة رواها ونسبها إلى أمير المؤمنين، الشيخُ حافظ رجب البرسي (كان حيّاً ٨١٣ هـ) في كتابه «مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين»، وجاء اسمها من عبارة «أنا الواقفُ على التَّطْنَجَيْن» وهما - كما يزعم البرسي- خليجان من ماء!. (تر).

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَبِكُلِّ شَيءٍ عَلِيْم»[١].

ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى من وضع مثل كلمات الكفر هذه على لسان أمير المؤمنين، ولَعْنَةُ الله على من يروّجها وينشرها أبد الآبدين ودهر الداهرين.

إن أكبر دليل وأفضل برهان على وضع مثل هذه الخطبة، بعد دلالة صريح القرآن وشهادة العقل والوجدان، هو تاريخ الإمام وسيرته، ولنعم ما قاله «الشهيد الثاني»: إن أكذب الحديث ما كذبه التاريخ.

إن كل من له أدنى اطلاع على تاريخ الإسلام يعلم أنه بعد مبايعة الناس في المدينة لأمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ويأس طلحة والزبير من الحصول على المناصب التي كانوا يأملونها، اتفقا مع أم المؤمنين عائشة التي كان لها سابق عداء لأمير المؤمنين وانطلقوا إلى البصرة معادين لأمير المؤمنين وناصرين لعثمان [مطالبين بالقصاص من قتلته] ولقد اختاروا البصرة لأن أهلها لم يقبلوا خلافة أمير المؤمنين وليس هذا فحسب بل كانوا، على إثر دعايات مثيري الفتنة، يعتبرون علياً عليه السلام قاتل عثمان ويرَوْنَ وجوب قتال علي، وقد زاد من عدائهم لأمير المؤمنين الدعايات التي كان أنصار عثمان ومحبوه -الذين استَوْلَوْا منذ مدّة على البصرة- يبثّونها بينهم ليل نهار حتى صوّروا لهم وكأن أمير المؤمنين أعدى أعداء الإسلام!! إلى حد أن أمير المؤمنين لم يستطع إخماد الفتنة ودخول البصرة إلى بعد معركة راح ضحيتها آلاف الأنفس.

فهل هناك من مجنون فضلاً عن عاقل يمكنه أن يصدق أن أمير المؤمنين الذي بمعزل عن

---

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج٣٩/ ص٣٤٨، نقلاً عن كتاب «أبي بكر الشيرازي». هذا وقد روى المجلسيُّ نقلاً عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب رواية منسوبة لعليٍّ في تفسير بعض تلك الألفاظ فقال: «أَنَا الْأَوَّلُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ الله (ص) وَأَنَا الْآخِرُ آخِرُ مَنْ نَظَرَ فِيهِ لَمَّا كَانَ فِي لَحْدِهِ، وَأَنَا الظَّاهِرُ ظَاهِرُ الْإِسْلَامِ وَأَنَا الْبَاطِنُ بَطِينٌ مِنَ الْعِلْمِ وَأَنَا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنِّي عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ أَخْبَرَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ فَأَخْبَرَنِي بِهِ». انظر «بحار الأنوار»، ج ٣٩/ ص ٣٤٧. والواقع أن كل ذلك باطل لا يصح إذ لا يمكن لمولى الموحِّدين أن يتكلم بمثل ذلك الكلام الموهم للشرك، ثم يأتي فيفسره بهذه الطريقة. حاشاه. (تر)

مقام صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتربيته في حجره، كان من أعقل العقلاء على الأرض، يأتي إلى مثل تلك المدينة التي يعتبره أكثر أهلها معتدياً وقاتلاً فيصعد المنبر ويخطب في أهلها قائلاً: «أَنَا دَحَوْتُ أَرْضَهَا وَأَنْشَأْتُ جِبَالَهَا وَفَجَّرْتُ عُيُونَهَا وَشَقَقْتُ أَنْهَارَهَا وَأَنَا... وأنا... [حتى يصل إلى قوله]: وَأَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْم)؟!!

هل يعقل أن يقوم أمير المؤمنين، الذي كان يسعى جاهداً ليثبت براءته من دم عثمان، لأولئك المخدوعين الممتلئة صدورهم ببغضه، بإلقاء خطبة عليهم يقول لهم فيها: أنا كذا.. وأنا كذا... يعني باختصار: أنا الله؟!! ثم لا يعترض عليه أحد من أهل تلك المدينة التي تمردت عليه ويقول له ما هذا الكلام الذي يصدر عنك؟! ثم كيف لم يذكر أي أحد من المؤرخين والمحدثين من الصديق والعدو مثل هذه القضية المهمة في كتب التاريخ والحديث، سوى أبي بكر الشيرازي الذي لا يعلم أحد أي حيوان كان؟! يا رب أي جنون مطبق وأي حماقة مدقعة حلّا بهؤلاء الذين يستجيزون إعادة نشر مثل كلمات الكفر هذه بين الناس؟!

وليت شعري! إن لم يكن هذا هو ذلك الغلو الذي كان أئمة الإسلام يحذِّرُون الناس منه مراراً وتكراراً ويلعنون أصحابه ويظهرون البراءة منهم، فما هو الغلو إذن؟!

والعجيب أنه في الوقت الذي كان علماء الشيعة القدامى يعتبرون مجرّد نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غُلُوّاً[1]، أصبح في شيعة اليوم مَنْ لا يعتبر حتى مثل تلك العبارات المتضمِّنة لادعاء الألوهية غلوّاً، بل يعتبرها من معارف الدين!! ويعتبر أن من يشكّك في هذه الخرافات، ناقص الولاية بل ربما قال بتكفيره!!

يشهد الله أننا لا نقصد أبداً ببياننا لبعض وقائع تاريخ وسير الأئمة أن ننتقص من مقامهم العالي وأن نقلّل من درجتهم، كل ما في الأمر أن غلوّ هؤلاء الغلاة الذي يُعَدُّ انتهاكاً للتوحيد وللأصول المسلّم بها لدين خاتم النبيين هو الذي يدفعنا إلى ذكر هذه الوقائع التاريخية من كتب الشيعة الموثوقة، لكي نوقظَ الناس إلى خطر الغلوِّ في الدين وننقذهم من أن يبتلوا بما نهى عنه

---

(١) راجعوا رسالة «تأمُّلٌ في رسالة سهو النبيّ» الملحقة في آخر هذا الكتاب.

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء/ ١٧١] وَ[المائدة/ ٧٧].

٣- نقلت جميع كتب التاريخ المفصّلة والموثوقة قصّة تولية «قيس بن سعد بن عبادة» من قبل أمير المؤمنين - عليه السلام - على مصر ثم قيام أمير المؤمنين بعزله بناء على أخبار مغلوطة وكاذبة مما أدى في الواقع إلى خروج مصر من يد أمير المؤمنين إلى الأبد ووقوع مصائب وخسائر كبيرة له لهذا السبب. وسننقل فيما يلي طرفاً من هذه القصة من الكتاب القيم الموسوم بـ«**الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة**» (ص ٣٣٦ فما بعد) تأليف «**السيد علي خان بن معصوم الشوشتري**»[(١)] الذي كان من أعلام علماء الشيعة، فقد جاء في كتابه ما نصه:

«وقال إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي: لما ولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة قال لـ«قيس بن سعد بن عبادة»: سر إلى مصر فقد وليتكها.......

فخرج «قيس بن سعد» في سبعة نفر من أهل بيته حتى دخل مصر فصعد المنبر وأمر بكتاب معه فقرأ على الناس فيه: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد،.....

وقد بعثت إليكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً فوازروه وأعينوه على الحق وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن أرضى هديه وأرجوا صلاحه ونصحه. اسأل الله لنا ولكم عملا زاكياً وثواباً جميلاً ورحمةً واسعةً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(٢)].

ثم قال: «قال لما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس بن سعد خطيبا فحمد الله وَأثنى عليه وَقال

---

(١) هو السيد على خان ابن نظام الدين أحمد بن محمد معصوم بن أحمد نظام الدين المدنى الشيرازي الحسيني، يعود في نسبه إلى الإمام زيد الشهيد ابن الإمام السجاد زين العابدين على بن الحسين عليه السلام. كان من أعلام الشيعة في القرن الثاني عشر الهجري، وترك عدة مؤلفات منها كتابه المذكور، وَ(سلافة العصر) وَ(أنوار الربيع). توفي سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م. (تر)

(٢) إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، «الغارات»، ج١/ ص ١٢٧ إلى ١٢٩. (تر)

الحمد لله الذي أمات الباطل وأحيا الحق وَكبت الظالمين. أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا صلى الله عليه وآله فقوموا فبايعوا على كتاب الله وَسنة نبيه فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وَسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا وَاستقامت له مصر وَأعمالها فبعث عليها عماله إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى «قيس بن سعد» ألا إنا لا نأتيك فابعث عمالك وَالأرض أرضك وَلكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس! قال وَوثب «مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري» فنعى عثمان وَدعا إلى الطلب بدمه فأرسل إليه قيس ويحك أعليّ تثب؟! وَالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وَأني قتلتك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة أني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

قال: وَكان لـ«قيس» حزم وَرأي فبعث إلى الذين اعتزلوا أني لا أكْرِهُكُم على البيعة وَلكني أدعُكُم وَأكفُّ عنكم. فهادنهم وَهادن «مسلمة بن مخلّد» وجبى الخراج وَليس أحد ينازعه.

قال وَخرج أمير المؤمنين عليّ - عليه السلام - إلى الجمل وَهو [أي قيس] على مصر وَرجع إلى الكوفة من البصرة وَهو بمكانه، فكان [قيس] أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام وَمخافة أن يقبل إليه عليّ - عليه السلام - بأهل العراق وَيقبل إليه «قيسٌ» بأهل مصر فيقع بينهما. فكتب معاوية إلى «قيس بن سعد» وَعليٌّ - عليه السلام - يومئذٍ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين:

«بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى «قيس بن سعد»، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو في ضربة سوط رأيتموه ضربها أو في شتمة رجل أو تعييره واحداً أو في استعماله الفتيان من أهله فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل بذلك فقد ركبتم عظيماً من الأمر وَجئتم شيئاً إدّاً. فتب إلى ربك يا «قيس» إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً. وَأما صاحبك فإنا قد استيقنا أنه أغرى الناس به وَحملهم على قتله حتى قتلوه وَأنه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا «قيس» أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل وَبايعنا على

أمرنا هذا وَلك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت وَلمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وَسلني من غير هذا ما تحب، فإنك لا تسألني من شيء إلا أوتيته، وَاكتب إلي برأيك فيما كتبت إليك وَالسلام».

فلما جاء قيساً كتاب معاوية أحب أن يدافعه وَلا يبدي له أمره وَلا يعجل له حربه فكتب إليه:

«أما بعد فقد وصل إلي كتابك وَفهمت ما ذكرت من قتل عثمان وَذلك أمر لم أقاربه وَذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان وَدسهم إليه حتى قتلوه! وَهذا أمر لم أطلع عليه وَذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري أن أولى الناس كان في أمره عشيرتي! وَأما ما سألتني من متابعتك على الطلب بدمه وَعرضت عليّ ما عرضت فقد فهمته وَهذا أمر لي فيه نظر وَفكر وَليس هذا مما يعجل إليه وَأنا كاف عنك وَليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى وَنرى وَالسلام عليك وَرحمة الله وَبركاته».

قال: فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقارباً مباعداً وَلم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعاً مكايداً فكتب إليه معاوية أيضاً:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً وَلم أرك تتباعد فأعدك حرباً، أنت هاهنا كجمل جرور وَليس مثلي من يصانع بالخدائع وَلا يختدع بالمكايد وَمعه عدد الرجال وَأعنة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وَإن أنت لم تفعل ملأت عليك مصر خيلاً وَرجلاً وَالسلام».

قال: فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية وَعلم أنه لا يقبل منه المدافعة وَالمطاولة أظهر له ما في قلبه فكتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي وَاغترارك بي وَطمعك في أن تسومني لا أبا لغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر وَأقولهم بالحق وَأهداهم سبيلاً وَأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلة وَتأمرني

بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وَأقولهم بالزور وَأضلّهم سبيلاً وَأبعدهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسيلةً. وَلديك قوم ضالون مضلون من طواغيت إبليس. وَأما قولك إنك تملأ علي مصر خيلاً وَرجلاً فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك أنك لذو جد وَالسلام».

فلما أتى معاوية كتاب «قيس بن سعد» أَيِسَ منه وَثقُل مكانُه عليه وَكان أن يكون بالمكان الذي هو به غيره أعجب إليه، وَاشتدَّ على معاوية لما يعرف من بأسه وَنجدته فأظهر للناس أن قيساً قد بايعكم فادعوا الله له وَقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وَقاربه وَاختلق معاوية كتاباً فقرأه على أهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان من «قيس بن سعد» أما بعد فإن قتل عثمان كان حدثاً في الإسلام عظيماً وَقد نظرت لنفسي وَديني لم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً براً تقياً وَنستغفر الله لذنوبنا وَنسأله العصمة لديننا. ألا وَإني قد ألقيت إليك بالسلم وَأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم فعوِّلْ عليّ فيما أحببت من الأموال وَالرجال أعجله إليك إن شاء الله تعالى، وَالسلام عليك».

قال: فشاع في أهل الشام أن قيساً صالح معاوية فسرحت عيون علي بن أبي طالب عليه السلام إليه بذلك فلما أتاه ذلك أعظمه وَأكبره وَتعجب له وَدعا ابنيه الحسن وَالحسين وَابنه محمداً وَدعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك وَقال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل «قيس بن سعد» عن مصر.

فقال [عليٌّ] لهم: **إني وَالله ما أصدِّق بهذا على «قيس»**. فقال له عبد الله بن جعفر: اعزله يا أمير المؤمنين فو الله إن كان ما قد قيل حقاً لا يعتزلك إن عزلته.....

قال فبعث عليُّ بن أبي طالب عليه السلام محمدَ بن أبي بكر إلى مصر وَعزل قيساً وَكتب معه إلى أهل مصر كتاباً فلما قدم على قيس قال له (قيس): فما بال أمير المؤمنين ما غيَّره؟ أدخل أحدٌ بيني وَبينه؟! قال: لا وَهذا السلطان سلطانك وَكان بينهما نسب وَكانت تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق فكان قيس زوج عمته فقال قيس: لا وَالله لا أقيم معك ساعة

واحدة وَغضب حين عزله عليّ – عليه السلام – عنها فخرج منها مقبلاً إلى المدينة وَلم يمض إلى عليٍّ عليه السلام بالكوفة.»[1].

تُعَدُّ هذه القصة من حوادث التاريخ المسلَّم بها والتي وقعت زمن أمير المؤمنين عليه السلام. وكما نعلم لم يستطع «محمد بن أبي بكر» أن يحكم سيطرته على مصر لأنه كان شاباً عديم التجربة وانتهى الأمر بمقتله بأفجع صورة وخروج مصر من يد أمير المؤمنين ولم تعد إليه بعد ذلك أبداً.

وقد أعرب أمير المؤمنين عليه السلام نفسه عن ندمه على ما وقع منه، ونجد هذا المعنى في الرسالة التي كتبها أمير المؤمنين عندما أرسل مالك بن اشتر والياً على مصر، وقد روى هذه الرسالة الشيخ المفيد في أماليه (ص٤٨، المجلس ٩) حيث جاء فيها الفقرة التالية: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ الثَّغْرَ المَخُوفَ وَقَدْ كُنْتُ وَلَّيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ مِصْرَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ خَوَارِجُ وَكَانَ حَدَثاً لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحُرُوبِ فَاسْتُشْهِدَ رَحِمَهُ اللهُ...»[2].

أقول ولا يخفى على أهل العلم والفهم أن «قيس بن سعد بن عبادة» كان من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن خواص شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام ومن الأقوياء في دين الحق ومن شجعان زمانه، وقد جاء في كتاب الرجال للشيخ الطوسي وصفه الملخص بالعبارات التالية: «قيس بن سعد بن عبادة، من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وَهو مشكور، لم يبايع أبا بكر.»[3].

كما أن الشهيد الثاني –عليه الرحمة– قال في تعليقه على تلك العبارة ما نصه: «وقال أنس: وكان قيس بن سعد من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير».

وقد أشار الإمام الرضا عليه السلام إلى إخلاص «قيس بن سعد» وتقواه وذكر أن أفعى (ثعبان)

---

(١) إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، «الغارات»، ج١/ ص١٣٠ إلى ١٣٩. بتلخيص واختصار. (تر)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣/ ص ٥٥٢. (تر)

(٣) رجال العلامة الحلي، ص ١٣٤. (تر)

أحاطت بعنقه أثناء سجوده فلما رفع رأسه من السجود غابت في لباسه ولم تصبه بأذى!

كما أن ابن أبي الحديد قال عنه في كتابه شرح نهج البلاغة: «و قيس هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كان شجاعاً جواداً من كبار شيعة عليٍّ عليه السلام والمتحقّقين بمحبته، شهد حروبه كلّها.»[1].

إذن فعزله عن ولاية مصر لم يكن لجهة نقصان ولائه ومحبته وإخلاصه لأمير المؤمنين، بل كانت حنكته وفطنته في غاية الشهرة حتى عدُّوْه من أذكياء العرب. [وإنما عزله أمير المؤمنين تأثراً بتلك الشائعة الكاذبة التي نقلها إليه جواسيسه عن أهل الشام].

فهل ينسجم عزل «قيس» مع القول بعلم الإمام بالغيب؟! خاصةً أنكم تدعون أنه الإمام بعلم عين الغيب الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟!!

إذا قلتم إنهم قاموا بتلك الأعمال مع علمهم بالغيب، قلنا: هل من الممكن عقلاً أن يقوم من يعلم الغيب بالإضرار بنفسه على هذا النحو؟ وكيف يتّسق هذا مع القرآن الكريم الذي يصف الله تعالى فيه أحد خصائص العلم بالغيب فيقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف/ ١٨٨]؟! فكيف يمكن تفسير صدور تلك الأعمال عن عالمٍ بالغيب خلافاً لحكم العقل والنقل؟!

٤- من أوضح الأمور التي تدلّ على عدم علم حضرة الإمام علي عليه السلام بالغيب قضية تنصيبه «زياد بن أبيه» والياً على البصرة والأهواز وفارس وكرمان. فقد كان «زياد بن أبيه» كاتباً لابن عباس عندما كان ابن عباس والياً على البصرة مِنْ قِبَل عَلِيٍّ عليه السلام فاكتسب «زياد» من خلال عمله ذاك معرفةً وخبرةً في أمر حكم البصرة، لذا لما قام أمير المؤمنين عليه السلام بعزل ابن عباس عيّن مكانه كاتبه «زياد بن أبيه» والياً على البصرة، وكما نعلم أدَّت ولاية زياد في بداية

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٤/ ص ١٣١. (تر)

الأمر إلى تعرف الشيعة على عليٍّ بشكل جيِّد، ولما ولي الإمام الحسن عليه السلام الإمامة بعد أمير المؤمنين أبقى «زياداً» على ولاية البصرة، فكان هذا الأمر في الواقع أحد أسباب وقوع مصائب وكوارث كبيرة بحق شيعة علي عليه السلام فيما بعد، حيث أن معاوية ألحق «زياداً» به كأخ له من أبيه أبي سفيان وأغراه بمنحه حكومة العراقين [عراق العرب وعراق العجم] وكان لابنه «عبيد الله بن زياد» أفاعيل مدمرة بحق شيعة علي عليه السلام يحتاج شرحها إلى كتاب مفصّل!.

ومثل ذلك في دلالته على انتفاء علم الإمام عَلِيٍّ عليه السلام بالغيب تعيينه لـ «المنذر بن جارود» لجمع الصدقات فقام الأخير بأخذ الأموال لنفسه والتحق بمعاوية! فكتب له الإمام بعد اطلاعه على خيانته: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً ولا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ**»[(١)].

من الواضح أنه لا يمكن لشخص يعلم الغيب أن يفعل ذلك بنفسه وبأموال بيت المال ومصالح المسلمين! فعلى الذين يدَّعون علم الإمام علي وسائر الأئمة -عَليهِمُ السَّلام- بالغيب أن يرونا عملاً واحداً قاموا به يدل على علمهم بالغيب!

لقد صنع الغلاة وأعداء الإسلام من شخصية عَلِيٍّ - عليه السلام - شخصيةً رسموها بخيالهم ورفعوها إلى ما فوق الحدود البشرية، وعرَّفوه بوصفه كائناً أسطورياً يقوم أحياناً بأعمال إلهية ويحضر في آنٍ واحدٍ في جميع الأمكنة ويعلم جميع الغيوب، ويقوم أحياناً بالعروج إلى السموات والجلوس على بساط الريح والصعود إلى الفضاء وقتل ثلاثين ألفاً من قوم يأجوج ومأجوج -كما ورد في حديث البساط- ويحضر في وليمة أكثر من أربعين بيتاً، ويصعد إلى المعراج قبل وصول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليستقبله، ويظهر في إحدى السموات بصورة أسد مفترس، ويقضي بين الملائكة

(١) نهج البلاغة، الرسالة رقم (٧١).

الذين تنازعوا فيما بينهم ولم يرضوا إلا بعليٍّ حكماً وقاضياً فاضطر إلى الصعود إلى السماء ليفصل بينهم! وكان حاضراً في أزمنة الأنبياء الماضين بصور مختلفة فكان يساعد الأنبياء، من ذلك أنه حضر زمان موسى عليه السلام بصورة شخص مرتدياً لباساً من ذهب وراكباً فرساً سرجه من أوراق الذهب وذهب إلى قصر فرعون لتخويفه من مخالفة موسى! ومئات من هذه الأساطير والأوهام والخرافات التي يمكن الاطلاع عليها بالرجوع إلى كتب مثل «عيون المعجزات» و«مشارق أنوار اليقين في ولاية أمير المؤمنين» و«مدينة المعاجز» و«تحفة المجالس» وأمثالها.

لكن إذا كان الغلاة وأعداء الإسلام قد لفّقوا تلك الحكايات واختلقوا تلك الأساطير يوماً ما لمآرب خاصّة ودسّوها بين الناس وفي الكتب، فلا ندري ما هو هدف من يقوم اليوم بإعادة إشاعتها وترويجها؟! أليس في عمله هذا اتباعٌ لأهداف أعداء الإسلام أولئك، ألا يجعلُ من يروج لهذه الخرافات من نفسه آلةً بلا إرادة لتحقيق أغراضهم؟ وما هي الفائدة من نشر هذه الخرافات سوى تنفير العقلاء من الدين؟! أو غرور ووقاحة الجهلة وتصوّرهم أنه إذا كان عليٌّ عليه السلام كذا وكذا وكانوا هم شيعة علي (!) فإن مكانهم سيكون يوم القيامة في صدر الجنة! أجل إنهم يتخيلون أنهم دون عمل صالح سيكونون من المقرّبين عند الله والأعزّاء لديه لمجرّد كونهم - في نظر أنفسهم - من محبي عليٍّ وشيعته!!

نعم هكذا صار عليٌّ في نظر الغلاة كائناً عجيباً لا نجد له نظيراً حتى في أساطير آلهة اليونان القدماء! ويمتلك صفات إلهية تجعله حاضراً في كل مكان وناظراً كل شخص وقادراً على كل شيء و﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾!!

لكن عليّاً في نظر المؤمنين الموحِّدين منزَّهٌ عن هذه الأوهام ومبرَّأٌ من هذه الافتراءات وهم يَبْرؤون من كل من ينسب إليه مثل تلك النسب الباطلة.

إن لِعَلِيٍّ عليه السلام ما يصعب إحصاؤه من الفضائل والمناقب، ولكن ذكر فضائله لا يفيد ذاكرها بشيءٍ إن لم يكن قصده اتباعه فيها، ولا يُعْتَبَرُ أحدٌ من شيعة علي حقيقةً لمجرد ذكره لفضائله وتصديقه بمناقبه، بل شيعة الشخص هم أتباعه وأنصاره، عملاً لا قولاً.

إن شخصية عَلِيٍّ عليه السلام بحد ذاتها معجزة من معجزات دين الإسلام ودليل على أن تعاليم هذا الدين المبين قادرة على تربية فرد مثله وتقديمه للبشرية، وفي النهاية لقد جاء دين الإسلام ليربي أمثال عَلِيٍّ عليه السلام لا لكي يخلق علياً وهمياً أسطورياً كالذي لفَّقَتْهُ أوهام الغلاة وتخيُّلاتهم، مما لا يوجد نظير له في أي أسطورة من أساطير الدنيا؟! وبكلمة أخيرة إن «عَلِيَّ» الغلاةِ غيرُ «عَلِيِّ» الموحِّدِين. فهما شخصان لا علاقة لأحدهما بالآخر من قريب ولا من بعيد!

نعود إلى أصل موضوعنا حيث أننا كنا نذكر الشواهد من سيرة الأئمة -عَليهِمُ السَّلام- التي تُظْهِرُ عدم وجود أي أثر لعلم الغيب في حياتهم فلا نجد أي حادثة نافعة لهم يمكن القول أنهم عملوا بها استناداً إلى معرفتهم بالغيب، أو حادثة اجتناب لمصيبة وخسارة بفضل معرفتهم بالغيب! بل إن الأمور والأحوال العادية التي نجدها في حياة سائر الناس نجد عينها في حياة الأئمَّة وسيرتهم ومن جملة ذلك القصة التالية التي رويت في أحوال الإمام موسى بن جعفر - عليه السلام -:

٥- روى الشيخ الطوسي في كتاب «الأمالي» (ج٢/ ص٣٦، من طبعة النجف) والشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا»، والمجلسي في «بحار الأنوار» (المجلد ١١/ ص٢١٧، من طبعة تبريز) بسندهم عن علي بن إبراهيم بن هاشم أنه قال:

«سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُ لَمَّا حَبَسَ الرَّشِيدُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ فَخَافَ نَاحِيَةَ هَارُونَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَجَدَّدَ مُوسَى عليه السلام طَهُورَهُ وَاسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْقِبْلَةَ وَصَلَّى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ فَقَالَ يَا سَيِّدِي نَجِّنِي مِنْ حَبْسِ هَارُونَ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِهِ..... قَالَ: فَلَمَّا دَعَا مُوسَى عليه السلام بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ أَتَى هَارُونَ رَجُلٌ أَسْوَدُ فِي مَنَامِهِ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ قَدْ سَلَّهُ فَوَقَفَ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَهُوَ يَقُولُ يَا هَارُونُ أَطْلِقْ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَإِلَّا ضَرَبْتُ عِلَاوَتَكَ بِسَيْفِي هَذَا فَخَافَ هَارُونُ مِنْ هَيْبَتِهِ ثُمَّ دَعَا الحَاجِبَ فَجَاءَ الحَاجِبُ فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى السِّجْنِ فَأَطْلِقْ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ فَخَرَجَ الحَاجِبُ فَقَرَعَ بَابَ السِّجْنِ فَأَجَابَهُ صَاحِبُ السِّجْنِ فَقَالَ: مَنْ ذَا قَالَ: إِنَّ الخَلِيفَةَ يَدْعُو مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ سِجْنِكَ وَأَطْلِقْ عَنْهُ

فَصَاحَ السَّجَّانُ يَا مُوسَى إِنَّ الخَلِيفَةَ يَدْعُوكَ فَقَامَ مُوسَى عليه السلام مَذْعُوراً فَزِعاً وَهُوَ يَقُولُ لَا يَدْعُونِي فِي جَوْفِ هَذَا اللَّيْلِ إِلَّا لِشَرٍّ يُرِيدُ بِي فَقَامَ بَاكِياً حَزِيناً مَغْمُوماً آيِساً مِنْ حَيَاتِهِ فَجَاءَ إِلَى هَارُونَ وَهُوَ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ سَلَامٌ عَلَى هَارُونَ فَرَدَّ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: لَهُ هَارُونُ نَاشَدْتُكَ بِالله هَلْ دَعَوْتَ فِي جَوْفِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِدَعَوَاتٍ فَقَالَ: نَعَمْ،..... فَقَالَ: هَارُونُ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ يَا حَاجِبُ أَطْلِقْ عَنْ هَذَا ثُمَّ دَعَا بِخِلَعٍ فَخَلَعَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسِهِ وَأَكْرَمَهُ وَصَيَّرَهُ نَدِيماً لِنَفْسِهِ.....»[(١)].

فكيف يمكن أن يكون الإمام عالماً بالغيب ولكنه عندما يسمع قرع باب السجن يقوم مَذْعُوراً فَزِعاً وَهُوَ يَقُولُ لَا يَدْعُونِي فِي جَوْفِ هَذَا اللَّيْلِ إِلَّا لِشَرٍّ يُرِيدُ بِي فيقوم بَاكِياً حَزِيناً مَغْمُوماً آيِساً مِنْ حَيَاتِهِ!! هل هذا هو حال من يعلم الغيب؟!

وتوجد العشرات من أمثال هذه الروايات التاريخية التي تبيِّن هذه الحقيقة.

نكتفي بما ذكرناه وننتقل إلى بيان رأي علماء الشيعة الكبار وعقيدتهم في علم الأئمة بالغيب.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٨/ ص ٢١٩ - ٢٢٠. (تر)

أقوال كبار علماء الشيعة في نفي علم الأئمَّة بالغيب

تقدم في الفصل الماضي أن خواص أصحاب الأئمَّة أمثال «**قَيْسِ بْنِ سَعْد**» وَ«**سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الخُزَاعِي**» وَ«**مُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَة**» وَ«**زُرَارَة**» ونظرائهم فضلاً عن عدم اعتقادهم بعلم الأئمَّة بالغيب، لم يكونوا يعتبرون علم الأئمَّة في أحكام الدين كاملاً في بعض المراحل!! وقد صرَّح بذلك بعض كبار علماء الشيعة وأجلّتهم أمثال «ابن الجُنَيْد»(١) وَ«الشهيد الثاني»(٢) وَ«المَجْلسيِّ»(٣) وَ«بحر العلوم الطباطبائي»(٤)، فقالوا إن خواصّ أصحاب الأئمَّة لم يكونوا يعتبرون الأئمَّة أكثر من

---

(١) هو «محمد بن أحمد بن الجنيد الكاتب الإسكافي» (ت ٣٨١هـ)، أحد أبرز فقهاء الإمامية القدماء وشيخ مشايخ النجاشي والشيخ الطوسي. قال العلامة الحلي عنه في رجاله (ص ١٤٥): «كان شيخ الإمامية، جيد التصنيف حسنه، وجهٌ في أصحابنا ثقةٌ جليلُ القدر صنَّف فأكثر وقد ذكرتُ خلافه في كتبي..قال الشيخ الطوسي رحمه الله: إنه كان يرى القول بالقياس فتُرِكَت لذلك كتبُه ولم يُعوَّل عليها» انتهى. أهم كتبه «تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة» قيل إنه في ٢٠ مجلداً واختصاره «كتاب الأحمدي في الفقه المحمدي»». (تر)

(٢) هو زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجبعي (٩١١ - ٩٦٦هـ)، من فقهاء الشيعة الأعلام في القرن العاشر الهجري، ولد في جبع (جنوب لبنان) ورحل إلى ميس، ومنها إلى كرك نوح. ثم قصد مصر، فالحجاز، فالعراق، فبلاد الروم. وأقام أشهراً في الآستانة فجعل مدرساً للمدرسة النورية ببعلبك. أشهر كتبه «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» و«مسالك الأفهام إلى شرائع الإسلام»، و«الدراية» وَشرحها «شرح الدراية» في علم الرواية، و«منية المريد في آداب المفيد والمستفيد». (تر)

(٣) هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، من أبرز المحدثين والفقهاء الشيعة الإمامية في القرن الهجري العاشر (١٠٣٧ - ١١١١هـ) ولي مشيخة الإسلام في أصفهان زمن الصفويين، وجمع كتب الحديث الشيعية في موسوعة ضخمة سماها «**بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار**» طبعت في ١١٠ مجلدات!! من كتبه المشهورة بالفارسية «جلاء العيون» وَ«حياة القلوب». (تر)

(٤) هو مرجع الطائفة الإمامية في عصره (النصف الثاني من القرن١٢ الهجري) آية الله العظمى السيد محمد مهدي مهدي بن المرتضى الطباطبائي البروجردي الأصل النجفي المعروف ببحر العلوم (١١٥٥-١٢١٢هـ).

علماء أبرار مفترضي الطاعة ولم يكونوا يعتقدون بعصمتهم من الخطأ والنسيان!

١- كان **مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ الوَلِيدِ القُمِّيّ** (٣٤٣هـ)[١] - رحمةُ الله عليه - أستاذَ الشيخ الصدوق، وكان من أكبر علماء الشيعة في عصره وكان مُوَثَّقاً وَمُبَجَّلاً وموضع ثناء وتقدير عامَّة علماء الشيعة وأصحاب كتب الرجال.

من المعروف أن «محمد بن الحسن بن الوليد» لم يكن يعتبر الأئمَّة عالمين بالغيب وليس هذا فحسب بل كان أيضاً يجيز في حقهم لا بل في حق النبيّ ﷺ نفسه -الذي هو أمين الوحي والمأمور بإبلاغ رسالة الله- السهو والنسيان! **ويعتقد أن أول درجات الغلو نفي السهو عن النبي** ﷺ، كما نقل المرحوم الصدوق عنه هذه العقيدة في كتابه «من لا يحضره الفقيه». وقد كان احتراز الشيخ «محمد بن الحسن ابن الوليد» من القول بعلم الأئمَّة بالغيب شديداً إلى درجة أنه كان يمنع ويحرِّم رواية كتاب «بصائر الدرجات» المنسوب للصفار لكونه يتضمّن بعض أخبار الغلوّ!

٢- كان المرحوم الشيخ الصدوق «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي» (٣٨١هـ) شيخ محدثي الشيعة، وكان ممن ينفي أيضاً علم الأئمَّة بالغيب. وكان هذا الموقف في الواقع موقف جميع علماء الشيعة الكبار في قم الذين كان أكثرهم معاصرين للأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- وعلى ارتباط وصلة بهم ومعاشرة لهم، فكانوا جميعاً ينفون نسبة العلم بالغيب إلى الأئمَّة كما ينفون ما ينسب إليهم -عَلَيهِمُ السَّلام- من صدور المعجزات إلى درجة أنهم كانوا يعتبرون مجرد نفي السهو والنسيان عن الأئمَّة غلواً، ويعتبرون القائل به غالياً، والغلاة في نظرهم أسوأ من المشركين، وقد كتبوا في ذلك الأمر كتباً خاصة.

أشهر كتبه: «رجال السيد بحر العلوم» المعروف «بالفوائد الرجالية» طبع في ٤ مجلدات.(تر)

(١) قال عنه النجاشي في رجاله (ص ٣٨٣): «محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد: أبو جعفر شيخ القميِّين، وفقيههم، ومتقدمهم، ووجههم. ويُقال إنه نزيل قم، وما كان أصله منها. **ثقةٌ ثقةٌ، عينٌ، مسكون إليه**. له كتب، منها كتاب تفسير القرآن، وكتاب الجامع.».

وكان المرحوم الصدوق يجيز عروض السهو والنسيان للنبي ﷺ، فضلاً عن عروضهما للإمام، وقد وعد في كتابه «من لا يحضره الفقيه» بتأليف كتاب خاص في هذا الصدد، وهناك احتمال كبير أن يكون قد ألف ذلك الكتاب فعلاً إلا أن حوادث الدهر حالت بيننا وبين الوصول إليه! إذ إن الصدوق ترك أكثر من ثلاثمئة مصنف لم يصل إلى أيدينا منها سوى أقل من النصف، وضاع البقيّة. ورغم هذا فقد بقيت أخبار عديدة في موضوع «سهو النبي» في بقية آثار الشيخ الصدوق والتي يمكن أن تُجمع في كتاب مستقل، وقد أشار هو بنفسه في كتابه «من لا يحضره الفقيه» إلى كثرة الأخبار في هذا الموضوع فقال:

«كَانَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الوَلِيدِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي الغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الأَخْبَارُ الوَارِدَةُ فِي هَذَا المَعْنَى لجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الأَخْبَارِ وَفِي رَدِّهَا إِبْطَالُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَنَا أَحْتَسِبُ الأَجْرَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابٍ مُنْفَرِدٍ فِي إِثْبَاتِ سَهْوِ النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى»(١).

فالعجيب أن نرى أن بعض علماء الشيعة مثل الشيخ المفيد والشيخ البهائي اللذَيْنِ يريا أن الشيخ الصدوق لم يتيسَّر له تأليف ما وعد به حول «سهو النبي ﷺ»، يحمدان الله تعالى على ذلك! مع أنه -كما ذكرنا- من المحتمل أن يكون الصدوق قد ألَّف فعلاً ذلك الكتاب لكنه ضاع كما ضاع كثيرٌ من كتبه الأخرى، هذا من جهة، ومن الجهة الثانية: لقد أثبت الصدوق هذا الأمر -أي سهو النبي ﷺ- بكل وضوح في كتبه التي بقيت ووصلت إلينا، بما يكفي لمعرفة عقيدته بهذا الشأن، وأياً كان الأمر فإن ضياع بعض آثار الصدوق أمر يبعث على الأسف لا على السرور!

وقد ألّف المرحوم الشيخ «المفيد» بعض الرسائل في الرد على الشيخ الصدوق وإحدى رسائله كانت رداً على عقيدة الشيخ الصدوق هذه بالذات [أي تجويزه سهو النبي ﷺ ونسيانه] حيث هاجم المفيدُ الصدوقَ لذهابه إلى هذا المذهب وأدان قولَه بشدَّة وردّ عليه. ولكن جاء في زماننا العلامة المحقق الحاج الشيخ «**محمد تقي الشوشتري**» [أو **التُّسْتَري**] -أدام الله بقاءه- فألَّف

---

(١) الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ج١/ ص ٣٦٠. (تر)

رسالةً باسم «**سهو النبيّ**» أُلحقت بالمجلد الحادي عشر من كتابه «**قاموس الرجال**» الذي طُبع وانتشر. وقد أثبت العلامة «الشوشتري» في رسالته هذا الموضوع على أكمل وجه ويمكن لمن أراد أن يراجع رسالته تلك(١).

إن اعتقاد علماء الشيعة الكبار بجواز سهو الأئمَّة ونسيانهم فضلاً عن عدم علمهم بالغيب كان اعتقاداً مشهوراً إلى درجة أن العلامة المجلسي نقل في المجلد الخامس عشر من «بحار الأنوار»، وكذلك الشيخ المفيد في كتابه «تصحيح الاعتقاد» (طبع تبريز، ص٦٥) ما يفيد انتشار ذلك بين علماء قم فقالا:

«**و قد وجدنا جماعة وردوا إلينا من «قم» يُقصِّرون تقصيراً ظاهراً في الدين وينزلون الأئمَّة –عَليهِمُ السَّلام– عن مراتبهم وَيزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية حتى ينكت في قلوبهم ورأينا من يقول إنهم كانوا يلتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون.**»(٢).

وقد ختم المجلسي –عليه الرحمة– تحقيقه وشرحه لموضوع «سهو النبي» بالعبارة التالية فقال: «**ويظهر منه عدم انعقاد الإجماع من الشيعة على نفي مطلق السهو من الأنبياء**».

نعم، وكيف يمكن للشيعة أن يعتقدوا بمثل تلك العقيدة [أي نفي مطلق السهو عن الأنبياء والأئمة] مع مخالفتها لصريح آيات القرآن؟ فقد قال الله تعالى عن حضرة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه/ ١١٥]، وقال بشأن موسى ويوشع بن نون اللذين كانا نبيين: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[الكهف/ ٦١]، وفي السورة ذاتها نقل عن «يوشع بن نون» قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف/ ٦٣]، وكذلك قصَّ علينا في السورة ذاتها قول حضرة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف/ ٧٣]، مع أنه كان قد تعهَّد بأن لا يسأل معلّمه شيئاً ولا يخالفه حين قال: ﴿ قَالَ

---

(١) راجعوا ملحق «تأمُّل في رسالة سهو النبي ﷺ» في آخر هذا الكتاب.

(٢) الشيخ المفيد، «تصحيح الاعتقاد»، ص ١٣٥ - ١٣٦. (تر)

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴾ [الكهف/ ٦٩].

كما نسب القرآن الكريم النسيان إلى النبي الأكرم ﷺ (طبعاً في غير موضوع الوحي التبليغي الذي وعد الله بأن يقرئه إياه فلا ينساه) فقال عز من قائل: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف/ ٢٤]. ونبَّه نبيَّهُ الكريم فقال: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى/ ٦]. مما يفيد احتمال نسيانه لما هو من غير الوحي. إذن السهو والنسيان جائزان على الأنبياء بحكم العقل والقرآن، فإذا جازا على الأنبياء كان جوازهما على الأئمة من باب أولى! والوحيد الأوحد الذي لا يعرض له سهو ولا نسيان أبداً هو ذات الله المتعال كما قال سبحانه: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾ [طه/ ٥٢].

وقد روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا»: «**عَنِ الهَرَوِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلرِّضَا** عليه السلام **يَا ابْنَ رَسُولِ الله! إِنَّ فِي الكُوفَةِ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ فَقَالَ كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللهُ إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُو هُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**»[1].

حقاً إنه لـمِمَّا يثير العجب أن نرى آيات القرآن الكريم تنفي علم الغيب بكل صراحة عن جميع البشر بما في ذلك الأنبياء، وتبيِّن لنا نفي الأنبياء لهذا العلم عن أنفسهم بصراحة واضحة، كما قال نوح عليه السلام : ﴿ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الشعراء/ ١١٢]، وكما قال شعيب - عليه السلام - لقومه: ﴿ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤]، وكما قال الله لخاتم أنبيائه: ﴿ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ [التوبة/ ١٠١]. وعشرات الآيات المشابهة الأخرى التي مرّ بيانها من قبل، يُضاف إليها الآيات التي ذكرناها آنفاً والتي تثبت السهو والنسيان للأنبياء؛ ورغم كل ذلك نرى عشّاق الغلوّ والنفاق يصرُّون على أن الأنبياء والأئمّة يعلمون الغيب ومنزّهون عن كل سهوٍ ونسيانٍ مطلقاً! وأن علم غيبهم هو ذات العلم الذي وصف الله به نفسه بقوله: ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ !! ﴾ [سبأ/ ٣]. **قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ!!**

---

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ١٧/ ص١٠٥. (تر)

لقد كانت عقيدة الشيعة في زمن الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- عقيدة توحيدية خالصة. ولكن لما بدأت تنتشر بين المسلمين - منذ زمن الخلفاء العباسيين - خرافات اليونانيين وأساطير آلهتهم وأوهام اليهود والمجوس والعقائد المغالية المشوبة بالشرك، والتي وجدت في بداية الأمر - بالطبع - ردَّ فعل شديد تجاهها بسبب معارضة الإسلام الشديدة للشرك والخرافات وكل ما يخالف التوحيد، وتمكَّنت تلك العقائد المغالية من مواصلة انتشارها شيئاً فشيئاً بيت عامة المسلمين حتى وصل الأمر إلى ادّعاء بعض الأفراد وكثيراً من أقطاب الصوفية ومرشديهم مثل «بايزيد البسطامي» و«منصور الحلاج» و«الشلمغاني» وأمثالهم لتلك الصفات المغالية، إلى درجة أن طائفة تدعى «الراوندية» ادّعت في حق «أبي جعفر المنصور الدوانيقي»، الإلهية، رغم أنه كان من أظلم الناس وألأمهم في عصره! وفي مثل ذلك الجو الموبوء بدأت تنتشر تدريجياً بعض العقائد المغالية بين بعض الشيعة وظهر من يدَّعي مثل تلك الادعاءات الجزاف في حق الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام-! رغم أن أولئك الأئمَّة الأجلاء والكرام كانوا يكافحون بكل شدة مثل تلك العقائد المغالية المثيرة للفتنة ويظهرون براءتهم منها ويلعنون قائليها -كما بيّنّا فيما سبق[(١)] - لكن روح الوثنية التي لها في هوى ونفوذ قوي في نفوس العامَّة -كما يقول علماء النفس- إلى حد أنه رغم جميع مجاهدات ومحاربة الأنبياء الكرام لهذا الفكر الوثني الخبيث، لا زلنا نرى آثارها المميتة لدى معظم الملل، هذه الروح لم تسمح ببقاء التوحيد الإسلامي على نقائه بل أخذت تشوبه بالخرافات التي كانت تنتشر بين المسلمين يوماً بعد يوم إلى حد أنها أثَّرت في الأزمنة المتأخرة على بعض علماء الشيعة حتى أخذوا يعتبرون علماء قم الكبار من الشيعة القدماء [المحاربين للغلوّ والغلاة] مقصِّـرين في حق الأئمَّة!! ويخطِّئون عقيدة قدماء الشيعة ويعتبرون أنفسهم مكمِّلين لتلك العقيدة وأنهم أزالوا ما كان فيها من نقص!!

ونجد هذا الأمر منعكساً في عدّة مواضع لدى المرحوم «المامقاني» ذيل ترجمته لعدد من رجال الحديث في كتابه «تنقيح المقال»، ومن جملة ذلك قوله في كتابه «مقباس الهداية» [الملحق

---

(١) راجعوا كتابنا الحالي، ص ١٣١ فما بعد.

بكتاب تنقيح المقال] (ص٨٨) ما نصه:

«ولقد أجاد المولى الوحيد البهبهاني حيث قال: «اعلم أن كثيراً من القدماء سيَّما القمِّيِّين منهم وابن الغضائري كانوا يعتقدون للأئمَّة عليهم السلام منزلةً خاصَّةً من الرفعة والجلالة ومرتبةً معينةً من العصمة والكمال بحسب اجتهادهم ورأيهم، وما كانوا يجوِّزُون التعدِّي عنها، وكانوا يعدُّون التعدِّي ارتفاعاً وغلوّاً حسب معتقدهم، حتى أنهم جعلوا مثل نفى السهو عنهم غلوّاً، بل ربما جعلوا مطلق التفويض إليهم أو التفويض الذي اختُلِفَ فيه كما سنذكر أو المبالغة في معجزاتهم ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم أو الإغراق في شأنهم وإجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص وإظهار كثرة القدرة لهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض ارتفاعاً أو مُوْرِثاً للتهمة به سيَّما بجهة أن الغلاة كانوا مختفين في الشيعة مخلوطين بهم مُدَلِّسِين»[1].

وقال العلامة المامقاني في «تنقيح المقال» (ج٣/ ص ٢٣٠) ضمن ترجمه «المعلَّى بن خُنَيْس»: **«إن ما يُعدّ اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمَّة عليهم السلام كان القول به معدوداً في العهد السابق من الغُلوِّ والارتفاع، ويُطعن بالقول به أوثق الرجال ويُرمون بالغلوّ».**

وقال ذيل ترجمته لـ«محمد بن الفرات» (ص١٧٠) ما حاصله أن «الكشي» روى في ترجمته لـ«محمد بن الفرات» حديثين أظن أن قصده من روايتهما الاستدلال على غلوه، هذا **مع أنه ليس في الحديثين ما يدل على الغلو لأن مضمونهما يُعدُّ اليومَ من ضروريات المذهب!!**

وقال ذيل ترجمته لـ «محمد بن سنان» (ج٣/ ص١٢٥): «وقد بينّا مراراً عديدة أنه لا وثوق لنا برميهم رجلاً بالغلوّ، **لأن ما هو الآن من الضروري عند الشيعة في مراتب الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- كان يومئذ غلواً، حتى أن مثل الصدوق (ره) عد نفي السهو عنهم عليهم السلام غلواً مع أن نفي السهو عنهم اليوم من ضروريات مذهبنا».**

مثل هذا الكلام نشاهده في أماكن متعددة من كتابه «تنقيح المقال» حيث يعتبر مثل هذه العقائد الغالية من ضروريات المذهب في حين يعتبر أن القميين كانوا مقصرين في معرفة الأئمَّة**!!**

---

(١) الأستاذ علي أكبر غفاري، تلخيص مقباس الهداية للعلامة المامقاني، ص ١٥٢. (تر)

هذا في حين أنه ورد عن الأئمة -عَليهِمُ السَّلام- الكثير من المدح والثناء على شيعة قم إلى حد أن المجلسي أورد في المجلد ١٤ من بحار الأنوار (من ص٢٢٧ إلى ٢٤١) أكثر من أربعين حديثاً عن أئمة أهل البيت في مدحهم، من ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «**سَلَامُ الله عَلَى أَهْلِ قُمَّ يَسْقِي اللهُ بِلَادَهُمُ الغَيْثَ وَيُنْزِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ البَرَكَاتِ وَيُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ هُمُ الفُقَهَاءُ العُلَمَاءُ الفُهَمَاءُ هُمْ أَهْلُ الدِّرَايَةِ وَالرِّوَايَةِ وَحُسْنِ العِبَادَةِ**»[١].

فهل هؤلاء كانوا مقصِّرين في الأئمة! أما غلاة الكوفة وبغداد الذين تلوثت عقائدهم بآلاف الأوهام والخرافات كانوا شيعة كاملين في تشيعهم!!؟

وإذا وُجد في بعض الأخبار أحياناً ذمٌّ للقميين فإنه كان ذمّاً لغلاتهم مثل «علي بن حسكه» و«القاسم بن يقطين» كما جاء في رجال الكشي (ص٤٣٨): «وذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه: إن من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي». وطبقاً لما رواه سعدٌ، كتب الإمام العسكري - عليه السلام - بشأنه: «أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي». وسبب البراءة واضح وهو أنهم كانوا من الغلاة!

إذن فتخطئة شيعة قم ونسبة التقصير إليهم أمر بعيد عن الواقع والإنصاف والقول بأن مذهب الشيعة كان في زمنهم ناقصاً وأصبح اليوم كاملاً قول خاطئ تماماً. وليت شعري كيف يكون الذين عاصروا الأئمة وعاشروهم مقصِّرين في معرفتهم لأنهم كانوا يرفضون ما ينسب إليهم من معجزات خارجة عن المنطق وادعاءات بعيدة عن العقل والشرع، أما الذين جاؤوا بعد مئات السنين ولم يروا الأئمَّة ولا كانوا معاصرين لهم وتأثروا بآلاف الخرافات والأوهام التي شاعت مع الزمن، ولا يعلم إلا الله أي سياسات كانت وراء نشرها، يكونون عارفين بالأئمَّة وكاملين في تشيُّعهم لأنهم يقولون بمثل هذه العقائد الباطلة في حقهم؟! اللهم إلا أن يقول قائل -والعياذ بالله- أن نبياً آخر جاء وأكمل مذهب شيعة زمن الأئمَّة الذي كان ناقصاً، أي أوصله إلى الغلوّ الذي نجده اليوم!! نعوذ بالله من هذه الضلالة ونسأله الهداية لنا ولجميع المؤمنين.

---

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٥٧/ ص ٢١٧. (تر)

٣- العالم الآخر من علماء الشيعة الكبار الذي لم يكن قائلاً بعلم الأئمَّة بالغيب، فضلاً عن علم أي أحد سواهم، المرحوم «محمد بن أحمد **بن الجُنَيْد**»، الذي أشرنا سابقاً إليه، وكان يعيش زمن سلاطين بني بويه خاصة معزّ الدولة الديلمي. وقد كان معز الدولة فضلاً عن أنه كان صاحب منصب الرئاسة كان أيضاً عالماً وشديد التشيع بحيث أنه في زمن خلافة الطائع لِلَّهِ العباسي كان يحض أهالي بغداد يوم عاشوراء على الخروج في مواكب النواح وعزاء سيد الشهداء - عليه السلام - ويحثُّ الناس في عيد الغدير على الاحتفال وتبادل التهاني وكان يخرج بالناس إلى المصلَّى خارج المدينة لأجل إقامة صلاة عيد الفطر.

وكان الشيخ ابن الجنيد مُعزَّزاً ومُكرَّماً جدّاً لديه. ورغم ذلك كان الشيخ ابن الجنيد يرى أن الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- يفتون باجتهادهم واستعمالهم للرأي كما ذكر ذلك في كتبه، بل أَلَّف كتباً خاصَّةً للردّ على مخالفيه ممن لا يعتبرون مثل هذا الكلام في حقِّ الأئمَّة صحيحاً فانتقد قولهم ودافع عن قوله، ومن جملة ذلك كتابٌ أَلَّفه لهذا الغرض وعَنْوَنَهُ بـ «إظهار ما ستره أهل العناد من الرواية عن أئمة العترة في أمر الاجتهاد». وكتاب آخر كذلك سماه «كشف التمويه والإلباس على أغمار الشيعة في أمر القياس» حيث أثبت فيه صحة استخدام الأئمة للقياس في استنباط الأحكام حسب عقيدة الشيعة.

وقد أشكلت هذه العقيدة على بعض علماء الشيعة المتأخّرين، بيد أن العلامة الطباطبائي (= بحر العلوم) برَّرها وقال: «**وأما إسناد القول بالرأي إلى الأئمَّة فلا يمتنع أن يكون كذلك في العصر المتقدّم**».وكما ذكرنا سابقاً كان الشيعة القدماء وأصحاب الأئمة لا يعتبرون الأئمَّة - عَليهِمُ السَّلام- سوى علماء أبرار!!

٤- من علماء الشيعة الكبار الآخرين الذين كانوا لا يعتقدون بعلم الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- بالغيب الشيخ الجليل المرحوم «محمد بن محمد بن النعمان الحارثي»[1] المعروف بالشيخ المفيد،

(١) هو الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَان العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ)، المشهور بالشيخ المفيد ويعرف بابن المعلِّم، شيخ متكلِّمي وفقهاء الشيعة الإمامية في عصره بلا منازع. كان ذا نفوذ كبير بين الشيعة في

وفيما يلي نذكر عقيدته في هذه المسألة من كتبه المختلفة:

ألف) أورد العلامة المجلسيّ في كتابه منقطع النظير «مرآة العقول» ما يلي:

«سُئِلَ الشيخُ المفيد قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ في المسائل العكبرية: الإمامُ عندنا مجمعٌ على أنه يعلم ما يكون، فما بالُ أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بالُ الحسين بن علي عليهما السلام سار إلى الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنه مقتول في سفرته تلك؟ وَلِمَ لَمَّا حُصِرُوا وعرف أن الماء قد مُنِعَ منه وأنه إن حفر أذرعاً قريبةً نبع الماء لم يحفر وأعان على نفسه حتى تلف عطشاً؟ والحسنُ وادَعَ معاوية وَهَادَنَهُ وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه؟؟

فأجاب الشيخ رحمه الله عنها بقوله: «وأما الجواب عن قوله: (إن الإمام يعلم ما يكون) **فإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال، وما أجمعت الشيعة على هذا القول**، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحُكْمَ في كلِّ ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز، وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها، ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث، ويكون[1] بإعلام الله تعالى [له] ذلك، **فأمّا القول بأنه يعلم كلَّ ما يكون فلسنا نُطلقه ولا نصوِّب قائله، لدعواه فيه من غير حجَّة ولا بيان**. والقول: بأن أمير المؤمنين ? كان يعلم قاتِلَه والوقت الذي كان يُقْتَلُ فيه فقد جاء الخبر متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول، وجاء أيضاً بأنه يعلم قاتله على التفصيل، فأمّا علمه بوقت قَتْلِهِ فلم يأتِ عليه أثرٌ على التحصيل، ولو

بغداد، وكان أستاذاً للسيد المرتضى وللشيخ الطوسي وللنجاشي، وكان عضد الدولة البويهي يزوره ويجلُّه. ترك ما يربو على مئتي مؤلَّف في مختلف المواضيع، من أشهرها «تصحيح الاعتقاد»، و«أوائل المقالات»، في العقائد، و«المقنعة» في الفقه، و«الأمالي» أو «المجالس» و«الاختصاص» في الحديث والأخبار، وَ«الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد» في سيرة النبي والأئمَّة. كان يوم وفاته يوماً مهيباً إذ خرج في تشييع جثمانه أكثر من ثمانين ألفاً من شيعة بغداد وأهاليها. (تر)

(١) أي: ويكون علمه.

جاء به أثرٌ لم يلزم فيه ما يظنُّه المعترضون، إذْ كان لا يمتنع أن يتعبَّدَه اللهُ تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات مالا يبلغه إلا به، ولعلمه بأنه يطيعه في ذلك طاعةً لو كلَّفها سواه لم يردَّها، ولا يكون بذلك أمير المؤمنين ? ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا مُعيناً على نفسه معونةً تُسْتَقْبَحُ في العقول. **وأما علم الحسين ? بأن أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك، إذْ لا حُجَّةَ عليه من عَقْل ولا سَمْع...»**(١).

ب) وقال المرحوم «المفيد» في كتابه «الإرشاد»: «**فَأَقْبَلَ الحُسَيْنُ - عليه السلام - لَا يُشْعِرُ بِشَيْءٍ حَتَّى لَقِيَ الأَعْرَابَ فَسَأَلَهُمْ؟؟ فَقَالُوا: لَا وَاللهِ مَا نَدْرِي غَيْرَ أَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَلِجَ وَلَا نَخْرُجَ فَسَارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ** - عليه السلام -...»(٢).

ج) وجاء في «بحار الأنوار» (ج٧/ ص ٣١٨) نقلاً عن كتاب «المسائل العكبرية» للشيخ المفيد قوله فيه: «**وَقد يجوز عندي أن تغيب عنه بواطن الأمور فيحكم فيها بالظواهر وَإن كانت على خلاف الحقيقة عند الله تعالى**»

د) ويقول الشيخ المفيد في كتابه «أوائل المقالات» (ص ٣٨):

«**فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بيِّنُ الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لِـلَّهِ - عزَّ وجلَّ -، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلا من شذَّ عنهم من المفوِّضَة ومن انتمى إليهم من الغلاة.**».

إذا كان الأمر كذلك فقد تبيَّن معنا أن من يقول بعلم الأئمَّة بالغيب هل يُعَدُّ من الشيعة الحقيقيين أم من الغلاة والمشركين؟؟

هـ) وفي كتاب «**العيون والمحاسن**» للشيخ المفيد حكاية مناقشة قام بها الشيخ المفيد مع شيخٍ مِنْ حُذَّاق المعتزلة وَأهل التديُّن بمذهبهم سأله فيها الأخير عن سبب الغيبة (غيبة الإمام الثاني

---

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، الطبعة الجديدة، ج ٤٢/ ص ٢٥٧ - ٢٥٨. (تر)

(٢) الشيخ المفيد، «**الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**»، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣هـ، ج٢/ ص ٧٢. (تر)

عشر) وتفسيرها، فأجابه الشيخ المفيد أن سببها هو أن «الإمام في تقيَّة من أعدائه لا محالة وَهو أيضاً في تقيَّة من كثير من الجاهلين به...»، فسأله الشيخ المعتزلي: «أخبرني الآن إذا لم يكن الإمام في تقية منك فما باله لا يظهر لك فيعرفك نفسه بالمشاهدة وَيريك معجزة وَيبين لك كثيراً من المشكلات ويؤنسك بقربه وَيعظم قدرك بقصده، وَيشرفك بمكانه إذا كان قد أمن منك الإغراء به وَتيقن ولايتك له ظاهرة وَباطنة؟؟!».

فأجاب الشيخ المفيد: «**فقلت له: أول ما في هذا الباب أنني لا أقول لك إن الإمام** (عليه السلام) **يعلم السرائر وَإنه مما لا يخفى عليه الضمائر فتكون قد أخذت رهني بأنه يعلم منِّي ما أعرفه من نفسي وَإذا لم يكن ذلك مذهبي وَكنت أقول إنه يعلم الظواهر كما يعلم البشر وَإن علم باطنا فبإعلام الله عز وَجل له خاصة على لسان نبيه** (عليه السلام) **بما أودعه آباؤه** (عليهم السلام) **من النصوص على ذلك** أو بالمنام الذي يصدق وَلا يخلف أبداً أو لسبب أذكره غير هذا، فقد سقط سؤالك من أصله، **لأن الإمام إذا فَقَدَ علم ذلك من جهة الله عز وَجل أجاز عليَّ ما يجيزه على غيري ممن ذكرت فأوجبت الحكمة تَقِيَّتَهُ مني** وَإنما تَقِيَّتُهُ منِّي على الشرط الذي ذكرت آنفاً، ولم أقطع على حصوله لا محالة وَلم **أقل إن الله عزَّ وَجلَّ قد أَطْلَعَ الإمامَ عَلَى باطني وَعرَّفه حقيقة حالي قطعاً**»[1].

تلك الاقتباسات الخمسة من كلام وكتب المرحوم الشيخ «المفيد» حول نفي علم الأئمَّة بالغيب، صرَّح بها في كتبه واطَّلع عليها الصديق والعدو وسُجِّلت في الكتب التي وصلت إلينا عنه. فالاقتباس الأول يبيِّن أن «المفيد» كان يوضِّح للشيعة أن الإمام لا يعلم الغيب ويُظْهِر أنه قال ذلك خلال مجادلته لأهل السنة. ولا يخفى أن المرحوم «الشيخ المفيد» كان من أصلب وأشد الشيعة اعتقاداً بطهارة الأئمَّة وعصمتهم وعلمهم كما تشهد بذلك آثاره الموجودة اليوم، وهو ذاته الذي كتب رداً شديداً وعنيفاً حتى أنه خرج فيه عن رعاية الأدب والاحترام على شيخه وأستاذه المرحوم الصدوق -عليه الرحمة- في موضوع «سهو النبي»، حتى أن «المفيد» اتهم أستاذه «الصدوق» وشيخ أستاذه أي الشيخ «محمد بن الحسن بن الوليد» [اللذان يثبتان وقوع السهو من

---

(١) الشيخ المفيد، «**الفصول المختارة من العيون والمحاسن**»، ص ١١٣ - ١١٤. (تر)

النبي] بأنهما حشويَّان. ومع هذا كانت عقيدة الشيخ المفيد ما بيَّنَّاه من نفي علم الأئمَّة بالغيب.

إذا كان الأمر كذلك فلماذا يقول المساكين الضالون الذين يدَّعون هذه الأوهام والخرافات المغالية اليوم؟! هل يريدون بأباطيلهم وزخرف قولهم أن ينشؤوا عقيدة جديدة لشيعة آخر الزمان ويكمِّلوا مذهبهم القديم الذي يعتبرونه ناقصاً؟!!

٥- كان المرحوم السيد المرتضى علم الهدى - رحمة الله عليه- الذي كان من أعلام الشيعة الكبار، من منكري علم الأئمَّة بالغيب أيضاً[١]، وقد قال في كتابه المعروف «تنزيه الأنبياء» (ص ١٧٦ من طبعة سنة ١٣٥٢هـ) في إجابته عن إشكالية مسير الإمام الحسين - عليه السلام - إلى كربلاء رغم معرفته بخيانة أهل الكوفة وغدرهم بأخيه، وأنه كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل الجموع العظيمة حتى أدى ذلك إلى استشهاده؟ فقال السيد المرتضى مجيباً عن هذا الإشكال:

«قلنا: قد علمنا أن الإمام **متى غلب في ظنِّه** يصل إلى حقه والقيام بها فُوِّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقَّة يتحمل مثلها تحملها، وسيدنا أبو عبد الله عليه السلام لم يسر طالباً للكوفة إلا بعد توثّقٍ من القوم وعهودٍ وعقودٍ، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين. وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها،... وأعادوا المكاتبة بذلوا الطاعة وكرَّروا الطلب والرغبة. ورأى - عليه السلام - من قوّتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد، وتشحّنهم عليه وضعفه عنهم، **ما قوَّى في ظنه أن المسير هو الواجب**، تعيَّن عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبب، **ولم يكن في حسابه أن القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحق عن نصرته ويتفق بها اتفق من الأمور الغريبة**.....

وأما مخالفة ظنّه عليه السلام لظنّ جميع من أشار عليه من النصحاء كابن عباس وغيره، فالظنون إنما تغلب بحسب الإمارات. وقد تَقْوَى عند واحد وَتَضْعُفُ عند آخر، لعلَّ ابن عباس لم يقف على ما كوتب به من الكوفة، وما تردَّد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود والمواثيق. وهذه أمور تختلف أحوال الناس فيها ولا يمكن الإشارة إلا إلى جملتها دون تفصيلها.».

---

(١) راجع الصفحة ١٤٧ من هذا الكتاب وما نقلناه عنه أيضاً مما قاله في كتابه «الشافي في الإمامة».

فكما نلاحظ، فضلاً عن عدم اعتقاد السيد المرتضى بعلم الإمام بالغيب، **كان يرى أن أعمال الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- تستند إلى الظن والاجتهاد**. وسبق أن نقلنا عنه أنه حتى على تفسير علم الغيب بإطلاع الله تعالى الإمام على كل شيء، كان السيد المرتضى لا يرى ذلك ولا يرى أنه من اللازم للإمام أن يعلم كل شيء مما لا علاقة له بالحكم(١).

٦- الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٢) - رحمة الله عليه - كان أيضاً عالماً جليلاً آخر من علماء الشيعة الكبار وفقهائهم الأعلام الذين لم يكونوا يعتقدون بعلم الإمام بالغيب، وقد أوردنا سابقاً تصريحه بنفي علم النبيّ ﷺ بالغيب(٣) الذي بيَّنه في أكثر من موضع من تفسيره «التِّبْيان»، وأما عقيدة الشيخ الطوسي بشأن علم الإمام بالغيب فهي مطابقة لعقيدة شيخه وأستاذه السيد المرتضى، لأنه أورد عين عبارات شيخه في كتابه «**تلخيص الشافي**» (ص ٤٠٠) فقال: «**عَلَى أنَّ الحسين - عليه السلام - أظهر الخلاف [ليزيد] لما وجد بعض الأعوان عليه وطمع في معاونة من خذله، وقعد عنه، ثم إنَّ حاله آلت - مع اجتهاده عليه السلام واجتهاد من اجتهد معه في**

---

(١) راجع الصفحة ١٤٧ من هذا الكتاب. (تر)

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)، المعروف بشيخ الطائفة. قال عنه العلامة الحلي في الخلاصة (ص١٤٨): «شيخ الإمامية، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنَّف في كل فنون الإسلام، وهو المهذِّب للعقائد في الأصول والفروع..الخ» انتهى. وهو صاحب كتابين من كتب الحديث الرئيسية الأربعة لدى الإمامية، هما «تهذيب الأحكام» وَ«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار»، وكتابين من الكتب الرجالية الخمسة الرئيسية لدى الإمامية هما «الرجال» و«الفهرست»، وله في العقائد «تلخيص الشافي في الإمامة»، وفي الفقه: «النهاية» و«المبسوط» وفي الفقه المقارن «الخلاف» وفي تفسير القرآن «التبيان».وفي أصول الفقه: «تمهيد الأصول» و«عدة الأصول». (تر)

(٣) راجع بداية فصل (موقف القرآن والأئمة من دعوى علم الأئمَّة بالغيب) من هذا الكتاب، الصفحات من ١١٥ إلى ١١٧.

نصرته- إلى ما آلت إليه»[(١)].

ويقول الشيخ الطوسي أيضاً في كتابه المذكور: «**ولم نوجب أن يكون [الإمام] عالماً بما لا تعلُّق له بالأحكام الشرعية»**[(٢)].

٧- من علماء الشيعة الإمامية المشاهير الآخرين الذين لم يكونوا يقولون بعلم النبي ﷺ والأئمَّة بالغيب المرحوم الشيخ الطبرسي[(٣)] صاحب تفسير «**مجمع البيان**»، حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [هود/ ١٢٣] ما نصُّهُ:

«و وجدتُ بعض المشايخ ممن يتَّسم بالعدوان وَالتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره، فقال: هذا يدلُّ على أنَّ الله سبحانه يختصُّ بعلم الغيب خلافاً لما تقول الرافضة أن الأئمَّة يعلمون الغيب! ولا شك أنه عنى بذلك من يقول بإمامة الاثني عشر وَيدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ فإن هذا دأبه وَديدنه فيهم يشنِّع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وَينسب الفضائح وَالقبائح إليهم، وَ**لا نعلم أحداً منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وَهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها أحد من المخلوقين وَمن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملّة الإسلام**. فأمّا ما نقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وَرواه عنه الخاص وَالعام من الإخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها..... فإن جميع ذلك مُتَلَقّى عن النبيِّ ﷺ مما أطلعه الله عليه فلا معنى لنسبة من روي عنهم هذه الأخبار المشهورة إلى أنه

(١) الشيخ الطوسي، «تلخيص الشافي»، الطبعة الحديثة في قم، ج٣/ ص٨٦. (تر)

(٢) الشيخ الطوسي، «تلخيص الشافي»، الطبعة الحديثة في قم، ج١/ ص٢٥٢. (تر)

(٣) هو الشيخ أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ)، مفسِّر ومحقِّق ولغوي بارع ومن علماء الشيعة الإمامية البارزين في القرن السادس الهجري، اشتُهر بتفسيره القيِّم «مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان» الذي طبع مراراً، واختصاره المسمى «جوامع الجامع». وله في السِّيَر كتاب «إعلام الورى بأعلام الهدى». توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي. (تر)

يعتقد كونهم عالمين للغيب»(١).

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٦٨] ما نصُّهُ:

«قال الجبّائي وَفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء وَالأئمة وَأن النسيان لا يجوز على الأنبياء!

و هذا القول غير صحيح ولا مستقيم، لأن الإمامية إنما تُجوِّز التقيَّة على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلَّف مزاح العلَّة في تكليفه ذلك، فأمَّا ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام وَلا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقيَّة فيه. وَهذا كما إذا تقدم من النبيِّ بيانٌ في شيء من الأشياء الشرعية فإنه يجوز منه أن لا يبيِّن في حال أخرى لأمته ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة. ألا ترى إلى ما روي أن عمر بن الخطاب سأله عن الكلالة فقال يكفيك آية السيف.

و أما النسيان وَالسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدُّونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوَّزُوا عليهم أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤدِّ ذلك إلى إخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وَقد جوَّزُوا عليهم [أي عَلَى النبيِّ والأئمَّةِ] النوم وَالإغماء وهما من قبيل السهو؟! فهذا ظنٌّ منه فاسدٌ، وإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.».

هذا التصريح من الشيخ الطبرسي - رحمه الله - بجواز السهو والنسيان على النبيِّ والأئمة، كان ثقيلاً عسير الهضم على علماء الشيعة زمان الصفوية حتى أن المجلسيَّ علَّق عليه - بعد أن أورده في المجلد الثامن من «بحار الأنوار» في «باب سهوه ونومه عن الصلاة» - قائلاً:

«وَفيه من الغرابة ما لا يخفى فإنَّا لم نرَ من أصحابنا من جوَّزَ عليهم السَّهْوَ مطلقاً في غير التبليغ. وَإنَّما جوَّز الصدوق وَشيخه الإسهاء من الله لنوع من المصلحة. وَلم أرَ مَنْ صرَّح بتجويز

(١) الطبرسي، تفسير «مجمع البيان»، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج ٥/ ص ٣٥٢- ٣٥٣. (تر)

السهو الناشئ من الشيطان عليهم مع أن ظاهر كلامه يوهم عدم القول بنفي السهو مطلقاً بين الإمامية إلا أن يُقال مراده عدم اتفاقهم على ذلك، وَأما النوم فستعرف ما فيه فالأصوب حمل الآية على أن الخطاب للنبي ﷺ ظاهراً وَالمراد غيره!!»[١].

٨- من علماء الشيعة الأعلام الآخرين الذين لم يكونوا يعتقدون بعلم الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- بالغيب وليس هذا فحسب بل كانوا يعُدُّون القول بذلك بمنزلة الكفر: حضرة الصدر الإمام وركن الإسلام سلطان العلماء نصير الدين عبد الجليل ابن أبي الحسن محمد بن أبي الفضل القزويني والرازي[٢]. فقد قال في كتابه القيِّم «بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض» (ص ٣٠٤ فما بعد) ما نصُّهُ: «إن ما ذكره [أي مؤلف كتاب بعض فضائح الروافض]، وما أورده «محمد بن النعمان الأحوال» في كتاب له من أن الأئمَّة يعلمون جميعاً الغيب، وأنهم مطلعون على الغيب وهم في قبورهم إلى حد أنه لو قدم أحد إل زيارتهم يعلمون أنه منافق أو موافق وعدد الخطوات التي قطعها ويعلمون أسماء كل شخص[غير صحيح]. بل إن ما ذكره من كلام لا معنى له وبعيد عن العقل ومخالف للشرع والنقل لأن القرآن الكريم وإجماع المسلمين على أن الغيب مختص بالله تعالى وحده، ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه/ ٧]، ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل/ ٦٥]، ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن/ ٢٦]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام/ ٥٩]، والنبي المصطفى ﷺ على جلال قدره وعلوِّ منزلته ودرجة نبوَّته، لم يكن يعلم وهو حيٌّ في مسجد المدينة بما يجري في أسواقها وأحوالها الأخرى طالما لم يأته جبريل ويخبره بذلك، والأئمة ليس لهم درجة الأنبياء وقد رقدوا في أرض خراسان وبغداد والحجاز وكربلاء وتحرَّروا من قيد الحياة، فكيف يعلمون أحوال أهل العالم؟! إن هذا القول بعيدٌ عن العقل والشرع، ولم يقل به إلا جماعة من الحشوية

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ١٧/ ص ٩٨. (تر)

(٢) كان حياً سنة ٥٥٦ هـ. (تر)

ألصقوا أنفسهم بهذه الطائفة، ونحمد الله أنه لم يبق منهم إلا القليل وقد تبرأ أصوليو الشيعة وتبرؤوا من مثل هذه الدعاوي فلا مجال لأي مجبِّرٍ أو مشبِّهٍ أن يطعن بالشيعة من هذا الباب». انتهى.

ثم ذكر في الكتاب ذاته (ص٢٧٦) القصة المكذوبة حول الدائن الذي كان له دين على أبي بكر فرجع إلى «محمد بن أبي بكر» ليطالبه بالمبلغ فقال علي - عليه السلام - لمحمد بن أبي بكر شُقّ محراب أبيك وأعطه الصنم الذي تجده هناك! فعلّق الشيخ الجليل على هذه الحكاية قائلاً: «لم يكن علياً يعلم الغيب فكيف عرف أن هناك صنماً مخبأً في ذلك المكان؟!».

٩- من علماء الشيعة الأعلام الآخرين الذين لم يكونوا يعتقدون بعلم الأئمَّة بالغيب الشيخ رشيد الدين محمد بن شهرآشوب المازندراني المتوفى عام ٥٨٦هـ[١] حيث يقول في كتابه «متشابه القرآن ومختلفه» (طبع طهران، ج١/ ص٢١١) ما نصُّهُ:

«النبيّ والإمام يجب أن يعلما علوم الدين والشريعة ولا يجب أن يعلما الغيب وما كان وما يكون، لأنّ ذلك يؤدّي إلى أنّهما مشاركان للقديم تعالى في جميع معلوماته ومعلوماته لا تتناهى، وأيضاً يجب أن يكونا عالمين لأنفسهما وقد ثبت أنّهما عالمان بعلم محدَث والعلم لا يتعلّق على التفصيل إلا بمعلوم واحد، ولو علما ما لا يتناهى لوجب أن يعلما وجود ما لا يتناهى من المعلومات وذلك محال...».

أقول: يا ليت آية الله عظمى زماننا (!) [يقصد أبا الفضل النبوي] يفهم هذه الأمور!

---

(١) ابن شهرآشوب المازندراني، من علماء الشيعة الإمامية وفقهائهم ومحدثيهم البارزين في القرن السادس الهجري، (٤٨٩ هـ- ٥٥٨هـ)، طاف البلدان يتلقى العلم عن علماء الشيعة والسنة في عصره. من أشهر كتبه: «مناقب آل أبي طالب عليهم السلام» و«متشابه القرآن ومختلفه» وكتاب «أسباب النزول». ترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات»: فقال إنه حفظ القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيعة، وكان يُرْحَل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، وَوعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه.... كان واسع العلم كثير الخشوع والعبادة والتهجد...اهـ، تُوُفِّيَ في حلب شمال سورية، سنة ٥٥٨هـ ودفن بها. (تر)

١٠ - ذكرنا في هذا الفصل أسماء تسعة أشخاص من علماء الشيعة الكبار وفقهائهم الأعلام قبل زمن الصفوية الذين عاشوا على أكثر حد إلى القرن السادس الهجري ولم يكونوا يعتقدون أبداً بعلم الأئمَّة بالغيب، وبينا عقيدتهم بما يكفي، كي يتبين أن الشيعة الأطهار المتقدمين كانوا أبرياء من مثل هذه العقائد، وكان بإمكاننا أن نذكر أسماء علماء آخرين لكن لما كانت طريقتنا أن نذكر في كل فصل عشرة أدلة لذا اكتفينا بمن ذكرناهم وتركنا الشخص العاشر لأحد العلماء المعاصرين كي يُعلَم أنه حتى بعد تسلط الصفوية كانت لا تزال عقيدة علماء الشيعة الكبار المحققين هي كذلك [أي نفي علم الأئمة بالغيب]، إلا أن الخوف من العوام جعل كثيراً من الشيوخ وأنصاف العلماء يحجم عن إبراز هذه العقيدة، كما نشاهد نحن أيضاً هذه الأوضاع الصعبة وخنق الحريات في زمننا هذا رغم أننا نعيش بما يسمى عصر التنوير وحرية الأفكار! ومع ذلك لو بحثنا في آثار كبار علمائنا لم نعدم عبارات تدل على قولهم بهذه الحقيقة وإيمانهم بها وأن ما أظهروه لم يكن إلا قطرة من بحر ما يموج في صدورهم ورشحة مما يؤمنون به في قلوبهم، وسنذكر مثالاً واحداً هو غيض من فيض ألا وهو جملة لحضرة العَلَمِ العَيْلَم وَالبحر الخضمّ خاتم المجتهدين الشيخ محمد حسن النجفي[1] صاحب الكتاب الفقهي الموسوعي الكبير الذي لا نظير له: «**جواهر الكلام**»، حيث قال في كتاب «الطهارة» منه، في باب وزن «الكُرّ» وَمساحته التي وقع فيها الاختلاف، ما نصُّهُ:

«**إن دعوى علم النبيِّ والأئمَّةِ (عَليهِمُ السَّلام) بذلك ممنوعة، ولا غضاضة لان علمهم (عَليهِمُ السَّلام) ليس كعلم الخالق عزَّ وجلَّ فقد يكون قَدَرُوهُ بأذهانهم الشريفة وأجرى اللهُ الحكمَ عليه**».

---

(١) هو شيخ الفقهاء وإمام المحققين الفقيه الأصولي آية الله الشيخ «محمَّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرَّحيم» النجفي، انتهت إليه الرئاسة العامة ومرجعيَّة التقليد للشيعة الإمامية في عصره، وكان من أعاظم علمائهم المحقِّقين، اشتهر بالشيخ حسن الجواهري نسبةً إلى كتابه الفقهي الموسوعي المقارن: «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام»، الذي طبع في أكثر من ٥٠ مجلداً. توفي سنة ١٢٦٦هـ. (تر)

نعم، إن النبيّ والإمام الذي لا يعلم من الله حتى مقدار ماء الكر ومساحته كيف يعلم بأوزان بحار العالم والكائنات الموجودة فيها فضلاً عن أن يعلم بسائر كائنات عالم الوجود أو أن يكون علمه مما ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ؟!!

ما ذكرناه كان أقوال عشرة من علماء الشيعة الكبار الذين لا تفتخر بهم طائفة الإمامية فحسب بل يفتخر عالم الإسلام كلّه بوجودهم، وجميعهم كان يعتقد أن الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- لم يكونوا يعلمون الغيب بل صرّح بعض أولئك العلماء أن الأئمَّة كانوا يجتهدون أحياناً حتى في أحكام الدين ويعربون عن رأيهم الذي يستنبطونه من كتاب الله وسنة نبيه. ولو أردنا أن نذكر جميع الأسماء المباركة لعلماء الشيعة الآخرين ونبين عقيدتهم في موضوع عدم علم الأئمَّة بالغيب لطال بنا الكلام فنكتفي بما ذكرناه فهو كاف لأهل الإنصاف ومن أراد التوسع في ذلك فنحيله إلى الكتب التالية:

١- شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني، ج٣/ ص ٢٠٩.

٢- القوانين، للميرزا القمي، بحث الخاص والعام.

٣- الفصول المختارة، للشيخ المفيد، ص٨٠.

٤- الغدير، للعلامة الأميني، ج٥/ ص٤٠٧.

٥- أصل الشيعة وأصولها، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، ص٩٣.

٦- الشيعة والتشيع، محمد جواد مغنية، فصل «علوم الإمام»، ص٤٣. وقد صرح في ذلك الفصل أن جميع الأخبار أو الأقوال التي تنسب إلى الأئمَّة علم الغيب يجب ردها ورفضها.

والعجيب أنه رغم كل آيات القرآن الكريمة وأخبار وأحاديث أهل البيت -عَليهِمُ السَّلام- وسيرهم ووقائع حياتهم، وعقيدة أصحابهم تلامذتهم وعقيدة أكبر علماء الشيعة المؤسسين الأعلام التي أوردنا على كل منها عشرة أمثلة والتي تبين بكل وضوح قاطع أن شيعة أهل البيت الأطهار لم يكونوا يعتقدون بتلك العقائد السخيفة التي يقول بها غلاة آخر الزمن في عصرنا بل

كانوا يعارضونها وينفونها بشدة، ومع هذا نجد أنه بمجرد أن قام أستاذ فاضل[١] بتأليف كتاب «شهيد جاويد» [الشهيد الخالد] أو قام عالم آخر[٢] بكتابة «درسي از ولايت» [درس عن الولاية]، وبيَّنَا عدم صحّة تلك الأوصاف التي ينسبها الغلاة إلى الأئمّة [ومن جملة ذلك نسبة علم الغيب إليهم] وأخرجا الأئمَّة ولو قليلاً عن حدّ الغلوّ، ثارت ضدهما ضجة وجلبة شديدة من الخاص والعام -كما أشرنا إلى ذلك من قبل- مما لم يكن ليحصل مثله وبشدّته لو كانا قد أنكرا الله واليوم الآخر!! وكُتِبت في الردّ عليهما كتبٌ عديدةٌ وصدرت فتاوى لا سابق لها! والأعجب من ذلك أن بعض الأفراد المعروفين وذوي الفضل[٣] نشروا رسائل باسم «علم الإمام» خلطوا فيها أقاويل الفلاسفة وأهل العِرفان[٤] بتعاليم الإسلام وروَّجوا لأفكار الغلاة بثوب فلسفيٍّ عِرفانيٍّ جميل! ولا يدري أحدٌ ما هو الداعي إلى هذا العمل وما هي فائدة إصرار البعض على إثبات علم الغيب للأئمَّة؟!

---

(١) يقصد العلامة آية الله نعمة الله صالحي نجف آبادي الذي توفي عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. (تر)

(٢) يقصد آية الله العلامة السيد أبو الفضل البرقعي المتوفى سنة ١٩٩٢م. (تر)

(٣) يقصد آية الله العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب التفسير القيِّم «تفسير الميزان» [٢٠ مجلداً]، المتوفى سنة ١٤١٢هـ. (تر)

(٤) المقصود بأهل العرفان علماء التصوّف النظري، أو فلاسفة الصوفية أمثال محيي الدين بن عربي وصدر الدين محمد بن إسحق القونوي ومن المتأخرين الملا صدرا والملا هادي السبزواري وأمثالهم. (تر)

الدافع لهذا النمط من التفكير المُغَالي المعاند للدليل

في رأينا إن علَّة هذا النمط من التفكير كانت منذ أول يوم ذات الدافع إلى الغلو الموجود لدى عامة الناس والناشئ من خُلُق الكِبْر والاستكبار، بمعزل عن دوافع المغرضين الذين يعملون على تقوية العقائد المغالية بهدف تخريب الدين وإفساد قوانينه، وقد اختلط هذا الدافع اليوم بسياسات أعداء الإسلام الماكرة.

أي أن بعض الناس في الحقيقة كانوا يعتبرون أنه من العار عليهم أن يتبعوا نبياً وإماماً بشراً مثلهم له ذات الصفات البشرية التي لهم!

وَالْكِبْرِ والاستكبار من أخطر الأمراض الروحية لدى البشر، ويَجُرَّانه إلى أمراض معنوية أخرى أخطرها الإعراض عن اتباع الحق وطاعته! وهذا المرض لا يدمر الإنسان فقط بل كان هو الذي دمَّر الشيطان وأطاح به من علياء الملائكة المقربين إلى حضيض أسفل السافلين!

ومرض التكبُّر هو أن يعتبر الإنسان نفسه عظيماً وأكبر من أن يطيع شخصاً مساوياً له في المال أو الجمال أو أدنى منه في ذلك، حتى لو كان متفوِّقاً عليه في العلم والكمال المعنوي.

لو طالعنا تاريخ أنبياء الله وهداة ومرشدي البشرية العظام لرأينا أن معارضيهم وأعدائهم كانوا دائماً أولئك المترفين الذين كان ثَرَاؤُهُم وما يملكونه من مال وبنين باعثاً لخُيَلائِهِم وافتخارهم بذلك وعنجهيَّتهم حتى أنهم كانوا يتصورون أنهم بامتلاكهم لكل تلك الثروات من بيوت وبساتين وأموال، مقامهم أعلى من الأنبياء، وبالتالي كانوا يستكبرون عن إطاعتهم ويأنفون من اتباعهم ولسان حالهم يقول: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف/ ٣١].

هل حال بين الشيطان وبين إطاعته لأمر ربه في السجود لآدم سوى مرض التكبُّر والتعالي والاستكبار؟ يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ

خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٖ مِّنْ حَمَإٖ مَّسْنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٢، ٣٣]. فعلة إباء إبليس أن يسجد لآدم كانت خلقة آدم من طين! وقد أوضح القرآن الكريم أن علة هذا التمرد على الله كانت الكِبْر فقال: ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٣٤]، وقال أيضاً: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [ص/ ٧٥].

فلاحظوا كيف منع مرض الكِبْر إبليسَ من السجود وجعله في زمرة الكافرين. إنه يريد أن يكون مسجودُهُ مثلَهُ أو أعلى منه كأن يكون كائناً نورانياً يذهب شعاع بصره بالأبصار ويحير جمال محياه العقول وتسكر رائحته العطرة النفوس!! [أما أن يسجد لشخص مثله فلا].

وقد كشف أمير المؤمنين -سلام الله عليه- هذه الحقيقة حين قال: «**وَ لَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ العُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً**» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢).

هذا المرض الذي كان لدى الشيطان موجود بعينه في روح الإنسان كما أشار إلى ذلك الشاعر جلال الدين الرومي حين قال:

علَّت ابليس أنا خيرٌ بُدَسْت   وين مرض در نفس هر مخلوق هست!

أي: كان مرض إبليس أنا خير   وهذا المرض موجود في نفس كل مخلوق!

فالإنسان أيضاً لا يرضى أن يكون نبيه وزعيمه بشراً مثله فيطيعه. من هنا نجد أن علة إعراض من أعرض عن اتباع الأنبياء كانت: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر/ ٢٤]، أو كما وصف الله حال الكفار فقال: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٣٣].

أي أنه لما كان النبيُّ ﷺ يأكل من الخبز ذاته الذي يأكلون منه ويشرب الماء عينه الذي يشربون منه ولا تنزل عليه موائد من السماء من عند الله! فمن العار عليهم أن يطيعوه ويتّبعوه، ويقولون في ذلك: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٣٤]. ويقولون لنبي

الله نوح عليه السلام: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود/ ٢٧].

وكذلك عندما نال موسى وهارون مرتبة النبوة وجاءا إلى فرعون وقومه كان أول ما وُوجها به أن قيل: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ؟؟﴾ [المؤمنون/ ٤٧]. وكما قال أمير المؤمنين – عليه السلام – في خطبته القاصعة [الخطبة ١٩٢]: «**وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَ لَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ**».

فكما قلنا لقد كانت روحية الكِبر والتعالي هذه وخُلُق الاستكبار لدى الغلاة وأصحاب التفكير الصبياني هو الذي يمنعهم من التسليم لإمام لا يعلم الغيب ولا يتصرف في الكون والمكان ولا يدبر عالم الإمكان!! لأن المتكبر الغالي يقول في نفسه كيف أطيع شخصاً هو بشر مثلي؟! يأكل مما آكل ويشرب مما أشرب ويذهب إلى الأسواق كما أذهب! ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان/ ٧].

فالإمام الذي لا يقطع الثعبان وهو لا يزال في المهد ملفوفاً بالقماشة، والذي لا يحضر بآن واحد في شرق العالم وغربه، والذي لا يحضر عند كل جنين يولد أو شخص يموت، لا يستحق -حسب ذوق الغلاة- الاتِّباع.

إن روح الاستكبار هذه هي التي تمنع صاحبها من التسليم للحق واتباع إمام لا علم له بالغيب ولا يتصرّف في ملكوت الله وفي رأي مثل آية الله العظمى أبي الفضل النبوي لا بد أن يكون الإمام رئيس وزراء ملكوت الله وإلا فإن طاعته عار وتبعيته شنار!!

إن هؤلاء الضالّين المتكبّرين غافلون عن أنّ للأنبياء امتيازٌ آخر تقتضيه شروط العصمة في

التبليغ وهو «الطهارة» و«العلم» اللازمان للهداية والإرشاد، فالنبيُّ يعلم مسالك الطريق وسبل الهداية والضلال ويمكنه أن يقود طلاب الحق والحقيقة إلى جنة الأمن والسعادة. فهو حائز على علم الدين الذي يثمر العمل به سعادة الدارين ونهاية الكمال، وهو المصطفى المختار من قِبَل الله ذي الجلال. وأما ما زاد عن ذلك فليس له تأثير في دين الآخرين ولا في دنياهم.

أما إذا كان الإمام أو النبي متصرفاً في عالم الملك والملكوت وعالماً بما كان وما يكون لأدى ذلك إلى نقض الغرض من نبوته ومخالفة القصد منها، وبعبارة أخرى كان ذلك غلواً جزافاً. وشرح ذلك هو أن النبي والإمام، إضافة إلى وظيفته في تبليغ الأحكام وتعليمها، أسوة للناس وقدوة لهم وحجة الله على الخلق من ناحية العمل، أي لا بد أن يكون عاملاً بما يدعو الناس إلى العمل به ومجتنباً لما ينهى الناس عنه. أما لو كان النبي أو الإمام الذي يدعو الناس إلى الصوم مثلاً ولكنه هو في حد نفسه لا يجوع، أو يستطيع أن يفطر في أماكن متعددة وأزمنة أخرى، كأن يأكل في أربعين وليمة في وقت واحد أو يكون ضيفاً في آلاف المنازل في وقت واحد ويكون في يوم رمضان في المدينة وفي ليله في نيويورك فيفطر هناك لأن الوقت ليل ويصوم هنا لأن الوقت نهار!! أو أنه إذا وضع قدمه في ميدان الجهاد فإن الملائكة المقرّبين تخاف من سطوة حضوره وضربة سيفه، ويعلم الغيب فيعلم أنه ليس في هذه المعركة أي خطر عليه بل حتى يملك صلاحية قبض روح العدو، بل يكون مصير سكان العالمين كلهم بيده فهل مثل هذا الإمام أو النبي قابل لاتباعه؟! وهل يكون مثله حجة على العالمين؟ وهل يكون في عباداته أي فضيلة وامتياز؟! إن الإمام أو النبي الذي يمس التراب والحجر فيتحول إلى در وجواهر ويستطيع أن يحول أوراق شجر الزيتون والتين إلى أوراق فضة وصفائح ذهب هل يمكن قبول إنفاقه وصدقاته التي يدعو الناس إليها؟! وهل يمكن الاقتداء به فيما يقوم به من إنفاق لكذا وكذا من المال في سبيل الله؟؟

إن علياً - عليه السلام - الذي كان ينفق بسخاء والذي كان ممدوح الجميع ولو في تصدقه على المسكين بخبز الشعير، إنما كان كذلك لأن ما كان ينفقه كان يحصل عليه بكد يمينه وعرق جبينه، وإلا فالإنفاق من أحجار تحولت إلى ذهب وجواهر بمجرد لمسها ليس فيه أي فضيلة حتى لو

أنفق الإنسان منها جبالاً من ذهب بل العامل الذي ينفق خمس ريالات من عرق جبينه تكون فضيلته أكثر وثوابه أعظم.

إن هؤلاء الأصدقاء الحمقى -وهم أسوأ من الأعداء - الذين يخترعون تلك الفضائل للأئمَّة، لا يدرون أنهم بذلك يعادون الأنبياء والأئمة الذين هم فخار عالم البشرية ويضيعون كل فضائلهم النفسية وملكاتهم الروحية التي نالوها بسعيهم وعملهم في طاعة الله وبذل الجهد في عبادته، فيُفْقِدُون سعيهم كلَّ قيمته ويحرمون البشرية من بركات تعاليم أعظم هداة البشر؟!

العلم بالغيب غير مفيد للإنسان

الآن لننظر ما هي فائدة معرفة علم الغيب لأفراد البشر من إمام أو نبي أو غيرهما؟ لقد كتبتُ قبل سنوات طويلة (عام ١٣٣٩ هـ.ش) كتاباً بعنوان «أرمغان آسمان» (أي هدية السماء) وطبعتُهُ ونشرتُهُ، وأوضحتُ فيه على نحو كاف ومقنع أن الإمام أو النبي لا يعلم الغيب وأنه ليس في علمهما بالغيب أي فائدة للبشرية وكذلك في سائر الصفات الإلهية الباطلة [التي ينسبها الغلاة إلى الأئمَّة]، وأذكر هنا ما ذكرته هنالك حول عدم فائدة علم الغيب وسخافة مثل هذه العقيدة الباطلة، بشيء من التصرف:

أولاً ينبغي أن نعلم أنها أمنية عامية وهوس صبياني أن يشتهي الإنسان الاطلاع على كل ما وراء عالم الشهود، ومعرفة ما يجري في بواطن العالم ومخلوقات الأرض والسماء، وأن يعرف جميع أحوالهم، لأن مشاهدة بسيطة جداً لحقيقة أوضاع العالم تفجر أقوى العقول والأدمغة وتصيب الإنسان، مهما كان عاقلاً وحكيماً، بالجنون بل بالهلاك.

إن معرفة علم الغيب ولو كان شيئاً ضئيلاً منه، فضلاً عن ذلك الغيب الذي: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ؟! ﴾ مضرّة بالإنسان حتى ولو كان ذلك الإنسان إماماً أو نبياً، لأن هناك وقائع وحوادث تجري في هذه الكرة الأرضية فضلاً عن الكواكب الأخرى مثل الزلازل والطوفانات والوفيات وعمليات القتل والسطو والاغتصاب والفسق والفجور والمد والجزر والكذب والخيانات والظلم والمظلومين و.... و....مما لا يمكن لأي بشر مهما كان قوياً أن يتحملها حتى ولو دقيقة واحدة.

ثم إن هذه المعرفة بالغيب تسلب أهم خاصية «للإمامة» التي هي القدوة والأسوة للناس في السيرة والأفعال. وفي الأساس لم تكن بعثة الأنبياء من بني البشر ومن جنسهم إلا لكي يكونوا حجة على الخلق وأسوة لهم بأن يكونوا أنفسهم من أفضل العاملين بما يدعون الناس إليه وما

ينهونهم عنه، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب/ ٢١]، وقال أيضاً: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الممتحنة/ ٤]، وقال كذلك: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود/ ١١٢].

وكما ذكرنا إذا قام النبيُّ أو الإمام، الذي يأمر الناس بإنفاق أموالهم في سبيل الله وإعطاء الصدقات -ومن الواضح أن إنفاق الشيء يعني فقدانه- بإنفاق مالٍ في سبيل الله أو التصدُّق بطعامه على مسكين أو يتيم أو أسير، ولكن في مقابل ذلك كان النبي أو الإمام يُرْزَقُ في هذه الدنيا بطعام الجنة، ويكون ضيفاً في أربعين منزلاً في آنٍ واحد، والظاهر أنه يأكل الطعام فيها جميعاً، فإن إنفاقه للمال لن يكون أمراً ذا بالٍ أو عملاً هامّاً، ولن تكون له فيه أي فضيلة، ولن يكون عمله هذا قابلاً للاقتداء به!

إذا كان قوة عليٍّ عليه السلام عظيمة إلى درجة أنه عندما يشهر سيفه تُذعر الملائكة خشية أن يُقتل الثور الذي يحمل الأرض على قرنيه (!) فيُرسِلُ اللهُ حاملي العرش إلى الأرض ليحولوا دون ذلك ويخففوا من قوة ساعد عليٍّ ويفرشوا أجنحتهم تحت الأرض كي لا يُقْتَلَ ذلك الثور الحامل للأرض! ورغم ذلك يُصاب جناح جبريل بضربة سيف عليٍّ فيُكْسَرَ ويجرح حتى يذهب جبريل إلى خاتم النبيين شاكياً حاملاً جناحه، ويحكي قصصاً عن ضربة إبهام علي وخراب مدن لوط!!

أقول إن من يمتلك مثل هذه القوة والقدرة ليس له أي فضيلة في إقدامه على الجهاد والمبارزة والتضحية في سبيل الله إذ مثله مثل بطل جبار يأتي إلى محاربة نملة عاجزة أو من يريد أن يهاجم وكر نمل بقنبلة نووية! فهذه الأعمال [أي الجهاد والقتال في سبيل الله] لا يبقى لها أي معنى وفضيلة ولا أي دلالة على شجاعة وتضحية حتى يتأسَّى بها الناسُ ويقتدوا بها. إن علياً يمكن أن يكون إماماً ومقتدى للمسلمين يتأسَّوْن به في إيثاره وإنفاقه الذي وصفه الله بقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان/ ٨] **إذا كان يبيت جائعاً** عندما يتصدق بطعامه وإذا كان ينفق المال ويؤثر الآخرين به **رغم حاجته إليه**.

إن الحمقى مروجي الخرافات لا يعلمون كيف تكون الفضائل الإنسانية الشريفة والخصال

والأخلاق الحميدة! إنهم يتصورون أن فضيلة الإنسان تكون في علم الغيب ومعرفته بما يدور في أقطار الدنيا الأربعة أو في الطيران في السموات أو في امتلاك قوة بحيث لو شهر صاحبها السيف أصاب الجن والأنس الهلع ولاذوا بالفرار أو أن يكون قادراً على قتل عدة آلاف من الأشخاص بضربة واحدة أو أن يأكل الطعام في ليلة واحدة وآن واحد في منازل عديدة أو أن يعاشر عدة نساء في آن واحد! إنهم يتصورون أن مثل هذه الخيالات الصبيانية تُعَدُّ فضيلة ومعجزة غافلين عن أن فضيلة الإنسان هي في علمه وإيمانه بالله ومعرفته به وفي معرفته بنظام مخلوقاته والتسليم لإرادته تعالى ومشيئته والسيطرة على النفس الأمارة وتحمل إهانات الجاهلين وهداية الضالين وإعانة البائسين. هذه هي الصفات التي كان يتحلّى بها الأنبياءُ والأئمَّةُ -سلام الله عليهم أجمعين- وهذه هي الفضائل التي ميَّزَتْهُم على الآخرين وجعلتهم أئمَّةً وقدوةً للعالمين. والناس مأمورون أن يتحلَّوْا بهذه الفضائل بقدر استطاعتهم كي ينالوا خير الدنيا وسعادة الدارين والفوز في النشأتين، أما القيام بتلك الأعمال الخارقة الناشئة عن الأوهام والخيالات فليس فيه أي فضيلة.

إن معرفة الإنسان بالغيب المتعلق بمصيره ليست في صالحه بل من شأنها أن تمنع الإنسان من العمل والسعي! لأنه إذا علم أن يوم غد سيكون فيه خير ومنفعة له سيصاب بالغرور والكسل وإذا علم أنه سيكون فيه ضرر له سيحزن ويغتم فعلى الحالتين لا نفع له في معرفته الغيب.

وإذا كان علم الغيب معرفة أحوال الماضين والآتين ولو كان حال شخص واحد فليس فيه أيضاً فائدةٌ للإنسان، فلقد ورد في الروايات الإسلامية ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام/ ٧٥] أن إبراهيم نظر إلى مشرق العالم ومغربه بالقدر الذي سُمح له فقط واطلع على جزء مما يجري فيه فرأى في مشرق العالم رجلاً يزني بامرأة أجنبية فلعنه فهلك الزاني! كذلك نظر إلى غرب العالم فرأى منكراً نظير ذلك فدعا عليه وبمجرَّد أن وقع نظره على حادثة ثالثة جعل الله بين الخليل وبينها حجاباً ساتراً فلم يكن في استطاعته أن يشاهد تلك العجائب ويقلق أكثر من ذلك بشأن حوادث العالم!! وهذه الرواية أياً كانت درجتها من

الصحة إلا أن معناها صادق وهو أن الإنسان لا طاقة له برؤية حوادث العالم لأن الأرض مسكن الإنسان والناس أكثرهم إلا قليلاً منهم كفورين كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ/ ١٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف/ ١٥]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب/ ٧٢]، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق/ ٦، ٧]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر/ ٢]، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس/ ١٧].

فماذا يأتي من مثل هذا الإنسان سوى الكفران والفساد ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر/ ٤٥]. وقال أيضاً: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم/ ٤١]، وعشرات الآيات الأخرى التي يخبرنا الله تعالى خالقُ البشر فيها عن تمرد الإنسان وطغيانه فإذا أُعطي الإنسان بصيرةً يستطيع من خلالها أن يرى أعمال البشر من خير وشر فماذا سيرى؟ هل سيرى سوى الحروب والنزاعات والقتل والزنا والخيانات والمكر والخديعة والغش والسرقات و.... وماذا سيكون حال هذا الإنسان وهو مخلوق ذو عاطفة ووجدان عندما يرى هذه الأمور وماذا سينتفع من معرفتها؟ إلا أن تُعَذَّبَ روحُهُ ويُصابَ بالغمِّ والقلق والحزن؟ أجل لقد أطلع الله تعالى رسوله على جانب من حوادث المستقبل وأخبر النبيُّ ﷺ أصحابَه وأهلَ بيته عما علمه كي يكون في ذلك آية للآتين في المستقبل ومعجزة لمن سيشاهدون تحقق تلك النبوءات مثل إخباره بانتشار الإسلام في جميع أصقاع العالم وفتح المسلمين لبلاد الروم وفارس وهجوم الترك (المغول) على المسلمين والإخبار عن انتشار الفساد بين الناس في آخر الزمن. ولكن ليس في العلم بمثل هذه الأمور أي علاقة بالمعنى الذي يقوله الغلاة حول العلم بالغيب بل إن معرفة تلك الأمور تمَّت حصراً من خلال الوحي، وهو الوحي الذي يكون للنبي ﷺ فقط، وأما أمير المؤمنين والأئمة فإن ما رُوي عنهم حول هذه الأمور من أخبار إنما تعلموه من رسول الله ﷺ كما صرح بذلك الإمام علي عليه السلام عندما قال: «**تعلُّمٌ من ذي علم**» (نهج البلاغة/ خطبة ١٢٨).

يقول بعض الأفراد السطحيين أحياناً إن دائرة الأرصاد الجوية اليوم تستطيع أن تخبرنا بحال الطقس في الأيام القادمة، وأجهزة كشف الأجنة تستطيع إخبارنا عن جنس المولود، والسياسيون المحنكون يستطيعون الإخبار بنتائج الحروب ومصيرها فهل الأئمَّة -سلام الله عليهم- أقلّ منهم؟!

هذا القول تصور عامي لأنه على فرض أن إخبار أولئك الأفراد أو الوسائل صحيح دائماً فإن ذلك إنما يتم من خلال وسائل علمية تم التوصل إليها بعد سنوات طويلة من الأبحاث والتجارب وهي تكشف المعلومات لجميع الناس صالحهم وطالحهم، فلا علاقة لها بالإخبار بالغيب الذي يُنسَبُ للأنبياء والأولياء **والذي يتم دون وسائل بدعوى أنه ينشأ عن قربهم من الله**، وإلا فما الفرق بينهم وبين الآخرين؟

إذن تبيَّن أن ادعاءات الغلاة في نسبة العجائب والمعجزات والخوارق وعلم الغيب للأئمة مخالف للعقل والشرع، وهي أفكار صبيانية ناشئة عن عدم بلوغ الرشد الفكر والثقافي. إن فضيلة «علي بن أبي طالب» التي تُعَدُّ من أعلى فضائله هي بذله لماله وروحه رخيصة في سبيل الله. فضيلته أنه بات في فراش رسول الله ﷺ «ليلة المبيت» رغم أن احتمال نجاته في تلك الليلة كان واحداً في الألف وقد كانت هذه التضحية الكبيرة عظيمة عند الله إلى درجة أنه باهى بها ملائكته! فإذا كان عليٌّ عالماً بالغيب كما يقول الخرافيون وكان يعلم أنه لن يصيبه أذى ليلة المبيت، لما كان في مبيته أي فضيلة، فأنا أيضاً رغم أني لا أصلح أن أكون تراب أقدام ذلك الإمام الجليل، إذا علمت أنه لن يصيبني ضرر ولا خطر مستعد للإقدام على أي مخاطرة!! إن فضيلة عليٍّ كانت أنه بعد رحيل رسول الله ﷺ ورغم تقدمه على من سواه في العلم والسبق في الإيمان والجهاد وقوة الجسم والشجاعة و.... واستحقاقه أكثر من غيره لخلافة رسول الله، مع هذا عندما رأى أن الآخرين سبقوه إلى ذلك المقام وأن أعداء الإسلام يريدون استغلال هذا الأمر حتى أن «أبا سفيان» اقترح عليه التحرّك ضدّ أبي بكر قائلاً: «.. **أما والله لئن شئت لأملأنَّها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً!.....**» قال عليٌّ له: «**يا أبا سفيان! طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا، لا**

حاجة لنا إلى خيلك ورجلك»[1] وبهذا أفشل مؤامرة المتربصين بالإسلام السوء وفي الوقت ذاته أفهم المتقدمين نقائص عملهم وعيوبه. ورغم أنه لم يكن يعدم الوسائل لمنافسة من تقدّم عليه إلا أنه أغمض عنها عيناً وأَسَدَل دُونَهَا ثَوْباً وطَوَى عَنْهَا كَشْحاً ولم يوفر جهداً في خدمة برعم الإسلام الناشئ ولم يقصِّر في التعاون مع الآخرين ولم ينعزل عنهم وتحمَّلَ كلَّ كَدَرٍ كي يستقيم دين الله وتُنَفَّذَ أحكام الإسلام ولا يقع أي خلل أو ثغرة في جدار اتحاد المسلمين ووحدة صفهم. هذه هي الفضائل الكبيرة التي يقف العقل الإنساني أمامها مبهوتاً وليس حديث البساط والطيران فوق الغيوم والانغماس في بئر العلم وحرب قصر الذهب وأخذ عُمَر إلى جبل قاف وأمثال تلك الخرافات التي لا تنفع إلا في تسلية الأطفال! الأمان الأمان من جهل الجاهلين وصداقة الحمقى المغفَّلين!

لاحظوا أي ضلال بعيد وقع فيه الناس في مقام الإمام وكيف بنوا ضلالات أخرى على ذلك الضلال ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور/ ٤٠].

وقد وصل الأمر بخيالاتهم الجاهلة والصبيانية إلى تصورهم أنهم بذكرهم لمثل تلك الفضائل العجيبة ونشرهم لمثل تلك المناقب الأسطورية يحصلون على رضا الأئمَّة عنهم ورحمتهم بهم، وأن المبالغة في إطراء الأئمة وتمجيدهم ووصفهم بامتلاك القدرة على التصرُّف في كلّ ملكوت الله سينفعهم كما ينفع مدَّاحي الملوك والسلاطين وأصحاب الجاه الذين ينعمون على مداحيهم بعطاءاتهم حتى لو كانوا عصاةً مذنبين وظلمةً ومسيئين، فكذلك سينقذهم الأئمة بفضل تلك المدائح من كربات عرصات القيامة!

وقد فتحوا باب الشفاعة على مصراعيه إلى حدٍّ لم يعد معه أي أثر للوعيد الإلهي والإنذارات النبوية، فإذا واجهوا حين رجوعهم إلى لقرآن آيات العذاب والوعيد بالعقاب فأثقلت أسماعهم واضطروا للإقرار بها صنعوا لأنفسهم بإغواء الشيطان وسيلة للهروب من ذلك العذاب في

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ / ص ٤.

المبالغة في أمر الشفاعة. وإذا رأوا أن الوصول إلى السعادة ونيل رضا الله لا يكون إلا بالإيمان وبذل الروح والنفس والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة/ ١١١]، ورأوا أن تقديم الروح والمال على النحو الذي أراده الله منهم صعب عليهم وتصوروا أن جلب عطف قلب الإمام الفلاني أو حفيد الإمام الفلاني ممكناً قياساً على أنفسهم حيث أنهم عندما يمتدحهم شخصٌ ويطريهم ويبالغ في الثناء عليهم يجزلون له العطاء، فتصوروا أنه لما كان الأئمَّة وحفدتهم - حسب اعتقادهم - أصحاب نفوذ في ملك الله؛ قاموا بوقف الأوقاف لهم وتقديم النذور العجيبة وقراءة المراثي ولطم الصدور وأداء طقوس العزاء المبتدعة التي تثير السخرية منهم. وهذا كلُّه علَّته الأساسية أنهم لم يفهموا معنى الإمام ولم تتضح لهم مسألة «الإمامة» و«الإمام» على وجهها الحقيقي الصحيح رغم كل الكتب والرسائل التي كُتبت وقيلت والتي لم تزدهم إلا ضلالاً إلى ضلالهم وجهلاً إلى جهلهم!.

[المفهوم الصحيح لـ«الإمام» و«الإمامة»]

إن للإمام كما قلنا وكما يشهد به الشرع والعقل والوجدان معنيان حقيقيَّان وعدَّة معاني مجازية:

المعنى الحقيقي الأول هو: القائد السياسي والاجتماعي والمتصدي لأمر حكم المسلمين، وبهذا المعنى يطلق الإمام على كل من يتولى زمام أمور الحكم سواءً كان عادلاً أو جائرًا، فإن عدل في حكمه قيل إمام عادل وإن ظلم وجار قيل إمام جائر، وسيرة المسلمين وأحاديث الفريقين مليئة بهذا المصطلح.

المعنى الحقيقي الثاني هو: المرشد إلى الله والهادي إلى طريق الحق والصراط المستقيم. وهذا التقسيم نجده فيما تفضل به أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: «**لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نفل [إي رواية مقبولة] إلا مع إمام فاضل**».(١)

والإمام بالمعنى الأول لا يشمل من أئمَّة أهل البيت [الاثني عشر] إلا الذين تولوا السلطة

(١) مستدرك الوسائل، الطبعة الحجرية، ج٢/ ص٢٤٧.

وزمام الأمور بشكل فعلي وهما إمامان فقط: أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي حكم حوالي خمس سنوات، وابنه الإمام الحسن عليه السلام الذي حكم حوالي ستة أشهر، ولم يتصدَّ لمهمَّة حكم المسلمين واستلام زمام أمورهم أحدٌ من بقية الأئمَّة الكرام. أما الإمام بالمعنى الثاني، أي الدليل والمرشد إلى الله والهادي إلى طريق الحق والصراط المستقيم وهادي الناس إلى سبيل السعادة، فإن جميع أئمة أهل البيت يشكلون المصداق الأتم والأكمل والأعلى للإمام بهذا المعنى، كما ينطبق هذا المصطلح أيضاً على كل من يسلك ذلك الطريق ويهدي الناس ويرشدهم بنور علم القرآن[١].

من الواضح تماماً أن الإمام المرشد الذي يبذل كل سعيه لهداية الناس والذي يكون كل همه أن يسلك الناس طريق السعادة ويصلوا إلى مقصد الهداية لا ينتظر من أَحَدٍ مدحاً ولا ثناءً ولا تمجيداً ولا إطراءً، خاصة عندما ينحرف سالكو الطريق عن المقصد ويتبعون طرقاً معوجة، وبدلاً من الانصياع إلى هداية وتأكيدات إمامهم بسلوك طريق الحق واتباع الصراط المستقيم الموصل إلى المقصود، يقومون بمدح وإطراء الإمام والتملّق له بالثناء والتمجيد ويقومون لهذا الغرض بأعمال لا طائل تحتها بل مضرة (مثل ضرب البدن بالسلاسل وضرب الطبل والصنج وحمل الأعلام الثقيلة و....) ويشغلون أوقاتهم بطقوس مبتدعة من المدائح والثناء ما أنزل الله بها من سلطان بل أُخذت من الأمم والملل الأخرى، ويغفلون عن سلوك الطريق الأصلي الموصل للهدف! فمثل هذه الأعمال إن لم توجب غضب وسخط ذلك الإمام المرشد لذي يتوسلون له بمثل تلك الأعمال فإنها بلا شك لن تجلب رضاه عن فاعليها.

إن الإنسان ليتعجب حقيقة كيف نفذت طقوس وآداب عبادة الأرواح الخاصة بالملل السالفة وتعظيم الأموات لدى المصريِّين القدماء وتوسلهم بأرواح الموتى وأمثالها من العقائد الخرافية إلى أتباع هذا الدين الذي حارب بكل شدَّة مثل هذه الأوهام والخرافات والذي لا نجد

---

(١) كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان/ ٧٤]. (تر)

في آيات كتابه السماوي أو سيرة نبيه الكريم وأئمته الصالحين أي أثر لتلك الأعمال.

إن وظيفة النبي والإمام هي إرشاد الناس في المسائل الدينية وتعليمهم أحكام شرع الله وهدايتهم إلى طريقه وأن يكون مرجعهم في العمل بأحكام الدين، ولكن هؤلاء الناس تركوا تلك الوظيفة العظمى جانباً واستبدلوها بالتملق والثناء والمدائح المغالية وطلب الحوائج التي لا تطلب إلا من الله وأمثالها من الأعمال التي إن لم تكن شركاً فهي قريبة من الشرك، ولم يرجعوا إلى النبي أو الإمام في الأمور التي جاءا لأجلها، حتى لو قال لهم شخص: أيها الناس! إن النبي والإمام لم يأتيا لتلبية حوائجكم وشفاء مرضاكم وإعطائكم الأولاد وزيادة رزقكم وأمثال هذه الأمور بل إنما جاءا لهدايتكم وإرشادكم في الأمور الدينية وتعليمكم آداب الشرع وأحكامه، وليس لهما أي علاقة بما تقومون به من أعمال مبتدعة، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور/ ٥٤]، رأيتهم يثورون سخطاً من فرط تعصبهم ورأيت عروق الغضب تظهر في وجوههم والشرر يتطاير من أعينهم ويقولون: «إن ما نقوم به توسلٌ، فهل تقول إن التوسل بالنبي والأئمة لا يجوز؟!». ثم يكيلون لك ما شاؤوا من التهم والإهانات!

أليس هناك من يقول لهم: أولاً- إن الله تبارك وتعالى يقبل عبده دون أي واسطة، بل إن اتخاذ الوسطاء بين العبد والرب أمر مناف لتوحيد العبادة، وبالتالي فلا حاجة للتوسُّل بهذا المعنى من أساسه، أوليس الله هو القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى ... ﴾ [البقرة/ ١٨٦]، وهو القائل كذلك: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق/ ١٦]. والقائل أيضاً: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن/ ١٨]، أوليس هو الذي علَّمنا أن نقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/ ٥]؟ إذن الاستعانة على طاعة الله لا تكون إلا بالله فقط، والعبادة لا تكون إلا له وحده فقط، وبعبارة أخرى الاستعانة غير المقيدة من غير الله شرك كما أن عبادة غيره شرك.

هل يجوز بعد كل هذه الآيات الواضحات أن يترك الإنسانُ اللهَ الحيَّ القادرَ الذي لا يموت

والسميعَ البصيرَ والغنيَّ الباقي والذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد، ويتجه نحو من هو محتاج في كل شيء إلى الله وفقير إلى بحر فضل رحمة الله التي لا ساحل لها وإلى الذين أُمروا بنص القرآن أن يعلنوا للناس: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف/ ١٨٨]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس/ ٤٩]، ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف/ ٦٧].

ثانياً- حتى لو فرضنا جدلاً أنه لم يرِدْ نهيٌ عن هذه الأعمال، أليس من الأفضل أن يترك الإنسان تلك الأعمال لما فيها من خطورة الانزلاق نحو وادي الشرك وهاويته السحيقة المهلكة؟؟ أليس الأولى بالإنسان العاقل، عندما يكون أمامه عدة طرق ويكون بعضها موصلاً إلى الهدف بأقصر طريق ودون أية مخاطر في حين تكون الطرق الأخرى محفوفة بالمخاطر، أن يترك جميع الطريق ويسلك الطريق المضمون الخالي من الأخطار؟

[المعنى الحقيقي للتوسل و«الوسيلة»]

إن الحالة التي آلت إليها أعمال «التوسُّل» بالأئمَّة وبذراريهم من الصالحين في مجتمعنا لم تعد حالة مقبولة مطلقاً، وكثير من الأعمال التي يقوم به الناس هي شرك بعشرات الأدلة، إذ إن من المُسَلَّم به أن الله تعالى لم يطلب منا أن نتوسط إليه بأي واسطة في دعائنا إيّاه وطلبنا الحوائج منه، والله - كما تدل عليه آيات القرآن - قريب منا بل أقرب من أي شيء آخر إلينا، ومعلوم عقلاً أن ترك الله الحي القادر العالم بالسرّ والخفيات والذهاب نحو أشخاص هم عرضة للموت والغفلة والنوم وعدم الإحاطة بالمصالح، عمل لا يمكن تبريره ولا قبوله، هذا بمعزل عن شبهة الوقوع في الشرك الذي يعد أسوأ المعاصي وأشد الذنوب خطراً لأن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فما الحاجة إذن لهذه الطقوس والأعمال التي هي من آثار الأمم الماضية وعادات الأديان والمذاهب الباطلة؟!

ثالثاً- أين نجد في جميع الآيات والأخبار والأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة أن الله أمر

أحداً بالتوجه على نحو غير مقيد إلى النبيِّ أو الإمام ليتوسل به لأجل قضاء حاجته وشفاء مريضه والحصول على ولد أو نحو ذلك من الطلبات؟! ابحثوا في جميع آيات القرآن وسيرة الأنبياء فلن تجدوا أثراً لهذه الأعمال! فما هذا الاختراع للأصنام ولماذا؟ إنه ليس سوى خيال الإنسان الذي يصنع لنفسه واسطة وشفيعاً لأجل قضاء حاجاته ويصرف هِمَّته إلى مدح هذه الواسطة والثناء عليها وإطرائها والتملق لها وإظهار الحاجة إليها!

وفي مقابل هذا الأمر الواضح نجد أشخاصاً يضربون يمينا وشمالاً ويتشبثون بكل قشة لكي يجدوا رواية تصلح أن يتمسكوا بها كدليل على أعمالهم الشركية، ولما كانت هناك آيات متشابهات في القرآن الكريم وكان أهل الزيغ يفسّرونها بشكل غير صحيح فينخدع بهم العوام ومن ليس له تدبّر وتحقيق كاف في آيات القرآن، كمن يتمسّك بالآيات المتشابهات مثل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف/ ٨٤]. أو: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر/ ٢٢]. أو: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢، ٢٣]. والتي يستغلها بعضهم ممن وصفهم الله بالذين في قلوبهم زيغ للاستدلال بها على أقوالهم غير الصحيحة كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [آل عمران/ ٧]، وفي هذا الصدد يتمسكون بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة/ ٣٥]، ويستدلون بها على مرادهم ومقصودهم الشركي كما كتب أحد المعمّمين في صحيفة «وظيفة» مقالاً هاجمنا فيه بشدة مستنداً إلى هذه الآية! ورغم أن بعض مفسِّري الشيعة مثل «علي بن إبراهيم القمي» فسَّر «الوسيلة» بـ«الإمام»، ولكن يجب أن ننتبه إلى أنهم فسروا الآية بقولهم: «تقربوا إليه بالإمام أي بطاعته». فالمراد من الوسيلة هي طاعة الإمام والتي هي طاعة أحكام الله التي يبيِّنُها النبيُّ والإمام.

لقد فسر [الفيض الكاشاني] في تفسير الصافي قوله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء/ ٥٧] بقوله: «هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة». وروى الشيخ الصدوق في

كتابه «عيون أخبار الرضا» رواية عن النبيِّ ﷺ في معنى الوسيلة وأنها بمعنى طاعة الأئمة لا جعلهم وسيلة لطلب الحاجات والشفاعة في الذنوب، فروى بِإِسْنَادِ التَّمِيمِيِّ عَنِ الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ -عليه السلام- قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ، هُمُ العُرْوَةُ الوُثْقَى وَهُمُ الوَسِيلَةُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ**»[(١)].

وروى الكُلَيْنِيّ في «الكافي» عن أمير المؤمنين أنه قال في خطبة الوسيلة: «**وَاسْأَلُوا اللهَ لِيَ الدَّرَجَةَ الوَسِيلَةَ مِنَ الجَنَّةِ قِيلَ يَا رَسُولَ الله وَمَا الدَّرَجَةُ الوَسِيلَةُ مِنَ الجَنَّةِ قَالَ هِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الجَنَّةِ**»[(٢)]. كما أن ابن شهر آشوب روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قوله: «أنا وسيلته: أي طاعتي وبيعتي».

وقد جعل أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة (الخطبة ١١٠) الإيمان بالله ورسله والجهاد في سبيله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة و..... وسيلةً فقال: «**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ المُتَوَسِّلُونَ إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الفِطْرَةُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا المِلَّةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ العِقَابِ وَحَجُّ البَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي المَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ العَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ....** إلى آخر الخبر»[(٣)].

فكما نلاحظ، تعاليمُ الأئمَّة تُبيِّنُ أنَّ الوسيلةَ والتوسُّلَ عبارةٌ عن الإيمان بالله وأنبيائه وبما جاؤوا به من أحكام وآيات من عند الله، والجهاد في سبيله. ولا نجد في كلام أحدٍ من الأئمَّة أن التوسل معناه ما ذَهَبَ إليه الغلاة من تفسير اخترعوه من عند أنفسهم، ورغم ذلك نجد الأفراد

---

(١) الشيخ الصدوق، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، ج٢/ ص ٥٨، والمجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج٣٦/ ص ٢٤٤. (تر)

(٢) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٩١ / ص ٦٥. (تر)

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠.

المكارين والمدلسين، مثل الأشخاص الذين يزوِّرون الوثائق والأوراق الرسمية فيدسون فيها ما فيه فائدة لهم، يفعلون الأمر ذاته بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة فتراهم يدسون بين الروايات التي وضعوها بشأن تفسير بعض آيات القرآن الكريم جملاً وكلمات تحقق مقصودهم وما يرمون إليه ويدَّعون أنَّ الآية نزلت هكذا وتلك الآية نزلت كذلك!! ونظرة إلى كتب الرواية أو تفاسيرهم بالمأثور وما فيها من الروايات الغريبة تُظْهِرُ هذه الحقيقة بأوضح صورة(١).

عندما نُشر مقالي «**علل انحطاط المسلمين وطريق الخلاص**» في صحيفة «وظيفة» وانقسم الناس بشأنه بين موافق ومعارض، قام أحد المعارضين الذي يعتبر نفسه عالماً وكاتباً بارزاً بالردِّ على أحد الموافقين على مقالتي تلك واستند في مسألة التوسُّل إلى الآية المذكورة من سورة المائدة. وبعد أن كال ما شاء من الشتائم، استند إلى آية: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ ...﴾ [البقرة/ ٣٧] فنقل عن تفسير الدُّرّ المنثور [لجلال الدين السيوطي] خبراً مضمونه أن حضرة آدم عليه السلام أقسم على الله وسأله: «**بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، إلا تُبْتَ عليَّ فتاب اللهُ عليه**».

لكنني رددت فوراً عليه وعلى سائر المنتقدين لمقالتي بمقال أرسلته إلى صحيفة «وظيفة» لكن رئيس تحريرها امتنع عن نشره خوفاً من غائلة المتعصبين والمتاجرين بالدين. وأذكر هنا بشكل مجمل ضعف منطق الشخص الذي ردّ على مقالتي:

أولاً: إن قصدنا من التوسل الخاطئ هو هذه الأعمال التي يقوم بها العوام كل صباح ومساء وهم بعيدون عمن يتوسلون بهم فيطلبون حوائجهم من الأئمَّة أو من الصالحين من أحفادهم وذراريهم، فينذرون لهم النذور ويذبحون لأجلهم القرابين ويطوفون حول مراقدهم ويعتبرونهم مطلعين على أحوالهم وذوات صدورهم، فما علاقة هذا بحضرة آدم عليه السلام الذي دعا اللهَ تعالى – حسبما رُوي – فقال: أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبتَ عليَّ؟؟

(١) على سبيل المثال يمكنكم مراجعة كتاب «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» ص٤٩٠ إلى ٤٩٩ وص٦٩٠ فما بعد. (البرقعي)

ومتى قلنا إنه لو أقسم شخص على الله بالنبي أو بالأئمة أو بشهداء الإسلام العظام أو حتى بدمع الأيتام وحرقة الأرامل فقد أشرك؟!

ثانياً: إذا كنتَ قد استندتَ إلى خبر من كتب أهل السنة من باب: «الفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ!!» فعليك أن تستند إلى أخبارهم الصحيحة لا إلى أي خبر، أما الاستناد إلى خبر غير صحيح سواء كان منقولاً في كتب السنة أم كتب الشيعة فلا يفيدك شيئاً سوى خداع العوام، وأهل الفنّ يعلمون أن كثيراً من الأخبار الشيعية والسنية قد اختلط بعضها ببعض وقام كل فريق بوضع أحاديث في إثبات معتقده وإبطال عقائد مخالفيه وسرت أحاديث كل فريق إلى كتب الفريق الآخر، فمجرد الاستدلال بمجيء حديث في كتب السنة لا يثبت عقيدة ما.

ثم استدل المؤلِّف المذكور - كالغريق الذي يتشبَّث بكل قشَّة - على لزوم الواسطة بالآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف/ ٩٧]، فقال: إذا كان من الممكن لأولاد يعقوب أن يستغفروا الله مباشرةً فلماذا توسلوا بأبيهم وطلبوا منه أن يستغفر لهم؟ واستنتج أن هذه الآية دليل على أنه ليس من الجائز فقط التوسل بالإمام في طلب الحوائج بل إن ذلك لازم وضروري!! ولكي يتبين لنا ضعف كلامه ينبغي أن ننتبه إلى النقاط التالية:

أولاً: إن طلب الاستغفار والتماس الدعاء من الشخص الحي الذي يمكننا الوصول إليه ليس هو التوسل الخاطئ الذي ننتقده، لأن جميع المسلمين مأمورين أن يستغفروا لبعضهم البعض، وقد وردت روايات توصي بمثل هذا الأمر، كالوصية بالاستغفار لأربعين من المؤمنين في دعاء صلاة التهجد، وأمثالها من الروايات، ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**مَنْ قَدَّمَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ دَعَا اسْتُجِيبَ لَه**»[1]، بل إنَّ النبيَّ الأكرم ﷺ أُمر بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[محمد/ ١٩]، فالتماس المسلم من أخيه أن يدعوا له لا يُعتبَر توسُّلاً، وحتى إن سُمِّيَ توسلاً فهو لا يشبه ما تدعون إليه الناس

(١) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج٢/ ص ٥٠٩. (تر)

من ضرورة التوسل بالأئمة وذراريهم وطلب الحوائج منهم!

ثانياً: إن سبب طلب أولاد حضرة يعقوب عليه السلام من أبيهم أن يستغفر لهم هو الأذى والظلم الذي ارتكبوه بحقه لأنهم آذوا أباهم وحرموه من ابنه العزيز عليه وكذبوا عليه، وكانوا يؤذون أباهم بلسانهم الجارح كلما ذكر يوسف وحنَّ إليه، كما وصفهم تعالى بقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف/ ٨٥]، وقوله: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يوسف/ ٩٥]. فعمل أبناء يعقوب اعتذارٌ وطلبٌ للعفو والصفح بشأن تقصيرهم وإذنابهم في حقِّه، لأنه عندما يُذْنِبُ الإنسانُ ذنباً يتعلق بانتهاك حق العباد وظلمهم، لا بد للتوبة منه من إعادة الحق إلى المظلومين وطلب الصفح منهم وسؤالهم أن يستغفروا له ويطلبوا من الله مسامحته.

ثم إن أولاد يعقوب عليه السلام لم ينادوه من بعيد وهم في مصر بل جاؤوا إليه وهو لا يزال حياً واعتذروا إليه وطلبوا منه أن يستغفر لهم فلم يذهبوا إلى قبره ويطوفوا حوله ويطلبون منه الغفران، فلا يُشبهُ عملُهم ما يقوم به الناس اليوم تحت عنوان «التوسل».

ثالثاً: إن الروايات المنقولة عن الأئمَّة تؤيِّد ما ذكرناه فمن جملة ذلك ما رواه العياشيُّ في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ فَقَالَ: أَخَّرَهُمْ إِلَى السَّحَرِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّمَا ذَنْبُهُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم**»[1].

وفي «علل الشرائع» للشيخ الصدوق بسنده: «عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الفَضْلِ الهَاشِمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ يَعْقُوبَ عليه السلام لَمَّا قَالَ لَهُ بَنُوهُ ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾؟ فَأَخَّرَ الاِسْتِغْفَارَ لَهُمْ، وَيُوسُفَ عليه السلام لَمَّا قَالُوا لَهُ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾؟؟ قَالَ عليه السلام: **لأَنَّ قَلْبَ الشَّابِّ أَرَقُّ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ**

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ١٢ / ص ٣١٨. (تر)

وَكَانَتْ جِنَايَةُ وُلْدِ يَعْقُوبَ عَلَى يُوسُفَ وَجِنَايَتُهُمْ عَلَى يَعْقُوبَ إِنَّمَا كَانَتْ بِجِنَايَتِهِمْ عَلَى يُوسُفَ فَبَادَرَ يُوسُفُ إِلَى العَفْوِ عَنْ حَقِّهِ وَأَخَّرَ يَعْقُوبُ العَفْوَ لِأَنَّ عَفْوَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ حَقِّ غَيْرِهِ.»(١).

وكلُّنا نعلم أن الله تعالى لا يغفر الذنوب التي في حق العباد إلا بعد رد الحقوق إلى أصحابها، وهناك عدة أحاديث في هذا الصدد، فإذا كان الأمر كذلك فما علاقة هذا بالتوسل غير المعقول الذي تقومون به؟!

رابعاً: لقد نهت آيات القرآن الكريمة الإنسان صراحةً عن التوسل ودعاء غير الله دعاءً غيرَ مقيَّد، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥]، وقوله سبحانه: ﴿..تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن/ ١٨]، وقوله عز من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ..﴾ [البقرة/ ١٨٦]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ..﴾ [غافر/ ٦٠]، وآيات أخرى كثيرة.

كما أن أخبار الأئمَّة أيضاً تدلُّ على تأكيد هذا المعنى أي وجوب أن يكون دعاء الله دعاءً مباشراً من غير توسيط واسطة بين العبد والله. لقد وصَّى أمير المؤمنين عليٌّ ابنَه الإمام الحسن - عليهما السلام - فقال له: «...**وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ..**» (نهج البلاغة، الرسالة رقم ٣١).

ويقول الإمام زين العابدين - عليه السلام - في دعائه الذي يرويه عنه «أبو حمزة الثمالي»: «**وَ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي..**»(٢).

---

(١) الصدوق، علل الشرائع، ج١/ ص ٥٤، والمجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ١٢ / ص ٢٨٠. (تر)

(٢) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٩٥ / ص ٨٢-٨٣. (تر)

وبناء عليه نلاحظ أن القرآن والأخبار كلاهما يشهدان أن لا حاجة في دعاء الله تعالى إلى واسطة أو شفيع، وهذا إحدى مزايا الإسلام العالية، أنه لا يجعل بين العبد وربه أي وسطاء أو شفعاء، خلافاً للأديان الأخرى، بل يربط الإسلامُ العبدَ بِرَبِّهِ مباشرةً ويدعوه إلى أن يطلب منه حاجاته بشكل مباشر، وقد علَّم الله المسلمين ذلك فقال: ﴿ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ﴾ [فصلت/ ٦].

ولكن وللأسف الشديد لقد دخل إلى شريعة الإسلام على نحو تدريجي كثير من آداب وعادات الملل السابقة كآداب وطقوس المصريين القدماء والإيرانيين والسومريين والهنود القدماء عن طريق الذين أسلموا طوعاً أو كرهاً من أهالي تلك البلدان أو عن طريق من تظاهروا بالإسلام [وأبطنوا اعتقاداتهم السابقة] فوجهوا بذلك ضربات مهلكة إلى حقائق الإسلام الكفيلة بتأمين السعادة للناس، حتى أصبحنا نرى أغلب آداب تلك الأمم السالفة وعاداتهم وطقوسهم وعقائدهم موجودة بصورة أو أخرى بين المسلمين اليوم، ولا يَعْدَمُ من يقومون بها أن يجدوا عليها دليلاً من حديث أو حديثين موضوعين وذلك مثل عيد النيروز و.... ومثل موضوع «الشفاعة» [الشركية] التي أوقعت في بلاد الإسلام فساداً أكثر مما أوقعته جيوش جنكيزخان وتيمورلنك!

[نظرة إلى مفهوم الشفاعة وما أصابه من تحريف]

إن موضوع «الشفاعة» لم يأت في أي موضع من القرآن المجيد على نحو الإثبات، وجاء في كثير من الآيات على نحو النفي كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ ﴾ [البقرة/ ٤٨]،وقوله سبحانه: ﴿ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ [البقرة/ ٢٥٤]، و....، وجعلت آياتٌ أخرى الشفاعةَ مرتبطةً ومشروطةً بإذن الله تعالى أولاً [ورضاه عن المشفوع له].

أما الآثار الباقية عن الأديان المنسوخة وروح الغرور والبحث عن الذرائع لدى الفسّاق

ولدى الأشخاص الذين يخافون من إنذارات القرآن من جهة ومن الجهة الأخرى يبحثون عن ذريعة تنقذهم من التقيد بتلك الأحكام وتحررهم من وطأتها كي يسترسلوا فيما ترغبه نفوسهم البهيمية وغرائزهم الحيوانية، فقد دفعت أصحابها إلى الترحيب بالسوق التي افتتحها لهم بائعو الجنة تحت عناوين مختلفة، وقد أدى اعتقاد العامة بشفاعة من تصوَّروا أنهم أصحاب الصلاحية المطلقة بالشفاعة يوم المحشر، إلى عدم إبقاء أي تأثير لإنذارات القرآن، وإلى أن يشعر كل فاسق وفاجر ممن يعتبر نفسه مؤمناً بالقيامة براحة الضمير وعدم القلق من جراء استرساله بشهواته وأهوائه بفضل ما يقدمه للشفعاء من رُشاً من قبيل لطم الصدور وضرب الأبدان بالسلاسل وحمل الأعلام والبكاء عند قبور أئمة الدين الصالحين وزيارة مراقدهم والنذر لهم وذبح الأضاحي لأجلهم وأمثال هذه الأعمال التي يشعر فاعلوها أنهم يكسبون بها رضا شفعائهم على نحو أسهل بكثير من إرضاء الله، وبالتالي يضمنون نجاتَهم من جهنم وعروجهم إلى أعلى درجات الجنة لهم ولأعزائهم!!

لا شك أن الشفاعة لها وجود لها في الإسلام لكن الشفاعة الإسلامية لا علاقة لها أبداً بذلك الباب الواسع والمفتوح على مصراعيه والمشجِّع على التجرُّؤ على المعاصي والاغترار والأمن من عقاب الله! تحت اسم الشفاعة المطلقة، فما ننفيه هو الشفاعة بهذا المعنى الأخير الذي يدعيه أصحاب الأهواء وجنود الشياطين[١]!

لو قرأنا تاريخ الأديان الباطلة القديمة مثل عقائد المصريين القدماء وصكوك الغفران والطلاسم التي يعطونها لغفران ذنوب الأموات وكذلك عقائد البابليين والسومريين الفاسدة في كتب المحققين والمؤرخين مثل كتاب «تاريخ الشرق مهد الحضارة» تأليف «ويل ديورانت» وكتاب «مسيرة الحضارة» تأليف «رالف لينتون» و.... لرأينا أن تلك العقائد الخاطئة كانت موجودة قبل آلاف السنين من ظهور الإسلام ولاحظنا كيف كان علماء وأحبار تلك الأديان الباطلة يروجون لمتاع «الشفاعة» وكيف كانوا يجذبون نحوهم أشخاصاً لأجل تقوية سوقهم

---

(١) راجعوا قسم «بحث حول الشفاعة» من كتابنا هذا.

ولفت انتباه الملوك الظالمين والفسقة الفاجرين نحوهم، وكان كل دين من تلك الأديان الملوثة بالخرافات يستعير من الأديان الأخرى ويعيرها كي يتقوى بذلك ثم تصبح تلك العقائد جزءاً لا يتجزأ من الدين!! ووصل أمر الشفاعة إلى حد أنه ورد في إحدى الكتب المعروفة أن امرأة كانت تزني وكانت تقوم بحرق أولادها التي تأتي بهم من الزنا خوف الفضيحة ولم يكن أحد يعلم بذلك سوى أمها. فلما ماتت تلك المرأة وأرادوا دفنها كانت الأرض تلفظها ومهما حاولوا دفنها في مكان آخر عادت الأرض فلفظتها، وفي النهاية ذهب أقرباؤها إلى أحد الأئمّة وعرضوا عليه القصة فسأل الإمام أمها ماذا كانت تصنع ابنتكِ في حياتها؟ فأخبرته الحقيقة، عند ذلك قال الإمام لن تقبل الأرض هذه المرأة لأنه بتعذيبها سيُعَذَّبُ سائر خلق الله! فضعي في قبرها مقداراً من تربة الحسين عليه السلام، ففعلت فقَبِلَتْهَا الأرضُ!! لاحظوا: كيف تم حلُّ معصية كبيرة بتلك الفظاعة والشناعة، بمقدار قليلٍ من التراب هو في متناول كل شخص!

وأورد شيخٌ آخرُ له عديد من الكتب التي أَلَّفها في القرن العشرين في الدعوة إلى دين الإسلام وتعريف الناس – كما يقول – بتعاليم الدين وأحكامه، في أحد كُتُبه قصَّةَ امرأةٍ كانت تدفع ابنَهَا إلى الزنا بها وكان الابن يفعل ذلك، ورغم ذلك لما ماتت الأم رآها أحدهم في الرؤيا في أعالي الجنة ووجهُها يتلألأ نوراً!! فلما استغرب من هذا الأمر العجيب وسألها عنه؟ قالت: كنت أصلِّي على النبيِّ وآله كلَّ يوم سبع مرات!!

وهناك أمثلة كثيرة على هذه القصص الخرافية فالنموذجان المذكوران ليسا سوى غيض من فيض وما عليكم إلا أن تحضروا مجالس قراءة المراثي لتجدوا أنه يندر أن يوجد مجلس لا تذكر فيه أمثال تلك القصص المفتريات التي تهدم أساس الدين وتجتث جذور الأخلاق والإنسانية. ولكم أن تدركوا أي مجتمع توجده مثل هذه الثقافة التي تُرَوَّجُ بين العوام لاسيما في الأوساط الأمِّيَّة التي لا علم لديها ولا تربية؟ ولا عجب أن نجد بعد ذلك بعض الأغبياء البهائم الغارقين في شهواتهم يتعرضون لأرواح الناس وأموالهم وأعراضهم ورغم ذلك يعتبرون أنفسهم من أفضل الناس على الأرض!! كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣، ١٠٤].

إن مثل هذه الأوهام والخرافات كفيلة باجتثاث جذور الفضائل الأخلاقية وبقطع الصلة بين الدين والأخلاق حتى إنك لا تجد فرقاً أحياناً بين المتديِّن وعديم الدِّين من ناحية الأخلاق بل يمكن القول إن بعض مدَّعي التديُّن أكثرُ ضرراً وفساداً من بعض عديمي الدين! فنحن في الوقت الذي نجد فيه أن روح التدين ضعيفة لدى أغلب المثقفين بالثقافة العصرية في زماننا، إلا أن هذه الشريحة في المجتمع رغم ما في أصحابها من فسادٍ وتحرُّرٍ من قيود الدين، إلا أنك تجد كثيراً منهم يعترفون بنظام الطبيعة وقوانينها ويؤمنون بالنظام الاجتماعي والمؤسسات والنظم والتشكيلات الاجتماعية، في حين أن بعض المتديِّنين الخرافيِّين لا يكترثون بكل تلك الأنظمة، وُيُبَيِّضُون بأعمالهم السوداء وجه غير المتديِّنين في المجتمع!! وعلَّة ذلك أنهم يرتكبون أكثر المعاصي بسبب اغترارهم بأمر الشفاعة وبسبب عملهم بالحيل الشرعية التي تبيح لهم أكل الربا، وأنهم يسيئون الظن بإخوانهم في الدين [الذين يخالفونهم الرأي] ويحقدون عليهم. **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**.

ملحق

تأمُّل في رسالة «سهو النبيّ ﷺ»

وآراء العلامة المحقِّق آية الله الحاجّ الشيخ محمد تقي الشوشتري

الحمد لله رب العالمين حمداً صادقاً لا نهاية له. نحمده أن شرَّفنا بشرف الإنسانية وزيَّننا بزينة العقل وهدانا وأكرمنا بتاج فخار الإسلام وأرسل لنا أنبيائه الطاهرين تترا لاسيما خاتمهم حضرة محمد المصطفى ﷺ صاحب المعجزة الخالدة والآيات البينات، فأخرجنا به من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور العلم والهداية والفلاح، فملكنا بذلك مفاتيح سعادة الدارين، فصلوات الله وسلامه الأبدي على سيد المرسلين وآله الطاهرين وأصحابه الصادقين. آمين

إن التدين والتشرُّع في المجتمع الإسلامي -خلافاً لما يظنه أغلب الناس- أمر حساس وخطير، رغم أن الإسلام شريعة سهلة وسمحة وأنه ليس من غرض الله أن يوقعنا في العسر والحرج في أمور الحياة وفي التكاليف الشرعية، لكن الأمر المؤكد الذي لا ينبغي الغفلة عنه اهتمام الشارع المقدس وتأكيده على اتباع الدين الخالص النقي من كل شائبة، وحثّه إيَّانا على التفكّر وتكليفه إيَّانا بالتدقيق في ما نؤمن به من عقائد وما نقوم به من أعمال باسم الدين! ولا شك أن الأعمال المخلصة والمقبولة والمثمرة هي التي تنتج عن العقيدة الخالصة والتوحيدية.

أجل، إن إحدى آفات العقائد الدينية في الأديان السابقة وفي دين الإسلام المبين، والتي نهى عنها القرآن الكريم وأئمة الدين آفة «الغلو» في الدين وفي الشخصيات الدينية. لقد نهى القرآن الكريم أهل الكتاب عن الغلو [في المسيح] فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ..﴾ [النساء/ ١٧١]، وقال أيضاً: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة/ ٧٧]. ولا شك أن ذكر هذا النهي لأهل الكتاب يراد به تلويحاً تحذير

المسلمين أيضاً من الوقوع في نفس الخطأ أي «الغلو» في نبيِّهم وفي عقيدتهم وإرشادهم إلى النهج الديني الصحيح!

أما ما ورد عن أئمّة الدين الكرام في النهي عن الغلوّ فهو كثير للغاية ونجتزئ منه بذكر هذين القولين، فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ:

أ- رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «**هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غَالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ**» (نهج البلاغة، الحكمة ١١٧)[1].

ب- وَرُوِيَ عن الإمام الصادق - عليه السلام - أنه قال: «**احْذَرُوا على شَبَابِكُمُ الغُلاةَ لا يُفسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ الله، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ الله، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ الله، وَالله إنَّ الغُلاةَ لَشَرٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أَشْرَكُوا...**». (أمالي الشيخ الطوسي، ص٤٥).

هذا ومن المسائل ذات العلاقة بقضيَّة الغلوّ والتي بحثها الفريقين [الشيعة والسنة] واختلفت في شأنها أنظار العلماء اختلافاً شديداً موضوع «**سهو النبي** صلى الله عليه وآله»، ولما كان لهذا الأمر علاقة بادعاء علم الأئمة بالغيب، فإننا سنستعرض في هذا المحلق - على نحو الاختصار - أهم ما جاء في الرسالة القيِّمة التي ألَّفها أحد كبار علماء الرجال المعاصرين أي العلامة المحقق آية الله الحاج الشيخ «محمد تقي الشوشتري» (أو التستري) وعنوانها «**رسالة في سهو النبي** صلى الله عليه وآله» والتي أثبت فيها وقوع السهو منه صلى الله عليه وآله وردَّ على من ينفيه، وندرسها ونعلق على بعض ما ورد فيها. إن شاء الله تعالى.

لقد نصَّ فريق من كبار علماء الشيعة الإمامية الأعلام على وقوع «السهو والنسيان» للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة -عَليهِمُ السَّلام- طبقاً لما ورد في ذلك من أحاديث، وعلى رأس القائلين بذلك المرحوم «الشيخ الصدوق» وأستاذه «محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي» اللذَيْنِ وثَّقهما عامَّةُ العلماء ورجاليّو الشيعة الإمامية ومدحوهما وأثنوا عليهما كل الثناء. بل ذهب هذان

---

(١) ونظيرها الحكمة ٤٦٩ في نهج البلاغة أيضاً: «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ.»

العالمان الجليلان إلى أن من ينفي السهو عن النبي ﷺ فهو من الغلاة[١].

والمستَنَدُ في ذلك ما جاء في كتب الحديث الأساسية الأربعة لدى الشيعة الإمامية، ونذكر أهمها فيما يلي:

ألف) «أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ سَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ فَسَأَلَهُ مَنْ خَلْفَهُ يَا رَسُولَ اللهِ أَ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالُوا إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ أَكَذَاكَ يَا ذَا الْيَدَيْنِ؟ وَكَانَ يُدْعَى ذَا الشِّمَالَيْنِ. فَقَالَ: نَعَمْ. فَبَنَى عَلَى صَلَاتِهِ فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعاً وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْسَاهُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَنَعَ هَذَا لَعُيِّرَ وَقِيلَ مَا تُقْبَلُ صَلَاتُكَ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ذَلِكَ قَالَ قَدْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَارَتْ أُسْوَةً. وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لِمَكَانِ الْكَلَامِ.». (الشيخ الطوسي، «التهذيب»، ج٢، حديث ١٤٣٣) ونلاحظ نظير هذا الخبر أيضاً في الأحاديث رقم (١٤٣٨ و١٤٦١) من «التهذيب».

ب) «عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ انْفَتَلَ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: صَلَّيْتَ بِنَا خَمْسَ رَكَعَاتٍ قَالَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لَيْسَ فِيهِمَا قِرَاءَةٌ وَلَا رُكُوعٌ ثُمَّ سَلَّمَ وَكَانَ يَقُولُ: هُمَا الْمُرْغِمَتَانِ» (الشيخ الطوسي، «التهذيب»، ج٢، حديث

(١) لا يخفى على أهل النظر أنه لا علاقة بين تجويز السهو والنسيان على نبي الإسلام (ص) وبين مسألة العصمة في إبلاغ الوحي وأحكام الشريعة. فقول الشيخ الصدوق ومن وافقه -كما سنرى في الصفحات التالية- يبين بوضوح أنهم يرون أن رسول الله مبرأ من السهو في أمر النبوة وتبليغ أحكام الدين وأنه في هذا الأمر يتمتّع بحفظ الله تعالى وحراسته. وبعبارة أخرى فإن الشيخ الصدوق وأستاذه ومن وافقهما لا يقولون بجواز سهو النبي على إطلاقه وفي كل شيء، وإنما يقولون بجواز ووقوع السهو منه في الأفعال والأمور الشخصية المحضة وغير التبليغية.

١٤٤٩)[1].

ج) وفي «الكافي» للكُلَيْنِيّ، (كتاب الصلاة/ بَابُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ أَوِ انْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهَا أَوْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ الْجُلُوسِ، حديث رقم ١) بسنده عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «مَنْ حَفِظَ سَهْوَهُ فَأَتَمَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَجْدَتَا السَّهْوِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَهَا فَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَ نَزَلَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَتَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَامَ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَتَمَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ وَسَجَدَ بِهِمْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ..» (الكافي، ج٣/ ص٣٥٦).

هذا وقد قال المحشِّي الذي حقَّق الكافي معلقاً على هذا الحديث: «حَمَلَ عددٌ من العلماء هذا الخبر على التَقِيَّة». وأقول ينبغي أن نسأله: وكيف يمكن للعلماء أن يدَّعوا أن الإمام الصادق عليه السلام كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! معاذ الله!

د) وفي الباب السابق ذاته من «الكافي» (الحديث رقم ٣): «عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام: أَسَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَحَالُهُ حَالُهُ؟! قَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَقِّهَهُمْ».

هـ) وَرَوَى الشيخ الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» فقال: «رَوَى الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ عَنِ الرِّبَاطِيِّ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَامَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ. ثُمَّ قَامَ فَبَدَأَ فَصَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمَّ

---

(١) وفي مسند الإمام زيد (بيروت، دار مكتبة الحياة، ص ١٢٣-١٢٤) رواية مشابهة ولفظها: «حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: **صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر خمساً، فقام ذو الشمالين فقال: يا رسول الله! هل زيد في الصلاة شيء؟! قال: وما ذاك؟، قال صليت بنا خمساً، قال فاستقبل القبلة فكبَّر وهو جالسٌ وسجدَ سجدتين ليس فيهما قراءةٌ ولا ركوعٌ وقال: هما المرغمتان**». وقارن بما ورد في مسند أحمد (ج٣/ ص ٧٢، و٨٣، و٨٤).

صَلَّى الْفَجْرَ، وَأَسْهَاهُ فِي صَلَاتِهِ فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ وَصَفَ مَا قَالَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لِئَلَّا يُعَيَّرَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا هُوَ نَامَ عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ سَهَا فِيهَا فَيُقَالُ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.». («من لا يحضره الفقيه»، أبواب الصلاة/ باب أحكام السهو في الصلاة، حديث ١٠٣١، ج١/ ص ٣٥٨). وبعد أن أورد «الصدوق» هذا الحديث علّق عليه قائلاً:

«قَالَ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ: إِنَّ الْغُلَاةَ وَالْمُفَوِّضَةَ لَعَنَهُمُ اللهُ يُنْكِرُونَ سَهْوَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُونَ لَوْ جَازَ أَنْ يَسْهُوَ عليه السلام فِي الصَّلَاةِ لَجَازَ أَنْ يَسْهُوَ فِي التَّبْلِيغِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ كَمَا أَنَّ التَّبْلِيغَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ وَهَذَا لَا يُلْزِمُنَا وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ الْمُشْتَرَكَةِ يَقَعُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا مَا يَقَعُ عَلَى غَيْرِهِ وَهُوَ مُتَعَبِّدٌ بِالصَّلَاةِ كَغَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ سِوَاهُ بِنَبِيٍّ كَهُوَ فَالْحَالَةُ الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا هِيَ النُّبُوَّةُ وَالتَّبْلِيغُ مِنْ شَرَائِطِهَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي التَّبْلِيغِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّهَا عِبَادَةٌ مَخْصُوصَةٌ وَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ مُشْتَرَكَةٌ وَبِهَا تَثْبُتُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ وَبِإِثْبَاتِ النَّوْمِ لَهُ عَنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ لَهُ وَقَصْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ نَفْيُ الرُّبُوبِيَّةِ عَنْهُ لِأَنَّ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ هُوَ اللهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَلَيْسَ سَهْوُ النَّبِيِّ ﷺ كَسَهْوِنَا لِأَنَّ سَهْوَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا أَسْهَاهُ لِيُعْلِمَ أَنَّهُ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ فَلَا يُتَّخَذَ رَبّاً مَعْبُوداً دُونَهُ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ بِسَهْوِهِ حُكْمَ السَّهْوِ مَتَى سَهَوْا. وَسَهْوُنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَئِمَّةِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْغَاوِينَ.

وَ يَقُولُ الدَّافِعُونَ لِسَهْوِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ وَإِنَّهُ لَا أَصْلَ لِلرَّجُلِ وَلَا لِلْخَبَرِ. وَكَذَبُوا لِأَنَّ الرَّجُلَ مَعْرُوفٌ وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو الْمَعْرُوفُ بِذِي الْيَدَيْنِ وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْمُخَالِفُ وَالْمُؤَالِفُ، وَقَدْ أَخْرَجْتُ عَنْهُ أَخْبَاراً فِي كِتَابِ وَصْفِ قِتَالِ الْقَاسِطِينَ بِصِفِّينَ.

وَ كَانَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي الْغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الْأَخْبَارِ وَفِي رَدِّهَا إِبْطَالُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَأَنَا أَحْتَسِبُ الْأَجْرَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابٍ مُنْفَرِدٍ فِي إِثْبَاتِ سَهْوِ

النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى». انتهى كلام الصدوق، «من لا يحضره الفقيه» ج١/ ص٣٥٩- ٣٦٠.

وقد أشار المرحوم الشيخ آقا بزرگ الطهراني في كتابه القيّم «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (ج١٢/ ص٢٦٥) إلى «كتاب السهو» للشيخ الصدوق كما أشار إلى رد الشيخ المفيد -تلميذ الشيخ الصدوق- على بعض آراء أستاذه في كتاب مستقل تحت عنوان «تصحيح الاعتقاد». وذكر أن الشيخ «المفيد» ردّ على قول الصدوق بسهو النبي ﷺ في رسالة خاصة عُرفت باسم «**السهوية**» وقد أشار إليها آقا بزرگ الطهراني في (ج١٢/ ص٢٦٧) من كتابه «الذريعة».

وقد أيَّد العلامة المحقِّق الحاج الشيخ محمد تقي الشوشتري (دام عزه) عقيدة الشيخ الصدوق في ثبوت سهو النبي ﷺ ودافع عن هذا القول وردَّ على الشيخ المفيد وفنَّد بشكل وافٍ ومُدلَّلٍ ما ذكره في ردِّه على الصدوق، كل ذلك في رسالة سمَّاها: «**رسالة في سهو النبي ﷺ**»، ذكرها صاحب «الذريعة» (ج١٢/ ص٢٦٧) بعنوان «**رسالة في سهو النبي والانتصار للشيخ الصدوق**». وقد طُبعت هذه الرسالة في آخر كتاب «**قاموس الرجال**» للعلامة الشوشتري مصورة عن نسخة كتبها بخط يده. وسنذكر في مقالتنا هذه أهم ما جاء في تلك الرسالة مع التعليق عليها. ومن الجدير بالذكر أننا بعد تحليلنا لتلك الرسالة سنذكر بعض الشواهد المؤيدة الأخرى من القرآن الكريم في هذا المجال. إن شاء الله تعالى.

خلاصة «رسالة في سهو النبي ﷺ» للعلامة الشوشتري

قال العلامة الشوشتري[1]:

[[كتب الشيخ المفيد رسالةً في نقض كلام الصدوق في عقيدته بسهو النبي ﷺ فقال: «*قد تكلف [الصدوق] ما ليس من شأنه، فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه، ولو كان ممن وفق لرشده لما تعرض لما لا يحسنه، ولا هو من صناعته*».

ثم قال المفيد: «*الحديث الذي روته الناصبة، والمقلدة من الشيعة أن النبي صلى الله عليه وآله سها في صلاته، فسلَّم في ركعتين ناسياً، فلما نُبِّه على غلطه فيما صنع، أضاف إليها ركعتين، ثم سجد سجدتي السهو، من أخبار الآحاد التي لا تثمر علماً، ولا توجب عملاً، ومَن عَمل على شيء منها فعلى الظن يعتمد في عمله بها دون اليقين، وقد نهى الله تعالى عن العمل على الظن في الدين، وحذر من القول فيه بغير علم ويقين*».

ثم استدل بالقرآن والعقل على بطلان العمل بالظن، وأطال الكلام في إبطال قول من قال بسهو النبي ﷺ في الصلاة. ثم شرع في بيان وجوه الطعن في حديث «السهو» وذكر في ذلك ثلاثة أوجه:

«١- أن رواة الأحاديث قد اختلفوا في الصلاة التي زعموا أنه (عليه السلام) سها فيها، فقال بعضهم هي الظهر. وقال بعض آخر منهم: بل كانت عشاء الآخرة. واختلافهم في الصلاة ووقتها دليل على وهن الحديث، وحجة في سقوطه، ووجوب ترك العمل به وَاطِّراحه.

٢- في الخبر نفسه ما يدل على اختلاقه، وهو ما رووه من أن ذا اليدين قال للنبي (عليه السلام) لما

---

(١) يجدر الانتباه إلى أنني ترجمتُ ما أورده المصنف من نص رسالة الشوشتري، عن الفارسية، رغم أن أصل الرسالة قد حرَّرها الشوشتري بالعربية، ولكن لما لم تتوفر لدي أصل رسالته، ترجمت عن ترجمة المرحوم قلمداران لها. وبالتالي فقد يكون هناك شيء بسيط من اختلاف ألفاظي عن ألفاظ الأصل العربي، فليُعلم. والخطب يسير لأن جزء كبير من رسالة الشوشتري اقتباسات من كتب متوفرة لدي ككتاب المفيد في الرد على الصدوق وكتب الرواية كالكافي وغيره فنقلتُ عين عباراتها العربية الأصلية. (المترجم)

سلَّم في الركعتين الأولتين من الصلاة الرباعية: أقصرت الصلاة يا رسول الله، أم نسيت؟ فقال على ما زعموا: " **كلُّ ذلك لم يكن** ". فنفى صلى الله عليه وآله أن تكون الصلاة قصرت، ونفى أن يكون قد سها فيها. فليس يجوز عندنا وعند الحشوية المجيزين عليه السهو، أن يكذب النبي (عليه السلام) متعمِّداً ولا ساهياً، وإذا كان قد أخبر أنه لم يسه، وكان صادقاً في خبره، فقد ثبت كذب من أضاف إليه السهو، ووضح بطلان دعواه في ذلك بلا ارتياب.

٣- اختلافهم في جبران الصلاة التي ادعوا السهو فيها، والبناء على ما مضى منها، أو الإعادة لها. فأهل العراق يقولون: إنه أعاد الصلاة، لأنه تكلم فيها، والكلام في الصلاة يوجب الإعادة عندهم. وأهل الحجاز ومن مال إلى قولهم، يزعمون: أنه بنى على ما مضى، ولم يعد شيئا قد تقضى، وسجد لسهوه سجدتين. ومن تعلق بهذا الحديث من الشيعة يذهب فيه إلى مذهب أهل العراق، لأنه متضمن كلام النبي (عليه السلام) في الصلاة عمدا، وَالتفاته عن القبلة إلى من خلفه، وسؤاله عن حقيقة ما جرى، ولا يختلف فقهاؤهم في أن ذلك يوجب الإعادة. والحديث يتضمَّن أن النبيَّ (عليه السلام) بنى على ما مضى ولم يُعِد، وهذا الاختلاف الذي ذكرناه في هذا الحديث أدل دليل على بطلانه، وأوضح حجة في وضعه واختلاقه».

ثم قال المفيد في موضع آخر: «ولو جاز أن يسهو النبي عليه السلام في صلاته وهو قدوة فيها حتى يسلم قبل تمامها وينصرف عنها قبل كمالها، ويشهد الناس ذلك فيه ويحيطوا به علما من جهته، لجاز أن يسهو في الصيام حتى يأكل ويشرب نهارا في رمضان بين أصحابه وهم يشاهدونه ويستدركون عليه الغلط، وينبهونه عليه، بالتوقيف على ما جناه ولجاز أن يجامع النساء في شهر رمضان نهارا ولم يؤمن عليه السهو في مثل ذلك حتى يطأ المحرمات عليه من النساء وهو ساه في ذلك ظان أنهم أزواجه ويتعدّى من ذلك إلى وطي ذوات المحارم ساهيا. ويسهو في الزكاة فيؤخرها عن وقتها ويؤديها إلى غير أهلها ساهيا، ويخرج منها بعض المستحق عليه ناسياً. ويسهو في الحج حتى يجامع في الإحرام، ويسعى قبل الطواف ولا يحيط علما بكيفية رمي الجمار، ويتعدى من ذلك إلى السهو في كل أعمال الشريعة حتى يقلبها عن حدودها، ويضيعها في أوقاتها، ويأتي

بها على غير حقائقها..!»[١].

وفي موضع آخر تعرَّض الشيخ المفيد لكلام الشيخ الصدوق في كتابه «الفقيه» فقال: «ثم من العجب حكمه على أن سهو النبي عليه السلام من الله، وسهو من سواه من أمته وكافة البشر من غيرهم من الشيطان، بغير علم فيما ادعاه، ولا حجة ولا شبهة يتعلق بها أحد من العقلاء، اللهم إلا أن يدعى الوحي في ذلك، ويبين به ضعف عقله لكافة الألبّاء. ثم العجب من قوله: إن سهو النبي عليه السلام من الله دون الشيطان، لأنه ليس للشيطان على النبي عليه السلام سلطان، وإنما زعم أن سلطانه على الذين يتولَّوْنَهُ، والذين هم به مشركون، وعلى من اتَّبَعَهُ من الغاوين. ثم هو يقول: إن هذا السهو الذي من الشيطان يعم جميع البشر - سوى الأنبياء والأئمة - فكلهم أولياء الشيطان وإنهم غاوون، إذ كان للشيطان عليهم سلطان، وكان سهوهم منه دون الرحمن، ومن لم يتيقظ لجهله في هذا الباب، كان في عداد الأموات[٢]. فأما قول الرجل المذكور [يقصد الشيخ الصدوق] إن ذا اليدين معروف، وأنه يقال له: أبو محمد، عمير بن عبد عمرو، وقد روى عنه الناس. فليس الأمر كما ذكر، وقد عَرَّفه بما يدفع معرفته من تكنيته وتسميته بغير معروف بذلك، ولو أنه يُعرف بذي اليدين، لكان أولى من تعريفه بتسميته بعمير. فإن المنْكِر له يقول: من ذو اليدين؟ ومن هو عمير؟ ومن هو ابن عبد عمرو؟ وهذا كله مجهول غير معروف. ودعواه أنه قد

(١) هذا الكلام غريبٌ وبعيداً جداً عن شأن الشيخ المفيد الذي كان متكلماً كبيراً!! لأنه من الواضح تماماً أنه حتى أفراد البشر العاديين -من العلماء والعامة- الذين ليسوا بأولياء والذين يعترضهم السهو أحياناً في الصلاة أو في أمور أخرى لا تصدر منهم تلك الأعمال الشنيعة المشار إليها سواء كان ذلك سهواً أم نسياناً اللهم إلا إذا ابتلوا بنوع من الماليخوليا أو الجنون!! وبالتالي فالتهويل واحتمال تلك الأمور بشأن النبي إذا جوَّزنا عليه السهو في الأمور الشخصية أبعد بمراتب بعيدة، فما ذكره من احتمالات غير وارد أصلاً!.

(٢) الإنصاف يقتضي هنا أن نقول إن إشكال الشيخ المفيد على كلام الشيخ الصدوق إشكال وارد وفي محله، لأنه لا يمكن القبول بأن كل إنسان -خاصة المؤمن والمسلم- سوى النبي والإمام إذا سها كان سهوه من تأثير الشيطان وإضلاله! لأن مثل هذا الحكم سيصيب حتى الشيخ الصدوق نفسه! لأنه مما لا شك فيه أنه كان يعرض له السهو والنسيان -كأي إنسان- فهل يقبل أن يقال له أنه ولي للشيطان وضالٌّ؟ بالتأكيد لا.

روى الناس عنه، دعوى لا برهان عليها، وما وجدنا في أصول الفقهاء ولا الرواة [أي الأصول الأربعمئة] حديثاً عن هذا الرجل، ولا ذكراً له.». انتهى كلام الشيخ المفيد.

ثم شرع العلامة الحاج الشيخ الشوشتري بالرد على مطاعن الشيخ المفيد الثلاثة في كلام الصدوق فقال:

[[أما قول الشيخ «المفيد»: «قد تكلَّف [الصدوق] ما ليس من شأنه!» فينبغي أن يُقال في الإجابة عنه: ليس صحيحاً أن من لم يكن له علم باصطلاحات المتكلمين لا يمكنه أن يدلي برأيه في أمر اعتقادي ما. وكيف يكون ذلك وقد أشار عليه حضرة الحجة (عج) في الرؤيا - (والذي يظهر من أخبار المعصومين -عَليهِمُ السَّلام- أن رؤية النبي والإمام في المنام تعتبر رؤيا صادق) - أن يصنِّف كتاباً حول «الغيبة» في الردّ على المخالفين، كما صرَّح الصدوق بذلك في مقدمة كتابه «إكمال الدين». كما أنه من اللازم أن نذكر أن الصدوق وُلِدَ بدعاء الحجة (عج) وهو صاحب ٣٠٠ مصنف وقد سمع شيوخ الإمامية الحديث منه وهو لا يزال شاباً. وقد كان الشيخ الجليل الصدوق من وجوه الشيعة في خراسان، جليل القدر، حافظاً للحديث ناقداً للأخبار ولم يكن له بين علماء قم نظير في الحفظ وكثرة العلم!

وأما قول الشيخ «المفيد» أن حديث «سهو النبي» «روته الناصبة، والمقلدة من... ومن أخبار الآحاد التي لا تثمر علماً، ولا توجب عملاً..» فجوابه أن الذين رووا هذا الحديث من رجال الشيعة هم:

١- سماعة بن مهران
٢- الحسن بن صدقة
٣- سعيد الأعرج
٤- جميل بن دراج
٥- أبو بصير
٦- زيد الشحّام
٧- أبو سعيد القمّاط
٨- أبو بكر الحضرمي
٩- الحارث (الحرث) بن المغيرة النصري

وكلهم من أجلة الرواة وثقاتهم، وبعضهم ممن أجمع العلماء على تصحيح ما اتصل صحيحاً

عنهم وأقروا بفقههم!

و قد أورد «جميل» الذي كان من أفقه العلماء الستة[١] ومن أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، نفسه في عداد بعض الرواة من أمثال زيد الشحام وسماعة بن مهران، لكون كلا الروايَين من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام اللذين لا مَطْعَنَ بهما أصلاً.

فكيف اعتبرهم الشيخ «المفيد» من الناصبة، هذا وعدد أخبار السهو أكثر من عدد كثير من الأخبار التي أُدُّعِيَ فيها التواتر في الفقه! إلى درجة أن الكُلَيْنِيَّ عقد لأحاديث السهو بابا خاصًا في كتاب «الكافي» تحت عنوان: (**بَابُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ أَوِ انْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهَا أَوْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ الْجُلُوسِ**). [ونورد فيما يلي الروايات المتعلقة بهذه المسألة]:

١- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: مَنْ حَفِظَ سَهْوَهُ فَأَتَمَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَجْدَتَا السَّهْوِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَهَا فَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ أَ نَزَلَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ فَقَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَ تَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ قَالُوا نَعَمْ فَقَامَ ﷺ فَأَتَمَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ وَسَجَدَ بِهِمْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ قَالَ قُلْتُ أَ رَأَيْتَ مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَظَنَّ أَنَّهُمَا أَرْبَعٌ فَسَلَّمَ وَانْصَرَفَ ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ مَا ذَهَبَ أَنَّهُ إِنَّمَا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَالَ يَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ مِنْ أَوَّلِهَا قَالَ قُلْتُ فَمَا بَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا أَتَمَّ بِهِمْ مَا بَقِيَ مِنْ صَلَاتِهِ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَجْلِسِهِ فَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَجْلِسِهِ فَلْيُتِمَّ مَا نَقَصَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا كَانَ قَدْ حَفِظَ الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ.

٢- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام أَ سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ فَقَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَحَالُهُ حَالُهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَقِّهَهُمْ.

(١) وهم: جميل بن دراج، وعبد الله بن مَسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان وأبان بن عثمان.

٣- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ سَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ فَسَأَلَهُ مَنْ خَلْفَهُ يَا رَسُولَ الله أَ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ قَالَ وَمَا ذَلِكَ قَالُوا إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ أَ كَذَلِكَ يَا ذَا الْيَدَيْنِ وَكَانَ يُدْعَى ذَا الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ نَعَمْ فَبَنَى عَلَى صَلَاتِهِ فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعاً وَقَالَ إِنَّ الله هُوَ الَّذِي أَنْسَاهُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَنَعَ هَذَا لَعُيِّرَ وَقِيلَ مَا تُقْبَلُ صَلَاتُكَ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ذَاكَ قَالَ قَدْ سَنَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَصَارَتْ أُسْوَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لِمَكَانِ الْكَلَامِ.

٤- وَرَوَى الشيخ [أي الشيخ الطوسي في التهذيب] بإسناده عن الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ جَمِيلٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ قَالَ يَسْتَقْبِلُ قُلْتُ فَمَا يَرْوِي النَّاسُ فَذَكَرَ لَهُ حَدِيثَ ذِي الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ وَلَوْ بَرِحَ اسْتَقْبَلَ.

٥- وعَنْهُ عَنْ فَضَالَةَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَذَهَبَ فِي حَاجَتِهِ؟ قَالَ: يَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ. فَقُلْتُ: مَا بَالُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله لَمْ يَسْتَقْبِلْ حِينَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله لَمْ يَنْفَتِلْ مِنْ مَوْضِعِهِ.

٦- وبإسناده [أي الشيخ الطوسي في «التهذيب»] عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ صَلَّى الْعَصْرَ سِتَّ رَكَعَاتٍ أَوْ خَمْسَ رَكَعَاتٍ؟ قَالَ: إِنِ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ صَلَّى خَمْساً أَوْ سِتّاً فَلْيُعِدْ وَإِنْ كَانَ لَا يَدْرِي أَ زَادَ أَمْ نَقَصَ فَلْيُكَبِّرْ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ لْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ ثُمَّ يَتَشَهَّدُ وَإِنْ هُوَ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ثُمَّ انْصَرَفَ فَتَكَلَّمَ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُتِمَّ الصَّلَاةَ قَائِماً عَلَيْهِ أَنْ يُتِمَّ الصَّلَاةَ مَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ نَبِيَّ الله صلى الله عليه وآله صَلَّى بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ نَسِيَ حَتَّى انْصَرَفَ فَقَالَ لَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ يَا رَسُولَ الله أَ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَصَدَقَ ذُو الشِّمَالَيْنِ؟؟ فَقَالُوا: نَعَمْ لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ. فَقَامَ فَأَتَمَّ مَا بَقِيَ مِنْ صَلَاتِه.

٧- وبإسناده [أي الشيخ الطوسي في «التهذيب»] عَنْ مُوسَى بْنِ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْقَمَّاطِ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ وَجَدَ غَمْزاً فِي بَطْنِهِ أَوْ أَذًى أَوْ عَصْراً مِنَ الْبَوْلِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.... [إلى قوله] إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ سَهَا فَانْصَرَفَ فِي رَكْعَةٍ أَوْ رَكْعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ ذَكَرَ سَهْوَ النَّبِيِّ ﷺ.

٨- وبإسناده عن سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنْ فَضَالَةَ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الْمَغْرِبَ فَلَمَّا أَنْ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ سَلَّمْتُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَأَعَدْتُ فَأَخْبَرْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ لَعَلَّكَ أَعَدْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا كَانَ يُجْزِيكَ أَنْ تَقُومَ وَتَرْكَعَ رَكْعَةً إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَهَا فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ ثُمَّ قَامَ فَأَضَافَ إِلَيْهَا رَكْعَتَيْنِ.

٩- وعنه أيضاً وَرَوَى سَعْدٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام إِنَّا صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ فَسَهَا الْإِمَامُ فَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ فَأَعَدْنَا الصَّلَاةَ فَقَالَ وَلِمَ أَعَدْتُمْ أَلَيْسَ قَدِ انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ فِي رَكْعَتَيْنِ فَأَتَمَّ بِرَكْعَتَيْنِ أَلَّا أَتْمَمْتُمْ.

١٠ - وَروى في **العيون** [أي في كتاب «عيون أخبار الرضا» للشيخ الصدوق] في آخر باب «باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمَّة والردِّ على الغُلاة والمفوِّضة لعنهم الله» عن تَمِيمٍ الْقُرَشِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام إِنَّ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ سَهْوٌ فِي صَلَاتِهِ! فَقَالَ: كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللهُ إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُو هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! قَالَ قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ الله! وَفِيهِمْ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ لَمْ يُقْتَلْ وَأَنَّهُ أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى حَنْظَلَةَ بْنِ أَسْعَدَ الشَّامِيِّ وَأَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رُفِعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام وَيَحْتَجُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَ لَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[النساء/ ١٤١] فَقَالَ كَذَبُوا عَلَيْهِمْ غَضَبُ الله وَلَعْنَتُه.... الحديث.

١١- وفي **الفقيه** [أي كتاب «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق]: روى الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ عَنِ الرِّبَاطِيِّ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

أَنَامَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَبَدَأَ فَصَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ، وَأَسْهَاهُ فِي صَلَاتِهِ فَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ، ثُمَّ وَصَفَ مَا قَالَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لِئَلَّا يُعَيَّرَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا هُوَ نَامَ عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ سَهَا فِيهَا فَقَالَ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ.

١٢ – وفي الفقه الرضويّ: وَكُنْتُ يَوْماً عِنْدَ الْعَالِمِ عليه السلام وَرَجُلٌ سَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ سَهَا فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ قَالَ فَلْيُتِمَّهَا وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى يَوْماً الظُّهْرَ فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ يَا رَسُولَ الله أُمِرْتَ بِتَقْصِيرِ الصَّلَاةِ أَمْ نَسِيتَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلْقَوْمِ صَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ الله لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ فَقَامَ فَصَلَّى إِلَيْهِمَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ.

تلك كانت الروايات الاثني عشر التي أفتى محدثون أجلاء مثل «الصدوق» و[أستاذه] «محمد بن الحسن بن الوليد»، و«السيد المرتضى»- الذي كان أجلّ تلاميذ المفيد – صراحةً بمضمونها! وقد عرفنا حال الأول منهم، أما «محمد بن الحسن بن الوليد» فهو: شيخ القميِّين، وفقيههم، ومتقدِّمهم، ووجههم. وعلى حد قول النجاشي: «ثقةٌ ثقةٌ، عينٌ، مسكونٌ إليه.». وبقول الشيخ الطوسي: «جليل القدر، عارفٌ بالرجال، موثوق به». وحتى «ابن الغضائري» الذي لا يثني على أحد ثناءً مضاعفاً أثنى عليه ثناءً مضاعفاً كما ذكر ذلك ابن داود.

ولعمري ليس مثله [أي ابن الوليد] بين الأصحاب [أي علماء الإمامية الكبار] في نقد الرجال والأخبار! ويكفي في بيان جلالة قدره وعظمته أن شخصاً كالصدوق قال عنه: «كلّما لم يصحِّحه ذلك الشيخ قُدِّس سرُّه ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح»[1].

---

(١) انظر تنقيح المقال، ج٣/ ص١٠٠. هذا ومن الجدير بالذكر أنه لم يُمْدَح أي عالم من علماء الإمامية بمثل هذا القول. أضف إلى ذلك أنه قد وردت عن الأئمة أحاديث عديدة في مدح آراء علماء قم الذين كانوا في زمن الأئمَّة، كما ذكر ذلك الشيخ الشوشتري نفسه – دام عزه – في «قاموس الرجال» (ج٨/ ص ١٢٠). نعم لقد

أما عن الشخص الثالث [السيد المرتضى علم الهدى] فقد قيل في حقه: «متوحِّدٌ في علوم كثيرةٍ، مُجْمَعٌ على فضله مقدَّمٌ في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك»(١)، وكان أرفع أدباء عصره منزلةً، فقيهاً ومتكلماً وجامعاً لجميع العلوم.

وقال عنه النجاشي: «حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحدٌ في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلِّماً شاعراً أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا»(٢).

لقد اتَّضح رأي الأول والثاني بشأن «سهو النبيّ»! أما الثالث [أي السيد المرتضى علم الهدى] فقد قال في كتابه «تنزيه الأنبياء» بعد ذكره لآية ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف/ ٧٣]: «**فأما فيما هو خارج عما ذكرناه [أي أمر الشرع وما أُمر النبيُّ بتبليغه عن الله] فلا مانع من النسيان.**» ثم ذكر جواز النسيان أو السهو في المأكل والمشرب(٣). وقال في كتاب «الناصريات» بعد أن ذكر عدم بطلان الصلاة بالتسليم ناسياً: «**وخبر «ذي اليدين» يدلُّ على أنَّ من سلَّم ناسياً لا تبطل صلاته، لأنه روي أن النبي ﷺ سلَّم في الركعتين الأولتين ساهياً من الظهر أو العصر،**

مدح الأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- أهل قم مدحاً بليغاً حتى إن المجلسي ذكر في المجلد ١٤ من البحار (طبع كمباني، من ص ٣٣٧ إلى ٣٤١) أكثر من أربعين روايةً في الثناء على أهل قم المعاصرين للأئمة، وختم ذلك برواية فيها: «**هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ هُمُ الفُقَهَاءُ العُلَمَاءُ الفُهَمَاءُ هُمْ أَهْلُ الدِّرَايَةِ وَالرِّوَايَةِ وَحُسْنِ العِبَادَةِ**».

(١) العلامة الحلي،الخلاصة، ص ٩٤، وانظر الطوسي، الفهرست، ص ٩٨.

(٢) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٧٠.

(٣) السيد المرتضى، «تنزيه الأنبياء»، ص ٨٤. وعبارة السيد المرتضى الكاملة التي ذكرها بعد الآية ٧٣ من سورة الكهف هي: «**وإذا حملنا هذه اللفظة على غير النسيان الحقيقي فلا سؤال فيها وإن حملناها على النسيان في الحقيقة كان الوجه فيها أن النبي - عليه السلام - إنما لا يجوز عليه النسيان فيما يؤديه عن الله تعالى أو في شرعه أو في أمر يقتضي التنفير عنه فأما فيما هو خارج عما ذكرناه فلا مانع من النسيان. ألا ترى أنه إذا نسي أو سها في مأكله أو مشربه على وجه لا يستمر ولا يتصل فننسب إلى أنه مغفل فإن ذلك غير ممتنع؟**»

ثم بنى على صلاته.». واستدلَّ من هذا الطريق أيضاً على أن من تكلَّم في صلاته ناسياً لم تبطل صلاته. ويُفهم من كلام الكُلَيْنِيّ في «الكافي» أنه كان يعمل بهذا الحديث، وكذلك عمل الاثنا عشر راوياً بالخبر - ما عدا الشيخ الطوسي - ولم يذكر أحدٌ منهم طعناً فيه بأنه مخالف للعقل أو للنقل! وكلهم من الرواة الذين أثنى عليهم المشايخ والفقهاء الكبار ووثَّقوهم. فكيف يقال لمثل هؤلاء أنهم مقلِّدة؟! واستناداً إلى ما ذكرناه يتبين أن هذا الخبر من الأخبار المتواترة أو الملحقة بها، لذا قال «ابن الوليد» «**وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي هَذَا المَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الْأَخْبَارِ**». وكيف نقبل بأن هذا الخبر خبر آحاد في حين أن الخاصة والعامة اتفقوا على روايته وأجمع عليه الموافق والمخالف؟![1].

ولم يُعْلَم عن أي عالم من علماء الشيعة الإمامية تشكيكٌ بصحة هذا الخبر وولو وجد لما اكتفى الصدوق بنسبة مخالفة هذا الخبر إلى المفوِّضة والغلاة، بل لَذَكَرَ المخالف وناقشه، كما ناقش في قسم الميراث في «[من لا يحضره] الفقيه» يونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان، رغم قَدْرِهما ومنزلتهما - وخطَّأهما في كثير من الموارد!

هذا، ويؤيد كلام الصدوق في أن منكري سهو النبي ﷺ هم الغلاة والمفوضة الحديث السابق الذي نقلناه من «عيون أخبار الرضا»، وقد زاد فيه أن منكري سهو النبي ﷺ هم أنفسهم منكرو قتل الحسين عليه السلام الذين استنبطوا ذلك القول الخاطئ من الآية المذكورة.

ولم ينكر أحدٌ من القدماء قبل الشيخ «المفيد» هذا الخبر. ومفهوم كلام السيد المرتضى في «المسائل الناصريات» أن موضوع «سهو النبي» كان أمراً مُسلَّماً به ولم يخالف في وقوعه أحد، وقد اتبع الشيخ الطوسي أستاذه الشيخ المفيد في هذا الأمر[2]، واتّبع المتأخِّرون الشيخ الطوسي في هذا

---

(١) لمعرفة ما ورد حول هذا الأمر في كتب العامة يمكن الرجوع إلى كتاب «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول» ج١ / ص ٢٢٠.

(٢) يقول الشيخ الطوسي الذي لا يصحح أحاديث سهو النبي، بعد نقله لتلك الأحاديث: «**وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا لِأَنَّ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ مَعْمُولٌ بِهَا عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ**» (تهذيب الأحكام ج١/ ص٢٣٦)، وهذا يفيد أنه حتى زمن

الأمر - كعادتهم في متابعة الشيخ الطوسي في كثير من آرائه[١].

أما «إسحق بن الحسن بن بكران» الذي كان معاصراً للنجاشي ولقيه في الكوفة، وعد النجاشيُّ من كتبه كتاب «نفي السهو عن النبي ﷺ» فقد كان في الظاهر من الغلاة! لأن النجاشي قال عنه: «**هو ضعيف المذهب**»!!

بناء على ما تقدم كيف يدعي الشيخ المفيد أن هذا الخبر خبر آحاد؟ مع أنه إضافة إلى تواتره في حد نفسه له ما يعضده من القرآن الكريم! والميزان في صحة الأخبار موافقتها للقرآن[٢]، وقد قال الله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأعلى/ ٦ - ٧]، وقال عن حضرة النبي موسى عليه السلام وغلامه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف/ ٦١]، وقال أيضاً: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف/ ٧٣][٣].

ولأجل ذلك بعد أن نقل العلامة المجلسيُّ أخبارَ السهو واستدل على عدم صدورها قال:

الشيخ كانت أخبار سهو النبي (ص) مَعْمُولاً بِهَا. وطبقاً لما نقله العلامة المجلسي، فإن الشهيد الأول قال في «الذكرى» (ص ١٣٤) بعد أن نقل رواية صحيحة عن «زرارة» عن الإمام الباقر عليه السلام: أن رسول الله (ص) فاتته صلاة الصبح في بعض أسفاره فصلاها قضاء، قال: «ولم أقف على رادٍّ لهذا الخبر»، ثم نقل المجلسي كلام الشيخ البهائي الذي قال: «وهو [أي كلام الشيخ الشهيد الأول هذا] يعطي تجويز الأصحاب صدور ذلك وأمثاله عن المعصوم وللنظر فيه مجال واسع» انتهى. (بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٠٧ - ١٠٨)، كما نقل المجلسيُّ كلامَ جناب القاضي عياض القمي الذي قال في كتابه «الشفا»(ج٢/ ص ٢٦٧ - ٢٧٠): «و أما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله (ص) وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه ما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط فيها على سبيل الندرة.». (بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١١٨).

(١) من هذا الكلام يظهر أن عنوان «المقلدة» الذي استخدمه الشيخ المفيد في حق الشيخ الصدوق وأستاذه ابن الوليد القمي، أحق بكثير أن يشمل المتأخرين وليس أولئك الأستاذين الكبيرين القديمين!

(٢) رُوي عن النبيّ والأئمة: «ما وافق القرآن فخذوه وما خالف القرآن فدعوه».

(٣) ذكرنا في الصفحات السابقة قول السيد المرتضى حول هذه الآية.

«**اعلم أن هذه المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الآيات والأخبار على صدور السهو عنهم**... وما أسلفنا من الأخبار وغيرها وإطباق الأصحاب إلا ما شذ منهم على عدم جواز السهو عليهم مع دلالة بعض الآيات والأخبار عليه في الجملة»!!. «بحار الأنوار»، ج١٧/ ص ١١٨ و١١٩. وأيضاً في ج٢٥/ ص٣٥١.

مناقشة وجوه طعن الشيخ المفيد (رح)

١- أما الطعن الأول للشيخ المفيد بقوله: «أن رواة الأحاديث قد اختلفوا في الصلاة التي زعموا أنه (عليه السلام) سها فيها، فقال بعضهم هي الظهر. وقال بعض آخر منهم: بل كانت عشاء الآخرة. واختلافهم في الصلاة ووقتها دليل على وهن الحديث، وحجة في سقوطه» فهو عجيب من مثل الشيخ المفيد! لأن إيجاب الوهن إنما يكون عندما يكون الاختلاف في نفس الخبر لا فيما هو خارج عنه! وإلا لو كان الأمر كما قال لكان اختلاف الأمة في ماهية «الصلاة الوسطى» موجباً للطعن في تلك الصلاة، مع أن «الصلاة الوسطى» ذكرت في القرآن! ومن الجهة الأخرى فإن الاختلاف الذي ذكره الشيخ المفيد هو بين علماء العامة!! وليس بين علماء الخاصة اختلاف في ذلك بل كلهم متفقون على أن ذلك السهو حصل في صلاة الظهر، كما دل عليه خبر «سماعة بن مهران» وخبر «الفقه الرضوي».

٢- أما طعن الشيخ المفيد الثاني الذي قال فيه «إن في الخبر ما يدل على وضعه»! فهو أعجب من طعنه الأول! لأنه ترك جميع أخبار الخاصة واستند إلى خبر العامة ثم اعتبر الطعن في خبر العامة موجباً للطعن في أخبار الخاصة! وذلك لأن جملة «**كلُّ ذلك لم يكن!**» لم ترد في أي خبر من أخبارنا الخاصة، بل جاء في جميعها أنه لما قال «ذو الشمالين» للنبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): صليتَ ركعتين! استفسر النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ممن كانوا خلفه عن صحة قول ذي الشمالين فصدَّقوا قوله!

من هنا يظهر أن لا محل في هذا الباب لقول «المفيد»: «فليس يجوز عندنا وعند الحشوية المجيزين عليه السهو، أن يكذب النبي (عليه السلام) متعمِّداً ولا ساهياً» كما لا وجه لإطلاقه لقب الحشويَّة على الشيخين الصدوق وابن الوليد! لأن كلاً منهما كان عالماً كبيراً وكانا من نُقَّاد الأخبار

والآثار. فلم يرتضيا مثلاً رواية آثار مثل كتاب خالد بن عبد الله، وأصل الزيدين، وكتاب «بصائر الدرجات» للصفار، وكتاب «المنتخبات» لسعد! كما استثنيا روايات «محمد بن سنان» و«ابن أرومة» و«ابن جمهور» وأمثالهم، مما يشتمل على الغلو والتخليط، كما استثنيا روايات «أبي سمينة» التي تتضمن غلواً وتخليطاً وتدليساً أو تفرداً! كما استثنيا من كتب «يونس بن عبد الرحمن» ما تفرد به العُبَيْدي! واستثنيا جماعةً كثيرةً من رواة نوادر حكمة «محمد بن أحمد بن يحيى» وهم: محمد بن موسى الهمداني، محمد بن يحيى المعاذي وأبو عبد الله الجاموري، وأبو عبد الله السياري، ويوسف بن السخت، ووهب بن منبّه، وأبو علي النيشابوري، وأبو سمينة، وأبو يحيى الواسطي، والآدمي، والعبيدي، وأحمد بن هلال، ومحمد بن علي الهمداني، وعبد الله بن محمد الشامي، وعبد الله بن أحمد الرازي، وأحمد بن يحيى بن سعيد، وأحمد بن بشير الرقي، ومحمد بن هارون ومحمد بن عبد الله بن مهران، والحسن اللؤلؤي وجعفر بن محمد بن مالك، ويوسف بن الحرث (الحارث)، وعبد الله بن محمد الدمشقي(١).

والأعجب مما سبق، قوله في آخر رسالته: «إن هذه الرواية تقتضي أنه لم يتنبَّه إلى هذا السهو إلا ذو اليدين - وهو مجهول الشخصية من بين الصحابة - دون جميع من حضر من سائر الصحابة بما فيهم أبو بكر وعمر، وأن الرسول صلى الله عليه وآله لما أراد أن يتأكد من كلام ذي اليدين سأل أبا بكر وعمر عن ذلك؟ دون غيرهما من الصحابة الحاضرين؟! وكل هذه المفارقات تشير إلى أن الرواية إنما وضعت لتشويه سمعة النبي صلى الله عليه وآله، وإسقاط فعله عن الحجية والاعتبار». انتهى.

إن كل ما ذكره الشيخ إنما يصح إذا اعتمدنا على الحديث الوارد من طرق العامة، ولكننا لم نعتمد عليه بل اعتمدنا على الأخبار المتعددة التي مرّت، ولذلك فإن كلّ المطاعن التي ذكرها الشيخ المفيد لا تتجّه للأخبار والرواة المذكورين.

---

(١) الحق والإنصاف أن مثل هذه الدقة في نقد الأخبار والرواة تستحق كل التقدير! وتدل على عمق الإحساس بالمسؤولية تجاه الآثار النبوية الثمينة.

فالطريق الذي سلكه الشيخ من أسوأ المغالطات، وليته إن لم يرجع إلى أخبار الخاصة اكتفى على الأقل بحديث «سعيد الأعرج» في «من لا يحضره الفقيه»!

٣ – أما طعن الشيخ المفيد الثالث بقوله أنه: «مما يدل على بطلان الحديث اختلافهم في جبران الصلاة التي ادعوا السهو فيها، والبناء على ما مضى منها، أو الإعادة لها. فأهل العراق يقولون: إنه أعاد الصلاة، لأنه تكلم فيها، والكلام في الصلاة يوجب الإعادة عندهم. وأهل الحجاز ومن مال إلى قولهم، يزعمون: أنه بنى على ما مضى، ولم يعد شيئاً قد تقضّى، وسجد لسهوه سجدتين. ومن تعلق بهذا الحديث من الشيعة يذهب فيه إلى مذهب أهل العراق، لأنه متضمن كلام النبيّ (عليه السلام) في الصلاة عمداً، والتفاته عن القبلة إلى من خلفه، وسؤاله عن حقيقة ما جرى، ولا يختلف فقهاؤهم في أن ذلك يوجب الإعادة. والحديث يتضمن أن النبي (عليه السلام) بنى على ما مضى. وهذا الاختلاف الذي ذكرناه في هذا الحديث أدل دليل على بطلانه، وأوضح حجة في وضعه واختلاقه.» انتهى كلام المفيد.

فهذا الطعن للشيخ أعجب من الطعنين السابقين! لأن الصدوق لم يتمسّك بحديث العامة ولأن الشيعة لم يذهبوا إلى مذهب أهل العراق ولأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يتكلم في صلاته عامداً! لأن الكلام إذا كان بسبب ظنّه أنه قد فرغ من الصلاة هو من باب الكلام سهواً، ولا أعلم خلافاً بين علماء طائفة الإمامية في هذه المسألة.

(نهاية كلام جناب العلامة الشيخ الشوشتري دام عزّه).

الخاتمة

كما لاحظنا أبطل العلامة القدير وعالم شوشتر الشهير آية الله الحاج الشيخ وجوه طعن الشيخ المفيد في أخبار سهو النبي ﷺ في الصلاة بكل علميَّةٍ ومهارة وتمكُّنٍ في علم الرواية (الرجال) والدراية، وما ذكَرَهُ كافٍ لمعرفة مبلغه من العلم ودقة البحث.

ولكنني أرى أنه بدلاً من إطالة الكلام في جرح الرجال وتعديلهم وتمحيص الروايات المختلفة في هذا الباب مما يطول الكلام فيه وربما لم يعطنا في النهاية نتيجة قطعية لأن أحوال الرجال أمر مختلف فيه، نرى أن نلجأ في هذه المسألة إلى أصل حجية ظواهر كتاب الله وأن نستعين في هذه المسألة بآيات الكتاب البينات وبتعبير آخر أن نسلك طريقاً مختصراً يوصلنا مباشرة إلى المقصود!

إن هناك عدة آيات في القرآن الكريم تدل على أن الأنبياء العظام -عَليهِمُ السَّلام- يعرض لهم أحياناً النسيان وهذا من لوازم طبيعتهم البشرية! ومن المسلَّم به أن «السهو» الذي هو نوع من أنواع النسيان يعرض لهم أيضاً. والآيات التالية حول هذا الموضوع جديرة بالتأمل:

١ - ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا ... الآية ﴾ [الكهف/ ٢٣، ٢٤].

كما هو معروف ومشهور في كتب علوم القرآن وأسباب النزول والتفاسير أن قريشاً أرسلت وفداً إلى علماء أهل الكتاب (اليهود) في المدينة كي يطلبوا منهم بعض الأسئلة ليمتحنوا بها صدق محمد ﷺ. فقال لهم اليهود اسألوه عن «أصحاب الكهف» وعن «ذي القرنين»[(١)].

فعادوا بهذه الأسئلة إلى مكة وطرحوها على النبي ﷺ فأجابهم قائلاً «سأخبركم عنها غداً» ولم يستثنِ بقوله: «إن شاء الله»! فلم ينزل الوحي في اليوم التالي، وكما ذكر الرواة تأخَّر نزول

---

(١) وأضافت بعض المصادر أنهم اقترحوا عليهم أيضاً أن يسألوه عن الروح.

الوحي من ثلاثة إلى ٤٥ يوماً وقد أصاب النبيَّ ﷺ الحزنَ لهذه الفترة في الوحي.

وبعد أن نزل الوحي وبيَّن الإجابة عن أسئلتهم علَّم اللهُ تعالى في بداية الآيات نبيَّه الكريمَ ﷺ أن لا يجزم بقول أو فعل شيء في المستقبل دون إيكال ذلك إلى مشيئة الله وإرادته وقال له: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا ... الآية ﴾.

وقد يقول قائل إن جملة «**إذا نسيتَ**» قضية شرطية ولا تدلّ ضرورةً على تحقّق الشرط وأن النبيَّ ﷺ نسيَ فعلاً. والجواب: إن هذا الكلام مثله مثل أن تقول لشخص تجاوز الخمسين من عمره إذا كنت شاباً فواصل تحصيلك العلمي أي أن تُعَلِّقَ الأمر على محال! فذلك الإشكال يستتبع نسبة الشك إلى علم الله -معاذ الله-، وكأنَّه تعالى لم يكن يعلم أن محمداً ﷺ لا يمكن أن ينسى أبداً، فهو يذكِّرُهُ بأمر يستحيل وقوعه منه!! إنه من الواضح تماماً أن الله تعالى اعتبر بروز النسيان أمراً طبيعياً بالنسبة إلى النبي ﷺ لذا أمره أن يذكر ربه إذا نسي.

٢- قال المرحوم الشيخ الطَّبْرَسِيّ صاحب التفسير القيِّم «مجمع البيان» ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٦٨]:

«قال الجبائي وَفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء وَالأئمة وَأن النسيان لا يجوز على الأنبياء! **وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم، لأن الإمامية إنما تُجوِّز التقيَّة على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلَّف مزاح العلَّة في تكليفه ذلك، فأمَّا ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام وَلا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقيَّة فيه.......**

و أما النسيان وَالسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدُّونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوَّزُوا عليهم أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤدِّ ذلك إلى إخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وَقد جوَّزُوا عليهم [أي عَلَى النبيِّ والأئمَّةِ] النوم وَالإغماء وهما من قبيل السهو؟! فهذا ظنٌّ منه فاسدٌ، وإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.». (انتهى كلام الطَّبْرَسِيّ).

٣- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم/ ١]، وقال

سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة/ ٤٣]

هاتان الآيتان يحملهما علماء الشيعة -لاسيما المتأخرون منهم - على ترك الأولى! ونقول حسناً! ولكن أليس ترك الأولى بابٌ من أبواب السهو أيضاً؟!

٤- وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة/ ٢٠٤]، كما نلاحظ تبين الآية أنه من الممكن لمن هو «ألد الخصام» أن يثير إعجاب النبي بكلامه وإشهاده الله على ما في قلبه، في حين يكون واقع أمر ذلك الشخص خلاف ما يظهره، وهذا أيضاً نوع من «السهو».

ولكن الله تعالى هو وحده المبرأ من كل نقص بما في ذلك السهو والنسيان! كما يقول الباري تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه/ ٥٢].

وَالسَّلَامُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

قائمة المصادر والمراجع

(ملاحظة: لم يذكر المؤلف قائمة مصادره، ولكني استقرأتُ مصادره ومراجعه هذه من متن كتابه وحواشيه، علماً أن بعض تواريخ وأماكن النشر المذكورة هي للطبعات التي رجعتُ إليها ووَثَّقْتُ منها.) (المترجم)

القرآن الكريم.

كتب التفسير

١) الطبرسي، الشيخ أمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ)، «مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان» ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢) الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، «التبيان في تفسير القرآن»، طهران (طبعة حجرية)، ١٣٦٥هـ. أو الطبعة الجديدة المحققة، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، طهران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

٣) علي بن إبراهيم القمي (القرن٣؟)، تفسير القمي، ط٣، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ

٤) العيَّاشِيّ، الشيخ أبو النضر محمد بن مسعود بن العياش التميمي الكوفي السمرقندي (توفي في بداية القرن ٤ هـ)، «تفسير العياشي»، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية.

٥) الفيض الكاشاني، الملا محسن الملقب بالفيض محمد بن مرتضى (١٠٩١هـ) «الصافي في تفسير كلام الله الوافي»، طهران، منشورات المكتبة الإسلامية.

كتب الأخبار وشروحها وأصول الحديث

٦) ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسن المدائني (٦٥٥هـ)، «شرح نهج البلاغة»، مصر، ١٣٧٨هـ.[٢٠ جزءاً].

٧) أحمد بن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، «المسند».

٨) البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ)، «صحيح البخاري».

٩) الحُرّ العاملي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات».

١٠) الحُرّ العاملي، «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، طبع أمير بهادر الحجرية. أو ط.مؤسسة آل البيت، قم، إيران ١٤٠٩هـ.

١١) الراوندي، قطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)، «النوادر».

١٢) الشريف الرضي، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى (٤٠٦هـ) «نهج البلاغة» من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، قم، انتشارات دار الهجرة.

١٣) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، «إكمال الدين»، ط٢، قم، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٥هـ.

١٤) الصدوق، «الأمالي»، ط٤، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ.

١٥) الصدوق، «علل الشرائع»، قم، مكتبة الداوري.

١٦) الصدوق، «عيون أخبار الرضا عليه السلام» طهران، الطبعة الحجرية. أو بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٧) الصدوق، «كتاب التوحيد»، قم، مكتبة الصدوق. أو ط٢، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٣٩٨هـ.

١٨) الصدوق، «معاني الأخبار»، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٣ هـ.

١٩) الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ط٣، قم، ١٤٠٣هـ.

٢٠) الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠هـ)، «بصائر الدرجات»، ط٢، قم، انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ.

٢١) الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، «تهذيب الأحكام»، ط٤، طهران، دار الكتب

الإسلامية، ١٣٦٥ هجرية شمسية.

٢٢) علي بن الحسين زين العابدين، الإمام السجاد، «الصحيفة السجادية».

٢٣) الكُلَيْنِيّ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيْنِيّ الرازي (٣٢٩هـ)، «الكافي» (الأصول والفروع والروضة)، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥هـ.ش.

٢٤) المامقاني، «مقباس الهداية في علم الدراية». (المطبوع مع كتابه الرجالي: تنقيح المقال).

٢٥) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١١١١ هـ)، «بحار الأنوار» طبعة كمباني (تبريز) الحجرية، أو طبعة بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤هـ في ١١٠ مجلدات.

٢٦) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». (شرح وتحقيق لكتاب «الكافي» للكُلَيْنِيّ).

٢٧) محمد باقر البهبودي، «معرفة الحديث» مركز انتشارات علمي وفرهنكي، طهران.

٢٨) محمد بن محمد بن الأشعث (قرن ٤ هـ)، «الأشعثيات» [ويُسَمَّى أيضاً «الجعفريات»].

٢٩) محمد تقي بن الشيخ محمّد كاظم الشُّوْشْتَرِيّ (١٤١٥هـ)، «الأخبار الدخيلة».

٣٠) مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، «صحيح مسلم».

٣١) المفيد، الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ العكبري البغدادي (٤١٣ هـ)، «الأمالي».

٣٢) النوري الطبرسي، الميرزا حسين بن محمد تقي المازندراني (١٣٢٠هـ)، «مستدرك الوسائل»، ط.حجرية.

٣٣) الواسطي، عمرو بن خالد القرشي الهاشمي مولاهم، أبو خالد الكوفي ثم الواسطي، (توفي بين ١٥٠ و١٦٠هـ؟)، «مسند الإمام زيد»، بيروت، دار مكتبة الحياة.

كتب الرجال والجرح والتعديل

٣٤) ابن أبي داود، الحسن الحلي، (توفي في القرن ٨ هجري؟)، «رجال ابن داود»، نشر مؤسسة النشر في جامعة طهران، ١٣٨٣هـ.

٣٥) ابن الغضائري، أبو عبد الله أحمد بن الحسين الغضائري (٤١١هـ)، «رجال ابن

الغضائري»، قم، مؤسسه اسماعيليان، ١٣٦٤هـ.
٣٦) الأسترآبادي، الميرزا محمد (١٠٢١ هـ)، «منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال» المعروف بالرجال الكبير، طبع طهران، ١٣٠٦هـ.
٣٧) بحر العلوم، السيد (١٢١٢هـ)، «الفوائد الرجالية»، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، ط١، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣ هجرية ش.
٣٨) التستري، الشيخ محمد تقي (القرن ١٤ هـ)، «قاموس الرجال»، طهران، ١٣٧٩هـ [١١ مجلداً].
٣٩) التفرشي، آقا مير مصطفى بن الحسين الحسيني (١٠١٥ أو ١٠٣١ هـ؟)، «نقد الرجال»، طهران، ١٣١٨هـ.
٤٠) الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦ هـ)، «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال».
٤١) الحلي، العلامة، «رجال العلامة الحلي»، قم، دار الذخائر، ١٤١١ هـ.
٤٢) الطهراني، آقا بزرگ (١٣٨٨هـ أو ١٣٨٩ هـ)، «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، إعداد: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، بيروت، دار الأضواء.
٤٣) الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠ هـ)، «اختيار معرفة الرجال».
٤٤) الطوسي، شيخ الطائفة، «الفهرست»، طبع كلكوتة.
٤٥) الطوسي، شيخ الطائفة، «رجال الطوسي»، تصحيح وتعليق ميرداماد الأسترابادي.
٤٦) الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز (توفي حوالي ٣٥٠هـ)، «اختيار معرفة الرجال أو رجال الكِشِّي»، طبع كربلاء، أو طبع مشهد، مؤسسة النشر في جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ، تحقيق حسن المصطفوي.
٤٧) المامَقَانيّ، الشيخ عبد الله (١٣٥٠ أو ١٣٥١ هـ)، «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، طبعة حجرية (في ٣ مجلدات).

٤٨) النجاشي، الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن علي (٤٠٥هـ)، «الرجال»، طبع بمبئي. وط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٦هـ.

كتب العقائد والكلام والفقه

٤٩) حيدر علي قلمداران، «شاهراه اتحاد»، قم.

٥٠) حيدر علي قمداران، «مقدمه حقايق عريان در اقتصاد قرآن (زكات)»، قم.

٥١) السيد المرتضى علم الهدى، الشريف أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (٤٣٣هـ)، «تنزيه الأنبياء والأئمة».

٥٢) السيد المرتضى علم الهدى، «الشافي في الإمامة»، حققه عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط٢، طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٣) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، «الاعتقادات في دين الإمامية» أو الطبعة الحجرية (المطبوعة مع شرح الباب الحادي عشر).

٥٤) الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، «تلخيص الشافي»، تقديم وتعليق السيد حسين بحر العلوم، قم، مؤسسة انتشارات المحبين، ١٣٨٢ هـ شمسية.

٥٥) عبد الجليل القزويني الرازي، الشيخ، «نقض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض»، انتشارات أنجمن آثار ملي.

٥٦) محمَّد حسن الجواهري، محمَّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرَّحيم النجفي (١٢٦٦هـ)، «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام»، تحقيق وتعليق الشيخ عباس القوچاني، ط٢، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هجرية شمسية (١٩٨٦م.).

٥٧) المفيد، الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَان العكبري البغدادي (٤١٣هـ)، «أوائل المقالات»، طبع تبريز.

٥٨) المفيد، الشيخ، «العيون والمحاسن» أو «الفصول المختارة من العيون والمحاسن».

٥٩) المفيد، الشيخ، «تصحيح اعتقاد الإمامية» ويعرف اختصاراً بـ «تصحيح الاعتقاد».

كتب التاريخ والتراجم والسير والطبقات والمناقب

٦٠) إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، أبو اسحق الكوفي (٢٨٣هـ)، «الغارات» أو الاستنفار والغارات، ط. طهران أو ط. بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م حققه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

٦١) ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (٢٣٠ هـ)، «الطبقات الكبرى»، ليدن، هولندا.

٦٢) ابن شهرآشوب المازندراني، (٥٥٨هـ)، «مناقب آل أبي طالب» ويُعرف اختصاراً بكتاب «المناقب»، قم، مؤسسة العلامة للنشر، ١٣٧٩هـ.

٦٣) ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ)، «البداية والنهاية»، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

٦٤) الاسترآبادى، السيد شرف الدين على الحسينى الاسترآبادى (حوالي ٩٤٠هـ)، «تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة»، ط١، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٩هـ.

٦٥) البحراني، السيد هاشم بن سليمان البحراني (١١٠٧ أو ١١٠٩هـ)، «مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر»، تحقيق لجنة التحقيق بإشراف فارس حسون كريم، ط١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٥هـ.

٦٦) البرسي، الحافظ رجب البرسي (كان حياً سنة ٨١٣هـ)، «مشارق أنوار اليقين»، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٦٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، طبع القاهرة.

٦٨) عباس القمي، الشيخ المحدث، «منتهى الآمال»، قم، كتابفروشي اسلاميه.

٦٩) علي خان بن معصوم الشوشتري، السيد المدنى الشيرازي الحسيني (١١٢٠هـ)، «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة».

٧٠) المسعودي، علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي (٣٤٦هـ)، «مروج الذهب ومعادن

الجوهر»، طبع مصر، ١٣٤٦هـ.

٧١) المفيد، الشيخ «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.

٧٢) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

٢

بحث حول الولاية وحقيقتها

[نقد العبارات الشركية في افتتاحية كتاب «أمراء الكون»]

بعد أن ابتدأ حضرة آية الله العظمى! كتابه بسطر ونصف من الثناء على الله ونصف سطر بالشهادة للنبي بالرسالة تقليداً منه لسنة المؤلفين القدماء، أعقب ذلك بقوله: «وأشهد أن خلفاءه وأوصياءه مدبرو أمور الخليقة»!!

فلنأت إلى هذه العبارة التي افتتح بها كتابه ونتأملها على ضوء القرآن الكريم لنرى من هو مدبر أمور الخليقة؟

يقول القرآن الكريم: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [يونس/ ٣]، ويقول كذلك: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ [الرعد/ ٢]، ويقول أيضاً: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة/ ٥]. والعجيب هو ما يذكره الله تعالى عن المشركين من قوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١، ٣٢].

عندما يُقِرُّ المشركونَ بأن مدبِّرَ الأمر هو الله رب العالمين وحده فإن ذلك كان يستتبع سؤاله التقريري: فلماذا إذن لا تتقون الله؟إن الذي يدبر الأمر في السموات والأرض هو ربكم فإذا كان هذا هو الحق فلماذا تنصرفون عنه وليس بعد الحق إلا الضلال فأين تذهبون؟!

إذن كان المشركون يقرون بأن الله هو مدبر أمور الخليقة! فماذا نقول للمسلمين إذن؟ إننا نخاطب مؤلف ذلك الكتاب بجواب الله تعالى ذاته ونقول: أين تذهب وأين تُصرف عن الحق؟ وهل بعد الحق إلا الضلال؟!

ثم يقول حضرة الكاتب في الجمل اللاحقة: «سكون كل ساكن وحركة كل متحرك بأمرهم» (أي بأمر الأئمة الاثني عشر). وفيما يلي الردّ من آيات القرآن الإلهية على هذه الجملة الشركية بل

الشرك الصريح:

يقول تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام/ ١٣]، ويقول كذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ﴾ [يونس/ ٦٧]، ويقول أيضاً: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود/ ٥٦]، ويقول: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ [الفرقان/ ٤٥]. فكل الحركات والسكنات تحت أمر الله وبإرادته وحده فقط لا غير!

إلى كم آمر يحتاج المأمور؟ وهل الله الذي هو نفسه الخالق والمبدع للكون والواهب للروح عاجز عن تدبير أمور ما خلق أم أنه أوكل قدرته وشؤون كونه إلى الآخرين؟ هل الخلفاء المعصومون غير الله أم هم عين الله؟ حتى تكون تلك الأمور أُوكلت إليهم؟! إن التزام المجيب بأيٍ من هذه الإجابات سيوقعه في الكفر والشرك! فإذا قال إنهم غير الله كان قوله شركاً محضاً والمشرك نجس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التوبة/ ٢٨]، وإن قال إنهم عين الله قال بالاتحاد والحلول! وكلاهما اعتقاد كفري مرادف للشرك ومتناقض مع أسس دين الإسلام بإجماع قاطبة المسلمين.

ثم يقول المؤلف في الجملة التالية: «ولا ينبت نبات من غير حكمهم»!

فلننظر إلى مسألة نبات النبات من وجهة نظر القرآن:

١- يقول تعالى في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [لقمان/ ١٠].

٢- ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء/ ٧].

٣- ويقول كذلك: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ [الحجر/ ١٩].

٤- ويقول أيضاً: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النمل/ ٦٠].

كأن الآية الأخيرة تنبئنا بالضبط عن عقيدة الكفر والشرك التي سيقول بها في المستقبل أمثال أولئك المسلمين [الغلاة] الذين سوف يدَّعون يوماً ما أن مخلوقات الله تشارك الله في أمره وينسبون إليها إنبات النبات، لذا يسألهم الله باستفهام إنكاري: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ؟!﴾ [النمل/ ٦٠]. ثم يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل/ ٦٠]! أي يعدلون عن الحق.

٥- ويقول تعالى أيضاً: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ... ﴾ [النحل/ ١٠- ١١].

ولو أردنا أن نأتي بجميع الآيات في هذا الأمر لطال بنا الكلام وخرجنا عن الاختصار لذا نكتفي بالإشارة إلى أرقام الآيات: البقرة / ٦١، الأنعام/ ٩٩، إبراهيم/ ٢٥، طه/ ٥٣، الأنبياء/ ٣٠، عبس/ ٢٥-٣١، ق/ ٧-١١

ففي جميع هذه الآيات نسب رب العالمين إنبات النباتات إلى ذاته العلية، ومن يخالف هذا الاعتقاد فإنه -كما ذكر تعالى في الآية ٦٠ من سورة «النمل»- يتخذ إلهاً آخر مع الله وبالتالي فهو مشرك!

إننا لنحتار حقاً من جرأة هؤلاء المدَّعين للإسلام في نسبتهم تلك الأمور إلى مخلوقات الله؟! ولما كان المؤلف قد ادعى أنه «ولا ينبت نبات من غير حكمهم»! فيبدو أنه يرى أن إنبات النبات أمر غير الحكم! فتكون النتيجة أن الأئمة يحكمون أي هم آمرون والله -والعياذ بالله- هو الذي ينبت فهو المأمور!. والأمر ذاته ينطبق على سائر الأمور!! **تَعَالَى الله عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوّاً كبيراً.**

وفي الجملة التالية يقول آية الله العظمى (!) «أبو الفضل النبوي»: «ولا تقطر قطرة من مطر...». ومعناها أنه لا تنزل قطرة من مطر بغير حكم أولئك الأوصياء!

ونحن نكتفي بذكر آية كريمة واحدة من آيات القرآن للردّ على مثل هذا الادعاء وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر/ ٢٢].

ونشير بعدها إلى الآيات التي تؤكد المعنى ذاته: البقرة/ ٢٢، الأنعام/ ٩٩، الأعراف/ ٥٧، يونس/ ٢٤، الرعد/ ١٧، إبراهيم/ ٣٢، النحل/ ١٠، الكهف/ ٤٥، طه/ ٥٣، الحج/ ٥ و٤٣، المؤمنون/ ١٨ و١٩، الفرقان/ ٤٨، النمل / ٦٠ و٦٣، العنكبوت/ ٦٣، الروم/ ٢٤، لقمان/ ١٠، السجدة/ ٢٧، فاطر/ ٢٧، الزمر/ ٢١، فصلت/ ٣٩، الشورى/ ٢٨، الزخرف / ١١، ق/ ٩، الواقعة/ ٦٨-٧٠، الملك/ ٣٠، النبأ/ ١٤ و١٥، عبس/ ٢٥.

في جميع هذه الآيات ينسب الله تعالى إنزال المطر إلى نفسه فكل من يدعي أن هذا الأمر هو من فعل غير الله أياً كان يخرج عن إيمان المسلمين ويصبح من جملة المشركين!

ويقول المؤلف في الجملة التالية: «ولا تهب ريح». ونذكر في الرد عليه بعض الآيات من القرآن تيمُّناً:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ١٦٤]، ويقول أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان/ ٤٨]. وقد كرر الله تعالى المعنى ذاته بشيء من الاختلاف في سورة النمل (الآية ٦٣). ونسب الله تعالى في الآيات ٢٢ من سورة الحجر و٤٦ من سورة الروم و٩ من سورة فاطر و٥ من سورة الجاثية هبوب الريح وتحريكها إلى ذاته واعتبر ذلك دليلاً على ألوهية «الله».

إذن إنْ كان المؤلف يصر على أن خلفاء النبي المعصومين مدبرون لتلك الأمور فلا بد عليه أن يلتزم بأنهم الله!! ولعل بعضهم يتحجج ويعتذر عن تلك النتيجة قائلاً: نعم هذه الأمور متعلقة بالله ولكن الله هو الذي أوكل تلك الأمور بإرادته وبإذنه إلى خلفاء النبي المعصومين! وسنوضح في الصفحات التالية سخافة هذه العقيدة ونرد على هذا العذر المزور إن شاء الله.

ويكتب حضرة «آية الله أبو الفضل النبوي» مؤلف كتاب «**أمراء الكون وحكومة المعصومين الأربعة عشر على جميع الموجودات**» بعد ذلك قائلاً: «ولا يضيء نجم...» (أي لا يشرق في

السماء نجم دون حكم خلفاء النبي)!!

إنه لمن الصعب جداً علينا ونحن نعيش بين بعض الناس الذين يدّعون الإسلام وينسبون أنفسهم إلى دين التوحيد أن نطرح مثل هذه المباحث التي لم يكن نبي الإسلام يرى ضرورة إثباتها حتى للمشركين في عصره الذين كانوا بفطرتهم يقرون بأن تدبير أمور الخليقة وسكون كل ساكن وحركة كل متحرك هو بيد الله تعالى وكانوا يعلمون أنه من غير حكم الله لا ينبت نبات ولا تنزل قطرة من السماء ولا يضيء نجم. كما يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ۝٨٩ ﴾ [المؤمنون/ ٨٨، ٨٩].

فكم من المؤسف أن يعتبر الوثنيون والمشركون القدامى تدبير كل أمر بيد الله ثم نجد بين المسلمين بعد ألف وأربعمئة عام من انتشار تعاليم الإسلام رجلاً يدعو نفسه «آية الله العظمى» ويقول إن الخلفاء المعصومين أو المعصومين الأربعة عشر يحكمون ويدبرون جميع الموجودات؟!!

ونعود الآن إلى جملة المؤلف «ولا يضيء نجم» ونعرضها على القرآن لنرى هل تؤيد آيات القرآن مثل هذا الحكم أم أن نبيه -نعوذ بالله- قصر في إبلاغ آيات الله وتبليغ رسالة ربه في الرد على الكفر والشرك!!

يقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ ﴾ [الأنعام/ ٩٧]، ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤]، ويقول كذلك: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ... ﴾ [يونس/ ٥]. ويقول أيضاً: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [الأنبياء/ ٣٣]. ويقول بشأن المشركين: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ

فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ؟؟ ﴾ [العنكبوت/ ٦١].

إذا كان المشركون أنفسهم ينسبون خلق الشمس والقمر - اللذَيْن هما نموذجان واضحان للكواكب والنجوم- إلى الله فكيف يجوز لمن يدَّعي الإسلام أن ينسب ذلك الأمر إلى عباد الله ومخلوقاته؟! فما هذا الهذيان الذي يقوله ذلك المؤلف؟ حقاً ينبغي أن نقول له كما قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ؟؟ ﴾ [يونس/ ٥٩].

ثم يكتب «أبو الفضل النبوي» في الصفحة السادسة بعد تلك الجمل: «كل معدومٍ وُجد أو موجود انتقل إلى عالم الفناء إنما تم برقابة وإشراف الأئمة»!!!

لنرَ الآن فيمن تنحصر صفة المراقبة والشهود من وجهة نظر القرآن؟

يقول تعالى على لسان عيسى بن مريم: ﴿ ... أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة/ ١١٧]، ويقول كذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء/ ١]، ويقول أيضاً: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب/ ٥٢].

فأمر المراقبة وحفظ العباد وجميع مخلوقات عالم الإمكان مختص بالله رب العالمين وكل كلام مخالف لذلك زخرف من القول وكفر وهذيان.

ثم يزيد «أبو الفضل النبوي» من شركه وكفره وفضح نفسه فيقول في جملة تالية: «ولا يعزب عنهم ذرة من عالم الوجود ولا تغيب عن نظرهم وانتباههم»!! ويقول لإثبات هذه الترهات في الصفحة ١٩٨ من كتابه: «إن الإمام-عليه السلام- يرى جميع المشارق والمغارب وكل أماكن الوجود حاضرة ومجسمة أمام ناظريه»!!

لنعرض الآن هذا الادعاء على القرآن الكريم ليقضي بيننا بحكمه. في الآيات التالية يبين الله تعالى أن ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ هو الله وحده: الأنعام/ ٧٣، التوبة/ ٩٤ و١٠٥، الرعد/ ٩ و١٠، السجدة/ ٦، الزمر/ ٤٦، الحشر/ ٢٢، الجمعة/ ٨، التغابن/ ١٨.

وفي الآية ٩٢ من سورة «المؤمنون» وبعد أن يبيِّن تعالى أن الله ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾

يقول مباشرة: ﴿فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٩٢]. ومعنى ذلك أن من يعتبر غير الله عالماً بالغيب والشهادة فإنه يشرك غير الله معه فهو مشرك! تعالى الله عما يقول المشركون.

وأما الآيات التي تنصُّ على أن الله وحده هو الشاهد على أعمال مخلوقاته وأفعالهم فنذكر منها قوله تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران/ ٩٨].

ويقول عيسى لربه: ﴿...وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة/ ١١٧].

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس/ ٤٦]، ويقول كذلك: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج/ ١٧].

والآيات التالية أيضاً تؤكد المعنى ذاته: ، النساء/ ٣٣، الأحزاب/ ٥٥، سبأ/ ٤٧، المجادلة/ ٦، البروج/ ٩.

ويسأل تعالى بصيغة الاستفهام الإنكاري والتوبيخي فيقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ؟! ﴾ [فصلت/ ٥٣].

فالقرآن الكريم يصرح أن الله تعالى كاف لشهود أمور عباده ويقول: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء/ ٧٩]. والمعنى ذاته نقرؤه في (النساء/ ٧٩، يونس/ ٢٩، الإسراء/ ٩٦، الفتح/ ٢٨). فهذه الآيات تلقم من يهذون بمثل تلك الشركيات حجراً في فمهم، إذ تؤكد أنه كفى بالله شهيداً ولا حاجة لشهيد آخر. وأما الآيات التي تنصُّ على أن الله هو البصير بأعمال عباده فهي كثيرة للغاية إلى درجة تغنينا عن الإتيان بها في هذا الكتاب المختصر.

[نقد تفسير صاحب كتاب «أمراء الكون» لمعنى «الولاية»]

بعد افتتاحه كتابه بجمله الكفرية تلك، يعرب مؤلف كتاب «أمراء الكون» عن أسفه الشديد لكون الجَمّ الغفير من أتباع مذهب التشيّع الحقّ محرومون من معرفة الحقيقة بشأن إمامهم وولي عصرهم وذلك بسبب قصور التبليغ الإسلامي في هذا المجال!! ويرى أن التقصير في الدعوة والتبليغ من جهة ودسائس الضالين المقصرين الجاهلين أو طلاب الشهرة المعاندين من جهة أخرى أدَّيَا إلى انصراف أبناء الشيعة الأبرياء عن الانتباه اللازم إلى ساحة الإمام المقدسة!!. ونتيجة هذا الانحراف الخطير، فقد سُلبت - في نظره - من عامة الناس «**الولاية**» التي هي الشرط الأعظم لقبول الأعمال والعبادات (يبدو أن هذا السيد المؤلف قد أتى إلى أرض المحشر ووصل إلى ساحة القدس الربوبية فلما رأى هناك أن الأعمال لن تُقبل بدون مثل هذه الولاية التي يطرحها قرَّر أن يؤلف كتابه هذا كي ينقذ أبناء الشيعة الأبرياء ويكمل ولايتهم!!). ويواصل المؤلف كلامه قائلاً إن هذا الواقع المؤلم (!!) الذي لا تتسع الصفحات لبيان آثاره الوخيمة (ويا ليته ذكر لنا أثراً واحداً من هذه الآثار الوخيمة كي يحكم بشأنه القراء)[1] دعاه إلى أن يأخذ القلم ويؤلف كتابه.

ثم في الصفحة ٨ وبعد أن ينقل لنا كلام أهل اللغة في معنى «**الولاية**» يهيِّئ لادّعائه بأن معنى «**الولاية**» هو تدبير أمور الكائنات والرزق والإحياء والإماتة لأهل الأرضين والسموات!

ثم يواصل بحث «**الولاية**» فيقول إن كلمة «**مولى**» التي لها معان عدة، لا يمكن أن يكون المقصود منها في عبارة «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاهُ**» التي قيلت في حق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قصّة غدير خُمّ إلا معنى «**الأولى في التصرف بالأمور التكوينية**»!، وقال: إن بعضهم يقولون إن الولاية معناها القرب، فإذا كان المقصود من كلمة «**مولى**» القرب فهذا أيضاً في نظره

---

(١) الجمل التي بين قوسين من كلامي. (البرقعي)

قريب من المقصود لأنه نوع عجيب من التقرب المخصوص بالله من ناحية التصرف والتدبير!! وكذلك أولياء الله من ناحية امتلاك أمر جميع المخلوقات هم في أشد مراتب القرب من الله! أما العصاة والكفار والمتمردون فرغم أن أولياء الله أقرب إليهم من حبل الوريد فإنهم لا يتقربون إليهم أبداً بل تفصل بينهم مسافات بعيدة، **وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ**!!

أيها القارئ الكريم والعاقل! انظر كيف يفسر هذا الذي يلقب نفسه بآية الله العظمى الآية الكريمة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق/ ١٦] التي تتكلم عن قرب الذات الإلهية المقدسة من العباد والتي تدل الآية التي سبقتها أي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق/ ١٦] على أن ذلك القرب مختص بالذات الأحديّة المقدّسة ولا يمكن نسبته لأي أحد سوى الله، فيدَّعي [ذلك المؤلِّف] لأولياء الله مثل هذا القرب بل أشدّ مراتبه قوَّةً!!!

إني لم أرَ في حياتي ولم أعرف أي مشرك ووثني وصل في ادعائه إلى هذا الحدّ! إذا لم يكن مثل هذا الادعاء شركاً وكفراً فما هو الشرك والكفر إذن؟

ثم يطرح المؤلف كلمة «**ولي**» فيرى أنها مطابقة لكلمة «**مولى**» التي وردت في حديث الغدير. وبعد أن يذكر كلاماً طويلاً في أن كلمة «**ولي**» تحمل معان لفظية ومعنوية مشتركة يستنتج في النهاية أن الولاية في الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة/ ٥٥] معناها «**الأولى بالتصرف**»، ويرى أن كلمة «**إنما**» قصرت هذه الصفة على الله ورسوله وعليٍّ عليه السلام، أما لو كان معنى كلمتي «**ولي**» أو «مولى» الصديق والنصير -لأن الآية الكريمة وردت في سياق النهي عن مصادقة الكفار من اليهود والنصارى وغيرهما وموالاتهم - فإن هذا المعنى أيضاً يصب - في نظره - في معنى الأولى بالتصرف، لأن صداقة الكفار وحدها لا تضر ومحبة وموالاة الله وحدها لن يكون فيها نفع لصاحبها!.

إن هذا المُتَلَقِّب بَآية الله العُظْمى يحاول بكل وسيلة مهما كلَّفه من أمر ولو بكلام مضطرب أن يستخرج من كلمتي «**ولي**» و«**مولى**» معنى تصرف وتدبير الأئمة للكون والمكان حتى ولو كانت تينك الكلمتين تتعلقان هنا بشأن اليهود والنصارى!

هذا في حين أن سياق الآيات ونصوص التاريخ والسير والروايات تدلُّ بأجمعها على أن آية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾ [المائدة/ ٥٥] جاءت ضمن النهي عن مودَّة اليهود والنصارى والتحالف معهم ونصرتهم على المسلمين حيث نجد أن بداية الموضوع كانت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة/ ٥١]، ثم قال تعالى بعد ذلك في السياق ذاته ولأجل مواصلة المعنى الذي تم التأكيد عليه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة/ ٥٥][(١)].

---

(١) نهى الله تعالى في القرآن الكريم المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء وعن اتخاذ غير المؤمنين بطانةً أي مقربين يطلعونهم على أسرارهم [آل عمران/ ١١٨]، ونهاهم أيضاً عن مولاة المنافقين ممن لم يلتحق بالمؤمنين ولم يهاجر معهم فقال: ﴿ ...فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ... ﴾ [النساء/ ٨٩]، كما نهاهم عن مولاة الكفار وأهل الكتاب الذين يسخرون من دين المؤمنين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ ... ﴾ [المائدة/ ٥٧]، بل نهى من مولاة الكفار المعادين للإسلام حتى ولو كانوا آباء المؤمنين أو إخوانهم [النساء/ ١٤٤] و[التوبة/ ٢٣]. ونهى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء لأن بعضهم أولياء بعض [المائدة/ ٥١]. ونهى الله عن مولاة المنافقين الذين يعتبرون ما ينفقونه من زكاة غرامةً وأتاوةً [التوبة/ ٩٨] والذين ﴿ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة/ ٥٤]، وفي مقابل ذلك دعاهم إلى مولاة المؤمنين الذي يؤتون الزكاة خاضعين لله وراغبين بطاعته ويقيمون الصلاة برغبة وإقبال أي المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٥، ٥٦]، وقد استخدمت الآية صيغة المضارع في بيان أفعال المؤمنين للدلالة على استمراريتها ودوامها، والآيات ٢٢ إلى ٢٥ من سورة المعارج أي قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المعارج/ ٢٣-٢٥] تؤيد تماماً هذا المعنى والقول الذي قلناه.

وقد ذَكر أرباب التفسير في سبب نزولها قضيَّة محاصرة النبيّ ﷺ ليهود بني قريظة، أو ليهود بني قينقاع [بعد خيانتهم العهد وتآمرهم على المسلمين] وأن رأس النفاق «عبد الله بن أُبَيّ بن سلول» الذي كان بينه وبين اليهود موالاة وصداقة وحلف جاء إلى النبي ﷺ بناء على طلب منهم ليطلب منه أن يخفف من حصارهم ويغض الطرف عما فعلوه في حين أن عبادة بن الصامت الخزرجي جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله! إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم قويّةً أنفسهم شديدةً شوكتهم **وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله. فقال عبدُ الله بنُ أُبَيّ: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم**..»(١) فنزلت هذه الآيات.

فالمعنى الذي استُخْدِمَتْ فيه «الولاية» أو **«الولي»** و**«اتخاذ الأولياء»** في الآيات بشأن اليهود والنصارى هو المعنى ذاته الذي جاء في سياق الآيات بشأن الله ورسوله والمؤمنين، والتي أرادت من المؤمنين أن تكون ولاية الله ورسوله والمؤمنين لهم نِعْمَ البَدَل لولاية اليهود والنصارى. أما استخراج أي معنى آخر للولاية غير ذلك من الآيات فليس سوى تعدٍّ على معاني القرآن وصرفٍ لمعاني الآيات عن حقيقتها وانحرافٍ عن المقصود وحملٍ لآيات الله على الرأي الشخصي(٢).

لكن لما كان «أبو الفضل النبوي» مُصِرّاً على أن يستخرج من الآية -زوراً ولجاجاً - معنى تصرُّف أولياء الله في جميع عالم الإمكان كتصرف الله تعالى! فإنه أخذ يضرب يميناً وشمالاً، ثم عقد في الفصل الثاني من كتابه فصلاً أطال الكلام فيه ليثبت أن مثل هذه الولاية على الكون ممكنة

---

(١) أمين الإسلام الطبرسي، تفسير «مجمع البيان»، ذيل تفسيره للآيات / ٥١-٥٣ من سورة المائدة أي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ... إلى آخر الآيات ﴾.(تر)

(٢) ومصير من يفعل ذلك هو النار طبقاً للحديث المشهور: «عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: **مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**». (وسائل الشيعة، ج٢٧/ ص ٢٠٤). وهو مروي في مصادر أهل السنة بهذا اللفظ (سنن الترمذي وأبي داود) ومرويٌّ أيضاً بلفظ: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**» (النسائي في سننه الكبرى). (تر)

وغير ممتنعة عقلاً، وأخذ يقسِّم الأمور إلى الممكن عقلاً والمستحيل عقلاً وتوصَّل إلى نتيجة تقول إنه من وجهة نظر الفلاسفة فإن تصرف فرد ما من البشر وتدبيره لكل عوالم الخليقة من إحياء وإماتة ورزق وتربية وتعليم والذي يمكن تلخيصه - على حد قوله - بكلمة «**الولاية**» أمرٌ ممكنٌ ذاتاً ووقوعاً!.

ثم أخذ يبحث في الكمال الذي يؤمّن غاية آمال البشر قائلاً: لما لم يكن في عالم الوجود كمال مطلق سوى ذات الله تعالى، فكمال البشر النهائي هو أيضاً في التشبّه والتمثّل بصفات الله كالعلم والإرادة والقدرة وأن يصل الإنسان إلى مقام «**الولاية**» في ملك الله بأمر من الله ونصب من الله له في هذا المقام. وقال إن هذا الكمال لم يكن لدى أهل بيت العصمة والطهارة كسبياً بل ذاتياً[(١)]، ويمكن أن يحصل شيء من ذلك الكمال لدى سائر المخلوقات من خلال مخالفة الهوى والنفس وطاعة الحق، أما الولاية العامة والشاملة والذاتية فهي خاصة بتلك الأنوار الطاهرة الأربعة عشر.

ثم أتى بنظرية من عند الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا ليثبت عقيدته وقال: كل من جمع بين الحكمة العملية والحكمة النظرية وصل إلى السعادة الكلية، وكل من ضم إلى ذلك خصائص مقام النبوة أوشك أن يصبح إلهاً بصورة إنسان، ولم يبعد أن تكون عبادته جائزة بعد الله وأن تُفَوَّضَ إليه أمور العباد وأن يصبح سلطان عالم الوجود وخليفة الله في أرضه. ثم قال: «إن جميع المقامات والكمالات الموجودة في شخص الولي من جانب ولايته مرجعها إلى تكامل قوتي العلم والعمل فيه، أي أنه من الناحية العلمية ينبغي أن يكون عالماً بجميع الجوانب والجهات الخاصة بعالم الخليقة وأن يكون مطلعاً على كل أمر وكل شيء وأن لا تخفى عن علمه أي حقيقة بل أن يكون مسرح الوجود بأسره حاضراً مجسماً أمامه»!!

ثم ذكر شعراً للحاج مُلاّ هادي السبزواري وقال: «في هذه الصورة يعلم أن الماهية الفلانية

---

(١) إن العقل والنقل يدلان على أن كل كمال، حتى لدى أهل البيت، كسبيّ، وهذا أمر تثبته جميع الآيات والروايات بل حتى هذا الملقب بآية الله العظمى أقر بهذا الأمر في موضع آخر من كتابه! (البرقعي)

يجب أن تكتسي بكسوة الوجود وأن الموجود الفلاني لا يصلح أن يصل إلى الحد الفلاني من التربية والتكميل...»

ثم أطلق لقلمه العنان في شرح هذه الفلسفة ثم أتى بحديث عن أبي ذر واستنتج منه نتيجة خاطئة، هذا بغض النظر عن أن هذا الحديث مختلقٌ -احتمالاً- ومن وضعِ الغلاة!

يقول الحديث: «قال أبو ذر الغفاري: كنت سائراً في أغراض مع أمير المؤمنين عليه السلام إذ مررنا بواد ونمله كالسيل الساري فذهلت مما رأيت فقلت: الله أكبر جل محصيه! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **لا تقل ذلك يا أبا ذر ولكن قل جل باريه فو الذي صورك إني أحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والأنثى بإذن الله عز وجل!**»[١].

حتى لو فرضنا صحة هذا الحديث فإنه لا يدل أبداً على تصرف أولياء الله في الموجودات لأن معرفة أعداد النمل الأسود أو الأبيض في جحر من جحوره أو في قطعة من الأرض أمر سهل على كل من كان له علم بحياة النمل العادي أو النمل الأبيض أو حياة النحل وتشكيلاتها المنظمة. وذلك لأن بناء جحور النمل أو خلايا مملكة النحل يعتمد على قاعدة منظمة وهندسة دقيقة تبعاً لعدد سكان الجحر أو الخلايا كما أن توليد الذكر والأنثى منها يتم طبق حساب مضبوط ومحدد. فمن كان عالماً بالعلوم الطبيعية وعلم الأحياء لا يُعتَبر تحديده لعدد الذكور والإناث من سكنة جحور النمل أو خلايا النحل أمراً خارقاً[٢].

فالتمسُّك بمثل هذا الحديث على فرض صحته لإثبات مثل تلك الولاية التكوينية لعلي عليه السلام هو من قبيل تشبُّث الغريق بكل قشة!! هذا رغم أن جميع الأدلة التي يذكرها «أبو الفضل النبوي»

---

(١) السيد شرف الدين على الحسينى الاسترآبادى (حوالي ٩٤٠هـ)، «تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة»، ط١، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٩هـ، ص ٤٨٠. نقلاً عن كتاب «مصباح الأنوار» للشيخ أبي جعفر الطوسي. (تر)

(٢) من أراد الاطلاع على هذا الأمر يمكنه أن يرجع إلى كتاب النمل والنحل والنمل الأبيض تأليف العالم البلجيكي موريس مترلنغ. (برقعي)

كلها مثل تشبث الغريق بكلّ قشَّة، وسنبيِّن في الصفحات القادمة ضعفها جميعاً إن شاء الله تعالى.

[تخبُّط مؤلف «أمراء الكون» في محاولاته حل الإشكالات العقلية المترتبة على تفسيره للولاية]

بعد أن أثبت عقلاً - بزعمه وخياله الباطل- تصرُّف أولياء الله تعالى في عالم الوجود، انتقل مؤلف «**أمراء الكون**» إلى حل إشكال جسمانية أولياء الله!

قال: «إذا استشكل أحدهم قائلاً: إن الوصول إلى كل نقطة من أماكن الوجود موقوفٌ على الذهاب إلى تلك النقطة وبناء على ذلك فعلى شخص الولي أن يتواجد في آن واحد في آلاف الأماكن وأن يحضر عند ولادة أو موت الأشخاص الذين يموتون ويحيون في كل لحظة في أماكن متباعدة للغاية، وقال هذا المستشكِل: إن مثل هذا العمل طالما أنه سيتم بالبدن العنصري الجسمي وهو بدن واحد فحسب، فإن وجود البدن الواحد في آلاف الأماكن في وقت واحد يستلزم اجتماع النقيضين واجتماع الجزء مع الكل وهو من المحالات، كما أن التصرُّف والتأثير في الأمور الجسمية دون القرب منها والحضور الجسمي المكاني لديها محال أيضاً».

ثم أخذ المؤلِّف في رفع هذا الإشكال بزعمه فقال: «والجواب عن هذه الشبهة هو أنه لو كان التصرف والتأثير وتنفيذ الإرادة موقوف على الحضور في المكان المراد التأثير فيه والدخول إلى تلك النقطة، ولو كان التأثير دون الحضور محال، للزم من ذلك أن يكون تدبير الله وتصرفه في أجزاء العالم مستلزماً لمجيئه وقدومه إلى ذلك الجزء. ولكن لما كان هذا الأمر يستلزم حلول الله في الأمكنة وهو أمر يتنزَّه عنه الله، استتبع ذلك أن تكون تصرفات الله في العالم مُحالة [وهذا لا يمكن لأحد الالتزام به]. ولا فرق في المحال العقلي بين الله وغيره فإذا كان أمرٌ ما محالاً عقلاً، كان محالاً بالنسبة إلى البشر وبالنسبة إلى الله أيضاً»!!!

أقول: لاحظوا كيف يسيء هذا المُتَلَقِّب بَآية الله العُظْمى استخدام قاعدة عقلية بشكل فاضح وبشكل مخادع للعوام؟!

نعم القاعدة تقول: كلُّ ما كان محالاً بالنسبة إلى الله فإن قدرته لا تتعلق به، ومن البديهي وبالطبع سيكون محالاً أيضاً على ما سوى الله. لكن لا يمكن أبداً استنتاج العكس من هذه

القاعدة وأن نقول أن ما كل ما كان محالاً بالنسبة إلى البشـر لا بد أن يكون محالاً أيضاً بالنسبة إلى الله العليِّ القدير!!

من الواضح أن كلامه في الموضوع الذي هو في صدد الحديث عنه، ليس عن استحالة التأثير وتنفيذ الإرادة والقصد بالنسبة إلى الله -الذي هو موجود غير محدود وغير مقيد- دون الحضور في أماكن متعددة، بل النزاع هو بشأن مخلوقات الله التي هي موجودات محدودة ومقيدة. لكن «أبا الفضل النبوي» يقول إن هذا العمل إذا اعْتُبِرَ مستحيلاً على غير الله فلا بد أن استحالته هذه استحالة عقلية، وإذا كانت الاستحالة استحالة عقلية فينبغي أن تكون محالة بالنسبة إلى الله أيضاً!! وطالما أنها غير محالة على الله فليست إذن محالاً عقلياً وبالتالي فهي غير مُحالة بالنسبة إلى الإنسان!

يا للعجب! ألا ينتبه جناب آية الله العظمى (!) أن كثيراً من خصائص الله تعالى وصفاته لا تقبل التفويض لغير الله، ومن ذلك لا محدوديته وعدم تقيده وغناه المطلق؟! وبالتالي فإن البرهان الذي يسعى لاستخدامه للوصول إلى مقصوده يعاني من إشكالين أساسين:

الإشكال الأول: أنه لا يمكن القول إن كل ما كان محالاً على غير الله لا بد أن يكون محالاً عقلياً حصراً، ثم يستنتج أنه محال على الله أيضاً.

والإشكال الثاني: أنه حتى لو لم يكن أمر ما محالاً عقلاً أي كان غير محال بالنسبة إلى الله، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه ممكنٌ بالنسبة إلى من سوى الله أو يقبل أن يُفَوَّض إلى غير الله. ولكن مع الأسف الشديد فإن جناب آية الله «أبو الفضل النبوي» ليس مستعداً لفهم هذه الحقائق الواضحة والبسيطة!

حقاً ينبغي أن نقول لتقرّ عين عالم الإسلام بمثل آية الله العظمى هذا! الذي يحل لها تلك المشكلات بهذه الطريقة الفذَّة؟! لاحظوا ماذا يقول هذا الفيلسوف العظيم؟! إنه يقول إن كل ما كان محالاً بحق البشر لا بد أن تكون استحالته استحالة عقلية حصراً، ثم يستنتج أن هذا المحال العقلي سيكون محالاً أيضاً بالنسبة إلى الله!!!

حقاً إننا لنتساءل هل كان آية الله «أبو الفضل النبوي» هذا بكامل قواه العقلية عندما كتب هذه الجمل؟ هل كان عاجزاً عن فهم أن الإيجاد من العدم محال على البشر وعلى كل ما سوى الله ولكنه غير محال على الله؟!

إن خلق الإنسان ذاته من عدم مستحيل على الإنسان وعلى كل قدرة سوى الله لكنه غير مستحيل على الله: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم/ ٩]، و﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم/ ٦٧].

إن الموت والدفن والتحلل إلى ذرات العالم ثم جمع تلك الذرات من كل مكان لبعث الإنسان من جديد كلها مستحيلة بالنسبة إلى البشر، وحتى أن الفيلسوف «أبو علي ابن سينا» يتفق على استحالتها لأنه يصرِّح أنه يؤمن بحشر الأجساد يوم القيامة تعبُّداً لا عقلاً! ولكن ذلك الأمر ممكنٌ تماماً بالنسبة إلى الله لأنه على كل شيء قدير.

ثم ما هي النسبة أو العلاقة بين الله والبشر؟! وبأي حق يقول إن ما كان محالاً على البشر لا بد أن يكون محالاً على الله فأين التراب الفاني من الله المتعال الباقي؟ تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

ثم بدأ «أبو الفضل النبوي» بذكر أدلَّةٍ على مُدَّعاه فقال: «مثلاً اجتماع النقيضين الذي يمكن القول بأنه مرجع جميع المحالات العقلية محال بالنسبة إلينا ومحال بالنسبة إلى الله ولا يمكن لأحد أن يقول إن الله قادر على الجمع بين النقيضين بأن يضع في وعاء حجمه متر بمتر شيئاً حجمه مترين بمتر دون أن يكبر الوعاء أو يصغر ذلك الشيء، فمثل هذا العمل لا نستطيع نحن أن نفعله كما لا تتعلق قدرة الله به لأنه محال. أو أن يضع الله تعالى العالم داخل بيضة، دون أن تكبر البيضة أو يصغر العالم فهذا أيضاً محال عقلي».

ثم أتى بحديث يجيب فيه الإمام عليٌّ عليه السلام عَلَى من سأله عن قدرة الله على مثل ذلك العمل (إدخال العالم في بيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر العالم) قائلاً: «**إن الله لا يُنْسَبُ إلى العجز**

ولكن ما سألتَهُ لا يكون»[١]، هذا مع أن هذا الحديث لا يدل على أن الله لا يقدر على فعل ذلك العمل بل ما قاله الإمام هو أن ما تسأل عنه لا يكون، أي هو أمر محال الوجود.

إن كثيراً مما كان محالاً على البشر أصبح اليوم ممكناً وكثيراً من المحالات بالنسبة إلينا يمكن للقدرة أن تتعلَّق بها، وعقل الإنسان المحدود لا يمكنه أن يكون ميزاناً لحقائق عالم الوجود ومعياراً لما يمكن أن يتحقَّق وما لا يمكن أن يوجد، وقد أجبنا عن هذه التصوُّرات الساذجة في الصفحات التالية.

ثم واصل «أبو الفضل النبوي» التظاهر بالعلم وسوق الدلائل على هذا الادّعاء فقال: «إذن تصرُّف الله في أرحام الأمهات وتصوير الأجنَّة وخلقها وتسوية أبدانها في أحسن تقويم عجيب دون الذهاب إلى الأرحام ودون امتلاك قلم ودواة وألوان مختلفة، لا بد أن يكون -عقلاً- محالاً، وذهاب الله من مكان إلى مكان وما يلزم عنه من التحيز سيكون محالاً أيضاً. وحسب الظاهر نحن لا نرى مصوراً ولا دواةً وحبراً في الأرحام، كما لا نسمع وقع أقدام أي شخص يتردد جيئةً وذهاباً في الأرحام، كما لا نشاهد مهندساً ومخططاً يحمل دواة الألوان في بساتين الزهور وعند براعمها، إذن لا بد أن نقول إن كل هذه الأمور تتم بمجرد إرادة الحق تعالى فقط. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول إن الأمر ذاته أيضاً يمكن أن يتم من خلال إرادة الوجود الأقدس لأولياء الله وبإذن الله وتأييده وأن يتم في أقصى نقاط العالم دون الحاجة إلى الذهاب والإياب»!

لاحظوا كيف يتفلسف هذا المُتَلَقِّب بَآية الله العُظْمى في حل هذه المسألة؟!! الأمر الذي هو محال بالنسبة إلى البشر، اعتبره محالاً أيضاً بالنسبة إلى الله، وبما أن الله تعالى يصور الأجنة في الأرحام دون أن يذهب إليها أو يستخدم قلماً ودواةً وألواناً ودون أن يُسمع صوت ذهابه وإيابه ومع ذلك يصور الورود ويلونها في الحقول والبساتين! لذا نسأل كيف يقوم بهذا العمل؟ والجواب بالطبع أنه يقوم بها بإرادته. هنا يقفز المؤلف إلى الاستنتاج بأن أولياء الله أيضاً يفعلون

---

(١) الشيخ الصدوق، «كتاب التوحيد»، ط٢، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٣٩٨هـ، ص ١٣٠.

ذلك بإرادتهم، غاية ما في الأمر أنهم يقومون بذلك بإذن الله وتأييده!!

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن نرى لماذا يقوم أولياء الله بهذه الأعمال؟ هل الله بحاجة إلى مساعدة من أولياء الله للقيام بتلك الأعمال؟ أم أن عملهم ذاك عمل تشريفيٌّ فقط؟ وإذا كان الله محتاجاً لذلك -والعياذ بالله - فهل أولئك الأولياء جزء من ذات الله أم خارجون عن ذاته؟ وأساساً ما هو الدليل على أن هذه الأعمال تتم من قِبل أولياء الله؟! وهل يمكن لصفات الله اللامحدودة واللامقيدة أن تُفَوَّض إلى المخلوقات أم لا؟

كل هذه أسئلة تُوَجَّهُ إلى «أبي الفضل النبوي» المتلقِّب بآية الله، ولما كان من المعلوم أن ادعاءه كاذب ولا يعدو زخرف القول فإن الإجابة عن تلك الأسئلة ستتضح قريباً وما أحسن قول من قال بحجر واحد يمكن إبعاد مئة غراب.

الدلائل على بطلان ادعاءات آية الله العظمى!

يَدَّعِي آية الله (!) أبو الفضل النبويّ أن شخص «**الوليّ**» يجب أن يذهب في كل لحظة إلى آلاف الأمكنة وأن يحضر عند ولادة كل من يولد أو وفاة كل من يموت من الناس في لحظة واحدة ولو في أماكن متباعدة عن بعضها جداً، وأنَّه لما كان هذا العمل مستحيلاً بالنسبة إلى البدن العنصري فلا بدَّ أن يتمَّ حضور الولي في كلِّ مكان دون ضرورة لانتقال بدنه العنصري، تماماً كما يحضر الله تعالى في كل مكان دون أن يكون له بدن عنصري وحركة وانتقال أساساً. وإذا كان هذا محالاً بالنسبة إلى الإنسان، فسيكون محالاً بالنسبة إلى الله أيضاً، وبما أنه ممكن بالنسبة إلى الله تعالى، فهو إذن ممكن أيضاً بالنسبة إلى «وليِّ الله»!!!

وخلاصة دليله هو أنه: إما أن تكفُّوا عن الاعتقاد بأن «الله» حاضر ناظر في كل مكان كي أكفَّ أنا أيضاً عن القول بمثل هذه العقيدة بالنسبة إلى الوليّ!! أو بمجرد أن تؤمنوا بأن الله حاضر في كل مكان -بأي دليل كان- فعليكم أن تقبلوا أن الولي أيضاً يمكنه أن يحضر في آنٍ واحدٍ في كل مكان!!

ولما كان تصرُّف الله وتدبيره مستلزماً لحلوله في الأمكنة وكنتم تنزِّهون الله عن التحيُّز والحلول في الأمكنة فتصرُّفه في العالم بهذه الطريقة محال. وإذا كان من المحال للبدن العنصري الواحد أن يتصرّف في العالم دون ذهاب وإياب وكان هذا من المحالات العقلية!!! فسيكون هذا المحال محالاً بالنسبة إلى الله تعالى أيضاً لأن كل ما كان محالاً عقلياً بالنسبة إلى البشر فهو محال عقلي أيضاً بالنسبة إلى الله. وفي الختام، وبما أن الله لا يستطيع أن يضع شيئاً حجمه مترين بمتر داخل وعاء دون أن يكبر الوعاء أو يصغر الشيء فنحن أيضاً لا نستطيع أن نفعل ذلك، وبما أن الله لا يستطيع أن يضع العالم داخل بيضة دون أن يصغر العالم أو تكبر البيضة فنحن أيضاً لا نستطيع ذلك!!

ولكن بما أن الله يستطيع دون الدخول إلى الأرحام ودون استخدام دواة وقلم أن يصوِّر الأجنَّة أحسن تصوير بإرادته المحضة فكذلك «**الولي**» يستطيع بإرادته المحضة أن يحضر في كل مكان وأن يحضر عند كل ولادة أو وفاة. فما يقدر الله على فعله بواسطة إرادته فقط يمكن للبشر أيضاً أن يفعلوه بواسطة إرادتهم!! هذه هي خلاصة ونتيجة ادعاء جناب «أبو الفضل النبوي» المُتَلَقِّب بآية الله العُظْمى!

الآن علينا أن نبحث ونتساءل ما الذي دفع «أبو الفضل النبوي» إلى النشاط والاجتهاد في بحث هذه القضية، وما علَّة ادعائه لتلك الدعاوي؟

أما بالنسبة إلى الدافع فإننا لا نتصور دافعاً سوى ما ذكرناه في صدر كتابنا هذا والله أعلم بحقيقة عباده. وأما بالنسبة إلى دليله على ما يقول، فمن الواضح أنه ذلك البيت من الشعر الذي وضعه السيد الحميري على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وأنه قاله للحارث بن الأعور:

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلا (١)

والواقع إن قصة دخول الحارث الأعور على أمير المؤمنين علي عليه السلام من جملة القضايا التي لم تقع أصلاً واخترع لها السيد أشعاراً.

ثم هناك بعض الأحاديث في هذا الشأن [أي حضور علي بن أبي طالب عند كل إنسان لحظة وفاته] أوردها الكُلَيْنِيّ في كتاب «الجنائز» من كتابه «الكافي».

أما بالنسبة إلى الشعر المذكور فيكفي أن قائله هو «السيد إسماعيل الحميري» وهو صاحب السوابق المضطربة، وكان طبقاً لما تذكره كتب التاريخ والرجال رجلاً فاسقاً، وقد قلنا سابقاً إن الفسَّاق والفجَّار أراحوا أنفسهم بالاعتقاد بمثل هذه الأوهام التي أغواهم بها الشيطان لكي تزيد جرأتهم على ارتكاب المعاصي والآثام. وقد اتَّفقت جميع كتب الرجال التي ترجمت له على أنه كان مستمراً في شرب الخمر إلى حين احتضاره ومفارقته الحياة!

ورغم أن بعض الأخبار تنقل أنه قال في آخر ساعات عمره أشعاراً استغفرَ اللهَ فيها من

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦/ ص ١٨٠، نقلاً عن كتاب المجالس للشيخ المفيد. (تر)

مذهبه الماضي الذي كان مذهب الخوارج والكيسانية وقال البيت المعروف:

تَجَعْفَرْتُ بِاسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ(١)

رغم أن هذا المطلب غير صحيح برأي أهل الأدب، لأن هذا البيت لا يشبه أبداً أشعار «إسماعيل بن محمد الحميري» الجميلة والطريفة، يُضاف إلى ذلك أن المذكور في تاريخ ولادته أنها كانت سنة ١٧٣هـ وبالتالي فالرواية التي تذكر أنه التقى بحضرة الإمام الصادق وتاب على يديه أو انصرف عن مذهبه السابق وأن الإمام الصادق عليه السلام قال شيئاً بشأن العفو عن شربه الخمر، رواية غير صحيحة من أساسها لأن الصادق توفي سنة ١٤٨هـ أي قبل ٢٥ عاماً من ولادة «السيد الحميري»!

ولكي نتأكد أن ذلك البيت من الشعر ليس لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بل هو من كلام السيد الحميري نفسه فإننا نحيل القارئ الكريم إلى الكتاب النفيس الذي ألفه العلامة الكبير المرحوم السيد «محسن الأمين العاملي» بعنوان «جمعة النفيس» حيث أتى فيه بما يلي:

[[لا بأس أن نشير إلى بعض ما يوجب القطع بفساده ألا وهو نسبة بعض المذكور في الديوان إلى أمير المؤمنين.....» [ثم يصل إلى القول أن البيت الذي يقول]: يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلا

في حين أن هذا البيت هو للسيد «الحميري» وأوله يقول:

قَوْلُ عَلِيٍّ لِحَارِثٍ عَجَبٌ كَمْ ثَمَّ أُعْجُوبَةً لَهُ حَمَلا(٢)

وهذا صريح بأن ما يقوله حكاية لقول الإمام وليس عين كلامه. وقد نسب الشيخ الطوسي -عليه الرحمة- أيضاً في المجلس الثامن عشر من أماليه ذلك البيت من الشعر إلى السيد «الحميري» وأتى بذلك البيت في مطلع القصيدة.

نعم لقد اشتبه الأمر على «ابن أبي الحديد» شارح نهج البلاغة فقال إن الشيعة تروي ذلك

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧/ ص ٣١٧، نقلاً عن كتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق. (تر)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦/ ص ١٧٩، نقلاً عن كتاب المجالس للشيخ المفيد. (تر)

البيت عن أمير المؤمنين]] (انتهى كلام العلامة السيد محسن الأمين).

أما الأحاديث التي أوردها الكليني في كتاب «الجنائز» من كتابه «الكافي» فقد ذكر ستة عشر حديثاً في هذا الباب معظمها لا يدل على ذلك المطلب بصراحة. وكل تلك الأحاديث طبقاً لتشخيص العلامة المجلسي -رحمة الله عليه- في كتابه «مرآة العقول» إما ضعيفة أو موضوعة أو مجهولة!! ومعظم رواتها من الغلاة الضالين من أمثال «سهل بن زياد» و«محمد بن سنان» و«بنو الفضّال» وقد ذكرنا ترجمة أحوالهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب المتعلق بالزيارة وأدعية الزيارات.

ولا يوجد من بين تلك الأحاديث الستة عشر سوى حديث صحيح واحد. وهو لا يتعلق بحضور «الولي» أو الإمام عند المحتضر بل مضمونه أن المؤمن ستقر عينه عند موته بنتيجة أعماله.

والأحاديث التي جاءت في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري وفي تفسير العياشي وسائر الكتب حول هذا الموضوع جميعها لها نفس الدرجة من الصحة أيضاً أي هي أحاديث ضعيفة أو مجهولة وغير معتبرة. وعلى فرض أن كل تلك الأحاديث صحيحة وكلها تذكر أن أولياء الله يحضرون عند موت المؤمن أو المنافق فليس معناها أن شخص الإمام يحضر بجسمه أو روحه أو بمشيئته وإرادته! بل أفضل تفسير وتأويل لمثل هذه الأخبار هو ما ذكره الشيخ الجليل الشيخ المفيد -أعلى الله مقامه- حيث قال:

[[القول في رؤية المحتضرين رسول الله ﷺ وَأمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة: هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة وَتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة عليهم السلام وَجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للحارث الهمداني رحمه الله:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفني طرفه وَأعرفه ... بعينه وَاسمه وَما فعلا

في أبيات مشهورة وَفيه يقول إسماعيل بن محمد السيد رحمه الله

وَيراه المحضور حين تكون	الروح بين اللهاة وَالحلقوم
وَمتى ما يشاء أخرج للناس	فتدمى وجوههم بالكلوم

غير أني أقول فيه إن معنى رؤية المحتضر لهما عليهما السلام هو العلم بثمرة ولايتهما أو الشك فيهما وَالعداوة لهما أو التقصير في حقوقهما على اليقين بعلامات يجدها في نفسه وَأمارات وَمشاهدة أحوال وَمعاينة مدركات لا يرتاب معها بما ذكرناه، دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتصال الشعاع، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة/ ٧-٨]، وَإنما أراد جل شأنه بالرؤية هاهنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين الذي لا يشوبه ارتياب وَقال سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾ [العنكبوت/ ٥] وَلقاء الله تعالى هو لقاء جزائه على الأعمال وَعلى هذا القول محققو النظر من الإمامية. وقد خالفهم فيه جماعة من حشويتهم وَزعموا أن المحتضر يرى نبيَّه وَوليَّه ببصره كما يشاهد المرئيات وَأنهما يحضران مكانه وَيجاورانه بأجسامهما في المكان!!..]] انتهى كلام الشيخ المفيد.[١].

ومثله التفسير والتأويل الذي ذكره السيد جليل القدر المرتضى علم الهدى كما نقل ذلك العلامة المجلسي في الجزء الرابع من بحار الأنوار (١٤٧) حيث قال:

«الخامس ما ذكره السيد المرتضى ﷺ وَهو أن المعنى أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وَانحرافه عنهم لأن المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنه من أهل الجنّة وَكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنه من أهل النار فيكون حضورهم وَتكلُّمهم استعارة تمثيلية»[٢].

ومما يؤكّد ذلك صراحة بعض الأخبار في إفادة هذا المعنى، كما جاء في حديثٍ للكافي: «عَنْ

(١) الشيخ المفيد، «أوائل المقالات»، طبع تبريز، باب٥٠-القول في رؤية المحتضرين رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة، ص ٧٤.

(٢) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٦/ ص ٢٠١. وقد ضعف المجلسي قول السيد المرتضى هذا.

سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ الله! هَلْ يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ عَلَى قَبْضِ رُوحِهِ؟ قَالَ: لَا وَالله إِنَّهُ إِذَا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوحِهِ جَزِعَ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يَا وَلِيَّ الله لَا تَجْزَعْ فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم لَأَنَا أَبَرُّ بِكَ وَأَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ وَالِدٍ رَحِيمٍ لَوْ حَضَرَكَ افْتَحْ عَيْنَيْكَ فَانْظُرْ. قَالَ: وَيُمَثَّلُ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِم عليهم السلام...»[1].

فكان من الأفضل لآية الله العظمى! أن يصرف النظر عن هذه الأحاديث ومعانيها كي لا يضطر إلى ذكر كل تلك الترهات وتلفيق كلمات الكفر تلك إلى حد قوله إذا كانت المشكلة هي الجسمية فإن تصرّف الله في الأرحام وتصوير الأجنة يحتاج إلى الذهاب والإياب؟! فأي مسلم قال إن تدبير الله للأمور يستلزم حضور جسم عنصري حتى يجيب عليه حسب خياله ويردَّ قوله؟!

ولو فرضنا محالاً -والعياذ بالله- أن الله جسم ومادة! فهل حضوره في كل مكان مماثل لحضور البشر الذين يحتاجون إلى الحركة والتنقل وأن يسمع الناس صوت أقدامهم ويروا أيديهم وقلمهم ودواتهم!؟!

إن الله تعالى محيط بجميع عالم الإمكان دون مادة أو زمان، وليس وحده محيطاً بذلك بل حتى بعض مخلوقاته تحضر في أغلب الأمكنة ومع ذلك لا يمكن قياس البشر عليهم.

فمثلاً الأمواج الكهرطيسية موجودة في سائر أنحاء العالم ويمكن لأجهزة الراديو والتلفاز وأمثالها أن تلتقطها، ولكن البشر لا يملكون مثل تلك الخاصية والقدرة ولن يملكوها. وكذلك قوة الجاذبية التي تؤثر في جميع أنحاء الكون وفي نظام المجرات ولا يمكن تصور مثل هذه القدرة للبشر.

وكذلك تستطيع أشعة اكس والأشعة ما وراء البنفسجية والقوى الأخرى التي تقع تحت القدرة العلمية للبشر اليوم، أن تقوم بأعمال لا يمكن لفكر الإنسان أن يتصوَّرَها! فما هذا القياس

---

(١) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج٣/ ص ١٢٧- ١٢٨. (تر)

الخاطئ الذي يقوم به آيتنا العُظْمى هذا! إذ يقيس الله على البشر الذي هو بشهادة العلوم الطبيعية إن لم يكن أعجز المخلوقات وأضعفها فليس بأقواها بالتأكيد. والأسوأ من ذلك قوله إن الذي يكون تحقيقه بالنسبة إلى الإنسان محالاً عقلاً فكذلك سيكون محالاً بالنسبة إلى الله! ويقول بما أن الله لا تتعلق قدرته بأن يضع العالم في بيضة دون أن يصغر العالم أو تكبر البيضة فنحن أيضاً لا نقدر أن نفعل ذلك! انظروا إلى هذا القياس المقلوب والخاطئ.

أولاً: يجب أن يُقال لهذا المؤلف إن الله قادر حتى على تحقيق ما تتصوره محالاً عقلياً! فخلق العالم من العدم هو من المحالات ولكن الله أوجد العالم من عدم على رغم أنف الفلاسفة، حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس/ ٨٢]. وقال أيضاً: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم/ ٩]. وقد ورد في الخبر «**كان الله ولم يكن معه شيء**»[(1)].

يا حضرة الآية العُظْمى! رغم كل ادعاءاتك لا يمكنك أن تدعي أنك تعيش في كون وسعته وحقيقته بمقدار ما يمكنك تصوره فقط لا غير! وذلك لأن عقل الإنسان ليس ميزاناً للحقائق، بل العقل شعلة ضعيفة منحها الله للإنسان تعويضاً عن حرمانه من الغرائز الطبيعية المرشدة كي يستطيع من خلاله تلمس سبيله نحو العيش، وليس هنا موضع إثبات هذه الأمور.

في حياة الإنسان التي يُمضي ثلثَها على الأقل في النوم، تحدث في عالم الرؤيا أمورٌ لا يمكن أبداً أن نقيسها بمقاييس المادة والزمان، ولا يمكن تطبيق قاعدة المحالات العقلية عليها أبداً. فالإنسان في عالم الرؤيا يقوم في لحظات بأعمال لا يمكنه في عالم اليقظة أن يفعلها ولا في سنين من الزمن، ويتكلّم ويتبادل الحديث بما لا يستطيع أن يفعله خلال أشهر من حالة اليقظة! وتحدث خلال الرؤية عجائب مثل مرور الجمل في سم الخياط وطيران الإنسان وعروجه وسقوطه...

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٤/ ص ٢٣٤. والحديث رواه من أهل السنة البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق/ ح٣٠١٩) بسنده عن «عمران بن حصين» بلفظ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ**، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» وفي رواية لابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، ج١٤/ ص١١): «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قبله**، وكان عرشه على الماء». (تر)

دون أن يعتبر أحدٌ ما شُوهد محالاً عقلياً، مع أنها أمورٌ لا يمكن تصديقها أبداً في غير حالة الرؤيا ومنطقها يختلف كلياً عن منطق اليقظة وهي تشكِّل ثلث حياة الإنسان وأهميتها في الشريعة جزء من ٤٦ جزء من النبوة، بل هي دليل كبير على المعاد (البعث) فلا يمكن غض الطرف عنها.

كما أن على آيتنا العُظْمى أن يجيب عن هذا السؤال: لما تحوّلت عصا موسى عليه السلام بأمر الله ثعباناً مبيناً وابْتَلَعَتْ -كما ينصُّ على ذلك القرآن الكريم- جميع الآلات والعصيّ والأدوات التي ألقاها سحرة فرعون والتي تزن مقداراً كبيراً من الكيلوغرامات من النحاس والحديد والخشب والحبال، فقال تعالى: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [طه/ ٦٩]، هل كَبُرَتْ عصا موسى أم صَغُرَت حبال سحرة فرعون وعِصِيُّهم عندما دخلت في بطن ثعبان موسى؟! كيف اتَّسعت جميع تلك الحبال والعِصِيّ في ثعبان عادي من مترين أو ثلاث دون أن يكبر الثعبان أو تصغر العصيّ والحبال؟

يشهدُ الله ويعلم أننا لسنا بصدد التقليل من حرمة نعمة العقل العظيمة الذي كرَّمَه القرآن الكريم تكريماً عظيماً ولا نريد إنكار وجود محالات عقلية، بل كل ما نرمي إليه هو أن لا يعتبر بعض علماء الدين كل ما كان مستحيلاً على غير الله مستحيلاً أيضاً على الله بوصفه محالاً عقلياً، بل أن يدركوا أن كثيراً من المحالات هي محالات بالنسبة لنا فقط وليست محالات عقلية وجودية، فعليهم أن يتأمّلوا ويحتاطوا كثيراً عندما يتكلّمون عن الذات الإلهية.

ثانياً- ننصح آية الله «أبا الفضل النبوي» هذا الذي يستند أكثر من الآخرين إلى كتب الروايات والأخبار، وكثيرٌ من دعاويه مستقىً من الخرافات والقصص المبثوثة في كتب الروايات، أن لا يحتجّ إلى هذا الحدّ بعقل الإنسان الضعيف لأن كثيراً من مستندات اعتقاداته -كما سنرى- مخالفة للقرآن كما هي مخالفة للعقل والعلم والتاريخ.

ونقول له: أنت نفسك مضطرٌّ طبقاً لعقائدك المذهبية- ونحن نلزمك بقول علماء مذهبك- أن تسلِّمَ وتقرَّ بكثير من المحالات العقلية. حتى بالنسبة إلى القضية ذاتها التي تذكرها أعني هل يستطيع الله أن يضع جميع العالم داخل بيضة دون أن يصغر العالم أو تكبر البيضة، هناك في كتاب «الكافي» حديث حول هذا الموضوع عن «عَبْدِ الله الدَّيَصَانِيِّ» يذكر أنه تناقش في هذا الأمر مع

«هشام بن الحكم» فسأل هشامٌ لإمامَ الصادقَ عن هذه المعضلة فكانت إجابة الإمام إمكانية فعل ذلك بالنسبة إلى الله!![(١)]

وطبقاً لما يُقال في مجالسكم المذهبية وكتبكم الروائية -والتي لم نسمع من العلماء والمراجع نهياً عنها أو اعتراضاً عليها- قال الإمامُ الكاظم -عليه السلام- لصورة أسد مصوَّرة على بعض الستور: يا أسد الله! خذ عدو الله! فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترسته وذلك في محضر هارون الرشيد[(٢)]. وكذلك صورة الأسد التي كانت على المسورة في محضر الخليفة المتوكل، والتي ضرب عليها الإمام علي بن محمد بن الهادي -عليه السلام- بيده فَوَثَبَتْ الصُّورَةُ مِنَ الْمِسْوَرَةِ فَابْتَلَعَتِ المشعبذ الهندي -الذي أحضره الخليفة المتوكل ليهين الإمام ويضحك الناس منه-، وَعَادَتْ الصورة فِي الْمِسْوَرَةِ كَمَا كَانَت[(٣)]. وعندما طُلب من الإمام الكاظم عليه السلام أن يعيد ما ابتُلع قال: «إِنْ كَانَتْ عَصَا مُوسَى رَدَّتْ مَا ابْتَلَعَتْهُ مِنْ حِبَالِ الْقَوْمِ وَعِصِيِّهِمْ فَإِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ تَرُدُّ مَا

---

(١) ولفظ الحديث: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ إِنَّ عَبْدَ اللهِ الدَّيَصَانِيَّ سَأَلَ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ أَلَكَ رَبٌّ؟ فَقَالَ بَلَى. قَالَ: أَقَادِرٌ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ قَادِرٌ قَاهِرٌ. قَالَ: يَقْدِرُ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ وَلا تَصْغُرُ الدُّنْيَا؟؟ قَالَ هِشَامٌ: النَّظِرَةَ. فَقَالَ لَهُ قَدْ أَنْظَرْتُكَ حَوْلاً. ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ فَرَكِبَ هِشَامٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! أَتَانِي عَبْدُ اللهِ الدَّيَصَانِيُّ بِمَسْأَلَةٍ لَيْسَ الْمُعَوَّلُ فِيهَا إِلا عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَمَّاذَا سَأَلَكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي كَيْتَ وَكَيْتَ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: يَا هِشَامُ كَمْ حَوَاسُّكَ؟ قَالَ: خَمْسٌ. قَالَ: أَيُّهَا أَصْغَرُ؟ قَالَ: النَّاظِرُ. قَالَ: وَكَمْ قَدْرُ النَّاظِرِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْعَدَسَةِ أَوْ أَقَلُّ مِنْهَا. فَقَالَ لَهُ: يَا هِشَامُ فَانْظُرْ أَمَامَكَ وَفَوْقَكَ وَأَخْبِرْنِي بِمَا تَرَى؟ فَقَالَ: أَرَى سَمَاءً وَأَرْضاً وَدُوراً وَقُصُوراً وَبَرَارِيَ وَجِبَالاً وَأَنْهَاراً. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: إِنَّ الَّذِي قَدَرَ أَنْ يُدْخِلَ الَّذِي تَرَاهُ الْعَدَسَةَ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا قَادِرٌ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لا تَصْغُرُ الدُّنْيَا وَلَا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ. فَأَكَبَّ هِشَامٌ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: حَسْبِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ!». أصول الكافي، ١/ ٧٩، باب ٢٤، ح ٤. (تر) فإن كان الآية العظمى! لا يقبل بهذا الحديث فعليه أن لا يقبل نظائره ولا يستند إليها. (برقعي)

(٢) الصدوق، أمالي الصدوق، ص ١٢٧، ح ١٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١/ ص ٩٥، ح ١. (تر)

(٣) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٥٠/ ص ١٤٦- ١٤٧. (تر)

ابْتَلَعَتْهُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ»![1].

وفي قضية المعراج النبوي التي تُعدّ من أعظم معجزات وكرامات خاتم الأنبياء ﷺ والتي يعتقد معظم الشيعة [كما يعتقد سائر المسلمين] بأنه كان معراجاً بالجسم والروح، فإن السؤال المحيِّر هو ما تذكره الروايات من أنه عندما عاد رسول الله ﷺ من رحلة المعراج التي عرج فيها من فراشه إلى السموات العلى في رحلة عجيبة شاهد فيها عجائب ملكوت الله في أقل من لحظة، وقطع مسافات الكون التي كشفت التحقيقات العلمية الحديثة والأجهزة والمراصد المتطورة اليوم أن مسافته تزيد عن مليار سنة ضوئية (علماً أن النور يقطع في كل ثانية أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متر!!) والتقى ﷺ بكل أولئك الملائكة وأهل الجنة والنار وتحادث مع الأنبياء وتلقَّى الأحكام والشرائع من الله، فلما عاد إلى سريره كانت جرَّة الماء التي كان يضعها عند رأسه والتي سُكِبَتْ عندما ارتطمت بقدمه الشريفة لا تزال تنسكب، كما أن حلقة الباب التي تحرَّكت عند ذهابه كانت لا تزال تتحرك! كما أن سريره كان لا يزال ساخناً!

فكيف استطاع جسم عنصري أن يقطع في تلك المدة القليلة جداً كل تلك المسافات الهائلة وكل تلك العوالم الكثيرة؟ هل صَغُر حجم العالم أم كبر جسم رسول الله أم صغرت ملايين ملايين الأجسام؟!

وصور الأسد التي -حسب قولكم- افترست عدو الإمام الكاظم وعدو الإمام الهادي وابتلعتهما هل كبرت أم أن عدوَّيْ الأئمة الملعونَين صغرا؟!

إن الأسود لم تكبر، وأجساد أولئك الأشخاص لم تصغر، فكيف اتسعت الأجسام التي حجمها عدة أمتار في صورة ليس لها حجم؟!

وأنتم تدَّعون فيما تنقلونه من روايات أن الإمام الجواد أجاب عن ثلاثين ألف مسألة مشكلة في مجلس واحد! فلو فرضنا أن الإجابة عن كل مسألة تحتاج إلى أقل من دقيقتين، فمعنى ذلك أن الإمام كان يحتاج إلى ستين ألف دقيقة أي حوالي خمسين يوماً وليلةً للإجابة عن تلك المسائل!!

---

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٤٨/ ص ٤٢. (تر)

فإما أن تكون المسائل قد استغرقت أقل من دقيقتين أو أن يكون المجلس قد طال إلى خمسين يوم وليلة؟!

فمن العجيب أنكم تريدون أن تقنعوا الناس بهذه المسائل من خلال هذه التلفيقات الفلسفية التي لا تمتلكون دليلاً عليها سوى أن بعض الغلاة أو أعداء الدين وضعوها ودسوها بين الأخبار والكتب.

ويبدو أنكم رغم كل ادعاءاتكم العلمية لم تتعلموا المنطق جيداً، فمن بين النسب الأربعة بين الأشياء، قضيتنا هنا هي من باب العموم والخصوص المطلق (ليس كلُّ شيءٍ كرويٍّ حبَّةُ جوزٍ رغم أن كلَّ حبَّةِ جوزِ كُرَويَّةٌ)، في حين أنكم في القياس الاقتراني المنطقي الذي ذكرتموه جعلتموها من الشكل الأول أو الثالث (كل ما هو ممكنٌ لِـلَّهِ فهو ممكنٌ أيضاً للبشر!) ونتيجة هذا القياس ستكون أن الإنسان أيضاً إله! ويكفيكم هذا الخطأ الكبير الذي لا يمكن لمجنون أن يرتكبه فضلاً عن أن يقول به من يدعي أنه آية الله العظمى!

إن نشر مثل هذه الأفكار نوع من الرشوة والبشارة للفسَّاق والفجَّار الذين يتصوَّرون أنه بما أن عليّاً عليه السلام سيحضر عند رأسهم عند وفاتهم، والحال أنهم يعتبرون أنفسهم من محبيه وشيعته إما لأنهم كانوا من جملة الدراويش أو لأنهم كانوا من الذين يضربون أنفسهم [في ذكرى وفاته] بالسلاسل والسيوف، ويعتبرون ذلك أقوى دليل على ولايتهم له، فإن أمورهم ستكون محلولة وسيكونون في أسعد حال!

وإلا فماذا يفيد نشر مثل هذه الأفكار في التربية وهداية الأرواح إلى الله عزَّ وجلَّ؟! أليس في نشر مثل تلك الأفكار تشجيع لعامة المنتسبين إلى التشيّع على التجرُّؤ أكثر على ارتكاب المعاصي والذنوب. إن نظرةً إلى ما يجري في الأسواق تكفي لرؤية مقدار تجاهل الناس لموضوع الربا والاحتكار ومخالفة أحكام الشريعة.

وبصرف النظر عن كل ذلك فما الحاجة لإثبات مثل هذا الأمر سوى وسوسة الشيطان ودسائس الأعداء الذين يدفعون الإنسان نحو أودية الكفر والشرك الخطيرة، ويشوّهون دين

الإسلام ومذهب التشيُّع في نظر عقلاء العالم حيث يصوِّرونه مذهباً مليئاً بالأوهام مفتقراً إلى العقل والتفكير السليم؟!

لو قلنا إن محمداً وعلياً -عليهما السلام- لا يحضران عند رأس المولود حين ولادته أو الميت عند مفارقته الروح، فأيُّ خلل يصيب أركان الإيمان وأيُّ ضرر يصيب المولد أو الميت؟! هل يعجز الله تعالى -والعياذ بالله- عن الإتيان بالمولود إلى عالم الدنيا أو أخذ الميت من هذا العالم دون وجود محمدٍ وعليّ، حتى تتجشمون كل هذا العناء لإثبات هذه القضية؟ طبعاً نحن نعلم أن قصدكم من هذا الأمر ليس سوى التشبث بدليل لإثبات مدعاكم الشركي ولو كان هذا الدليل مثل القشَّة!.

وليت شعري! هل اعتقاد الناس بحضور محمدٍ وعليٍّ أو سائر الأئمة -عليهم السلام- عند رأس الميت أو المولود يساعد على نشر حقائق الإسلام في العالم واكتشاف الناس عظمة الإسلام وأنه دين الحق؟! أم على العكس من ذلك من شأن نشر مثل هذه الأفكار والأوهام أن ينفُرَ حتى الأفراد المسلمون الواعون وذوو الفهم، من الدين، ويحال بينهم وبين سماع حقائق الدين الحقيقية! كما نرى ذلك فعلاً.

ثم بدأ المؤلف «أبو الفضل النبوي» بشرح الفرق بين عمل أصحاب الرياضات الرهبانية وبين طريقة أولياء الله، وذلك لكي يحل إشكال وجود أفراد من الملل الأخرى يدَّعون القدرة على التصرفات في الكون مشابهة لما يُروى عن بعض الأئمة عليهم السلام، وفي الحقيقة قام بإثبات باطل استناداً إلى باطل. لقد ادعى أن الفرق بين أعمال أولياء الله وبين تصرّفات بعض النُسَّاك وأصحاب الرياضات الروحية هو أن قدرات أولياء الله ذاتية بينما قدرات النُسَّاك كسبية! هذا رغم أنه اضطر في صفحات أخرى من كتابه إلى الإقرار بأن كل ما ناله أولياء الله من مقامات فهو نتيجة لعبادتهم لِـلَّهِ، وهو أمر صحيح تؤيده الأخبار.

ثم بدأ يتحدّث عن أباطيل لا تستحق النقل والعناية بها ولما وقع في إشكال توارد العلل على معلول واحد حاول التفصِّي منه والإجابة عنه بقوله: إن ورود الإرادات المتعددة على مراد

واحد كما تفيده آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....﴾ [المائدة/ ٥٥]، إنما يؤدي إلى إشكال إذا كانت الإرادات متفاوتة ومتباينة عن بعضها البعض، لأن الفلسفة تقول إن توارد علتين أو ثلاث علل على معلول واحد من المحالات العقلية، ولكن هنا لما كانت إرادة الله والرسول والولي إرادة واحدة فليس هناك من إشكال في الأمر! ثم شبَّه ذلك بجهاز السلاطين والوزراء وجعل الله مثل السلطان والرسول والأولياء مثل وزرائه ورئيس وزرائه الذين يمتلكون جميعاً إرادة واحدة.

لقد أتى بالفلسفة ذاتها التي اخترعها المسيحيون للأقانيم الثلاثة فقالوا إن الأب والابن وروح القدس ثلاثتهم واحدٌ وهم في الوقت ذاته ثلاثة أيضاً!! بل يمكننا أن نقول إن فلسفة المسيحيين أقل ضعفاً مما يذكره!

إن هذه التخيلات العامية بل الصبيانية التي يقوم بعرضها بأسلوب فلسفي تؤدي إلى إيقاع هؤلاء المساكين بفكرة أن الله مثل الملك، ولما كان لكل ملك وزراء ومشيرون وخدم وحشم لذا فإنهم يعتقدون بوجود مثل هؤلاء لدى الله، وعندئذ عندما يرون أن وزير الملك قدرته أكثر من الآخرين فإنهم يثبتون لرسول الله ذلك المقام وتلك القدرة ثم عندما يشاهدون أن سائر الوزراء يملكون صلاحيات واسعة بعد صلاحيات الوزير الأول، لذا يثبتون مثل هذه الصلاحيات لأوصياء رسول الله، وقِس على ذلك...

وفي الواقع لقد نشأت مسألة التوسل والشفاعة انطلاقاً من هذه التخيلات والتصورات الباطلة ذاتها، مع فارق أنه في جهاز السلطنة تكون قدرة الملك وعظمته محفوظتان دائماً ومحترمتان بحيث أنه يملك أن يعزل رئيس وزرائه أو أي وزير من وزرائه متى شاء وأحياناً يأمر بضرب عنقه!! أما في جهاز السلطنة الإلهية عند هؤلاء فإن قدرة ونفوذ رئيس الوزراء والوزراء تكون في تزايد دائم إلى حد أنه مع وجود الأولياء وكل ما يملكونه من قدرات وصلاحيات يبدو وجود الله زائداً وإضافياً!!!

والسبب في ذلك أن وزراء الله يقومون بجميع أعماله وأحياناً -كما تفيده بعض الأخبار

الموضوعة- يقومون بالأمر قبل أن يريده منهم.

ولعلهم قاسوا قدرة وزراء الله هذه على قدرة الوزراء في بلاط السلاطين الصفويين لأن كثيراً من هذه الكتب المذهبية كُتبت في زمن أولئك السلاطين، وقد اتسعت قدرة الأئمة -عليهم السلام- على أيدي كتّاب ومؤلفين أمثال صاحب «**مدينة المعاجز**»[١] و«**إثبات الهداة**»[٢] وأمثالهما في زمن أولئك السلاطين، وإلا فإن علماء ومؤلفي الشيعة لاسيما القدماء منهم لم يكونوا أبداً يعتقدون في حق الأئمة بمثل تلك القدرات على التصرف في الكون كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى.

وهذه المبالغة والإفراط في قدرة ونفوذ وتسلط الأئمة نجدها منعكسة في التوسل والشفاعة في البلدان الشيعية التي نجد المشاهد فيها عامرة أكثر من المساجد ونجد الأوقاف والنذور فيها على المقابر أكثر من الزكوات والصدقات على الفقراء والمصالح العامة، ونجد دعاء الأولياء والاستغاثة بعلي والحسين -عليهما السلام- فيها أكثر من الاستغاثة بالله ومن نداء «يا الله»، ونجد جماعات النائحين واللاطمين لصدورهم فيها أكثر من جماعات صلوات الجماعة وقراءة القرآن، ونجد تمني زيارة قبر الحسين والرضا -عليهما السلام- أكثر من تمني زيارة بيت الله الحرام، والخوف من حضرة العباس و«شاه جراغ» أكثر من خوف الله و....و....

لماذا يحدث كل هذا؟ إن السبب في ذلك أن الناس لم يعرفوا اللهَ حقَّ المعرفة، ولأن أمثال «أبي الفضل النبوي» يوجهون الناس في خطبهم ودروسهم نحو إلـهٍ أعوان بِلاطِهِ يهتمُّون بالناس أكثر من اهتمامه بهم! ويحقِّقون -بما يملكون من قدرة عظيمة- آمال محبيهم وأمانيهم بصورة أسرع!!! ومؤدَّى التبليغ الذي يقومون به هو أن دعاء الله وإطاعة أوامره ونواهيه ليست لازمة

(١) هو كتاب «**مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر**» والمطبوع في ٨ مجلدات، تأليف السيد هاشم بن سليمان البحراني [صاحب البرهان في تفسير القرآن] (١١٠٧ أو ١١٠٩هـ). (تر)

(٢) هو كتاب «**إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**» في مجلدين، تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي [صاحب كتاب وسائل الشيعة] (١٠٣٣- ١١٠٤هـ). (تر)

على نحو قطعي! لأنه يمكن من خلال تملق أولياء الله وزيارتهم والبكاء عليهم استعطاف قلبهم، وبما أن الأولياء بشر فلا بد أن تكون لهم عواطف بشرية، وبالتالي يمكن للمتوسِّلين بهم استمالة قلبهم بصورة أسرع فيحقِّقون لهم مطالبهم فلا تبقى هناك حاجةٌ لِلَّهِ بعد ذلك!

هذا هو منشأ المفاسد في هذه البلدان وهو قلّة المعرفة بالله أو ذلك التصور المغلوط عن الله كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى.

وأما إجابته الثانية عن إشكال توارد العلل فخلاصته ما يلي: ولاية الأولياء مثلها مثل الحاجة إلى الأسباب، ولما كان عالم الوجود هو عالم الأسباب والمسببات لذا فإن أولياء الله أيضاً سبب لإفاضة الفيض الإلهي بالحياة والموت والرزق والحركة و... وكل الفيوضات الأخرى!

وأقول: هذه الإجابة أيضاً لا تعدو السفسطة والمغالطة لأنه: رغم أن عالم الشهادة هو عالم الأسباب والوسائل، والعلل والمعلولات، لكن سبب كل شيء هو ما يكون لزومه معلوماً في الحياة العادية والطبيعية للبشر، ويكون البشر ملزمين ومحكومين بإعداد تلك الأسباب والأخذ بها ضمن نظام العالم المتقن فمثلاً: البشر ملزمون لأجل تأمين رزقهم بالسَّعْيِ إلى الكسب والصناعة والزراعة، وملزمون لأجل تأمين سلامتهم بمراعاة مبادئ الصحة والنظافة، وملزمون لأجل التغلب على أعدائهم بإعداد القوة اللازمة، أما ما يتعلّق بالله ونظام الخليقة، فالله وحده هو الذي يعلم بهذا النظام ويقوم به ولا يطلب من أحد معرفته والقيام به!

إن الأنبياء والأولياء واسطة الفيض الإلهي لهداية البشر فقط لا غير. ولم يرد الله منهم أكثر من ذلك، لأنه لم يعطِهِم أصلاً أكثر من ذلك، لأن الله تعالى لا يحتاج في ملكه إلى وزير ولا إلى مشير ولا إلى رئيس وزراء ولا إلى وكلاء! وتصور مثل هذه الأمور في حق الله -كما قلنا- لا يعدو خيالات صبيانية وتصورات عامية وأوضح مثال عليه تصور الأقانيم الثلاثة.

ثم لخص آيتنا العُظْمى (!) في ختام هذا الفصل كل ما ذكره فيه، وانطلق نحو الفصل الثالث الذي عَنْوَنَ له بعنوان «**عدم امتناع الولاية في نظر الشرع**». وهنا ذكر عدة أحاديث من التي

تُعجِب الصوفيةَ مثل حديث «التقرُّب بالنوافل»[١] -الذي لا علاقة له كثيراً بمدعياته- وأتى بقصة إحضار عرش بلقيس -التي ذكر القرآن فيها أن عفريتاً من الجن كان قادراً على الإتيان به قبل أن يقوم سليمان من مقامه في حين أن الذي كان عنده علم من الكتاب أحضر العرش قبل أن يرتد طرف سليمان إليه! وبعد أن ذكر دعاءً عن الإمام السجّاد -عليه السلام- في التضرُّع والابتهال لِلَّهِ تبارك وتعالى، وكأنه يريد أن يقول لنا نَعَمْ نحن أيضاً نعلم ذلك ونؤمن به! ومع ذلك نعرف وننحرف عما نعرفه على علم!! بدأ بالهجوم على من يعتبرون أمثال هذه الأدعية [التوحيدية] دليلاً واضحاً على عدم تصرّف الأئمة في الكون وإقراراً مِنْ قِبَل أولياء الله أنفسهم بالعجز والعبودية، فقال [عن أولئك الموحدين]: «*إن هذه الجماعة الشقية (!) التي لا علم لها، عمدت إلى إشاعة هذه الأفكار بسبب غلبة السفاهة والجهل عليها (!) أو بهدف الشهرة على مبدأ «خالِف تُعرف»، مستغلّين في ذلك بساطة العوام والمقلّدين ليبعدوا الناس الأبرياء عن فهم حقيقة مقام الأولياء وعن الاستضاءة بأنوارهم المقدَّسة والاستنارة بأشعَّتهم الملكوتية، وبالنتيجة ليحرموهم من امتلاك قوة الإرادة والنفس للتشبُّه برجال الله العظماء أولئك*»!! اهـ

ونقول له: افْرِضْ أن الناس اعتقدوا هذا الاعتقاد الذي تريده منهم وآمنوا أن أولياءَ الله قبلةُ حاجاتهم ومدبرو الكائنات والمتصرِّفون في جميع الأرضين والسموات، -ولسوء الحظ لقد اعتقد كثير من الناس فعلاً في هذا البلد بهذه الأمور بسبب التبليغ المتواصل لهذه الأوهام ليل نهار من أمثالكم ومن قراء المراثي والمداحين-، فأي نفع سيعود به مثل هذا الاعتقاد على الناس؟؟

---

(١) يشير إلى الحديث النبوي الذي يقول: «...**وَ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ إِذاً سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ**..». رواه الكُلَيْنِيّ في «الكافي» بسنده عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام عن رسول الله (ص). وبسنده عَنْ حَمَّادِ بْنِ بَشِيرٍ عن الإمام أبي عَبْدِ الله جعفر الصادق عليه السلام عن النبي (ص). الكافي، ج٢/ ص٣٥٢-٣٥٣، الحديثان رقم ٧ و٨. والحديث مروي من طرق أهل السنة أيضاً في صحيح البخاري (٦١٣٧) وصحيح ابن حبان (٢/ ٥٨) وسنن البيهقي الكبرى (٦٦٢٢) عن أبي هريرة مرفوعاً. (تر)

وأي خير سيجلبه إليهم وأيُّ شرٍّ سيدفعه عنهم؟! وليت شعري! ما هو الخير والحُسْن في نشأة مثل هذه العقيدة في نفس الإنسان؟ اللهم إلا أن يستغيث الإنسان بأولئك الأولياء فيجعلهم شركاء لِلَّهِ ويتصوَّر أنهم سيكونون شفعاءه عند الله ومنقذيه من عقاب الله على أعماله السيئة، فتزداد بذلك جرأته على ارتكاب المعاصي والفسق والفجور؟! كما يحصل فعلاً! ويندفع إلى صرف أمواله على تزيين مقابر الأئمة والأولياء ويقتصر في أعماله على التضرع لهم؟!

وإذا كان مقصودكم من التشبه بأولئك الرجال الرواد العظماء أن يسعى المتشبهون بهم إلى أن يصبحوا مثلهم [حسب عقيدتكم] أصحاب قدرة وتصرُّف في عالم الملك والملكوت أو أصحاب تلك العظمة والجبروت! فإنكم أنفسكم قلتم في المباحث التالية من كتابكم أنه لا يحق حتى للأنبياء والملائكة أن يتمنوا مقامهم وأن تلك الأمنية الساذجة هي التي أوقعت الناس في المصائب! خاصة أن مقامات وفضائل المعصومين الأربعة عشر تلك مقامات وفضائل ذاتية وليست كسبية! [فلا يمكن إذن التشبُّه بهم في الحصول عليها!].

إذن لا يبقى من الاستضاءة والاستنارة بنورهم - حسب اقتراحكم- إلا أن يطلب الناس منهم الأعمال التي لا تُرجى إلا من الله! وهو الشرك بعينه الذي حاربته آيات القرآن والذي حاربه أنبياء الله وأولياؤه العظماء دائماً، والقرآن الكريم يردُّ بكل صراحة وحزم على تلك الكفريات فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف/ ١٩٤]. فإن أصررتم على موقفكم جاءت الإجابة الربانية القارعة لتصفعكم وتقول لكم: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ [سبأ/ ٢٢]. إذن فلتقل ما تشاء [أيها المسمِّي نفسه آية الله] فقولُ اللهِ أصدقُ وأحقُّ.

ثم دخل «أبو الفضل النبوي» بعد ذلك في مبحث بعنوان «**انسجام الولاية مع التوحيد**» أراد من خلاله أن يوفق - زوراً - بين التوحيد وبين ما يطرحه من معنى «**للولاية**» وهو توفيق يشبه ما فعله ويفعله علماء الأقانيم الثلاثة من جمع بين التثليث والتوحيد!

هنا اعتبر أن الله لا شريك له في صفاته وأفعاله وقال: «إن الذي يتصور أن وجود أولياء الله إلى جانب الحق تعالى في تنظيم وتنفيذ أمور الخليقة مستلزم للشرك والكفر، فعليه أن يعتبر أن توسل الناس بالأسباب والوسائل، مثل سعيهم لتحصيل الرزق، ومراجعتهم الطبيب لمعالجة المرض، واستعمالهم الدواء للشفاء، وسائر أنواع التوسل بالوسائل والتمسك بالأسباب كفراً وزندقة وإلحاداً من باب أولى!».

ثم أخذ – متذاكياً – بالمجادلة والسفسطة فقال: «وذلك لأن مثل هذه الأعمال والتوسل بالأسباب تتضمن أيضاً اعتبار غير الله دخيلاً في أمور الكون وتتضمن استمداداً مما سوى الله، واعتقاداً بوجود شريك له في الأفعال، وهو شريك لا يَفْهَمُ ولا يعقل ولا يشعر ولا يحس، مثل الدواء والغذاء والأرض وحانوت التجارة والمحراث والمجرفة والفأس والشمس والغيم والريح وأمثالها. والتوسل بمثل هذه الأسباب أقبح وأشنع بكثير من التوسل بأولياء الحق الذين هم رجالٌ أصحاب حسٍّ وإرادةٍ وفهمٍ وسَمْعٍ وبصرٍ وعقلٍ وعلمٍ»!!.

وأقول: حقاً لتقرّ عين عالم الإسلام وعالم الشيعة بمثل آية الله العظمى هذا!! الذي ليس بوسع حتى أفلاطون وأرسطو أن يكونا تلميذين له في الاستدلال والمنطق!!!

وإننا لنسأل: كيف عرف هؤلاء الله؟! وبأي فهم يدركون دينه وشرعه؟! هل تناول الطعام وأخذ الدواء والسعي لأجل الكسب والرزق ومراجعة الطبيب مثله مثل طلب الرزق الغيبي من المخلوقين المرزوقين والاستغاثة وطلب الشفاء من البشر الذين هم عرضة للمرض والعلل، أو مثل سؤال من هم أنفسهم محتاجون لغيرهم، وطلب الحياة من الأموات؟!

هل استخدام المجرفة والفأس يماثل رفع أكف الضراعة والدعاء بلا قيد ولا شرط نحو مخلوقين محتاجين إلى ربهم رحلت أرواحهم إلى دار السلام وودَّعوا دار الفناء والتحقوا بدار البقاء ولم يبق مهم في الدنيا سوى مقبرة من التراب والحجر؟! (هذا بالطبع بغض النظر عن تعاليمهم الباقية).

أي إنسان حتى لو كان مجنوناً أو جاهلاً لا يعلم أنه عند الجوع عليه أن يتجه نحو الطعام

وعند البرد عليه أن يطلب النار وعند الحر عليه أن يتجه نحو الظل؟ وأي عاقل يذهب لأجل كسب معاشه نحو المقبرة ويذهب لأجل شفاء مرضه نحو أرواح الراحلين؟!

حتى لو فرضنا أنه ليس ثمة شرع ولا دين فإن البشر يعلمون بفطرتهم التي أودعها الله فيهم أنهم يحتاجون إلى السعي وإلى العمل للحصول على رزقهم، كما أن الله منح الإنسان عقلاً يدرك به أنه حتى لو لم تمنعه الشريعة من ذلك فإن التوسل بالأموات دون السعي والعمل لن يؤمِّن له رزقه ومعاشه.

ونحن عندما نعارض مثل هذه العقائد الشركية بله الشرك الصريح ونخالفه فلأنه بصرف النظر عن أن هذه الأمور ينكرها ويأباها العقل السليم، فإن الشارع الحكيم ذاته نهى عنها أيضاً!

لا شك أن الإنسان يضطر عندما يفقد كل حيلة أمام حوادث الحياة والآفات والكوارث التي تهدده بالفناء إلى البحث عن ملجأ وملاذ مطلق ليس لقدرته أي حد أو قيد وقد دلَّنا الشارع الحكيم على هذا الملجأ وهو التوسل بالذات الإلهية المقدسة فقط لا غير: ﴿...وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء/ ٣٢]. وقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾ [غافر/ ٦٠]، وقال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ .... أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النمل/ ٦٢].

لقد اعتبر القرآن الكريم اللجوء إلى الله عند الاضطرار من فطرة الإنسان وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ... ﴾ [يونس/ ١٢]. وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ... ﴾ [الزمر/ ٨].

وأكَّد الأمر بدعائه في مثل هذه الأحوال فقال: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ .....وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ ﴾ [الأعراف/ ٥٥ و٥٦].

وأمر نبيَّهُ مؤكِّداً فقال: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٠٥].

وفي الوقت ذاته نهى هذا الشارع ذاته وكتابه الذي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي القرآن الكريم، الناسَ عن التوسل والدعاء غير المشروط لأحد سوى الذات الأحدية وقال بكل صراحة ونهي شديد: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن/ ١٨]. وأقل امتثال لهذا الأمر الإلـهي أن لا يقول الإنسان على نحو الاستعانة والاستمداد غير المقيد ولا المشروط: «**يا محمد ويا علي....**»[(١)]. إن القرآن اعتبر بصراحة أن دعاءَ غير الله شركٌ صريحٌ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن/ ٢٠].

لقد أوجب دين الإسلام وكتابه السماوي على جميع مسلمي العالم أن يقولوا عشر مرات في اليوم والليلة على الأقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥]. أي أن العبادة لا تكون إلا لِلَّهِ والاستعانة الغيبية لا تكون إلا بالله حصراً.

ولكنك يا جناب آية الله «أبي الفضل النبوي» تدعو الناس بتلك الترهات التي تقولها إلى أن يدعوا الأئمة مع الله ويستعينوا بهم ويستمدوا منهم تلبية الحوائج التي يختص بفعلها اللهُ، وليس هذا فحسب بل ربما تدعوهم إلى أن يدعوا هؤلاء الأولياء فقط لا غير كما هو مشهود لدى الكثيرين!

إن الذين يدعون غير الله دعاءً غير مُقَيَّدٍ ويستمدون المدد منهم يقومون -طبقاً لتعاليم القرآن الصريحة الواضحة ولدلالة العقل - بعمل عبثيٍّ لا فائدة منه فضلاً عن كونه شركاً صريحاً، حتى لو كان المدعُوّ هو محمد المصطفى وعلي المرتضى -عليهما السلام-، إذْ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ

---

(١) يشير إلى الدعاء الذي اخترعه السيد ابن طاوس في كتابه «جمال الأسبوع» وفيه: «اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلَاءُ وَبَرِحَ الْخَفَاءُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ وَمُنِعَتِ السَّمَاءُ وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ الْمُشْتَكَى وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ وَأَظْهِرْ إِعْزَازَه. **يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَانِي يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَانِي يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَانِي**...». انظر وسائل الشيعة، ج٨/ ص ١٨٥. (تر)

ﭐلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٤].

ومن الواضح تماماً من قوله تعالى: «عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ » أن المقصود ليس الأصنام الحجرية بل أشخاص من البشر كانوا عباداً لِلَّهِ، ولا شك أن المصداق الكامل لعباد الله هم محمد ﷺ وآل محمد. فالآية تنهى عن دعائهم وتبين أنه لا جدوى منه.

وفي السورة ذاتها يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٧].

ويقول تعالى أيضاً في سورة الإسراء: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٥٦]. وبنحو ذلك يقول سبحانه أيضاً: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ... ﴾ [الرعد/ ١٤].
ويقول كذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ [فاطر/ ١٣].

وإذا قام أولئك الذين يُزَيِّنُونَ الشرك للعوام ويخدعونهم بالتشبيه على العوام وادعاء أن الذي نهت الآيات عن دعائه إنما هو الأصنام التي لا روح لها فقط! فإن صراحة تلك الآيات ذاتها ترد عليهم وتصفعهم في وجوههم بشدة لأنها تقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ أي الذين تدعونهم من دون الله هم مثلكم ومن جنسكم أي هم بشر كسائر البشر يحتاجون للنوم والطعام ويفتخرون بعبوديتهم لِلَّهِ، فهؤلاء المدعوون ليسوا سوى عباد الله الصالحين أو اصطلاحاً أولياء الله.

وأهل اللغة العربية والأدب يعلمون أن ضمائر (كم) و(هم) تعود لذوي العقول ولا تعود أبداً إلى أحجار صماء لا روح فيها، هذا فضلاً عن أنه حتى لو كانت تعود إلى الأصنام فإن هذا لا يوجب انحصار النهي عن دعاء غير الله بها فقط بل عموم النهي يشمل دعاء كل ما سوى الله. خاصة أن الله تعالى اعتبر في قرآنه أن مثل هذا الدعاء عبادة. ولكي تتضح الفكرة أكثر نعود مرة

ثانية إلى آيات القرآن الكريم تلك والقرآن هو أولى من أي شيء آخر بالاتباع والطاعة:

عندما يأمر الله تعالى في القرآن الكريم الناس بدعائه وسؤاله فيقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر/ ٦٠]، يردف أمره هذا مباشرة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠]؛ فهل هناك أوضح من هذا النص في أن الدعاء على ذلك النحو غير المقيد وغير المشروط هو عبادة محضة؟ (ادعوني ← عبادتي).

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٦].

ويقول كذلك: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام/ ٥٦].

إن القرآن يدعو بشكل مستمرّ الناسَ إلى دعاء الله وحده أي الإخلاص في دعائه والإعراض عمّا سواه لأن الله حيٌّ حاضرٌ أقربُ من أيِّ شيءٍ إلى عباده فيقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥]. فهو الحيُّ دائماً وغيره –حتى أعظم الأنبياء– يموتون[١].

ولو فرضنا – من باب فرض المحال– أن الأنبياء والأولياء لهم تصرُّف كما تدَّعِي جنابك ويستطيعون أن يساعدوا الذين يدعونهم ويستغيثون بهم، فإن العقل الصُّراح يقضي أن لا يُعرِضَ الإنسانُ عن الله الحيِّ الحاضر القادر الأقرب إليه من أي شيء آخر، ويمد يديه بدلاً من ذلك نحو أولياء مخلوقين، حتى لو فرضنا جدلاً أن لهم تصرف في الملك والملكوت. وذلك لأننا مهما تصورنا من قدرة لأولئك الأولياء فإنهم بلا ريب لن يكونوا سوى قطرة أمام بحر الله الذي لا ساحل له، وإنه لمن قمة الجهل أن يَدَعَ الإنسانُ القدرة المطلقة التي لا حدود لها والمحيط الذي لا

(١) يقول الله تعالى لنبيه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ﴾ [الزمر/ ٣٠].

ساحل له ويتجه بيد الحاجة نحو قطرة! لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة/ ١٨٦].

إن هذه الآيات المباركات تسْطَع على قلوب كل من لم يصدأ قلبه بالكفر والشرك بنور كالنور الذي يشرق على جبل الطور ويدك الصخور الصماء. وكل مؤمن بالله يفهم منها بوضوح أنه لا يجوز الدعاء والطلب بدون قيد وشرط من أحد سوى الله وحده.

والواقع أنه قد وردت أحاديث وآثار عن أئمة الهدى -سلام الله عليهم- تتطابق تماماً مع آيات الله تلك وتؤيد مضمونها وهي تثبت دعوانا بأن دعاء الله وحده مباشرةً دون واسطة وسيط ولا شفاعة شفيع أمر يريده الله تعالى من عباده، كما جاء في كتاب نهج البلاغة، باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «**واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ**»[1].

ويدعو الإمام عليُّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالدعاء الذي رواه عنه أبو حمزة الثمالي فيقول: «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي..**».

مما يبيِّنُ بوضوح أنه لا حاجة عند دعاء الله إلى وساطة أي وسيط أو شفاعة أي شفيع لأن توسيط الواسطة حتى لو سلم من الشرك والكفر يبقى عملاً عبثياً لا حاجة له فضلاً عن أنه لا يحقُّ لأحد أن يقدم عليه دون أمر من الشرع!

هذا مع أننا نعلم جميعاً أنَّ ما يحصل فعلاً [مِنْ قِبَلِ العوام الجهلاء] هو الشرك والكفر الذي لا يغفره الله أبداً والذي نهى عنه رب العالمين بشدة ولعن فاعليه.

لقد اعتبر القرآنُ كلَّ من يدعو غير الله في حال الاضطرار على نحوٍ غير مقيَّد فيطلب منه

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة رقم ٣١.

جلب النفع ودفع الضر مشركاً وقال في حق من يفعل ذلك: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل/ ٦٢].

فختام الآية يدل على أن من يعتقد بأن غير الله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف الضرّ يكون قد اتخذ إلهاً مع الله.

إذن استناداً إلى كل تلك الآيات الكريمة فإن دعاء غير الله دعاءً غير مقيد وسؤاله سؤالاً غير مقيَّدٍ كفرٌ وشركٌ والمعتقد به مشركٌ ونجس!

أما ما يسعى إليه بعض المتسمِّين بالآية العظمى (!) لأجل ستر الكفر والشرك بقوله: نعم ليس هناك أي تأثير في الوجود لعمل الأولياء من ناحية أنفسهم واستقلالاً عن الله، بل هم مثلهم مثل سائر الأسباب والوسائل قد أوكل لهم الحق تعالى تنفيذ نظامه وأوامره في العالم! فنقول في الردّ عليه:

أولاً- لا ندري ما فحوى عبارة «**التأثير المستقل**» هذه وما دليلها ومن الذي اخترعها؟

ثانياً- وهل كان عبَّاد الأصنام الذين يدعون أصنامهم ويعبدونها يعتقدون باستقلالها في أفعالها؟! إنهم لم يكونوا يعتقدون بذلك أبداً، فقد قصَّ علينا القرآن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر/ ٣].

فإذن لم تكن الأصنام في عقيدة المشركين سوى وسائل ووسائط تقرب عابديها من الله، وهذا التقرُّب من الله هدفه أن يقضي الله لهم حوائجهم، وإلا فإن المشركين عُبَّاد الأصنام لم يكونوا يتقرّبون بها إلى الله لأجل الفناء في حبه والوصول إلى رضوانه!! لأنهم لم يكونوا يؤمنون بالآخرة أصلاً. هذا فضلاً عن أنه حتى لو كانوا يؤمنون بالآخرة وبرضوان الله فإنهم كانوا يطلبون ذلك من الله. أضف إلى ذلك أنه رغم كل شرك المشركين ما كانوا يتصورون لأصنامهم مقام الولي المتصرّف في تمام الكون والمكان والآمر على جميع موجودات عالم الإمكان الذي تقولونه أنتم في حق الأئمة.

أما الأصنام التي اخترعتموها بأوهامكم وتخيلاتكم فقد جعلتموها هي بذاتها آلهة العالم!!!؟

مهما تذرَّعْتم بعبارة «على نحو غير مستقل!».

عندما ذم القرآن المشركين قال عنهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾ [يونس/ ١٨].

إن الله تعالى لم يثبت في أيِّ آيةٍ من آيات كتابه العزيز هذه الشفاعة التي يعتقدها الناس اليوم في مجتمعنا، بل إنه نفى مثل هذه الشفاعة نفيا تاماً، وبكل صراحة، في الآيات الأخيرة من كتابه التي أنزلها في المدينة في آخر أيام حياة النبي الشريفة. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

وفي تتمة الآية ١٨ من سورة يونس التي ذكرناها للتوّ يقول تعالى مباشرةً: ﴿... قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس/ ١٨].

أي أنه لا يوجد عند الله أصلاً مثل هذا الأمر! والله منزَّهٌ وأرفع شأناً من أن يستطيع موجود أن يتدخل في ملكه أو يكون له تأثير في سلطانه وحكمه. والاعتقاد بوجود شفعاء عند الله يملكون حق الشفاعة بشكل مطلق هو – بنص القرآن – شرك، كما قال تعالى في آخر الآية السابقة: ﴿... سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس/ ١٨].

لقد ذهبتم في عقيدتكم بشفاعة الأصنام الذين اخترعتموهم بخيالكم وأوهامكم أبعد بكثير مما ذهبت إليه عقيدة الشفاعة لدى المشركين من أهل الجاهلية! وسنبحث هذا الأمر في قسم مفصل من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ولا ندري ما التميُّز الذي توجده عبارة «على نحو الاستقلال» أو «على نحو غير مستقل» التي اخترعتموها، بينكم وبين المشركين عباد الأصنام؟!

فمن جهة تعتبرون [بعض] أولياء الله الصالحين مدَّبري أمور الكائنات والمتصرِّفين في الأرضين والسموات إلى درجة أنهم يملكون التصرُّف في الكون والمكان باختيارهم وإرادتهم الحرة، ومن الجهة الأخرى تعتبرونهم مجرد وسائل مثل المجرفة وَالمِعْوَل!! فمثلاً المعجزة التي رويتموها في الصفحة ٣٣٩ من كتابكم عن حضرة سيد الشهداء عليه السلام ونسبتم إليه فيها أنه

أخرج العنب والموز من أحد أعمدة المسجد لأجل ابنه علي الأكبر، هل كان الحسين فيها مجرد وسيلة وأداة ولم تكن له أيَّة إرادة في فعله لتلك المعجزة، بل كان أداةً فقط وجرت قدرة الله بواسطة تلك الأداة لأجل علي الأكبر؟![1].

وكذلك معجزة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام التي رويتموها في ص ٣٤٠ من كتابكم: «أن عمار بن ياسر، قال: أتيت مولاي يوماً فرأى في وجهي كآبة، فقال: مالك؟ فقلت: دين أتى مطالب به، فأشار إلى حجر ملقى وقال: خذ هذا واقض منه دينك. فقال [عمار]: إنه لَحَجَرٌ؟!. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ادع الله بي يحوِّل لك ذهباً. قال عمار: فدعوت باسمه، فصار الحجر ذهباً. فقال لي: خذ منه حاجتك. فقلت: وكيف تلين؟ فقال: يا ضعيف اليقين! ادع الله بي حتى تلين فإن باسمي ألان الله الحديد لداود. قال عمار: فدعوت الله باسمه، فَلانَ، فأخذت منه حاجتي، ثم قال: ادع

(١) معجزة إخراج العنب والموز من عمود المسجد رواها الشيخ هاشم بن سليمان البحراني في كتابه «**مدينة المعاجز**» نقلاً عن كتاب «**دلائل الإمامة**» لـ «محمد بن جرير الطبري الإمامي»، وفي سندها «**عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ**» عن «**عُمَارَةِ بْنِ زَيْدٍ**»، وفيما يلي ما قاله علماء الرجال عنهما:

قال النجاشي في رجاله: «الْبَلَوِيُّ» رجلٌ ضعيفٌ مطعونٌ عليه. وقال عنه ابن الغضائري: «عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ بنِ عُمَيْرِ بنِ مَحْفُوْظٍ الْبَلَوِيُّ أبو محمَّدٍ المصريُّ كذَّابٌ وضَّاعٌ للحديث لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه ولا يُعْبَأُ به». كما طعن به العلامة الحلي في الخلاصة، وذكره ابن داود في عداد المجروحين والمقدوحين. وقال العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٤): «وقد سُئِلَ عبد الله بن محمد البلوي فقيل له: من عمارة هذا الذي تروي عنه؟ فقال: رجلٌ نزلَ من السماء فحدَّثني ثم عَرَجَ!! وأصحابُنا يقولون: إنه اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ ما يرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ.» انتهى.

وأما «عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ» الذي روى هذه المعجزات فهو باتفاق علماء الرجال اسمٌ بلا مُسمَّى! فمثلا يقول عنه ابن الغضائري: «إنه اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ ما يرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ.».

أجل هؤلاء هم الذين يروون لنا كل هذه المعجزات عن الأئمة عليهم السلام ليقدموا كل هذه المستندات والأدلة القاطعة (!) لآيتنا العظمى(!) أبي الفضل النبوي على قوله بتصرف أولياء الله في الكون.(برقعي)

الله باسمي حتى يصير باقيه حجراً كما كان.»[١].

هل نفَّذ عليٌّ هذه المعجزة بلا إرادة واختيار منه؟ هل نفَّذها لكي يُقوِّي بها إيمان عمار بن ياسر الذي يبدو من ظاهر الرواية أنه ضعيف اليقين!! بهدف أن يقوي عليٌّ بها إيمانه فقط؟! فجرت المعجزة على يديه دون إرادة منه بل كأداة جرت بواسطتها إرادة الله؟!

ومعجزة الإمام السجَّاد عليه السلام في قَلْبِ غُسَالة الماء التي كانت تُصَبُّ في الطست إلى ياقوت أحمر وَدُرٍّ أبيض وَزُمُرُّدٍ أخضر لأجل صديقه البلخي[٢].

وكذلك معجزة قرصي الخبز الذين أدَّيَا إلى غِنى شخص من محبي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعشرات من أمثال هذه المعجزات التي ذكرتها يا حضرة «أبي الفضل النبوي» في كتابك للاستدلال بها على إثبات ولاية الأئمَّة بمعنى تصرّفهم في ملكوت الله وأن الأئمَّة - عليهم السلام - يغنون أولياءهم وأصدقائهم بالمال! كالمعجزة المنقولة في الصفحة ٣٤٥ والتي تنقل عن إبراهيم بن سعيد «أنه رأى الإمام الجواد (محمد بن على عليه السلام) يضرب بيده إلى ورق الزيتون فيصير في كفه ورقاً (أي عملة من الفضة)، فأخذ منه كثيراً وأنفقه في الأسواق، فلم يتغيَّر.»[٣] وأن الإمام الجواد إنما لُقِّب بجواد الأئمة بسبب أمثال هذه العطايا!

ومعجزات تقول إن الأئمة كانوا يحوِّلون بعض أعدائهم إلى امرأة أو كلب! كتلك المعجزة

---

(١) رواها السيد هاشم بن سليمان البحراني، «**مدينة المعاجز**»، ج١/ ص ٤٣١، ح رقم (٢٩١)، نقلاً منه عن كتاب «**مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين**» المحشوّ بالشرك والخرافات تأليف الشيخ المغالي [بل من أشد الغلاة] الحافظ رجب البرسي (كان حيا ٨١٣ هـ)، في ص ١٧٣منه. (تر)

(٢) السيد هاشم بن سليمان البحراني، «مدينة المعاجز»، ج ٥/ ص ٣١٢-٣١٣، بنقل شفهي دون سند عن الشيخ فخر الدين النجفي.

(٣) هذه المعجزة رواها هاشم البحراني في كتابه «مدينة المعاجز» (ص ٥٢٤ من الطبعة القديمة) [أو في ج ٨/ ص ٣١٩ من الطبعة الجديدة]، نقلاً عن كتاب «**دلائل الإمامة**» لـ «محمد بن جرير الطبري الإمامي»، وفي سندها «**عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ**» الذي مر بيان حاله قبل قليل وصاحب رواية معجزة إخراج العنب والموز من عمود المسجد لأجل علي الأكبر، عن «**عُمَارَةِ بْنِ زَيْدٍ**» الذي بينا ثمَّة أنه اسم بلا مسمَّى!!

التي تقول إن الإمام الصادق - عليه السلام - جلس وهو في طريقه إلى الحج تحت نخلة يابسة، فحرَّك شفتيه بدعاء ثم قال: يا نخلة أطعمينا مما جعل الله فيك مما يرزق عباده، فتمايلت النخلة نحو الصادق - عليه السلام - بأوراقها وعليها الرطب، فقال لرفيقه: ادن وقل بسم الله فكل، يقول فأكلت منها رطباً أطيبَ رطب وأعذبَه، فإذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيت كاليوم سحراً أعظم من هذا، فقال الصادق - عليه السلام -: نحن ورثة الأنبياء ليس فينا ساحر ولا كاهن، بل ندعو الله فيجيب دعانا، وإن أحببت أن أدعو الله أن يمسخك كلباً تهتدي إلى منزلك وتدخل عليهم فتبصبص لأهلك. فقال الأعرابي لجهله: بلى، فدعا الله فصار كلباً في وقته!.[1]

وأمثال هذه الأوهام التي تسمونها معجزات، وحتى الآن لا تعلمون المعنى الحقيقي المعجزة؟!

والحال أن المعجزة إنما تكون لأجل إتمام الحجة على منكري رسالات الرسل ولا تقع إلا في حالة وجود تحدِّي للمنكرين ومطالبتهم بالمعجزة، وفي حال رأى الله تعالى المصلحة في إظهارها لأجل إثبات نبوّة نبيٍّ من أنبيائه، وهي تتمّ أمام ملأ عام وفي حضور آلاف المعارضين والموالين،

---

(١) هذه المعجزة رواها أيضاً هاشم البحراني في كتابه «مدينة المعاجز» (ص٣٨٣ من الطبعة القديمة) [أو في ج ٦/ ص ٣٥٩-٣٦٠ من الطبعة الجديدة]. نقلاً عن «ثاقب المناقب» عن «علي بن أبي حمزة البطائني» الذي كان - طبقاً لتصريح علماء الرجال- واقفيّاً، حتى أن «علي بن فضّال» ذاته (الذي وصفه الفقيه ابن إدريس الحلي صاحب «السرائر» بأنه ملعونٌ ورأس كل ضلال هو وأبوه) قال عن البطائني: «**كذَّابٌ ملعونٌ**»! (وويلٌ لم كفَّره نمرود!).

وقال ابن الغضائري - رحمة الله عليه - عن «البطائني»: «**عليُّ بن حمزة لعنه الله أصل الوقف وأشدّ الخلق عداوةً للمولى «يعني الرضا - عليه السلام -» بعد أبي إبراهيم.**». وقال الكشي في رجاله (ص ٤٤٤-٤٤٥): إن حضرة الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال لعليِّ بن أبي حمزة: «**إِنَّمَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ يَا عَلِيُّ أَشْبَاهُ الحَمِيرِ**». وقال يونس بن عبد الرحمن أن الإمام الرضا عليه السلام قال بشأن ابن أبي حمزة البطائني: «قد دخل النارَ». وقد كان ابن البطائني أحد الكذّابين المشهورين نظير محمد بن سنان ويونس بن ظبيان!.هاشم البحراني، «مدينة المعاجز»، ج ٦/ ص ٣٥٩-٣٦٠. (البرقعي)

مثل معجزة النبي صالح أو معجزات النبي موسى أو عيسى – عليهما السلام – وغيرهم من الأنبياء مما بيَّنه القرآن لنا.

وليست المعجزة أن يحصل أمرٌ خارقٌ للعادة في السرِّ والخلوة! للمؤمنين الصادقين ذوي الإيمان الراسخ أمثال عمار بن ياسر وحضرة علي الأكبر، أو لأشخاص مثل إبراهيم بن سعيد البلخي مجهول الهوية الذي ادُّعِيَ أنه كان مرافقاً للإمام السجاد، والتي اخترعها راوٍ غالٍ ومشركٌ مثل الحافظ رجب البرسي ورواته الكذابين أمثال «عبد الله البلوي»، و«عمارة بن زيد» الاسم بلا مُسمَّى أو «علي بن حمزة البطائني» الملعون!

إن مثل هذه المعجزة التي قائلها وسامعها مجهولان إنما تفيد الحمقى الذين لفقوها وصدّقوها!! وإلا فإنَّ مثل هذه الأقاويل لا تثبت حقاً ولا تقيم حُجَّةً! نعم إن الفائدة الوحيدة لرواية مثل هذه الأقاصيص هي فرار الناس من الدِّين ونفورهم من المذهب الذي يروِّج لمثل هذه الخرافات ويدعو إليها.

أجل، لقد تساءل المؤلِّف في كتابه (الصفحات من ٥٢ إلى ٥٧) عن «أن الأئمة هل يتصرَّفون في الكائنات على نحو مستقل عن الله أما أنهم مجرّد أدوات لِلَّهِ وليس لديهم من أنفسهم أي استقلال أو إرادة مستقلة؟»

واختار الشق الثاني فشبَّهَ الأئمة «بحوانيت التجارة والمزارع والعمارات أو الطاولات والكراسي والمنصب والمقام التي يظن الطغاة العنيدون - على حدِّ قوله - أنها سبب رزقهم، فيطمحون إليها، ويفترضون أنها مسبِّب الأسباب، كما يفعل العوام البسطاء والعاديون الذين يطلبون حوائجهم مباشرة من الأولياء ويعتبرونهم مستقلين في تلبية حوائجهم وينسون أن شأنهم هو الشفاعة والوساطة فقط، فيقعون في ورطة الشرك.». انتهى كلامه.

حسناً! وأقول: رغم أننا لا نعتبر العوام البسطاء الذين أقررتم أنفسكم بأنهم واقعون في ورطة الشرط مقصّرين أبداً بل نعتبر أن علّة شركهم وسببه أنتم أنفسكم وكتاباتكم هذه التي نتيجتها الطبيعية صدور مثل تلك الأعمال، التي أشرتم إليها، عن العوام. ولكن رغم ذلك

نقول: ثمَّة جانبان لما تطرحونه من عقيدة ونظرية وكلامكم كلام غير مفهوم وغير مترابط!

فأنتم تقولون: إن الأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- هم مجرد أسباب ووسائل في أمور الرزق والإحياء والإماتة وأمثالها، مثلهم مثل كون الدكان والمزرعة والطاولة والمجرفة والمعول أسباب للتوصل إلى المقاصد من خلالها، أو مثل الطعام الذي هو وسيلة للشبع والدواء الذي هو وسيلة للشفاء، فنقول:

أولاً- إن لنا تحفظاً على تشبيهكم هذا الذي نراه غير مناسب أصلاً. وذلك لأنه قد ثبت من خلال التجربة والعمل عبر آلاف السنين أن تلك الوسائل والأسباب مثل الدكان والمزرعة والمجرفة والمعْوَل تُحقِّق الأغراض المطلوبة منها ولكن لا تُحقِّق جميع الأعمال، ولذلك لا يوجد عاقل يطلب من المجرفة الفاكهة أو يطلب من المعول حذاءً! لأن هذه الأدوات أوجِدَت لأجل أعمال محدَّدة منوطةٍ بها. ولكن لم يوجد أي فرد من أفراد البشر، مهما كان شخصاً استثنائياً، قد تحقَّق بشأنه، بالتجربة العملية، أنه منشئٌ للبريَّات ومحي للأموات ورافعٌ للبلايا. ولم يوجد إنسانٌ عاقلٌ في تاريخ البشرية كلِّه اعتبر كائناً ما غير الله مدبِّرَاً للكائنات ومتصرِّفاً في الأرضين والسموات، ولم يوجد أي فرد ذي شعور اتجه لتحقيق مثل تلك الأمور نحو إنسان مثله اللهم إلا إذا كان واقعاً تحت تأثير تعاليم وتبليغات أمثالكم التي حرفته عن فطرته وأضلته!!

ثانياً- ليس هناك من يقوم بشكر الطعام نفسه وتمجيده وإطرائه بعد تناوله الطعام وشبعه بواسطته، ولا من يقوم بحمد الدواء وشكره والثناء عليه، بعد تناوله للدواء الناجع الذي أوقف ألمه! بل الجميع يحمدون رب العالمين الذي خلق الطعام والدواء ويثنون عليه ويمجِّدونه.

ولكنكم تقومون بتمجيد الأولياء والمبالغة في إطرائهم وتعظيمهم إلى حدّ رفعهم إلى مقام الإلهية بل أكثر، وتقدّمون الثناء والمدائح لحيِّهم وميِّتهم! وتعظِّمون قبورهم وتزينونها وتهتمُّون بها أكثر من المساجد، إلى درجة أنكم لا تقدِّمون لِـلَّهِ تعالى عشر ما تقدمونه لأولئك الأولياء من خضوع وتعظيم وثناء ومديح وأنماط العبادة.

ثالثاً- لا ينتظر أحدٌ من المجرفة والمعْوَل أو من السيف والبندقية ثواب موالاتها وعقاب

معاداتها، لأن الكل يعلم أنها مجرد أدوات وآلات لا تعرف صديقاً ولا عدواً ولا تحبُّ أحداً ولا تبغضه! أما الأولياء فهم - طبقاً لما تعلِّمُونه- يتصرَّفون في الكون والمكان ويحبُّون أولياءَهم ويبغضون أعداءَهم بتعصُّب شديد! فيمنحون محبيهم تلقاء أدنى درجة من المحبة والخدمة ثواباً عظيماً قد يصل إلى أعالي الجنان! في حين يرسلون أعداءَهم في غاية الذل إلى أسفل دركات جهنم!! وحتى أنكم تقولون إن عبادات الناس مهما كانت مبنية على الإخلاص إذا لم تترافق بموالاة الأئمة ومحبتهم فلن تحسب شيئاً أبداً وستكون هباءاً منثوراً في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي سيكون أمره وأمر الميزان والكتاب والحساب فيه بيد أوليائكم أولئك الذين سيفعلون بأوليائهم كيت وكيت وبأعدائهم كيت وكيت! وكما قلنا سابقاً إن هذا المعنى بالذات والطمع بهذا المقصود هو الذي جرّكم نحو هذا الكفر والضلال!

أنتم أنفسكم في الصفحة ٤٨٠ من كتابكم «أمراء الكون» كتبتم تحت فصل بعنوان «حساب القيامة وإشراف الإمامة»: «قال المفسِّرون المعصومون في تفسير الآيات الأخيرة من سورة الغاشية أي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢٥- ٢٦]، إن إياب الخلق إلينا وحسابهم علينا. من ذلك ما رواه الفيض الكاشاني في تفسيره «الصافي» عن الإمام الكاظم -عليه السلام- أنه قال: «**يَا سَمَاعَةُ! إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»![1]

كما نقرأ في «الزيارة الجامعة الكبيرة»: «**وَ مِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وإِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ وحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ!!!**»[2].

وفي الصفحة ٤٩٠ من كتابكم المذكور رويتم عن الإمام السجاد عليه السلام ما خلاصته أنه قال: «نحن يوم القيامة أصحاب حوض الكوثر نسقي منه أولياءنا ولا يصلون إليه إلا بتوسلهم بنا.

---

(١) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج٨/ ص ١٦٢. (تر)

(٢) الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ج٢/ ص ٦١٠. (تر)

فمن سرّنا أسررناه ومن آذانا وغصب حقنا كانت نطفته غير طاهرة ونال في الآخرة جزاء أعماله»!!

واستنتجتم في الصفحة ١٧٩من بعض الأخبار أن «*أهل المحشر يتعلَّقون بأذيال الشيعة ويتعلَّق الشيعةُ بأذيال الأئمة فيذهب الجميع إلى الجنة وكل جماعة تصل إلى ثواب ذلك العالم بالتوسل بجماعة أخرى، كما نجد في هذا العالم أيضاً أن التوصل إلى الحاجات والنجاة من المصائب والبلايا طريقته الوحيدة هو التشبث بعناية ونظرة آل البيت الكرام!*». انتهى.

نحن نعلم أن دافع أكثر الكتّاب وجميع الغلاة هو هذا الغرور الشيطاني بالذات ولا شك أن أعداء الإسلام أيضاً يقومون إما مباشرة أو بواسطة أياديهم الخفية بنشر مثل هذه الأفكار المورثة للغرور والفاتنة وذلك لأجل إضعاف المسلمين بشكل عام والشيعة بشكل خاص.

فما هو أكثر طمأنينة من أن يحصل المرء على هذا الأمل الذي لا قيود له ويُبَشّـَر بشفاعةٍ بابُها مفتوحٌ على مصراعيه ليُعْتَقَ من الإنذارات والوعيد الإلهي الذي ﴿ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ [الزمر/ ٢٣]، فَمَا كَانَ لَـهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الله عَزَّ وَجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى الله فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ!! ألن يدفع هذا مَنْ يُصَدِّقُون بهذه الأخبار إلى الجرأة على ارتكاب المعاصي والآثام وتصوُّرِهِم بأنَّهم بتعلُّقِهِم بأذيال الأئمَّة سوف ينجون هم ويُنقِذون الآخرين الذين يتعلَّقون بأذيالهم حتى ينجو الجميع في النهاية ويصيرون إلى الجنة رغم أعمالهم السوداء!!

وسنبين إن شاء الله تعالى في بحث الشفاعة من هذا الكتاب تهافت هذه الرواية وأمثالها وأنها من الأكاذيب الموضوعة.

وهنا نريد أن نثبت فقط أن ما تدَّعُونه من كون الأئمة الأطهار مجرد أسباب ووسائل في مملكة الإله الواحد القهار وأن الذي ينتفع بهم مثله مثل الذي ينتفع بالدكان والمزرعة والمجرفة والمعْوَل، ادّعاء مزخرف وهذيان مَنَمَّقٌ مُلَفَّق! وذلك لأن الأئمةَ باعتقادكم مالكو ملكوت الله ويستطيعون أن يفعلوا بأعدائهم وأوليائهم ما يريدونه، لأن مفاتيح الجنة والنار بأيديهم!

إن هذا الدافع والطمع هو الذي دفع ويدفع عوام الناس المساكين في هذه البلاد إلى عدم الاعتناء بجميع أوامر الشريعة ونواهيها التي بُعث بها جميع الأنبياء ونزلت بها جميع الكتب السماوية والقرآن الكريم فيتخذونها ظهرياً ويتصرفون تجاه الأصول والمبادئ الدينية والدنيوية على نحو أسوأ مما تتصرَّف به الشعوب نصف الوحشية!! ثم يقومون لأجل الحصول على رضا الأئمَّة حسب خيالهم بتعطيل أعمالهم في مناسبات وفاتهم أو الاحتفال بمناسبات ولادتهم رغم أنه لا يوجد أي دليل ومستند من الشرع أو العقل على مثل هذه الاحتفالات، ويصْرِفُون لأجل إحياء مراسم عزائهم وإقامة مآتمهم ملايين التومانات لشراء السلاسل والسيوف والمجسّمات المعدنية والأعلام وإقامة تمثيليات تجسِّد الشخصيّات التاريخيّة على المسارح التي تُنْصَب في تلك المناسبات ويخرجون في ملايين المجموعات من لاطمي الصدور ولاطمي الظهور بالسلاسل وحاملي «الشبيه»! كما يصرفون المليارات على مراقدهم وتعميرها وتزيين قبابها وأضرحتها وإعطاء الرواتب لخدمها وسدنتها[(١)] و... و....

لماذا يفعل الناس كل ذلك؟! لأنكم أفهمتم هؤلاء الناس أن الأئمة مالكو أمر الدنيا والآخرة! فلا بد من إرضائهم بمثل تلك الوسائل! وإلا فلا!! وأُقْسِمُ بالله لو لم تكن تبليغاتكم وتطميعاتكم تلك لما أقدم أحد من الناس على تلك الأعمال السفيهة ولما أنفق الناس كل أوقاتهم تلك وأموالهم وأعمارهم وفكرهم على مثل تلك الأمور التي لا يوجد أي أثر عن الله ونبيه في الحض عليها والدعوة إليها.

أنتم أنفسكم تؤمنون بأن رب العالمين بَعَثَ لهداية البشر أكثرَ من مئة وعشرين ألفَ نبيٍّ[(٢)]،

---

(١) راجعوا الفصل الثامن من كتابنا «مقدمه حقايق عريان در اقتصاد قرآن (زكات)» (أي الحقائق المكشوفة عن اقتصاد القرآن-الزكاة-).

(٢) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج١/ ص ٢٢٤، حديث ٢. ومن طرق أهل السنة ورد ذلك في حديث أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير عن أبي ذر الغفاري ﷺ فيه: «قلت: يا نبيَّ الله كم عدد الأنبياء؟ قال:

ورغم ذلك فإنه -طبقاً لما رواه «اسحق بن عبد الله أبي فروة» وغيره- لا يوجد لجميع أولئك الأنبياء الكرام، الذين مدحهم الله تعالى في القرآن، من قبر معلوم أو مزارٍ، سوى ثلاثة قبور، حيث قال: «ما يعلم قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة: (١) قبر إسماعيل، فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت،

(٢) وقبر هود، فإنه في حَقْفٍ من الرَّمل تحت جبلٍ من جبال اليمن عليه شجرة تندى، وموضعه أشدّ الأرض حرّاً،

(٣) وقبر رسول الله ﷺ [في المدينة المنوّرة]. فإن هذه قبورهم بحق.»[١].

فهذه القبور الثلاثة هي فقط المراقد الحقيقية للأنبياء، وبقية القبور وَهْمٌ ومجهولة الحقيقة!. لكن انظروا إلى القبور والمزارات والمشاهد في أقطار الشيعة تجدون أن عددها يصل إلى مئات الآلاف، هذا على رغم كلّ النهي الصريح الذي ورد في شريعة الإسلام من طرق العامة والخاصة[٢] عن تعمير القبور وتجصيصها والبناء عليها! ولا يعلم إلا الله وحده كم تُنفق من أموال كلَّ عامٍ على هذه الأمور التي نهى الله تعالى عنها!. وسنذكر شيئاً من ذلك للقراء الكرام في قسم «الزيارة وأدعية الزيارات» من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى[٣].

لماذا؟! لأنكم بتبليغاتكم هذه جعلتم الناس يعتقدون أن أصحاب هذه القبور مدبِّرُو أمور الكائنات والمتصرِّفُون في الأرض والسموات ومُلَبُّو الحاجات ودافعو المصائب والبلايا ومنزلو البركات ورافعو الدرجات في الدنيا والآخرة!! ولا شك أن كل حيوان فضلاً عن الإنسان

«مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسلُ من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر»... الحديث». قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير. ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف. اهـ (تر)

(١) انظر ابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ج١/ ص ٥٢. (تر)

(٢) يقصد من كلمتي: العامَّة والخاصَّة، ما تُعُورف عليه لدى الشيعة من مدلول خاص حيث يقصدون من «العامة» أهل السنَّة، ومن «الخاصَّة» الشيعة الإمامية. (تر)

(٣) يُراجع في ذلك كتابنا «زيارة وزيارتنامه». (قلمداران). يقول المترجم: وقد قمتُ بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان «بحث في زيارة المزارات وأدعية الزيارات»، وتمت طباعته ونشره. (تر)

العاقل يسعى إلى ما فيه خيره ونفعه وما يدفع عنه الشر والبلاء، لذا نجد الناس يُقْدِمُونَ بكلِّ حَمَاسٍ ورغبة واندفاع على دفع الدرهم أملاً بالحصول على مئة دينار في المستقبل وعلى تقديم القليل للحصول على الكثير!

ويتصوَّر العاميّ أنه يمكنه التعامل بسهولة مع الأئمة الذين يملكون عواطف بشرية جياشة جعلتهم مستعدين لأجل نجاة محبيهم ومواليهم إلى التضحية حتى بأنفسهم وجعلتهم يغضبون على أعدائهم إلى درجة أنه بمجرد أن شك العربي البدوي في الصحراء بقدرة الإمام على استخراج التمر من النخلة اليابسة حوَّلَهُ الإمام إلى كلب! و... و....، ويمكنه أن يستجلب رضاهم بسهولة، خاصة إذا ما قورن ذلك بصعوبة إرضاء الله تعالى المنزَّه عن العواطف البشرية والتعصب الإنساني! والذي هو بالمرصاد لجميع الظالمين والمجرمين أياً كانوا [بغض النظر عن مذهبهم ودينهم وعرقهم]، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر/ ١٤]، والذي هو عدوٌّ لجميع الكافرين كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٩٨]، والذي سيحاسب الناس على النقير والقطمير كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٤٧]، وكما قال سبحانه على لسان لقمان الذي يعظ ابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ... ﴾ [لقمان/ ١٦]، وكما قال أيضاً: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة/ ٧- ٨].

فكيف يمكن مواجهة مثل هذا الإله الحكيم المنزه عن العواطف البشرية المنحازة إلى فريق دون فريق والبريء من التعصب، والذي -كما يقول المثل- يُخْرِجُ الشعرة من العجين؟! لذا فإن العوام يلوذون بالأئمة الذين يُحَتِّمُون على الله (!) -[على حد قول الرواية]-أن يترك للناس ما قصَّروا فيه من حقوقه والذين يستوهبون حقوق الناس منهم. ويبدو أن الناس الذين هُضمت حقوقهم في الدنيا لا يمكن أن يردُّوا طلب الأئمة في الآخرة وَيُخْجِلوهم بل سيتنازلون عن

حقوقهم المهضومة لأجلهم! بهذا تتم تسوية وإنهاء مشكلة حساب القيامة؟! وبعد ذلك فإن مفتاح الجنة والنار بيد الأئمة أي رَبْع الشيعة(!) الذين لن يتوانوا عن إدخال أعزائهم وأحبائهم وجماعتهم الجنة وإرسال أعدائهم ومخالفيهم إلى جهنم وبئس المصير! فما أسهل هذه المعاملة وما أربحها! فلماذا لا يقومون بها؟

هذا هو الدافع الذي يدفع العوام إلى حدّ الوقوع -كما اعترافكم بأنفسكم -في الشِّرك. هذا مع أنني أرى أن السبب الحقيقي والدافع الأصلي لوقوع العوام في الشرك هو أنتم أنفسكم بما تروونه لهم من أحاديث عجيبة وغريبة وضعها الغلاة أو أعداء دين الإسلام، فتشبيهكم الأئمّة بمجرّد أدوات ووسائل لجريان إرادة الله! غير صحيحٍ ومغالطة ومخالفة لواقع الحقيقة وهو الغلوُّ والكلام الجزاف بعينه. وإلا لو كان الأمر أمر أدوات ووسائل للفيوضات الإلهية فليس هناك من أداة ووسيلة أظهر وأوضح من الشمس التي قُلْتُم أنفسكم في الصفحة ٥٨ من كتابكم: «إن للقمر والشمس آثار كبيرة في تربية الكائنات على الأرض من جماد ونبات وحيوان ولها تدخُّل تامٌّ في ذلك لا شك فيه، كما أنها بلا شك وسيلة للحياة الجسمية والمادية لسائر الكواكب والسيارات التي تستفيد من إشعاع الشمس، ولكن الشمس ليس لها أي استقلال ذاتي في تربيتها وتأثيرها بالكائنات بل هي تفعل ذلك بإرادة الله وبأمره».

وأنا أضيف على ما تقولونه إن مثل هذا الفيض والتربية لا تخفى على أكثر الناس بل جميعهم مطَّلعون عليها ولكننا لم نسمع حتى اليوم عن أي مسلم اتَّجه نحو الشمس بالخضوع وإظهار الولاء والمحبة؟ أو قام بالثناء عليها وتمجيدها وحمدها وإطرائها؟! لماذا؟! لأنه يعلم أن الشمس ليس لها عاطفة وميول وتعصُّب لفريق دون آخر ولا إرادة لها من ذاتها ولا اطلاع لها على مدح الناس لها أو قدحهم بها. إنها تعطي ما أعطاها الله وتقوم بما أمرها به ولا تُسَرُّ من إقبال أحد عليها ولا تغضب من إعراض أحد عنها! لذا لا يوجد مسلم يتخذها محبوبة ويسعد من لطفها أو يخاف من غضبها فهذه فعلاً آلة للفيض الإلهي، وإذا كان هناك من يستحق الشكر والثناء فهو الله وحده رب العالمين الفيّاض على الإطلاق. فهل الأئمة وسائط للفيض على هذا النحو؟!

أما من ناحية العقل والدِّين فإن ربَّ العالمين لا يحتاج أبداً في إدارة أمور العالم وتدبير شؤونه إلى أي موجود سواء كان نبياً أم ولياً أم وصياً أم وزيراً أم مُعيناً أم وكيلاً أم مُشيراً! ولا يملك أحدٌ طريقاً إلى حريم ملكوته ولا لأحد علمٌ بأسرار خليقته وعلوم غيبه إلا ما أبلغه الله لنبيِّهِ عن طريق الوحي حسب المصلحة والحكمة، أما تلك الأفكار التي تقولون بها فليست سوى أفكار صبيانية وتصورات عامية تنشأ من قلب خال من العلم والفكر الصحيح!

فمن ناحية العقل، كل تلك القصص التي رويتموها كمعجزات وكرامات وتصرفات للأئمة في أمور الحياة والممات والرزق وحاجات البشر والحيوانات لا تعدو حكايات مخترعة وأكاذيب مُلفَّقة! ولقد ملأتَ [يا آية الله أبا الفضل النبوي] الصفحات من ٣٨٥ إلى ٣٩٤ ومن ٤٣٩ إلى ٤٤٩ في كتابكَ منها وكلُّها من أوهام الغلاة وافتراءاتهم! وذلك لأن المعجزة التي يرويها شخص مجهول واسم بلا مسمى مثل «عمارة بن زيد»، أو شخص سيء الصيت مثل «علي بن أبي حمزة البطائني» أو شخص كذاب من الغلاة مثل «محمد بن سنان» أو كذاب مثل «يونس بن ظبيان»، وقصص مجاهيل مثل قصة الأعرابي والرجل البلخي!! ونحوها من الموضوعات والأوهام والخرافات، لا يمكن لأي عاقل أن يستدل بها على تصرف الأئمة في تدبير أمور الكائنات، بل تلك المعجزات المخترعة لا تفيد إلا قصاصين مثل رُاوتها وسامعين مثل جدّاتهم العجائز!! وفضلاً عن أنها ليست بحجة أصلاً فإنها فضيحة وخفة لقائلها وسامعها!

إن مئات من أمثال تلك الروايات والقصص تتهاوى أمام آية واحدة من القرآن الكريم مثلما تندحر آلاف القشَّات أمام سيلٍ جارفٍ جرَّارٍ، وهذا بالطبع بالنسبة إلى من يؤمن بالله واليوم الآخر. إذْ لا يمكن لعاقل أن يغضّ الطرف عن حقائق القرآن الصريحة ويدع عقله ووجدانه جانباً لأجل تُرَّهات وأباطيل لفَّقها الغالي الفلاني أو الكذَّاب الفلتاني!! لقد أظهرت تلك القصص الملفّقة الموضوعة أولياءَ الله تعالى -الذين أمضوا حياتهم كلَّها في العبادة والتقوى وكانت سيرتهم عامرة بخشية الله والخوف من يوم الجزاء وكانوا خير المعلِّمين والداعين إلى إخلاص العبودية إلى الله- بصورة أشخاص لا هَمَّ لهم إلا تمجيد أنفسهم والعُجْب بذواتهم

والأنانية؟! وكأن جميع الكائنات والمخلوقات خُلقت لأجل تعظيمهم وتمجيدهم وعبادتهم والخضوع أمامهم؟! تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الجاهلون عُلُوًّا كَبِيرًا.

إن المعجزات المنسوبة إلى الأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- التي أوردتموها في كتابكم واعتبرتموها دليلاً نقلياً وشرعياً على تصرُّفهم في جميع الممكنات والموجودات، حتى قلتم في الصفحة ٦٠: «إن التأمل في معجزات المعصومين الأربعة عشر والتدقيق فيها يكشف أنها مليئة بالخَلْق والإيجاد وتغيير الماهيات وتبديلها والإخبار عن الغيب وسائر الأعمال الإلهية والولائية»!! إن هذه المعجزات المُدَّعاة إذا صحَّ اعتبارها دليلاً على تصرُّف أصحابها في أمور العالم ونظام الكون وتدبير شؤونه، فإن كلَّ طائفة من ملل الدنيا ونِحَلِهَا لديها نظائر لهذه المعجزات المخترعة والأوهام الملفَّقة تنسبها لأوليائها. والمعجزة التي ينقلها شخصٌ واحدٌ ويرويها وحدَهُ -حتى ولو كان عادلاً- لا يمكن لأي عالم أن يقبل بها ويطمئنَّ إلى صحَّتها، فما بالك إذا كان رواتُها من الكذَّابين الغلاة أمثال «محمد بن سنان» و«يونس بن ظبيان» و«عمارة بن زيد» مجهول الهوية والوجود و«علي بن أبي حمزة» الملعون على لسان الأئمة!

[ما ترويه بعض كتب الصوفية من خوارق لمرشديهم وأقطابهم يفوق ما تذكرُه عن الأئمة!!]

اقرؤوا فقط أحوال أولياء الصوفية المذكورة في كتبهم لتروا أن ما تثبته تلك الطائفة من كرامات لأقطابها ومرشديها يفوق ما تذكرونه من معجزات للأئمة الاثني عشر -صلوات الله عليهم-!! فنَظْرةٌ سريعةٌ إلى كتب بعض الصوفيَّة مثل كتاب «تذكرة الأولياء» للشيخ عطار، أو كتاب «نفحات الأنس» للجامي، أو كتاب «إسعاف الراغبين» لليافعي وأمثالها تبيِّن أنها تنسب آلاف المعجزات الغريبة والعجيبة لأوليائها. ونذكر فيما يلي نماذج مختصرة عنها:

الشيخ عطار [النيسابوري] مثلاً الذي يفتتح كتابه «تذكرة الأولياء» باسم حضرة الإمام جعفر الصادق قطب الصوفية الكبير -على حد قوله- لا يذكر عن الإمام الصادق أي معجزة مهمة! أما بالنسبة إلى «الحسن البصري» - الذي يعتبره كثيرٌ من علماء الشيعة الكبار كالعلامة المجلسي وآخرين، من مخالفي الأئمة خاصة أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ - فإن «عطار النيسابوري»

يقول: إن «الحسن البصري» وجد حبَّةَ تمر فأعطاها لشخص فأكلها فتحوَّلت نواتُها إلى ذهب! ويقول إن «الحسن» كان يصلِّي كلَّ يوم صلاةً في البصرة ثم يذهب إلى مكة ويصلي الصلاة التالية فيها ثم يعود إلى البصرة فيصلي فيها! ويقول إن شمعون المجوسي وضع يده في النار فلم تحترق فأسلم، فكتب «الحسن» له كتاباً ضمن له فيه الجنة فأمضى الله ما كتبه «الحسن» ونفَّذه!!

ويذكر من معجزات «مالك بن دينار» أن ثعباناً ذا قرن من النرجس كان يروّح الهواء بقرنيه لمالك بن دينار! وأن دهرياً وضع يده في النار فلم تحترق لأنه كان جالساً إلى جوار «مالك بن دينار»! أو أن شخصاً ضرب «مالك بن دينار» سوطاً فدعا «مالك بن دينار» عليه، فقُطعت يد ضارب السوط في اليوم التالي!

ويذكر أن «حبيباً العجمي» الذي كان من أقطاب الصوفية، كان يذهب إلى المسجد كل يوم ويعبد الله تعالى، ويقول لأهله إني أشتغل عاملاً عند شخص ولم أقبض أجرتي منه بعد، وفي اليوم العاشر أحضر بعضهم إلى بيته طنَّاً من الدقيق ولحماً وزيتاً وعسلاً! أو أنه كان يأتيه الطعام من عالم الغيب لأجل ضيوفه!! أو أنه لما هرب «الحسن البصري من الحجاج واختبأ في منزل «حبيب العجمي» وجاءت الشرطة إلى بيته لتقبض عليه، لم يشاهدوه رغم أنهم لمسوه بأيديهم كرامةً «لحبيب العجمي» وثواباً على صدقه في إخباره أن الحسن عنده في هذا البيت!! أو أنه كان يسير فوق الماء الجاري ولا يغرق!! أو أنه لما وقعت إبرة من يد «حبيب العجمي» أضاء المنزل المظلم لكي يراها!! أو أنهم صلبوا قاتلاً فلما مرّ حبيبٌ عليه استحق الجنة!!

وذكر من كرامات «عتيبة بن غلام» أنه عبر من فوق ماء البحر، حتى أن الحسن البصري ذاته الذي كانت له كل تلك المعجزات، تعجَّب من ذلك!! أو أنه قدّم لشخص -دون مقدمات- رطباً طازجاً في فصل الشتاء.

وكتب «عطار النيسابوري» عن كرامات رابعة العدوية فقال إنها لما وُلِدَت جاء لأبيها مالٌ كان يستطيع أن يشتري به كل ما يشاء! وأن حمارها الذي مات في سفر الحج عاد إلى الحياة من جديد! وأن مقامها عند الله كان عظيماً إلى درجة أن الكعبة بذاتها جاءت لاستقبالها!!! وناقل هذه

المعجزة والكرامة هو «الشيخ علي فارمدي» وهو وإن كان من الكذابين إلا أنه ليس بأكذب من علي بن حمزة أو محمد بن سنان أو عمارة بن زيد. أو أن رابعة كانت تضع أمام ضيوفها رغيفي خبز فيأتيها عشرون رغيفاً من عالم الغيب! أو أن قِدْرَ رابعة كانت تغلي دون أن توضع على النار فأكلت منها مع الحسن البصري الذي قال أنه لم يأكل طعاماً أفضل منه في حياته!

وكتب عن كرامات «الفضيل بن عياض» أن يهودياً عرض عليه نقل تلة من الحصى في مقابل عتقه من الرق، فأرسل الله ريحاً نقلت دفعة واحدة كل تلّة الحصى!.

وكتب عن كرامات إبراهيم بن الأدهم أن ثعباناً تحول إلى جلد كي يلبَسَهُ إبراهيم بن الأدهم ويقي نفسه به من البرد! وأنه لما سقطت منه إبرة في البحر فطلبها خرجت آلاف الأسماك بإبر ذهبية في أفواهها لأجله، وهي قصة قد ذكرها أبو الفضل النبوي نفسه في كتابه! أو أنه لما خرج إبراهيم بن أدهم برفقة صحبه إلى الصحراء وأشعلوا ناراً وتمنَّوْا لحماً حلالاً لشيّه أرسل الله لهم أسداً قد افترس حماراً وحشياً وقدَّمه لهم!

وفي كرامات ذي النون المصري ذكرت كتب الصوفية: إنه لما فُقدت جوهرةٌ في سفينة واتَّهَمَ أهلُها ذا النون بسرقتها خرجت آلف الأسماك وفي فم كلٍّ منها جوهرةٌ لتقدَّمها إلى ذي النون! أو أنه لما أنفق شابٌّ مئة ألف درهم على فقراء الصوفية الدراويش ثم ندم على ذلك جاء ذو النون المصري وحول دواء من ثلاث حبات إلى ياقوت!! أو أنه عندما جاء رجل إلى ذي النون وقال له عليَّ ديْنٌ، تناول ذو النون حَجَرةً وأعطاها له فانقلبت في يده زمرّدةً قيمتها أربعمئة درهم.

إلى حدّ أن المتوكل الملعون الذي لم يستطع إمامُ الشيعة العاشر أن يهديه للصلاح رغم كل المعجزات والكرامات التي فعلها أمامه، صار مريداً لذي النون لِـمَا رآه من كراماته!! وعندما كانوا يحملون جثمان ذي النون بعد وفاته جاءت طيور وظلَّلت جنازته كي تقيها من حرّ الشمس.

أما عن كرامات «بايزيد البسطامي» فقد كتبوا أن الشيخ أبا سعيد أبي الخير الذي كان من كبار الصوفية قال: رأيت ثمانية عشر ألف عالَماً ممتلئاً من بايزيد البسطامي!! إلى حد أن بايزيد

ادَّعى الإلهية فقال: «سبحاني ما أعظم شأني»!! وتوجد في ديوان «المثنوي» لجلال الدين الرومي قصة عجيبة حول هذا الأمر. أو أنه كان يحضر في طبرستان جنائز الموتى إلى حد أن أحد مريدي بايزيد واسمه «أبو سعيد الراعي» استخرج من عصا الرعي عنباً أبيضاً وأسوداً كان يأكل منه هو وضيوفه!! أو قصة معراج «بايزيد» العجيبة التي ذكرها العطار في عدة صفحات من كتابه.

ورووا أن عبد الله بن المبارك شفا ضريراً من العمى وأعاد إليه بصره، وأن سفيان الثوري دعا على الخليفة وأركان الدولة فخُسفت بهم الأرض! وأن الطير الذي كان سفيان قد رآه في قفص فاشتراه كان يذهب إلى قبر سفيان بعد موته ويرفرف بأجنحته فوقه.

وفي باب «بشر الحافي» ذكروا أنه سار -طبقاً لوعد قد أعطاه- حافياً فوق ماء نهر دجلة وأنه طيلة حياته لم يكن أيٌّ من الأنعام يتغوَّطُ ويسقط روثه في المدينة وأن أهل العرفان إنما علموا بموت «بشر الحافي» عندما رأوا أن بغلة أخرجت روثَهَا!!

ورَوَوْا أن الحسين بن منصور الحلاج غضب يوماً على أسد ضرغام فأخذ بيده ثعباناً وخرج من بوابة بغداد ودار حول المدينة وهو يقول «أنا الحق».

وهناك كثيرٌ من أمثال هذه الكرامات والمعجزات المنسوبة لأقطاب الصوفية والتي يطول نقلها وهي مروية في كتب الصوفية المكتوبة بالعربية أو الفارسية، والتي تُرَوَّجُ في عصرنا بسبب سياسة الاستعمار التي تشجِّع على نشر مثل تلك الخرافات.

فإذا صحَّ الاستناد إلى مثل تلك الأوهام للاستدلال على تصرُّف بعض البشر في تدبير أمور الأرضين والسموات لكان جميع أولئك الأفراد الذين نُسبت إليهم تلك الكرامات مدبري أمور الكائنات! ولأصبح المتصرِّفون في أمور العالم، بدلاً من أربعة عشر معصوماً، أربعة عشر ألفاً بل أربعمئة ألف متصرف أو بعبارة أبسط «إله». ولم تعد هذه الفضيلة منحصرةً بأئمة الشيعة!! بل إن نسبة الكرامات والمعجزات إلى أولياء الدين ليست مقتصرة على المسلمين بل أهل كلّ ملّة ودين ينسبون إلى أوليائهم مثل هذه الأوهام.

وقد ادّعى بعض النصارى في تاريخ كنيستهم وقوع معجزات عجيبة لبعض رهبانهم

وقديسيهم من النساء والرجال إلى حد أن أحد العلماء الكبار مثل «كاميل فلاماريون» عالم الفلك الفرنسي الموحِّد، الذي لا يؤمن أصلاً بالكنيسة ورجال الدين النصارى، صدّق تلك المعجزات، وأورد بعضاً منها في مؤلفاته!

إن كُلَّ إشكال توردونه على هذه الادعاءات يمكن إيراد مثله على ادعاءاتكم! لأنه إذا كان رواة تلك المعجزات وناقلوها أفراداً أو كان عددهم قليلاً فإن الأمر ذاته ينطبق على رواة المعجزات المنسوبة للأئمة!

وإن قلتم إن رواة تلك المعجزات كانوا من الصوفية والرهبان ولم يكونوا صادقين ولا عدولاً، فإن رواة المعجزات التي تنسبونها إلى الأئمة أيضاً أشخاص ليست عدالتهم وصدقهم مشكوك فيها فحسب بل كثير منهم -بتصريح كتب علم الرجال- كذّابون وغلاة!

إذن لا يمكن إثبات عقيدة بمثل تلك الحكايات والأوهام ولا يمكن اعتبار القيل والقال الصادران من كل مبتدع ضال حجَّةً ودليلاً.

[اعتراف أبي الفضل النبوي بعدم ادعاء الأئمة لمقام الإمارة على الكون! ومحاولته الفاشلة للإجابة عن هذا الإشكال]

ثم ذكر آية الله (!) النبوي في الفصل الثالث من كتابه بعض الإشكالات التي قد ترد على ما ذكره من ادعاءات ثم شرع في الإجابة عنها: فقال في الصفحة ٨٠ مثلاً: «من الإشكالات الأخرى التي يطرحها بعضهم أن الأئمة أنفسهم لم يدّعوا أبداً مقام حكم وقيادة العالم والسلطنة على الكون بل كذّبوا قولاً وعملاً كلَّ من ينسب إليهم مثل ذلك، وعلّة ذلك أنّ تلك الولاية والسلطنة المفترضة -كما ذكرنا- إنما تنشأ من كمال العلم والإرادة والعمل، أي لا بد أن يكون شخص الولي من ناحية العلم، محيطاً بجميع الأمور وبجميع جوانب عالم الملك والملكوت ومطَّلعاً على الغيب وعلى ظاهر العالَم وباطنه، لا تخفى عليه خافية ولا يعجز عن الإجابة عن أي سؤال ولا يحتاج إلى غيره لحل أي مشكلة، كما أنه من ناحية القوة لا يعجز عن التغلّب على أي عدو، ولا يمكن لأي حادثة أن تستأصله ولا لأي كارثة أو مصيبة مالية أو بدنية أن تقهره،

ويجب عقلاً أن يكون معصوماً ومنزهاً من كل عيب ونقص عمليٍّ ومبرَّأً ومطهَّراً من كلِّ زلَّة وخطأ، كي يتمكَّن من إحراز مقام النيابة عن المنوب عنه الذي هو الله العالِمِ القدير المتَّصف بجميع صفات الكمال والمنزه عن جميع صفات النقص والعجز، ولكي يستحقَّ الخلافَةَ عن المستخلَف وقيادة ملكوت الله»! انتهى كلامه.

وأقول: أولاً: في الجمل المذكورة يقرّ آية الله أبو الفضل النبوي ذاته أن الأئمَّة -عَليهِمُ السَّلام- لم يدَّعوا لأنفسهم أبداً مقام التسلُّط على عالم الكون وقيادته وكذَّبوا هذه النسبة وخطَّؤوها قولاً وعملاً. بل إنهم -كما سنرى في بحث الغلو والغلاة من هذا الكتاب- لعنوا لعناً شديداً كرروه مئات وربما آلاف المرات كلَّ من نسب لأحدهم شيئاً من تلك الصفات بل حتى من نسب إليهم ما هو أقل من ذلك، وتبرؤوا منه، وحذَّروا أصحابهم ومحبيهم وشيعتهم من مجالسة أمثال هؤلاء الغلاة الذين ينسبون إليهم تلك المقامات.

لكن العجيب أن «أبا الفضل النبوي» هذا يريد أن يثبت للأئمة -عَليهِمُ السَّلام- عين ما كانوا يكذِّبونه ويخطِّئون القول به- حسب إقراره نفسه-!!

أجل، كثيراً ما يوجد بين المريدين والأصدقاء أفرادٌ حمقى وجهلاء تدفعهم محبتهم إلى الإساءة إلى محبوبهم، وذلك مثل قصّة الدبّ الذي أنقذه صاحبه من فم الثعبان فأراد أن يكافئ صاحبه على ذلك فلما رآه نائماً ورأى ذبابة تحطُّ على وجهه وتزعجه أخذ صخرةً ورماها على الذبابة فأودى بحياة الرجل! وانطبق عليه المثل الصديق الأحمق عدو! وربما كان سبب ادعاء من ادعى الألوهية من أمثال فرعون وشدَّاد ونمرود وزعماء الملل والنحل الباطلة كالباب والبهاء، هو فرط حماقة مريديهم وأتباعهم. كما نقلوا في أحوال الميرزا «حسين علي البهاء المازندراني» [مؤسس نحلة البهائية الباطلة] أنه قال لأحد مريديه المتحمِّسين ويدعى الميرزا «روح الله»: أيها الميرزا لو أنني أقررت لك أنني لستُ الله هل تكف عن إيمانك بألوهيتي؟ فأجابه الميرزا روح الله قائلاً: كلا يا سيدي! لو فرضنا جدلاً أنك كففت يوماً ما عن قولك بألوهيتك فإنني سأقوم بدعوتك إلى ألوهية نفسك وأثبت لك بالدليل أنك الله!!!

وهنا فإن صاحبنا آية الله النبوي الذي قَرَأَ نفسَه أخبار أهل بيت النبي الأطهار التي يعلنون فيها مراراً وتكراراً براءتهم ممن ينسب إليهم تلك الكفريات ويلعنون أصحابها الغلاة ويكذبونهم، يقول مع ذلك أن الأمر ليس على ظاهره أي أن الأئمة لا يعلمون أنهم آلهة ولكن الحقيقة هي ذلك والآخرون علموا بهذه الحقيقة!!!

ثانياً: لقد ظنّ أبو الفضل النبوي هذا أن القدرة على إدارة أمور العالم وتدبير أمور المخلوقات وكل ما في مُلْكِ الله وملكوته من الأرض والسموات يحتاج فقط إلى «*أن يكون الشخص قادراً على الإجابة عن كل سؤال وغير محتاج إلى غيره لحل أي مشكلة، كما أنه من ناحية القوة لا يعجز عن التغلب على أي عدو، ولا يمكن لأي حادثة أن تستأصله ولا لأي كارثة أو مصيبة مالية أو بدنية أن تقهره...*»، هذا مع أنه من الممكن أن يوجد بين أفراد البشر بعض من يتصف ببعض تلك الصفات دون أن يؤدي ذلك إلى كونهم الله! هذا رغم أنه مما لا ريب فيه أن الأولياء والأئمة لم يكونوا أبداً متصرفين في الكون والمكان وأن تاريخهم وسيرتهم تشهد أنهم لم يكونوا يملكون أياً من تلك الصفات الإلهية المنسوبة إليهم، كما يُقِرُّ أبو الفضل النبوي ذاته بذلك، حين يقول في الصفحة ٨١ من كتابه: «ولكننا عندما ندرس تاريخ حياة الأئمة وكيفية معيشتهم نرى أنهم حسب الظاهر لم يكونوا يتمتَّعون بتلك المراتب الثلاثة التي بيناها، بل نجد في حياتهم أموراً توهم خلاف تلك المقامات».

ثم بدأ بشرح عجز الأئمة عن الاتصاف بتلك المراتب، ببيان أنهم كثيراً ما كانوا يُبيِّنون عدم اطلاعهم على بعض الأمور وأنهم كانوا محكومين للظروف المحيطة بهم ومقهورين للطبيعة وحوادث الزمان، ومن ناحية العصمة يمكن أن نجد في أقوالهم ما يخالف ذلك خاصة ضمن أدعيتهم ومناجاتهم لِلَّهِ حيث يعترفون بذنوبهم ويقرون بخطاياهم!

فأقول: أولاً- حتى لو كان هناك شخصٌ متمتِّعٌ بما ذكرته من أوصاف أي أن يكون محيطاً بجميع الأمور وبجميع جوانب عالم الملك والملكوت ومطلعاً على الغيب وعلى ظاهر العالم وباطنه، لا تخفى عليه خافية ولا يعجز عن الإجابة عن أي سؤال ولا يحتاج إلى غيره لحل أي

مشكلة، وقوياً إلى درجة لا يعجزه معها التغلب على أي عدو، ولا يمكن لأي حادثة أن تستأصله ولا لأي كارثة أو مصيبة مالية أو بدنية أن تقهره....الخ.

أقول حتى في مثل هذه الحالة المفترضة، لا يمكن لم اتصف بذلك أن يكون نائباً عن الله المتصف بجميع صفات الكمال والمنزه عن جميع صفات النقص، ولا أن يكون خليفةً لِـلَّهِ في إدارة ملك الله، لأن الله أعظم وأكبر بكثير وكثير جداً مما تتصوَّره، وإدارة أمور العالم وتدبير عالم الإمكان يحتاج إلى صفات كاملة أكثر بكثير وكثير جداً جداً مما تظنه ومما تذكره من عدم عجزه عن الإجابة عن أي سؤال و.....! هذا بمعزل عن أن الله المتعال لا يحتاج إلى نائب أو وزير أو خليفة لينوب عنه في إدارة أمور مملكته، ومن يقول بمثل ذلك يكون من أسوأ المشركين والكفار!

ثانياً- لدينا أخبار وآثار عديدة عن الأئمة الأطهار -عَلَيهِمُ السَّلام- تدل على أنهم كانوا يبرؤون من نسبة تلك الأمور إليهم وأنهم كانوا يتأذَّون ممن ينسب إليهم ذلك ويلعنونه ويدعون عليه، وأنهم كانوا يظهرون في مناجاتهم وأدعيتهم كمال العبودية والعجز والتقصير أمام الله. ومع ذلك تأتي أنت [يا أبا الفضل النبوي] لتثبت استناداً إلى عدد من الأحاديث الموضوعة الباطلة التي افتراها بعض الغلاة وأعداء الدين والتي ذكرتَ نماذج عديدة منها في كتابك، أن الأئمة كانوا نوّاب الله وخلفاءه في إدارة أمور ملكه رغم أنه حتى لو صحت جميع تلك الروايات الكاذبة والمغالية فإنها لن تثبت ذلك المعنى الذي تريد إثباته!

فليت شعري! هل تريد أن تقول إن أولئك الأجلّاء الكرام كانوا يظهرون عجزهم وعبوديتهم في خلوتهم مع الله، أما في جلوتهم وأمام الناس فكانوا يدَّعون الصفات الإلهية!! وهذا معناه أنهم كانوا -والعياذ بالله- منافقين مخادعين للعوام!! أي أنهم كانوا مثل فرعون إذا خلا بينه وبين الله عرف عبوديته وأظهرها، أما إذا كان في حضور الناس ادَّعى أنه ربهم الأعلى، خلافاً لموسى -عليه السلام- الذي كان يظهر في خلوته وجلوته عبوديته المحضة لِـلَّهِ، فهل هناك من تهمة أسوأ من ذلك يمكن أن يُتَّهَمَ بها الأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام-؟! والآن لنرى ما هي أدلتك لحل ذلك الإشكال الذي ذكرته:

كتب آية الله أبو الفضل النبوي وهو يتحدث عن موضوع علم الإمام وإحاطته بجميع جهات العالم وجوانبه: «*اعلم أن علم أولياء الله إراديٌّ يعني أنهم إذا أرادوا أن يعلموا عَلِمُوا وإذا لم يريدوا أن يعلموا بموضوع ما لم يعلموا به*»!

فإن قلنا ما الدليل على أن علمهم إراديٌّ على هذه الصورة؟ أجابونا ببعض الأحاديث المعلولة ذات السند الضعيف المليء بالمجاهيل، وقد أتى العلامة المجلسي -رحمة الله عليه- في شرحه لأحاديث الكافي في كتابه «مرآة العقول»، بثلاثة من تلك الأحاديث تحت عنوان «باب في أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا» فحكم على اثنين منها بالضعف وعلى الثالث بالجهالة! فليت شعري كيف يمكن إثبات عقيدة مخالفة للعقل والنقل بثلاثة أحاديث ضعيفة ومجهولة؟!

وأما من ناحية العقل فمن المعلوم أن الإنسان متعطِّش بطبيعته للعلم والمعرفة. والعلمُ بكلِّ شيء أفضلُ من الجهل به، فكيف ولماذا لا يريدون أن يعلموا؟!

ومن ناحية النقل فإن رسول الله ﷺ -و هو أفضل المخلوقات - أُمر، كما تفيده آيات القرآن الكريمة، أن يطلب من الله أن يزيده علماً ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه/ ١١٤]. فكيف يمكننا أن نصدِّق بأمر مخالف للعقل والوجدان ومباين ومضاد لآيات القرآن استناداً إلى مثل تلك الأحاديث الضعيفة المتهافتة؟

الآن لنأتِ إلى الأحاديث التي ذكرها أبو الفضل النبوي واعتبرها دليلاً على ادعائه علم الأئمة بجميع العلوم:

أحدها خبرٌ عن أمير المؤمنين أنه قال لابن عباس في تفسيره لآية البسملة: «**أنا نقطة باء بسم الله**»!

أقول: إنني مقيمٌ الآن وأنا أخط هذه السطور في فصل الصيف هذا، في قريةٍ من قرى «قُم» (قرية ديزيجان)[1] ولا أملك الوصول إلى مكتبتي حتى أحقق في سند هذا الحديث، لكن رغم

(١) هي مسقط رأس المؤلف قلمداران رحمه الله، وهي قرية صغيرة تقع على بعد حوالي ٥٠ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة «قم» وكان المؤلف يقضي فيها الصيف فراراً من شدَّة حرِّ مدينة «قم». (تر)

ذلك يمكنني الجزم استناداً إلى وقائع التاريخ المسلَّم بها أن هذا الحديث موضوعٌ وكاذبٌ. وأكذَبُ الحديث ما كذَّبه التاريخ! كما يقول الشهيد الثاني -عليه الرحمة- في كتابه «الدراية».

وتوضيح ذلك أنه طبقاً للتواريخ المعتبرة لم يبدأ تنقيط المصاحف أي وضع النقاط فوق أو تحت الحروف ذات النقط إلا في زمن عبد الملك بن مروان [الأموي]، وأما قبل ذلك فلم تكن هناك أي نقطة في نسخ المصاحف المنتشرة بين أيدي المسلمين، كما نشاهد ذلك اليوم فيما تبقَّى من نسخ مخطوطة قديمة للمصاحف التي تعود إلى ذلك الزمن، حيث لا نجد فيها أيّة نقاط. إذن لم تكن في زمن أمير المؤمنين - عليه السلام - أيُّ باء ذات نقطة حتى يقول عن نفسه أنه باء بسم الله! فالحديث بتصديق التاريخ مكذوب مختلقٌ من أساسه(١).

والحديث الآخر الذي أتى به وأراد أن يثبت به العلم غير المتناهي (!) للأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- قصة مناظرة الإمام الصادق لأبي حنيفة، وهي قصة مستبعدة يصعب تصديقها رغم ورودها في بعض كتب الحديث! ونعتذر عن تحليل سندها هنا للعلة ذاتها التي ذكرناها أعلاه(٢). ولكننا لا يمكننا عقلاً أن نصدق أبداً أن يكون الإمام الصادق في صدد الطعن في الأئمة والفقهاء المعاصرين له ولا أن يكون معادياً لأبي حنيفة الذي كان من محبي الإمام الصادق وكان لا يُخْفِي محبته لأهل البيت ونصرته لهم.

ومع ذلك فإن آية الله أبا الفضل النبوي كتب يقول: «سأل الإمام الصادق أبا حنيفة فقال: هل البول أشدُّ نجاسةً أم المنيُّ؟ فقال أبو حنيفة: البول! فقال الإمام: فلماذا وجب الغسل من خروج المنيِّ ولم يجب من خروج البول؟! ثم سأله فقال: يا أبا حنيفة! هل الصلاة أفضل أم الصوم؟ فقال أبو حنيفة: الصلاة. فقال الإمام: فلماذا وجب على الحائض أن تقضي الصوم [ولا تقضي الصلاة]؟! ثم سأله فقال: يا أبا حنيفة! هل إثم قتل النفس أكبر أم الزنا؟ فقال أبو حنيفة:

---

(١) راجعوا كتابنا «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول»، ص٢٥٧ و٢٥٨. (البرقعي)

(٢) من رجال سند هذه القصة: «بشير بن يحيى العاملي» وهو مهمل، و«ابن أبي ليلى» وقد ضعّفه بعض علماء الرجال، و«عيسى بن عبد الله القرشي» وهو مهمل أيضاً (البرقعي).

القتل. فقال الإمام فلماذا يكفي لثبوت القتل شاهدان ولا يكفي لثبوت الزنا إلا أربعة شهداء؟ فعجز أبو حنيفة عن الإجابة على جميع تلك الأسئلة وأُفحم ولم يحر جواباً»!!

أقول: يبدو أن آية الله النبوي يرى أن مثل هذا يثبت أهلية الإمام لإدارة الكون والتصرف في عالم الإمكان!! والواقع أنني أعتقد أن مثل هذه المناظرات المُخْتَلَقَة افتُريت مِنْ قِبَل أشخاص متعصِّبين كانوا يريدون إثبات عداوة وهمية بين الإمام الصادق عليه السلام وأبي حنيفة وأن يصوروهما خصمين يواجه أحدهما الآخر، كي يتوصلوا من خلال إظهار غلبة الإمام لأبي حنيفة وإفحامه له إلى المباعدة بين أتباع الإمامين أكثر فأكثر! وإلا فإن ما ذُكر من أمور لا يمكن أن تخفى على فقيه مثل أبي حنيفة (رح) أو على عالم يُراد اعتباره عالماً بالكون والمكان ومدبراً لأمور العالم مثل الإمام الصادق عليه السلام؟!!

والعجيب أن الإمام الصادق نفسه - حسب ادعاء الرواية - لم يجب على تلك المسائل المشكلة (!) واكتفى بالإشكال على كلام أبي حنيفة ونقضه!!

وفيما يلي الإجابة عن هذه المسائل من هذا العبد الفقير إلى الله الذي لا يدعي أي علم وفضل، ويشهدُ الله أنني لم أسمع حتى الآن أي جواب لا عن الإمام الصدق ولا عن غيره عن هذه المسائل، ولكنني بالميزان الذي أملكه من علوم الإسلام الشرعية، أجيب عن تلك الإشكالات إجابة تكفي لإخراج أبي حنيفة -المُتَخَيَّل- من الإفحام الذي ادُّعِيَ أنه وقع فيه. وفي الواقع تكفي لبيان كذب مختلق هذه القصة، وإنما أفعل ذلك انطلاقاً من محبتي الصادقة للإمام جعفر الصادق عليه السلام وآبائه الكرام -عَليهِمُ السَّلام-.

فأقول: إن قول أبي حنيفة -حسب ادعاء الرواية- أن البول أشدُّ نجاسةً من المنيِّ قولٌ صحيحٌ، لأن العلم والتجربة أثبتتا أن البول أنجس من جميع النجاسات، [حيث يحتوي على جميع الفضلات والسموم التي يطرحها الدم عن البدن] كما أن شرع الإسلام المطهر يقول بذلك إذْ يكتفي في غسل كل نجاسة بعد زوال عينها بغسلها مرَّةً واحدةً إلا البول فإنه يأمر بغسله مرتين على الأقل.

أما لماذا وجب الغسل من خروج المنيِّ ولم يجب من خروج البول؟ فَعِلَّتُه أن عملية قذف المنيّ تتشارك فيها جميع الأعصاب، ولما كانت الأعصاب بمثابة الشبكة المحيطة بجميع البدن، فإننا نجد أنه عند المعاشرة وقذف المني تحدث قشعريرة وارتخاء في جميع أعضاء الجسم، كما يخرج من الإنسان عرقٌ ذو رائحة خاصة بعد قذفه للمنيِّ مما يدلّ على أن جميع البدن اشترك وتفاعل خلال عملية القذف هذه. لذا وجب غسل جميع البدن مرَّةً على الأقل [كي يستعيد البدن نشاطه]. وليس في ذلك ما يتنافى مع كون البول أشدُّ نجاسةً من المنيّ.

أما عن المسألة الثانية التي ادَّعَتْ الروايةُ أن الإمام الصادق سأل أبا حنيفة عنها وهي: هل الصلاة أفضل أم الصوم؟ وإجابة أبي حنيفة بأنها الصلاة! فأقول إن إجابة أبي حنيفة صحيحةٌ تماماً والصلاة أفضل من الصوم فعلاً بدليل العقل والنقل، وقد قال النبي ﷺ فيما رُوي عنه: «**وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة**». أما لماذا وجب على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فعلة ذلك أنه لا يوجد في السَّنَة كلِّها سوى شهر واحد للصوم، فإذا حاضت المرأة فيه - ونعلم أن أقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأكثرها عشرة - وأخذنا بأكثر مدة الحيض، لما وجب على المرأة سوى قضاء صوم عشرة أيام في السنة كلها [وهذا أمر ميسور]، بخلاف الصلاة، التي حتى لو أخذنا بأقل مدة الحيض أي ثلاثة أيام، تترك فيها الحائض الصلاة، وقلنا بوجوب قضائها لوجب على المرأة قضاء مئة وثمانين صلاة في السنة وهذا تكليف شاق والشريعة السمحة السهلة لا تكلف النفس بمثله لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة/ ١٨٥]، و﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج/ ٧٨]، لذا أُعْفِيَت المرأة من قضاء الصلاة رغم أفضليتها على الصوم.

أما عن سؤال الإمام هل قتل النفس أعظم أم الزنا وإجابة أبي حنيفة بأنه القتل، فإن جواب أبي حنيفة صحيح تماماً، لأن الله تعالى اعتبر في آيات القرآن إثم القتل أكبر من إثم الزنا (سورة

المائدة/ ٣٢)[١]، ولأن العقل السليم أيضاً يشهد بهذا بكل وضوح، ومما يدل على ذلك أن حد الزنا -بعد ثبوته- مئة جلدة أما حد القتل فهو القتل. أما لماذا اكتُفي لإثبات القتل بشاهدين في حين لم يكف لإثبات الزنا إلا أربعة شهداء فعلة ذلك أن وقوع القتل معلوم وغير قابل للتشكيك به لذا كل ما يلزم هو معرفة مرتكبه وهذا يمكن أن يتحقق من خلال شاهدين. أما وقوع الزنا فهو أمر غير معلوم وإثباته صعب، ولذلك فإن مجرد وجود امرأة ورجل غير محرم في سرير لا يثبت وقوع الزنا ولا يتم إثبات ذلك إلا بمشاهدة أربعة أشخاص لكيفيةٍ تثبت وقوع الجرم [كالميل في المكحلة] أما سائر الكيفيات كالتقبيل والمعانقة والعري في مكان واحد....الخ فلا تكفي في إثبات وقوع الزنا. إذن تبين أن إثم القتل أكبر من إثم الزنا، رغم ثبوت القتل بشاهدين وحاجة إثبات الزنا إلى أربعة شهود.

ثم إنه من الواضح أن معرفة جواب تلك المسائل لا تجعل صاحبها محيطاً بجميع جوانب عالم الملك والملكوت ومطلعاً على جميع الغيوب وعلى باطن العالم وظاهره!! ولم يكن الإمام الصادق عليه السلام -إن صحت هذه الرواية عنه- يسعى من خلال طرح تلك الأسئلة إلى إثبات تلك الصفات لنفسه، لأن أبا حنيفة لم يكن يدَّعي ذلك أو ينفيه. فإتيانك بمثل هذه الرواية أمر لا فائدة منه وقد أبعدك عن قصدك مسافات بعيدة!!

وكما قلنا من الظاهر أن من اختلق هذه المناظرة كان يهدف إلى تقوية النزاع الطائفي بين مذاهب المسلمين وتعميق الفرقة بينهم، وإلا فإن أبا حنيفة - كما ذكرنا - كان من محبي الإمام الصادق وسائر أئمة أهل البيت الكرام[٢]، كما صرح بذلك الشيخ الطوسي - عليه الرحمة - في

---

(١) أي قوله تعالى ﴿ ...مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ... ﴾الآية.

(٢) قال العلامة عبد الجليل الرازي -رحمة الله عليه- في كتاب «النقض» (١٣٠): «امتنع أبو حنيفة عن الإقرار بإمامة أبي جعفر المنصور رغم إصرار الأخير وإلحاحه عليه في ذلك وكان أبو حنيفة يقول: إن الإمامة لزيد بن علي أو جعفر الصادق أو من اختاره. ولذلك قام أبو جعفر المنصور بسجن أبي حنيفة ثم سمّه في الحبس فمات وهو محبوس. وفضلاء أصحاب أبي حنيفة يعلمون أن أبا جعفر المنصور قتل أبا حنيفة بسبب ولائه

كتاب «أسماء الرجال» طبقاً لما رواه العلامة عبد الجليل الرازي في كتابه «النقض» (ص٢٠٤): «وكان محمد ين إدريس الشافعي من أصحابنا». إذن تبين أن أبا حنيفة والشافعي كلاهما كانا من محبي أهل بيت رسول الله ﷺ.

ثم دخل آية الله أبا الفضل النبوي في الصفحة ٣٢٤ من كتابه في موضوع كيفية علم الإمام فقال: «وأما كيفية علم الأئمة ومقدار علمهم وميزانه فإن هذا المختصر لا يتسع لبيانه وشرحه بشكل وافٍ».

يعني هل لو كان كتابكم مفصلاً أكثر كان بإمكانكم بيان ذلك؟!

ثم أتى لأجل إثبات مدعاه ببعض الأحاديث الواردة في باب علم الإمام في كتاب أصول الكافي والتي تنسب إلى الأئمة -عَلَيهِمُ السَّلام- قولهم أننا كذا وكذا....، ومن جملة ذلك حديث تحت عنوان: «بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ والْجَفْرِ وَالْجَامِعَةِ وَمُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام»، ونصه: «عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَجَّالِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامِي؟؟ قَالَ: **فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام سِتْراً بَيْنَهُ وبَيْنَ بَيْتٍ آخَرَ، فَاطَّلَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ...**»[1].

واللطيف في هذا الخبر أن الإمام الذي قيل إنه يعلم بما كان وما يكون - حسب عقيدة الغلاة- ويحيط بجميع عوالم الوجود، لم يكن يعلم بما في الغرفة المجاورة في بيته خلف الستارة

لآل الرسول وحبه لهم..... وقد روى عن محمد الباقر وجعفر الصادق وكان موحداً وعدلياً ومتولياً لآل المصطفى وانتقل إلى جوار رحمة ربه.» انتهى. قلت: فقول المؤلف المحترم إن أبا حنيفة كان من محبي الإمام الصادق وأئمة هل البيت الكرام قول صحيح تماماً وقد أيد أبو حنيفة الإمام زيد بن علي بن الحسين في خروجه على هشام بن عبد الملك الأموي. وقال حضرة الإمام الصادق: «رحم الله أبا حنيفة لقد تحققت مودته لنا في نصرته لزيد بن علي». (البرقعي)

(١) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج١/ ص ٢٣٨ - ٢٣٩. (تر)

ويحتاج إلى إزاحة الستر ليطمئن إلى عدم وجود أحد يسمع كلامه في الغرفة المجاورة!. والأفضل من ذلك أنه لما كان أبو بصير يريد سؤال الإمام عن علم الغيب فإن الإمام بعمله ذاك أجاب عن جميع أسئلته! لأن من يخفى عليه ما يجري في الغرفة المجاورة من بيته كيف تسأله أنت عن علوم الغيب؟! فإن قيل إن رفع الستر الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام كان لأجل أبي بصير كي يرى أن لا أحد في الغرفة المجاورة! فالجواب أن أبا بصير كان أعمى فلم يكن يحتاج إلى رفع الستر للنظر أصلاً. فإذا رفع الإمام الستر فقد فعل ذلك لأجل نفسه وليطمئن إلى عدم وجود أحد.

ويقول هذا الحديث إن الإمام قال لأبي بصير: «**إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. قَال: قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! هَذَا وَاللهِ هُوَ الْعِلْمُ. قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ ولَيْسَ بِذَاكَ! قَالَ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ؟! قَالَ: مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!**»[1].

وقال جناب آية الله (!) أبي الفضل النبوي مستنتجاً من هذا الحديث: «بناء على ذلك لا يخفى عن علمهم شيءٌ مهما كان بعيداً في الزمان أو المكان ومحجوباً خلف الأستار فهم مطلعون على ضمائر القلوب وقعر الأرض وأوج السماء وأعماق البحار».

لاحظوا كيف يستنتج من ذلك الحديث الواحد كل هذه النتائج العجيبة والغريبة! ثم يستنتج أيضاً قائلاً: «*إن رئيس وزراء البلاط الإلهي لا بد أن يكون مطلعاً على جميع بقاع مملكة الوجود*»!!

وأقول: لو صح هذا التشبيه فيجب أن ننتبه إلى أن رئيس الوزراء يجب أن يكون أكثر اطلاعاً من الملك نفسه على أحوال المملكة لأن عدم اطلاع الملك على بقعةٍ من مملكته لا يعيبه بقدر ما يعيب عدم اطلاع رئيس وزراءه على ذلك!

ولكن علينا أن نرى هل يحتاج الله إلى رئيس للوزراء حتى يكون رئيس وزرائه مطلعاً على جميع بقاع مملكته أم لا؟ إن كل مُوَحِّد مؤمن بالقرآن يعتقد أن القول برئيس للوزراء في سلطان

---

(١) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج١/ ص ٢٤٠. (تر)

الله كفر وشرك!

ثم أورد أبو الفضل النبوي حديثاً من كتاب «بصائر الدرجات» ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**فقال يا رميلة! ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه ولا يحزن إلا حزنًا بحزنه ولا يدعوا إلا آمنًا لدعائه!...**»[1].

وينبغي أن نقول: **أولاً**- إن متن هذا الحديث أياً كان مصدره مخالفٌ للعقل ومردودٌ. لأنه إذا كان الأئمة يمرضون لمرض كل مؤمن ويحزنون لحزنه للزم من ذلك أن يكونوا مرضى وحزانى على الدوام وفي جميع الأوقات وأن يزيد مرض كل فرد من الشيعة من شدة مرض الإمام إلى أن تصبح درجة حرارة الإمام مئات آلاف الدرجات المئوية مما لا يتحمّله أي صخر جلمود أو جبل أشمّ، والأمر كذلك بالنسبة إلى حزنهم!!!

اللهم إلا أن نقول: إن شيعة الإمام أفراد قليلون جداً لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة! أو أن نقول إن طاقة الأئمة في تحمل الأمراض طاقة هائلة يمكنهم معها أن يتحملوا مليون درجة حرارة مئوية! وكلا التصورين حماقة وسذاجة!!

ثانياً- إن الكتاب الذي نقل «أبو الفضل النبوي» عنه هذه الرواية، أي كتاب «بصائر الدرجات» المنسوب إلى محمد بن الحسن الصفار، يشتمل على الكثير من الغلو والأباطيل وكثير من الأمور البعيدة عن العقل والإنصاف، إلى درجة أن الشيخ الجليل «محمد بن الحسن بن الوليد» -رحمة الله عليه- الأستاذ الكريم للشيخ الصدوق، والشيخ الصدوق نفسه أيضاً وأبوه، كلُّهم اعتبروا أن ذلك الكتاب ليس من تأليف الصفار بل هو كتاب منحول ولا يستحق الاعتناء به[2].

---

(١) محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠هـ)، «بصائر الدرجات»، ط٢، انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠. (تر)

(٢) قال الشيخ الصدوق: «كلما لم يصححه ذلك الشيخ قُدِّس سره ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح». (تنقيح المقال، ج٣/ ص١٠٠).

ثالثاً- راوي تلك الرواية هو «**أبو داوود نفيع بن الحارث السبيعي**» الذي صرّح المرحوم ابن الغضائري بأن في رواياته مناكير ولا بد من التوقُّف فيها(١). وأورده العلامة الحلي في خلاصته ضمن الضعفاء(٢).

رابعاً- في متن الرواية المذكورة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لرميلة: «**يا رميلة ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها**»!!.

هل تريد بمثل هذا الحديث المزخرف المنكَر أن تثبت تصرف الإمام وعلمه بما كان وما يكون؟! أم أنك تثبت في الواقع أن الغريق يتشبّث بأي قشة!.

ثم استنتجَ [أبو الفضل النبوي] من هذا الحديث نتيجة عجيبة غريبة تُعتبَر كفراً صريحاً فكتب يقول: «***والخ ٌّصب إن ظكل الأئلبضقِن ظلي ظكل الله لكدي لمسي ر إكن لكذبّ ظرّ و تكلي فنكن:***

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ *[سبأ/٣]*.»!!

أقول: لم أسمع حتى الآن شركاً بمثل هذه الصراحة. والواقع إن صعوبة تحمُّل مثل هذا الكفر صعوبةً بالغة وعدم إمكانية السكوت عليه، خاصة مثل كلمات الكفر هذه التي تجلبُ المذلَّةَ والشقاءَ لأبناء مذهبنا وديننا ووطننا أمام سائر المسلمين بل لدى جميع عقلاء العالم، هي التي دفعتني إلى تجشُّم عناء القيام بهذا البحث وتحمُّل الأذى الذي سألقاه في سبيله لاسيَّما اتهامات بعض الجلهة من العوام الذين غرَّر بهم بعض آيات الله العظام (!) أولئك، لي، لكي أزيل التهمة عن الشيعة الحقيقيين الصادقين وأبين نزاهة الأئمة [من آل الرسول] الكرام الأجلاء -عَليهِمُ السَّلام- عن مثل هذه النسب الباطلة، متحمِّلاً في هذا السبيل كل ما يمكن أن يقع عليَّ من أذى، لا تأخذني في ذلك لومة لائم. ذلك لأن الأمور قد وصلت إلى درجة تحمل الإنسان على ألا يخاف حتى من القتل والنهب أو الحرق والضرب وأن يشد العزم بكل وسيلة ممكنة لإزالة هذه البدعة ومحاربة الشرك. ويعلم الله أن الجهاد في هذا السبيل أهم من جهاد الكفار والمشركين

---

(١) تنقيح المقال، ج٣/ ص٣٧٥. ورجال التفرشي، ص٣٦٦.

(٢) رجال العلامة الحلي، طبع النجف، ص٢٦٢.

وأكثر فائدةً، لأن الفتنة الداخلية أشد خطراً، والعدو أصبح يهاجمنا من داخل بيتنا، وعلينا أن نحذر من العدو الداخلي أكثر من حذرنا من العدو الخارجي! وبالله التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان.

عدوى در خانه خنجر تيز كرده تو از خصم برون پرهيز كرده؟!

[أي] العدو سنَّن حدَّ خنجره في داخل البيت

وأنت مشغولٌ بتوقِّي خصمك الخارجي؟!

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

٣

بحث حول الشفاعة وحقيقتها

مقدمة المؤلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

قبل عدة سنوات ألفتُ كتابي «راه نجات از شرِّ غُلاة» (أي طريق النجاة من شر الغلاة) وأعطيته لإحدى المطابع في قم لطباعته إلا أنه مع الأسف بسبب الإعاقات والموانع التي كانت مُتَوَقَّعة في مثل ذلك المحيط لم تكتمل طباعته فاضطررتُ إلى تقسيم الكتاب إلى أجزاء وطباعة كل قسم على حدة في مطابع متعددة لبعض البلدات المجاورة، والكتاب الحالي هو القسم المتعلق ببحث الشفاعة من كتابنا المذكور أعني «راه نجات از شرِّ غُلاة» أُقدِّمُهُ اليوم بعون الله تعالى لطالبي الحق والحقيقة آملاً أن يكون سبباً لليقظة والهداية في مجتمعنا الضال، إذ إننا نعلم أن السبب الأصلي والأهم لنفور جيل الشباب من مسائل الدين والإيمان هو انتشار الخرافات واتساع الموهومات التي تُرَوَّج بين الناس باسم حقائق الدين، وأهم تلك الموهومات هو موضوع الشفاعة التي جَرَّأَ مفهومُها الخاطئ هذا الشعبَ على ارتكاب أنواع الفسق والفجور والفساد إلى درجة أن الإنسان يرى أحياناً أن لو كان هذا المجتمع عديم الدين بنحو كامل لربما كانت تحجزه فطرته عن الآثام على نحو أفضل من مثل هذا الدين المشوَّه والمذهب المُحَرَّف الذي لم يَبْقَ في نظام حياته حدٌّ ولا سدٌّ بسبب الغرور بمفهوم الشفاعة الخاطئ الذي انتشر وراج إلى درجة لم تبقِ لكثيرٍ من أفراد هذا المجتمع إسلاماً بل إنسانيةً!.

إن فائدة الدين هي أن يحفظ لأفراد المجتمع أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ويجعلها في أمان ويحدِّد لكل إنسان حدّاً يقف عنده وينتفع به بالمقدار الذي يفيد مجتمعه. ولكن لسوء الحظ إذا لم تُبْقِ الموهوماتُ لشخصٍ عقلاً إلى درجة تجعله غير قادر على أن يُقارِن مجتمعه بالمجتمعات المتقدمة الراقية، عندئذٍ لن يفهم في أي جهنم يعيش! وعلى أي حال سنقدم للقرّاء الكرام شرحاً

واضحاً لحقيقة مسألة الشفاعة في الشريعة الإسلامية كما يبينها القرآن الكريم. وبالله التوفيق.

حيدر علي قلمداران

محرّم الحرام ١٣٩٢ هـ ق

تمهيد

إن مسألة الشفاعة اتَّسعت كل هذا الاتساع في شعبنا بسبب ترويجها المتواصل مِنْ قِبَلِ خطباءٍ أغلبهم عديم الاطلاع على حقائق الدين وغير واقفٍ على حدود الشرع المبين، بل مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ! ومع ذلك يتصدّرون بغير حقٍّ لمقام ورثة الأنبياء والمرسلين ومنبر الدعاة إلى الدين، فيضلُّون الناسَ بخرافاتهم التي ينشرونها صباح مساء تحت اسم قراءة المآتم في مجالس العزاء، ويَجْمَعُون وهم ممتلئون ذنوباً من رأسهم إلى أخمص أقدامهم عوامَ الناس حولهم فيضلُّونهم بما يبُثُّونه فيهم من الأحاديث الموضوعة والروايات المكذوبة والأخبار الملفَّقة التي تسوقهم إلى هاوية الهلاك عندما تسهِّل لهم (بشكل غير مباشر) ارتكاب الآثام والمعاصي.

وإذا دقَّقنا في الأمر علمنا أن هؤلاء الذين يفتحون باب الشفاعة على مصراعيه بهذا الاتساع الكبير أمام الناس ليس لهم من دافع نفسي إلى ذلك سوى إغواء الشيطان، وأنهم لمّا كانوا ملطَّخين بالآثام والذنوب فإنهم يريدون بخطابهم ذاك أن يوجدوا لأنفسهم شركاء ورفقاء كي لا يشعروا بالوحشة والوحدة في طريق آثامهم ومصائبهم بل يسوقون آخرين إلى مثل وضعهم لعل الله إذا رأى أن هذا الأمر قد عمّت به البلوى واشترك فيه الكلّ يصرف النظر عن عذابهم ويعفو عنهم جميعاً!!

والعلة الأخرى لهذه الدعوة إلى الشفاعة (بمفهومها الخاطئ) هي استجلاب رضا وسرور السامعين والحصول على بذل مالهم والاستفادة منهم.

وإضافةً إلى ما ذُكر فإن مسألة الشفاعة بمفهومها الخاطئ قد وجدت طريقها، على نحو واسع للأسف، إلى كتب الحديث والروايات ولم يسلم من ذلك حتى أفراد مشهورين ومحترمين ذكروا مثل ذلك المفهوم في كتبهم التي أَلَّفوها وتركوها لنا، وصارت مع الأسف مستمسكاً لأعوان الشيطان ودليلاً محكماً يرجعون إليه، كما نجد على سبيل المثال في أحد الكتب الفقهية

المعروفة التي دوَّنها فقيهٌ مشهورٌ جليل القدر روايةً عجيبةً مَرْوِيَّةً بلا سندٍ ولا مصدرٍ تقول إنه رُوْيَ أنَّ امرأة كانت تزني ثم تحرق أولادها الذين يأتون من الزنا خشية الفضيحة! ولم يكن يعلم بهذا الفعل الشنيع سوى أمها فلمّا ماتت تلك الزانية وأرادوا دفنها لفظتها الأرض، وَمَهْمَا حاولوا دفنها في بقع أخرى واجهوا المشكلة نفسها، فذهب أهلُها في النهاية إلى إمام الوقت عليه السلام وعرضوا عليه الواقعة، فطلب أمَّها - التي كانت لا تزال حيَّة - وسألها عن القضية فكشفت له حقيقة ما كانت تصنعه ابنَتُها، فأمر بأن يُوضع في قبرها مقدارٌ من تربة قبر الحسين عليه السلام وبهذا قبلتها الأرض وخُفِّف عنها!![1].

وهناك شيخٌ معروفٌ آخر ذكر في أحد كتبه التي ألفها في هذا العصر، لينشر بزعمه معارف الإسلام ويوضِّح معالم الدين!! حكايةً لا نعلم من أين أتى بها عن قصَّة امرأةٍ كانت تُسْكِرُ ابنَها كي يزني بها وكان الابن يفعل ذلك على الدوام!! ولكن بعد موتها رؤوا تلك المرأة في أعلى درجات الجنة! فلمّا سألوها مستغربين قالت: كنتُ أصلي على النبي وآله سبع مرات في اليوم!!.

وتوجد مئات من مثل هذه الأباطيل والحكايات التي لا أساس لها نسمعها في مجالسنا الدينية! هذا في حين أنه لو رجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا أن مثل هذه الشفاعة المزعومة بهذه الصورة لا وجود لها من الأساس وأن لا سلطة ولا حكم يوم القيامة إلا لِلَّهِ الواحد الأحد القهَّار، وأن لا نجاة لإنسان إلا بإيمانه وعمله الصالح، كما أننا لو عدنا إلى العقل والوجدان لا يمكننا أبداً أن نصدِّق أن النبيَّ الذي أرسله ربّ العالمين لإصلاح الناس وهداية العباد، وَبَعَثَهُ بشريعةٍ محكمةِ البنيان وقوانين حكيمة؛ يعلّم الناس مثل هذا المفهوم عن الشفاعة الذي يقتلع كل تلك التعاليم من جذورها!.

في رأينا إن علة الانحطاط والذلّ الذي يعاني منه الشرق لاسيما المسلمون وخاصة الإيرانيون

---

(١) انظر كتاب «منتهى المطلب» للعلامة الحلي (ج١/ ص٤٦١).

منهم[١] هو أننا لا نحترم أي قانون أو قواعد ثابتة فيما بيننا ومثل هذا المرض استفحل إلى درجة أصبح علاجه فيها مستعصياً وأحد أسباب ذلك هو الغرور بذلك المفهوم للشفاعة الذي يهدم حريم أحكام الشريعة ولا يبقي حرمةً لأي حَدٍّ ولا قانون، ولا ريب أن الشعب الذي يُبْتَلى بمثل هذا النمط من الاعتقاد يقع في خسران عظيم.

لذا ندعو القرَّاء الكِرام إلى مطالعة هذه الرسالة المختصرة ليَرَوْا ما هي حقيقة مسألة الشفاعة التي أوقع فهمها الخاطئ كل هذا الخسران والانحطاط في مجتمعنا وما هو أساسها وحقيقتها في الشريعة الإسلامية؟! وما توفيقي إلا بالله.

إن الشفاعة التي تروج اليوم في ذهن عامة الناس هي أن أولياء الله المقربين إليه كالنبيّ والأئمة الكرام من آله عليه وعليهم السلام سيشفعون، بما لهم من الجاه والحظوة عند الله، لجميع العصاة من أتباعهم يوم القيامة ويأخذونهم رغم كل معاصيهم وجرائمهم وآثامهم إلى أعلى درجات الجنان! ويحققون لهم آمالهم ورغباتهم في هذه الدنيا أيضاً. ومثل هذه الشفاعة مستقاة من مفهوم الواسطة والتشفع لدى السلاطين الجبارين والحكام المستبدين الذين يعفون أحياناً عن مجرم مفسد واجب القتل لشفاعة بعض الشفعاء من أقارب السلطان له، أو لتدخُّل أحباب ذلك الحاكم المستبد الجبار لأجل أن يعفو عن صديقهم الذي ارتكب جرائم تستوجب العقاب، فيعفو الحاكم عنه لأجل خاطرهم، لا بل قد يقرِّب الحاكم أحياناً ذلك المجرم المذنب ويمنحه مقاماً في بلاطه، وقد يُعطيه منصباً راقياً كالوزارة والإمارة رغم عدم استحقاقه لها، في حين يُبعد أفراداً صالحين وكفؤ من تلك المناصب لا لشيء إلا لأنهم ليسوا من معارف السلطان وليس لديهم من يقربهم إليه ويشفع لهم عنده!!

أجل إن مثل هذه العقيدة في الشفاعة إنما تنبع من تلك الأنظمة البعيدة عن العدل

---

(١) يُذْكَر أن المؤلف أَلَّف كتابه هذا قبل أكثر من أربعين سنة أي في ستينيات القرن الماضي، في وقت كانت إيران ترزح فيه تحت الحكم الاستبدادي المطلق للشاه محمد رضا بهلوي الخاضع كلياً للولايات المتحدة والصديق الحميم لربيبتها إسرائيل، وينتشر فيها الفساد والتحلل والرشاوي والأفيون.. الخ (المترجم)

والإنصاف والغريبة عن الشرع. فالشعب الذي لا يسود فيه العدل والإنصاف والعقل والوجدان ولا قيمة فيه للصدق والأهلية بل أموره كلها تعتمد على المحسوبيّات والوساطات والشفعاء والذي لا ينال المناصب والمقامات لديه إلا من يجيد التملّق والإطراء ومدح الجبارين والسلاطين، من الطبيعي أن يتصور أن الأمر عند عتبة الذات الأحديّة والرب الخالق سيكون على هذا النحو وتلك الكيفية!

أسأل الله أن يوفقني من خلال هذه الرسالة لبيان حقيقة الشفاعة كما هي ليعرف الذين يتصورون أنهم سيستفيدون من تملّقهم وتوسلهم إلى شفعائهم الموهومين أنهم لن يصلوا إلى أي شيء، وأن لا نجاةَ ولا فلاحَ أمام الله العالم بالغيب والشهادة ومالك يوم الدين إلا بالصدق والاستقامة، وما من شيء يقرّب إليه إلا العبودية الحقّة لذاته العليَّة، عسى أن ينجو مجتمعنا بفضل انتشار هذه الحقائق من الذلّ والانحطاط وأن تعود الأمة أو على الأقل أجيالها القادمة إلى مجد وعظمة مسلمي الصدر الأول الذين كانوا بعيدين عن مثل تلك العقائد السخيفة والأفكار المنحرفة، ويشدوا الهمة والعزم على العمل والسعي إلى رضوان الله، ومن الله التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان.

حيدر علي قلمداران

موضوع الشفاعة وحقيقته

قلنا إن الدافع إلى الغلوّ في الأئمّة كان في البدء سعي أعداء الإسلام لنشر وإشاعة تلك الأفكار بين المسلمين لإضعاف دينهم، ثم تلقَّف ذلك أرباب الفسق والفجور من المسلمين الغافلين المنهمكين في شهواتهم فقاموا بنشر تلك الأفكار وترويجها لأنّها وافقت هواهم في ارتكاب المنكرات وانتهاك المحرَّمات التي كانوا لا يجترئون عليها خوفاً من تهديد آيات القرآن ووعيدها، فوجدوا في تلك الأفكار ملاذاً من تلك الإنذارات ومن هنا اتسع باب الشفاعة بين المسلمين، ووصل الأمر إلى التضحية بكل أحكام الإسلام في مذبح الشفاعة والغلوّ والولاية، وكان ذلك باباً فتحه الشيطان في الأمم السالفة والأديان المنسوخة قبل آلاف السنين من ظهور الإسلام ورأينا نتائجه! فمثلاً في الديانة النصرانية أخذ موضوع حب المسيح وعبادته أهميةً أساسيةً جعلتهم يروّجون أن حبَّ المسيح والإيمان به وبفدائه لهم، كافٍ للنجاة يوم الحساب، وأن النجاة لا تعتمد على الأعمال، مما أسقط أهمية التكاليف وأعطاهم حرية في ارتكاب الفسق والفجور، فلم يبق احترامٌ لشيء من الشريعة التي أبلغها الأنبياء منذ آدم وحتى ذلك العهد، وهكذا روّج بولس في رسائله أن حبّ المسيح أصبح بديلاً عن الأحكام، وأن شفاعته بفدائه هي الذخيرة يوم القيامة للأنام. واحتجوا لذلك بأن الإنسان غير قادر على أن يطلب حاجاته من الله تعالى مباشرةً بل لا بد له من واسطة وشفيع يطلب له حاجاته من الله بطريقته التي يعرفها، على عكس الإسلام الذي يعلِّمُ أن لا واسطة بين العبد والربّ وأن على العبد أن يطلب ما يريده من الله مباشرةً كما يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]. أما بولس فإنه يقول في رسالته إلى أهالي روما (الإصحاح ٨/ الفقرة ٢٦): «وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا!.». وهكذا جعلوا في تعاليم المسيح أن

المؤمنين لا بد لهم من واسطة وشفيع بينهم وبين الله وأن هذه الواسطة لا بد أن تكون ذات صلة خاصة بالله وأن يكون لها مقام الفداء! ولما كان القانون الإلهي يقتضي أن من يأثم فعليه تقديم الكفَّارات والقرابين لِلَّه ليغفر الله له ما ارتكبه، فإن الواسطة أي المسيح هو الكفارة وهو القربان الذي جاء ليفدي الناس ويخلّصهم ويصالحهم مع الله ففُوِّض إليه مقام الشفاعة لأنه فدى نفسه لأجل الخليقة!! هكذا كان يعلِّم بولس مثلما جاء في رسالته الثانية إلى تيموثاوس (الإصحاح ٢/ الفقرة ٥-٦): «فَإِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، وَالْوَسِيطُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الإِنْسَانُ الْمَسِيحُ يَسُوعُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عِوَضاً عَنِ الْجَمِيعِ!.».

أما الإسلام فرغم كل ما بذله من سعيٍ في سدّ باب الشفاعة الشركية إلا أن الأهواء النفسية والغرور الشيطاني وإغواء الأعداء وطمع الفسّاق والفجّار عملت عملها من جديد لتفتح ذلك الباب بأوسع مجال أمام المسلمين.

لقد عرف أعداء الإسلام أن هذا الدين اعتلى شأنه وقوي أمره بفضل أسسه القويمة المأخوذة من الإيمان بالله واليوم الآخر والمستمدة من كتابه السماوي العظيم وقرآنه المجيد الذي يعتبر أن: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، وأن: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١]، و﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم:٣٩-٤١]، ويرى أن سبيل دخول الجنة إنما يكون بتقديم الأنفس والأموال رخيصة في سبيل الله فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، ويستنكر على من يظن أن دخول الجنة رخيص متاح بلا عمل ولا تحمّل مشقّاتٍ، وصبر على المكاره فيقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٤]، ويقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، ويؤكد بأوضح بيان

وأصرح كلام أن لا أمل لمن كذَّب بآيات الله واستكبر عنها بدخول الجنة والنجاة من النار فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١ ﴾ [الأعراف:٤٠-٤١].

فمثل هذه الإنذارات وأصناف الوعيد إذا سمعها الإنسان ليس من الله بل حتى من سلطان دنيوي لا يملك شيئاً إلا ما ملَّكه الله، فإنه لا يغمض له جفن ولا يستطيع النوم خوفاً منها، فما بالك إذا كان قائلها رب العالمين ومالك رقاب العباد يوم الدين؟! لذا لما كان المسلمون الأوائل يسمعون تلك الآيات مباشرةً من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ويوقنون بأنه بعد رحيلهم من هذه الدنيا ليس أمامهم يوم القيامة إلا أحد مكانين: ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:٧]، كانوا يقدّمون النفس والمال على طبق الإخلاص لأجل تحصيل رضا الله ودخول جنة رضوانه ونيل نعمه التي لا تزول يحدوهم الخوف والرجاء في سوق السعادة الأبدية، وكان نتيجة تلك العقيدة أن بذل المسلمون كل جهد لنشر الإسلام في أنحاء العالم سواء في زمن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) أو زمن الخلفاء الراشدين من بعده ولم يبخلوا بتقديم الروح والمال بكل شوق ورضا عندما تَطَلَّب الأمر منهم ذلك، وكانت ثمرة ذلك أن أضاء نور الإسلام جوانب العالم خلال نصف قرن من الزمن وملأت عدالته أطراف الدنيا وأخرج الناس من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعلم، وأسس حكومة العدل والنظام الأحسن الذي لم يكن يدر في خلد مخلوق قبل ذلك.

ولكن عندما اختلط المسلمون -نتيجةً لاتساع رقعة الإسلام- بأرباب الملل والنحل والأديان التي كانت قبل الإسلام وكانت مشوبة بالخرافات والموهومات، بدأت تسري إلى عقول وقلوب بعضهم بعض العقائد الباطلة والآراء الكاسدة لتلك الأمم، كما نَشُطَ أعداء الإسلام ببثِّ خرافاتهم وأوهام أديانهم التي كانت مسؤولة عن هزيمتهم أمام الإسلام، بين المسلمين، سعياً منهم إلى إيقاف مدّ الإسلام، واحتالوا لذلك حيلاً شتى فدخلت الأفكار اليهودية (أي

الإسرائيليات) والنصرانية والمجوسية بواسطة أشخاص مشبوهين أمثال «كعب الأحبار» و«وهب بن منبه» و«عبد الله بن سبأ» ومن المتأخرين أمثال «الحافظ رجب البرسي» الغالي وغيرهم الذين يبدو أنهم كانوا يحنُّون إلى مذاهبهم السابقة فدسُّوا أفكارها المليئة بالغلوّ بالأنبياء والصالحين بين المسلمين ونسبوها إلى أئمّة الإسلام، ووضعوا على ألسنتهم أحاديث بهذا الصدد وجعلوا الحصول على الجنة رخيصاً يكفي فيه أداء بعض الصلوات وقراءة بعض الأدعية وصيام بعض الأيام وزيارة مراقد الأئمة ونحو ذلك، وأن هذه ستُورث فاعلها القصور والحور وتجعله جليساً للأنبياء والأئمة ولو كان خالي الوفاض من الأعمال الصالحة وخفيف الميزان من الخير والصلاح.

وبهذا تمكنوا من إيقاف المسلمين عن النشاط والحركة والبذل والتضحية لنشر الإسلام وحفظ حدوده وتشريعاته، وثانياً جرّؤوا العوام على ارتكاب المعاصي والفسق والفجور، الأمر الذي يشكِّل أفضل وسيلة لهلاك الأمم وذهاب ريحها وأوقعوا المسلمين في ذلك فيما وقع فيه أسلافهم من الأمم كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران:٢٣-٢٤].

ألم يكن اليهود كذلك؟ ألم يدّع النصارى عن المسيح مثل ذلك وأنه تكفي محبة المسيح وولايته والإيمان به للنجاة يوم القيامة بدلاً من تجشم عناء الأعمال والالتزام بالشرع والأحكام المنزلة من عند الله؟!.

إن هؤلاء لا يدركون أن ولاية النبي والإمام التي تفيد المسلم هي تلك الولاية والنصرة التي كانت في حال حياتهم وكانت منشأً للجهاد والنصرة والتضحيات والبذل في ركاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ أو الإمام، أي كانت ولايةً تستتبع العمل وليست مجرد محبّة قلبيَّة خالية وكلامية! خاصَّةً إذا كانت محبةً لهم بعد وفاتهم التي لا تستتبع أعمالاً وخيراً، فليت شعري ما هي الأعمال العظيمة التي يقوم بها اليوم مدعو التشيّع لعليّ الذين يدّعون ولاءه ويفتخرون به؟ لمّا كان ذلك

الإمام الهمام حيّاً وكان بحاجة إلى نصرة الناس لم يبذل له الولاء إلا قليلون وتقاعس عنه الكثيرون فما هي فائدة ادعاء الولاية اليوم وما الأعمال التي يستتبعها هذا الادعاء؟! ألم يقل رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وهو يبيّن ولاية عليّ ويأخذ بها العهد على الناس: «...اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ»(١)؟ فهل مراد النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ من الولاية هنا مجرد ولاية قلبية دون عمل؟!

إذن مسألة الولاية والشفاعة التي يُكثر القوم من التشبث بها اليوم ليست بعيدة عن مسألة محبة وشفاعة المسيح التي تشبَّث بها النصارى، ولا شك أن هذه العقيدة إن لم يكن النصارى قد أدخلوها بين المسلمين فعلى الأقل أيّدوها وقوَّوْها إذ إنها تفتح أمام العامة مجال المعصية والفسق والفجور الذي ستكون نتيجته الحتمية الضعف والأسر للأمم الأخرى. وهكذا بدأ التوسع في مفهوم الشفاعة وانتشاره بصورة واسعة وجعل أئمة أهل البيت شفعاء الناس يوم القيامة إلى الحدّ الذي أصبحوا فيه تالين لِـلَّهِ والعياذ بالله تعالى!

إن مسلمي الصدر الأول كانوا يؤمنون بأن خالق العالم هو وحده صاحب القدرة والإرادة والمشيئة وأنه أكّد في عشرات من آيات كتابه أنه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الجاثية:١٥] وأنه ما خلق الناس عبثاً وأن كل إنسان سيجني حتماً نتائج ما كسبته يداه كما قال ربهم سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجاثية:٢١-٢٢].

---

(١) الحديث مشهور لدى الشيعة وأخرجه كثيرٌ من محدِّثي أهل السنة كالنسائي في سننه الكبرى وابن ماجه في سننه وأحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وغيرهم... وتمام لفظه: «عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي حَجَّتِهِ الَّتِي حَجَّ فَنَزَلَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَأَمَرَ الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ﷺ فَقَالَ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى! قَالَ: أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ قَالُوا: بَلَى! قَالَ: فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ». (المترجم)

ولمّا كان وعيد الله وإنذاراته تتصدع لها القلوب فلا بُدّ من اللجوء إلى قوة موازية ليصبح الإنسان في أمان منها لأن الضعيف ليس بإمكانه أن يقاوم القوي، لذا لم يكن في ذهنهم أبداً اتخاذ أولياء من دون الله واللجوء إلى ما سواه أي إلى ما يسميه العوام اليوم «عزيز كردهء خدا» أي الأعزّاء لدى الله، أي الذين لديهم حظوة ومعزّة وجاه عند الله يمكنهم من خلالها أن يؤثروا على إرادة الله ويشفعوا لهم عنده ويحموهم من قوانينه وسننه الإلهية!

أمَّا المسلمون اللاحقون فوسّعوا مفهوم الشفاعة إلى درجة أصبح فيها أداء عمل سهل بإمكانه أن يؤمّنهم من كل تلك الإنذارات الإلهية ويضمن لهم الجنان والنعيم الأبدي، وبعبارة أخرى صار هذا المفهوم الجديد للشفاعة بمثابة نسخ كل الشريعة الإلهية وإلغاء فائدتها، وهو بالضبط ما يريده أعداء الإسلام.

إن مفهوم الشفاعة الجديد والمنحرف يبتني على استبدال السعي والمجاهدات والتضحيات والصبر على المكاره والأعمال الصالحة التي مرّ ذكرها باستعطاف قلب إنسانٍ مخلوق، من خلال مدحه وإطرائه وقراءة أنواع الثناء عليه وتملّقه والتمسّح بأعتابه - أو بالأحرى بأعتاب قبره - وطلب الشفاعة منه، فإذا فعل الإنسان ذلك نال شفاعته ولم يَعُد بحاجةٍ إلى التقيُّد بالحلال والحرام وإجراء الأحكام، وصار في غنىً عن بذل الروح والمال للدفاع عن حدود الإسلام وثغوره وعن مال المسلمين وعرضهم، والجهاد لأجل نشر راية الدين وتقديم الروح العزيزة في سبيل من هو أعزّ منها أي دين الله، لأن كل ذلك يمكن استبداله بعدّة قطرات من الدموع وبالدعاء والثناء والمحبة لعدد من أولياء الله المخلوقين مثله، محبَّة ليس لها أي انعكاس على صعيد العمل والالتزام لأن المحبوب فيها قد رحل عن الدنيا ولم يَعُدْ له أمرٌ ولا نهيٌ ولا إمكانيةَ أن يَطْلُبَ من مُحِبِّهِ شيئاً! أجل لقد وصل أعداء الإسلام إلى منتهى أملهم بأيسر طريق، ألم يحققوا بهذا الأمر مرادهم؟

١- لقد أغمدوا سيف الجهاد الذي كان برقه يذهب بأبصار الطواغيت وأعداء دين الله ويسقط عروشهم ويفتح الباب لدخول الناس فوجاً فوجاً في دين الله. إذ إنه عندما فُتِح

للمسلمين باب الولاية بذلك الشكل والشفاعة بتلك الصورة، قُتلت فيهم روح البذل والبسالة فاستراح أعداء المسلمين من سيطرة الإسلام وحققوا بهذا انتقامهم من هذا الدين.

٢- المسلمون الذين ما كانوا يجترئون أبداً على ارتكاب الإثم وإشاعة الفسق والفجور أصبحوا بفضل الاعتماد على شفاعة أولياء الله والاطمئنان إلى أن بإمكانهم بفضلها النجاة من النار والوصول إلى أعلى درجات الجنان بمجرد القيام ببعض الأعمال المبتدعة، لا يشعرون بالحرج إن ألمّوا بأنواع المعاصي والذنوب حتى الكبائر، وهذا ما نجده في كثير من بلدان العالم الإسلامي حيث انتشر التحلل من الدين وعدم احترام نظامه وتشريعاته، خاصة في بلادنا حيث نجد عدم اهتمام كثير من الناس بحدود الله وأوامره حتى أصبحنا أسوأ بكثير من عديدٍ من أمم العالم، هذا رغم أن مذهب شيعة أهل البيت يؤكد على التقوى ويوصي بالورع أكثر من أي مذهب إسلامي آخر. ولكن للأسف انتشر بينهم مفهوم الشفاعة المنحرف هذا، بسبب الدسائس المغرضة ودعايات السوء الشيطانية ووجود الغلوّ والغلاة بكثرة بين الشيعة أكثر من انتشارهم لدى سائر المذاهب وأشدّ، وذلك لأسباب كثيرة منها أنه بهذا الطريق يستطيع دعاة هذا المذهب المغالين أن يكرّسوا الانشقاق عن سائر المسلمين ويحاصروا مساعي الوحدة الإسلامية، ولا نستبعد أن يكون لأعداء الإسلام والدول الاستعمارية أياد خبيثة تدفع العلماء المغالين لكتابة كتب تفرّق بين طوائف المسلمين وتعمّق النزاع بينهم وتدفعهم لتشكيل مجالس تُبَثُّ فيها أفكار طائفية مفرّقة بما يحقق تمزّق المسلمين وبالتالي ضعفهم فيمكن السيادة عليهم حسب قاعدة «فرّق تسُد».

ونجد أنه عندما يقوم رجال مصلحون وينهض مفكرون إسلاميون نابهون لإصلاح هذا الخلل ورأب الصدع والسعي إلى الوحدة الإسلامية، يقوم أولئك العلماء الغلاة وأيادي الاستعمار المشبوهين بتوجيه التُهم إليهم وغالباً ما تؤثّر دعاياتهم المغرضة وتعرقل جهود المصلحين الإصلاحية.

من أسباب نشر كتب الغلاة وترويج عقائد أهل الغلوّ

كلنا يعلم أن بعض شيوخ[1] الخليج الفارسي والجزيرة العربية الأثرياء أصبح لديهم، بفضل الثراء الذي لا حد له الذي نالوه بفضل اكتشاف النفط، قصوراً عظيمة وحريماً فيه أعداد من النساء حتى قيل إن بعض ملوكهم لما توفي أخيراً[2] خلّف أكثر من خمسين امرأةً، ومن المعلوم أن الزواج من أكثر من أربع نساء غير ممكن في الشرع، لاسيما أنه ليس لدى المسلمين من غير الشيعة الإمامية نكاح متعة، إذ يرى جميع المسلمين حرمته ويمنعوه، - بل حتى بعض فقهاء الشيعة الإمامية مثل الشهيد الثاني واستناداً إلى أحاديث واردة عن الصادِقَيْن كما في قرب الإسناد (ص ١٥٩ و١٦١) لا يجيز الجمع بين أكثر من أربع نساء تحت أي عنوان سواء بنكاح دائم أم منقطع- ، فإذا كان الأمر كذلك فلا يبقى مجالٌ لتأمين ذلك العدد من النساء إلا موضوع الإماء وما ملكت اليمين، ورغم أن الاسترقاق وبيع وشراء العبيد والإماء قد ولَّى منذ عهد بعيد، وأصبح ممنوعاً في العالم ويُعَدُّ من الجرائم، إلا أن هذا الأمر يتم بصورة سرية بين بعض شيوخ مشيخات الخليج، ولما لم يكن بالإمكان أخذ الإماء من أهل الكتاب لأن معظمهم اليوم أصبح لهم دول قوية واستقلال ومَنَعة، فلا يبقى إلا أخذهن من المشركين الذين حتى لو لم يكونوا محاربين فإنهم في نظر الإسلام وفقهاء العامة لا حرمة لهم ويمكن تأمين الإماء منهم.

---

(١) المقصود بالشيوخ زعماء وأمراء القبائل الذين يطلق عليهم لقب الشيخ، وليس علماء الدين كما هو المفهوم من كلمة الشيخ في مصر وبلاد الشام. (المترجم)

(٢) نُذَكِّر أن هذا الكلام كتبه المؤلف قبل أكثر من ٤٠ سنة من الآن، وما ذكره المؤلف - رحمه الله - ليس سبباً حقيقياً، فعندما كان الاسترقاق موجوداً في المنطقة لم يكن يُسَوَّغُ بأن هؤلاء الرقيق مشركون، ولكن كان هناك عصابات تنتهب البشر لبيعهم، وكان يؤتى بهم من أماكن شتى، مثل شرق أفريقيا، وجنوب روسيا من (من جورجيا والشركسي)، ومن أطراف الهند بحيث يُخْتَطف الأطفال من بلادهم ويباعون في بلاد أخرى على أنهم رقيق. وكان هذا الأمر منتشراً في الخليج وغيره. (المترجم)

لذا فإن إيران الشيعية الواقعة إلى جوار دول الخليج الفارسي تشكل منبعاً جيداً لأولئك الرؤساء والشيوخ لملء حريمهم، ولهذا نجد أن عدداً من تجار البشر في القرن العشرين يأتون كل عام إلى بلاد إيران ليخدعوا الفتيات ويصطادوهن لبيعهن في سوق النخاسة لأولئك الشيوخ الأثرياء ويحصّلوا من هذه التجارة أموالاً طائلةً، وأحياناً يتم هذا الخداع بصورة شرعية إذ يأتي مثلاً بعض الشباب من العرب أو من الإيرانيين ويخطب فتاةً بحجة أنه يرغب الزواج منها، ولكنه في باطن الأمر يعدها للبيع لأمراء البلدان العربية أصحاب الحريم!

فمن هذه الجهة، فإنه إضافةً إلى هدف الاستعمار المعروف الذي يسعى على الدوام إلى إثارة العداوة الطائفية بين الشيعة والسنة وجعلهم يصطفون في مواجهة بعضهم البعض عن طريق نشر الرطب واليابس من الكتب التي من شأنها أن تثير الاختلاف والتفرقة، وغالباً ما تُطبع أعدادٌ كبيرةٌ جداً من أمثال تلك الكتب التي تثير التفرقة وتؤجج العداوة والبغضاء وتجد للأسف استقبالاً لدى كثيرٍ من القراء، أقول إضافة إلى هذا الأمر فإن أولئك الأمراء الأثرياء العرب الباحثين عن الإماء، لهم مصلحة أيضاً في نشر كتب الغلاة من الشيعة بل يموّل بعضهم أحياناً نشرَ مثل تلك الآراء المفرطة في الغلوّ خاصَّةً كُتُباً مثل «امراء هستي وتجلي ولايت» (أي أمراء الكون وتجلي الولاية)، ومثل «عِلْم اِمام» (أي علم الإمام)، وأمثالها من الكتب الطافحة بالغلوّ والتي تشكل دليلاً جيداً لتكفير الشيعة واعتبارهم مشركين وبالتالي يصبح شراء بناتهن بوصفهن إماء مُبَرَّراً وأمراً مباحاً وحلالاً.

والعجب أنه كلما قام بعض الواعين الحريصين على مصلحة الأمة بالسعي لرفع الاختلاف وتقريب فريقي المسلمين الكبيرين الشيعة والسنة من بعضهما، قامت أبواق الاستعمار وشياطينُه المأمورون بتنفيذ مخططاته ومؤامراته باتهام دعاة التصحيح والإصلاح بأنهم وهابيون يتقاضون أجرهم من ابن سعود أو من حكومة مصر في حين أن الأمر ليس كذلك بل لو قيض للمذكورين أن ينشروا كتباً حول الشيعة فلن ينشروا سوى كتب من أمثال «أمراء هستي» (أي أمراء الكون)، أو «تجلي ولايت» (أي تجلي الولاية) وأمثالها من كتب الغلوّ المفرط التي ستكون مفيدة لمن يريد

دليلاً جيداً على اعتبار جميع الشيعة مشركين واستباحة التصرف بأموالهم وناموسهم واتخاذ بناتهم سبايا وشراء فتياتهم من العراق وإيران كإماء يملؤون بهن قسم الحريم في قصورهم ويشبعون بهن شهواتهم وغرائزهم!

ومنذ أكثر من مئة عام كان لدينا نماذج لمثل أولـئك المشجعين على نشر أمثال تلك الكتب المغالية من بين بعض حكام أهل السنة، فقد قام حاكم بغداد زمن العثمانيين «عبد الباقي العمري» -وهو من أهل السنة- بتشجيع وحثّ السيد «كاظم الرشتي»[1] -الذي كان من أشد غلاة الشيعة غلوّاً وصاحب كتاب «شرح القصيدة» وشارح «الخطبة التَّطْنَجِيَّة»[2] المكذوبة والطافحة بالغلوّ المحض- على نشر تلك الكتب! كما فعل ذلك أيضاً «علي رضا باشا» والي بغداد، لأنهم كانوا يعرفون أنه بانتشار مثل تلك الكتب سيجدون المبرر للهجوم على إيران واستباحة دماء أهلها وسبي نسائها وبناتها، والتاريخ القديم والمعاصر خير شاهد على ما نقول!

---

(١) هو السيد كاظم بن قاسم الحسيني، الموسوي، الكربلائي، الجيلاني، الرشتي (١٢١٢ - ١٢٥٩هـ) (١٧٩٧ - ١٨٤٣ م)، تلميذ وخليفة الشيخ أحمد الإحسائي مؤسِّس فرقة الشيخية وتُسَمَّى أيضاً بالكشفيَّة لما يُنْسَبُ إلى زعيمها من الكشف والإلـهام، وهي فرقة تفرَّعت من الشيعة الإمامية وتميزت بالغلوّ الشديد والقول بالتفويض أي أن الله تعالى فوَّض للنبيِّ والأئمّة تدبير الكون والخلق!! وقد كفَّر عديد من مراجع الشيعة هذه الفرقة واعتبروها من أصناف الغلاة. (المترجم).

(٢) خطبة موضوعة منسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تتضمن عبارات ينسب فيها عليٌّ لنفسه كل الأفعال الإلـهية، وقد حكم جل علماء الشيعة، ومنهم العلامة المجلسي صاحب بحار الأنوار، بكذب هذه الخطبة وأنها من وضع الغلاة. وسيتكلم عنها المؤلف قلمداران في بحثه التالي حول الغلو والغلاة. (المترجم).

نظرة تاريخية إلى مفهوم الشفاعة لدى الأمم السابقة

موضوع الشفاعة ذو سوابق تاريخية عريقة في الأمم الماضية والأديان الباطلة، إذ نجد هذا الموضوع في العقائد الأسطورية للإغريق وفي الديانة الزردشتية وفي الأديان المصرية القديمة وفي بابل وفي الديانة النصرانية وأخيراً لدى مشركي الحجاز وعُبّاد الأصنام العرب الذين كان لعقيدة الشفاعة لديهم أهميةٌ بالغةٌ وجذورٌ عميقةٌ بل تمثّل هذه العقيدةُ الركيزةُ الأساسيةُ في ديانتهم الشركيّة.

وعلّة ذلك أنه بعد إيمان البشر بوجود إلهٍ عظيمٍ كانوا يتصوّرون وجود آلهةٍ خاضعةٍ له ولكلٍّ منهم منصبٌ ودورٌ عُهد إليه في تسيير شؤون أمور العالم، فهو يقوم بتدبير شأن من شؤون الخليقة، فكان أولئك الوثنيون يصرفون وجوه العبادة والتذلل إلى تلك الآلهة، فمثلاً يطلبون -في أيام القحط- المطرَ من إله المطر، ويقدّمون له القرابين لرفع غضبه، ويقدّمون لإله النهر والبحار القرابين التي كانت أحياناً فتيات جميلات يرمون بهنَّ في نهر النيل جلباً لرضا إلهه وتفادياً لغضبه الذي يؤدي إلى طغيان مائه وطوفانه.

وهكذا كان هناك إلهٌ للحرب وإلهٌ للسلام..الخ، إلى أن جاء دين زردشت فعدّل الأمر ودعا إلى الإيمان بمدبِّرٍ واحدٍ للكون وصانعٍ للعالم «يزدان» وأن هناك إلهاً ثانياً هو إله الشرِّ «اَهريمن» والذي هو مصدر الشرور في العالم (الذي سيخضع لإله الخير في النهاية)، وبذلك أُحيلت جميع الآلهة الأخرى إلى التقاعد وتحوّلوا إلى ملائكة يعملون برتق وفتق أمور العالم بأمر (يزدان).

كما تطوّرت أساطير الإغريق حول الآلهة من خلال انتشار آراء الفلاسفة اليونانيين القدماء وتحوَّلت إلى القول بالعقول العشرة والأفلاك التسعة، وتلك الآلهة والملائكة والعقول والأفلاك رغم أنها أخلت مكناها -فيما بعد- لِلَّهِ الواحد العظيم وأصبحت خاضعة لرئاسته إلا أنها بقيت محتفظة في مقامها الاختصاصي بنوع من الاستقلال لأن أساطير اليونانيين كانت تَعْتَبِرُ أن مبدأ

الوجود الأول الذي فاضت عنه سائر الكائنات هو على درجة من التجرُّد والتعالي تجعله أرفع شأناً وأجلّ مرتبةً من أن يهتمّ بأمور الخليقة السُفلى ويشتغل بقضاياها من إحياء وإماتة ورزق وعطاء وسائر أمور وجزئيات العالم، لا بل يجلّ عن إدراك تلك الجزئيات! ولذلك فمثل هذه الأمور كانت من مسؤولية الملائكة والآلهة الصغيرة أو الوسطاء والشفعاء الذين ينبغي على الناس أن يتجهوا من خلالهم إلى الإله الكبير، لذا كان الناس الجاهلون في خوف ورجاء دائمَين من إعراض وإقبال تلك الآلهة، وقد ترك هذا أثره في مفهوم التشفُّع بالملائكة لدى عرب الجاهلية المشركين الذين كانوا يتصوَّرون تلك الملائكة العظام بوصفها بنات الله فيعبدونها رجاء منهم أن تشفع لهم عند الله وتقرّبهم إلى الله زُلْفَى، وقد نقلت لنا كتب أخبار وقصص العرب طرفاً من تلك العقائد فمثلاً يذكر الآلوسي في كتابه «بلوغ الأرب» (ص٢٥٣/ج٢) أن العرب كانوا يعتقدون أن حملة العرش أربع ملائكة كل واحد منها بشكل كائن ذي روح والذي في صورة آدم هو الذي يشفع للبشر والذي على شكل نسر هو الذي يشفع للطير!.

فمسألة شفاعة الملائكة ذات تاريخ قديم في الأديان الماضية، ولما وُجدت الأنظمة الملكية بين البشر ونشأت مؤسسةُ السلطنة والرئاسة وتقريبُ الأفراد وإبعادُهم ومكافأتُهم وعقابُهم، ثم تتطور الأمر إلى أن الأشخاص الذين كان السلطان أو رئيس العشيرة أو القبيلة يغضب عليهم يلتجئون إلى أقرباء وأعزّاء وحاشية السلطان أو الرئيس ويستفيدون من جاهه لدى السلطان ليحميهم من غضبه وسخطه، كانت النتيجة الحتمية لذلك أن تقع محبة الشفيع في قلب المتشفِّع فيكرمه ويخدمه.

فمنشأ الاعتقاد بهذه الشفاعة هو التعوّد على ما اعتاده البشر في أنظمة السلاطين الجبّارين الذين لديهم أشخاص مُدَلَّلُون ومُقَرَّبُون منهم يمكن لمن ارتكب إثماً واستحقَّ عقاباً أن يلجأ إليهم لينقذوه من غضب السلطان ويرفعوا عنه عقابه.

هذه العقيدة ذاتها سرت إلى المتدينين الذين تصور عوامُّهم أن الآلهة الصغيرة أو الأوثان المعبودة أو الملائكة العظام أو الأنبياء والأولياء لهم معزّة واحترام وجاه لدى الله على نحو

يمكِّنهم من التوسط لديه والتأثير عليه ليغيِّر حكمه ويرفع عقابه، لذا لا بد من اللجوء إلى هؤلاء الشفعاء عند القحط والغلاء والتوسل إليهم ليشفعوا لمحبيهم وعابديهم عند الله حتى يرفع عنهم ذلك البلاء!. وكانت مثل تلك الشفاعة تُطْلَبُ في بادئ الأمر لأجل الأمور الدنيوية وإصلاح أمور المعاش ولم تكن لأجل الأمور الأخروية لأن عرب الجاهلية المشركين، الذين كان لموضوع الشفاعة في دينهم - كما ذكرنا - أهمية بالغة وانتشار واسع، لم يكونوا يؤمنون بالمعاد، فكانوا يعبدون الأصنام رجاء نفعها لهم في الدنيا وكشفها الضر عنهم ويبررون ذلك بأنها شفعائهم عند الله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس:١٨].

هذا وقد جاء في التواريخ المعتبرة أن منشأ عبادة الأصنام بين عرب الجاهلية يعود إلى «عَمْرَو بْنَ لُحَيّ» الذي كان من طبقة الأشراف في مكة و«خَرَجَ مِنْ مَكّةَ إلَى الشّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ فَلَمّا قَدِمَ مَآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمالِيقُ - وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاقٍ، وَيُقَالُ عِمْلِيقُ بْنُ لَاوِذْ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ - رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَقَالَ لَهُمْ مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا، فَنَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، ونَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصُرُنَا، فَقَالَ لَهُمْ أَفَلَا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا فَأَسِيرَ بِهِ إلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ «هُبَلُ» فَقَدِمَ بِهِ مَكّةَ، فَنَصَبَهُ وَأَمَرَ النّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.»[(١)]، واستمر ذلك إلى الحدِّ الذي انتظر فيه المشركون وتمنَّوا من حضرة النبيِّ محمَّدٍ رسولِ الله أن يوافق على عبادة أصنامهم لأن شفاعتها مرجوَّة! كما هو مسطور في قصة «الغرانيق» حين نطق الشيطان بجملة «تلك الغرانيق العلا وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجى» في إشارة إلى آلهتهم اللات والعُزَّى ومناة، ففضح الله إلقاء الشيطان[(٢)]، فهذا يبين أن المشركين إنما كانوا يطلبون من تلك الأصنام الشفاعة في تيسير أمور حياتهم وتحسين شؤون معاشهم وكشف الضرّ

(١) انظر سيرة ابن هشام (ج١/ ص٨٣)، والبداية والنهاية لابن كثير ج٢/ ص١٨٨. (المترجم)

(٢) قصة الغرانيق روتها بعض كتب الشيعة والسنة وقد طعن بصحتها علماءٌ من الفريقين. (المترجم)

والبلاء عنهم.

والأمر ذاته كان لدى المجوس في عقيدتهم بالملائكة الذين كانوا ينتظرون منهم الشفاعة والترّحم ليُمطر الله على الناس المطر وينبت الزرع والثمر، وكانت النصرانية هي الدين الوحيد الذي يتحدث عن الحياة بعد الموت ودخول ملكوت السماء، ومع ذلك فقد طرح موضوع الشفاعة أيضاً فيه بكل قوة ولكن بصورة مختلفة.

فآيات الشفاعة في القرآن التي تبيّن أن الشفاعة موقوفة على إذن الله ومنوطة بمشيئته كثيرٌ منها يشير إلى تلك الشفاعة التي كانت الأمم الماضية لاسيما عرب الجاهلية يؤمنون بها لأجل حاجاتهم في الدنيا وإصلاح أمور معاشهم وذلك كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥] حيث جاءت هذه الجملة بعد قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فلم يأتِ هنا كلامٌ عن الآخرة حتى يكون هدف الشفاعة غفران الذنوب فيها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يس:٢٣-٢٤].

فهذه الآيات تنفي الشفاعة بمعنى قدرة غير الله على تدبير أمور السماء والأرض وإيصال الضرّ والنفع بدون إذن الله أي تلك الشفاعة ذاتها والتوسل والتوسط ذاته الذي كان الزردشتيون وأتباع الفلاسفة القائلون بالعقول العشرة ينتظرونه من الملائكة، وأهل الجاهلية ينتظرونه من أصنامهم وآلهتهم الملائكة أيضاً.

نعم إن القرآن الكريم يُصدِّقُ حقيقةَ أن الملائكة أُوكل إليها القيام ببعض شؤون الخليقة، مثل ملك الموت المأمور بتوفي نفوس العباد كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:١١]. أو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام:٦١]، ومثل الملائكة التي

أوكل إليها تدبير بعض الأوامر كما في قوله سبحانه: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات:٥]، أو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ [الانفطار:١٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق:٤]، ولكن أياً من هؤلاء الملائكة لا يمكنهم التصرف في الكون والمكان دون إذن من رب العالمين، وأكثرهم لا تصرف له أصلاً في أمور الخليقة كما نقرأ في سورة النجم قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم:٢٦] فالخطاب في هذه الآية موجه في الواقع إلى عُبّاد الأصنام الذين أشارت الآيات التي قبلها إلى أنهم كانوا يعبدون الملائكة وينحتون أصناماً على شكلها الذي يتصورونه وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم:١٩-٢٣]، كما أنها ذات علاقة بالشفاعة العامة والاستغفار الذي تقوم به الملائكة للمؤمنين.

وبعد أن ينفي اللهُ سبحانه وتعالى الشفاعةَ عن الملائكة إلا لمن يأذن له ويأمره بها بحق من يرتضيه، يقول عقب ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم:٢٧-٢٨]، وهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة هم ذاتهم الذين وصفتهم الآية التالية من السورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم:٢٩]، فلم يكونوا يتوقعون من الملائكة الشفاعة في أمور الآخرة بل كانوا يظنون أنهم يشفعون لهم في أمور الدنيا وأحوال المعيشة. وقد ذمّهم الله تعالى بسبب اعتقادهم بتلك العقيدة وبيّن لهم أنه لا يوجد كائنٌ أياً كان يمكنه أن يتدخل - بدون إذن الله وأمره - في أمور الدنيا والآخرة. ويقول سبحانه في سورة الزمر: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]، أي لا يجوز لأي إنسان

أن يتّخذ شفيعاً فيتوجه إليه بالعابدة والدعاء من دون الله لأنَّ مُلْكَ السموات والأرض له وحده، وبالتالي فالتصرف بهما له وحده ولا يملك سواه حق التصرف فيهما، ثم يقول بعد ذلك مباشرة ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر:٤٥]، ففي هذه الآية الأخيرة يظهر بكل وضوح وجلاء أن الوثنيين المشركين المستشفعين بالملائكة لم يكونوا يؤمنون بالآخرة وبالتالي فإن استشفاعهم بالملائكة كان لأجل الأمور الدنيوية.

وقد أجاب الله على هؤلاء بقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٤] فلمّا كان الملك والملكوت والسموات والأرض بيد الله وحده إذ هو خالق الكلّ ومدبِّر الكلّ فلا يحقّ لأحد أن يتطفَّل ويتدخَّل في ملكه تعالى ولمّا كان الأمر كذلك، فدعاءُ أيِّ كائنٍ سوى الله والاستمداد منه بحجة طلب الشفاعة منه شركٌ وعمل ضالٌّ ولا يغني عن صاحبه شيئاً إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه....

وإذا كان فريقٌ من الوثنيِّين يؤمنون ببقاء الأرواح بعد الموت فإنَّ كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون بوجود حساب وكتاب وثواب وعقاب حتى يلتجئوا إلى الشفاعة لأجلها. إِذَنْ فالشفاعة في مذهب الوثنيِّين المشركين كانت منحصرة في الأمور الدنيوية، وهي شفاعة نفاها الله أو جعلها موقوفة على إذنه، فإذا كان لبعض الملائكة وظائف في عالم الكون بإذن الله وبأمره فإنهم لا يملكون فعل ذلك إلا ضمن أمره وإذنه واستناداً إلى حوله وقوته.

أما الشفاعة بشأن الجزاء الأخرويّ فلا توجد في القرآن المجيد أيّ آية أو جملة تدل بصراحة على وقوع شفاعة إنسان من بني آدم لأيِّ إنسان آخر يوم القيامة، بل على العكس تنفي آيات القرآن بشكل صريح وواضح أن يُغْنِيَ شخصٌ عن آخر شيئاً مطلقاً يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الدخان:٤١].

وكما يكرر تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا

يُؤْخَذُ مِنهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٤٨]. ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [البقرة:١٢٣]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

ولاحظ أن الآية الأخيرة تبتدئ بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة:١٠٤] ثم تنفي كل صور الشفاعة والوساطة يوم القيامة ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ [البقرة:٢٥٤] مما يُبْطِلُ بشكل قاطع دعوى الذين يتصوَّرون أن نفيَ الشفاعة خاصٌّ بالشفاعة للكفار وعبّاد الأصنام أمّا المؤمنين فسيتمتَّعون يوم القيامة بشفاعة مستجدّة أخرويَّة.

ويؤكِّد هذا قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١] فلا شكَّ أن الذين يخافون أن يُحْشَرُوا إلى ربِّهم هم من المؤمنين الموحِّدين، ومع ذلك بيَّن تعالى بكل وضوح أنه ليس لديهم ذلك اليوم -أي يوم القيامة - وليٌّ ولا شفيعٌ.

ويدلُّ عليه كذلك قوله تعالى بعدها: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام:٧٠]. ففي كل تلك الآيات تم نفي الشفاعة بشأن الإنقاذ من العذاب الأخروي المستحق على نحو لم يترك لطامع أيَّ مطمعٍ وعلى نحوٍ يجعل المؤمنين يائسين من هذا الباب كلياً.

نعم إن ما يتمسك به مدّعو الشفاعة بشأن الجزاء الأخرويّ هو ما جاء من استثناء عقب بعضِ الآيات القرآنية النافية للشفاعة كقوله تعالى في سورة مريم: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم:٨٦-٨٧]، مع أن هذه الآية ذاتها تنفي الشفاعة، لأن الاستثناء الذي جاء في آخرها هو إما استثناء منقطعٌ والكلام بعده

مستأنف معناه: لا يملكون الشفاعة ولا أحد ينقذهم ولا ينجو أحدٌ إلا من كان لديه عهدٌ عند اللهُ أن ينقذه من العذاب. وهذا العهد هو الذي قطعه الله على نفسه لأبناء آدم أن ينقذ من النار كلَّ من كان منهم موحداً صالحاً مُتَّبعاً لهداية رُسُلِهِ فقال: ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦١](١).

أو يكون الاستثناء حقيقياً والمقصود به أنه إذا كان لدى المجرمين عهد فهذا سينقذهم ولكن لا وجود لمثل هذا العهد، وفي هذا إشارة إلى العهد الذي يدعيه المؤمِّلُون بالنجاة دون وجه حق وهو الذي ذكره الله تعالى في سورة البقرة حين قال: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٨٠] أي أنه لو كان لكم عند الله عهدٌ بأنكم مهما عصيتم وارتكبتم من الآثام فإن الأنبياء والأولياء والملائكة سيشفعون لكم فتغفر لكم ذنوبكم ولا تُعذبون إلا أياماً معدودة، فإن الله سيفي بعهده ولكن الله لم يعط أحداً مثل هذا العهد.

والواقع أن القرآن الكريم ردّ مسألة الشفاعة (بمعنى التدخل في الآخرة لرفع العذاب عن مستحقيه) ردّاً شديداً كما بينّاه إلى حدّ أنه لمّا نقل لنا قول الكفار في تبريرهم عبادة الملائكة بوصفها شفعاءهم عند الله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، ردَّ ادعاءهم فوراً بقوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]، أي أن الله تعالى لم يضع في ملكه نظام وجود شفعاء يتوسطون لرفع العقاب عن مستحقيه..... وهذا مَثَلُه كمثل من يخبرك بأن الشخص الفلاني شريك لك في بيتك وأثاثك فتجيبه وأنت الأعلم بأمور ممتلكاتك بأن لا علم لك بذلك! ثم يبين تعالى أنه منزه عن اتخاذ الشركاء مما يُنبئُ أن من يعبد سواه بوصفه

---

(١) ربما كان الأولى أن يستشهد المؤلف هنا بقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨]. (المترجم)

من الشفعاء قد ارتكب الشرك وجعل لِلَّه شركاء في أمره. وهذا عين ما يقع فيه جُهَّال الشيعة وغلاتهم بأئمتهم وبعض أتباع المذاهب الأخرى برؤسائهم الدينين.

حقيقة الشفاعة الصحيحة ومفهومها في الكتاب والسنة

تُبيِّنُ بعضُ الآيات الكريمة في القرآن أن أمر الشفاعة موكول إلى إذن الله الذي يأذن بها بحق من رضي عنه أي المؤمنين الموحدين وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩] ونلاحظ أن كلمة تنفع فعل مضارع في حين كلمة أذن فعل ماضي أي أن الشفاعة لا تنفع في ذلك اليوم (أي يوم القيامة) إلا بحق الأشخاص الذين أذن لهم الله تعالى من قبل ورضي قولهم. وفي سورة سبأ يقول تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣] حيث يؤكد تعالى في هذه الآية أيضاً أن الشفاعة لا تنفع عنده إلا لمن سبق أن أَذِنَ له بها، ويوضح تعالى في موضع آخر مَنْ هُم هؤلاء الذين أَذِنَ لهم بالشفاعة فيقول: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦] ونحوه قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨]

أي أن الشفاعة إنما أذن بها الله بها لمن شهد بالحق ورضي قوله ممن يعلم حدود الشفاعة ووظائفها، وممن لا يسبق الله تعالى بالقول بل يعمل بأمره وينفذ مشيئته فلا يشفع إلا لمن أراد الله منه أن يشفع له، وهم من ارتضاه الله تعالى، ومن الواضح تماماً أن الذين يرتضيهم الله هم عباده المؤمنون الموحدون الخائفون منه الذين أسلموا له ووطَّنوا أنفسهم وبنوا حياتهم على أن يطيعوا أوامره وينتهوا عن نواهيه!

فإن قيل لقد نفت الآيات المذكورة سابقاً الشفاعة يوم القيامة وهنا أثبتتها ضمن الإذن الإلهي

للشافع والرضا بشأن المشفوع له، فهل ثمة اختلاف وتناقض في هذا الأمر؟!

قلنا: لا تناقض في ذلك على الإطلاق وسنوضح هذا الأمر بالاستعانة بتوجيهات القرآن الكريم وهدايته التي تشكل مدد العقل والوجدان السليم إن شاء الله.

ذكرنا فيما سبق أن كتابنا السماوي المجيد لا توجد فيه حتى آية واحدة أو إشارة واحدة إلى «شفاعة» تحصل يوم القيامة من إنسان من بني آدم - نبيّ أو غير نبيّ- لإنسان أو أناس آخرين بهدف رفع الجزاء الأخروي أو تخفيفه، وكل الآيات التي وردت فيها كلمة «الشفاعة»- سواء كانت تثبتها أو تنفيها - ناظرةٌ إلى شفاعة الأصنام التي كانت آلهة معبودة للمشركين أو إلى الملائكة المدبِّرة لشؤون الخلق والمتصرِّفة بأمور السموات والأرض طبقاً لأمر الله ومشيئته، وهاتان الطائفتان (الأصنام المعبودة والملائكة) كلاهما ليس من الإنس؛ فبالتأمل الدقيق والتعمّق في آيات القرآن الكريمة يتبين أنه لم تأت كلمة «الشفاعة» أومشتقاتها في الكلام عن إنسان «يشفع» يوم القيامة لإنسان آخر لينقذه من العذاب، والآيات الوحيدة التي يمكننا أن نستنبط منها شفاعة إنسان لإنسان آخر هي الآيات التي ورد فيها استغفار المؤمن للمؤمنين سواء كان المؤمنُ المستغفِرُ نبياً أو غير نبيّ، فشفاعة الإنسان للإنسان هي هذا الأمر فقط! وحتى شفاعة الملائكة أيضاً هي في الواقع استغفار للمؤمنين أي طلبٌ لمغفرة ذنوبهم والرحمة بهم.

وهذا المعنى يدل عليه - إضافة إلى العقل والوجدان - صريح آيات الكتاب كما سيأتي بيانه، ونصوص الأحاديث الصحيحة التي رواها الفريقان كما يلي:

١- جاء في كتاب «الأمالي» للشيخ الصدوق عليه الرحمة بسنده «عن الحسين بن علوان عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عن آبائه قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ: ما من مؤمن أو مؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة إلا وهم شفعاء لمن يقول في دعائه: «اللهم اغفِر للمؤمنين والمؤمنات». وإن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب فيقول

المؤمنون والمؤمنات: يا ربنا! هذا الذي كان يدعو لنا فشفَّعْنا فيه فيشفِّعُهُم الله فيه فينجو.»[١].

فشفاعة المؤمنين لبعضهم بعضاً هي استغفارهم لبعضهم بعضاً ومنه استغفار المؤمن لأربعين مؤمن في صلاة الليل أي شفاعته لأربعين مؤمن، كما جاء استحباب ذلك في الأخبار.

٢- وروى الصدوق في «علل الشرائع» و«عيون أخبار الرضا» عن الفضل بن شاذان فيما رواه من العلل عن الرضا عليه السلام قال: «فإن قيل فَلِمَ أُمِرُوا بالصلاة على الميت؟ قيل ليشفعوا له ويدعوا له بالمغفرة لأنه لم يكن في وقت من الأوقات أحوج إلى الشفاعة فيه والطلبة والدعاء والاستغفار من تلك الساعة..»[٢]

أجل لمّا أصبح الميت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وكان المؤمنون الأحياء عالمين بأعماله وأخلاقه فإنهم يسألون له المغفرة والرحمة فهذا هو مقصود حضرة الإمام من الشفاعة أي أن حسن الأعمال دافع لاستغفار المؤمنين له.

٣- ويقول المرحوم «الطريحيّ» في «مجمع البحرين» ذيل كلمة «شفاعة»: المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم.

وفي حديث الصلاة على الميت «وإن كان المستضعف بسبيلٍ منكَ فاستغفرْ له على وجه الشفاعة منك لا على وجه الوَلاية.». ويقصد بالمستضعف غير الشيعيّ أي أنك تستغفر له لأنه مسلم فتشفع له بهذا الاستغفار.

---

(١) الشيخ الصدوق، كتاب الأمالي، ص ٤٥٦. والحديث رواه الكُلَيْنِيُّ في كتاب «الكافي» بلفظ قريب كما يلي: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ دَعَا لِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الَّذِي دَعَا لَهُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ مَضَى مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ أَوْ هُوَ آتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُسْحَبُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ يَا رَبُّ هَذَا الَّذِي كَانَ يَدْعُو لَنَا فَشَفِّعْنَا فِيهِ فَيُشَفِّعُهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِيهِ فَيَنْجُو). «الكافي» (ج٢/ ص ٥٠٧). (المترجم)

(٢) الشيخ الصدوق، «علل الشرائع»: ١- باب علل الشرائع وأصول الإسلام، ج١/ ص٢٦٧، و«عيون أخبار الرضا»، ج٢/ ص ١١٣.

٤- ويروي الملّا الفيض الكاشاني في تفسير «الصافي» ذيل تفسيره للآية الكريمة ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥] حديثاً من أصول الكافي عن حضرة زين العابدين بن علي بن الحسين عليهم السلام يؤيد المعنى الذي ذكرناه للشفاعة بأنها الاستغفار.

٥- ويروي الشيخ الصدوق في «من لا يحضره الفقيه»، في بَاب الصَّلاَةِ عَلَى المَيِّتِ حديثاً عن الصادق عليه السلام هو ذلك الحديث ذاته الذي أشار إليه الطريحيّ بأنَّ الشفاعة هي دعاء المؤمنين لبعضهم بعضاً، جاء فيه: «..وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَضْعَفُ مِنْكَ بِسَبِيلٍ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ عَلَى وَجْهِ الشَّفَاعَةِ مِنْكَ لَا عَلَى وَجْهِ الْوَلَايَةِ»[١].

٦- ويروي الشيخ «الكُلَيْنِيُّ» في كتاب «الكافي»/ بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ، بسنده «عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فِي الصَّلَاةِ عَلَى الجَنَائِزِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ هَذِهِ النَّفْسَ وَأَنْتَ أَمَتَّهَا تَعْلَمُ سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا أَتَيْنَاكَ شَافِعِينَ فِيهَا فَشَفِّعْنَا اللَّهُمَّ وَلِّهَا مَنْ تَوَلَّتْ وَاحْشُرْهَا مَعَ مَنْ أَحَبَّتْ.»[٢].

٧- وفي الكتاب ذاته، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِ وَعَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ بسنده «عَنْ ثَابِتٍ أَبِي الْمِقْدَامِ قَالَ كُنْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَإِذَا بِجَنَازَةٍ لِقَوْمٍ مِنْ جِيرَتِهِ فَحَضَرَهَا وَكُنْتُ قَرِيباً مِنْهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ هَذِهِ النُّفُوسَ وَأَنْتَ تُمِيتُهَا وَأَنْتَ تُحْيِيهَا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسَرَائِرِهَا وَعَلَانِيَتِهَا مِنَّا وَمُسْتَقَرِّهَا وَمُسْتَوْدَعِهَا اللَّهُمَّ وَهَذَا عَبْدُكَ وَلَا أَعْلَمُ مِنْهُ شَرّاً وَأَنْتَ أَعْلَمُ

---

(١) الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ج١/ ص١٦٨، ورواه الكُلَيْنِيُّ في «الكافي»/ بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِ وَعَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ، بسنده عن الإمام أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «إِنْ كَانَ مُسْتَضْعَفاً فَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَإِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي مَا حَالُهُ فَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ يُحِبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَتَجَاوَزْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَضْعَفُ مِنْكَ بِسَبِيلٍ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ عَلَى وَجْهِ الشَّفَاعَةِ لَا عَلَى وَجْهِ الْوَلَايَةِ» الكافي، ج٣/ ص١٨٧.

(٢) الكُلَيْنِيُّ في «الكافي»، ج٣/ ص١٨٥.

بِهِ وَقَدْ جِئْنَاكَ شَافِعِينَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَإِنْ كَانَ مُسْتَوْجِباً فَشَفِّعْنَا فِيهِ وَاحْشُرْهُ مَعَ مَنْ كَانَ يَتَوَلَّاهُ»(١).

٨- ويروي صاحب «جواهر الكلام» في كتاب الصلاة نقلاً عن «من لا يحضره الفقيه»/ باب الصلاة على الميت حديثاً عن حضرة الإمام الباقر عليه السلام يقول فيه: «مَنْ تَبعَ جَنَازَةَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعَ شَفَاعَاتٍ ولَمْ يَقُلْ شَيْئاً إِلَّا قَالَ لَهُ الْمَلَكُ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ»(٢).

٩- ويقول العلامة الحليّ رحمة الله عليه في «تذكرة الفقهاء» (ص٤٥): «والصلاة على الميِّت استغفارٌ وشفاعةٌ»، ويؤيِّدُ ذلك الحديثُ الذي أورده المرحوم الشهيد الأول في كتابه «الذكرى» عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «إمَامُكَ شفيعُك إلى الله عزّ وجلّ فلا تجعل شفيعَك سفيهاً ولا فاسقاً».

١٠- ويروي المرحوم الحاج النوري الطبرسيّ في «مستدرَك الوسائل» (ج٢/ ص٢٩٢): «الشَّرِيفُ الزَّاهِدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيُّ فِي كِتَابِ التَّعَازِي، بِإِسْنَادِهِ عَنْ صَالِحِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ يَقُولُ: لَا يُصَلِّي عَلَى رَجُلٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا فَيَشْفَعُونَ فِيهِ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ».

تلك كانت عشرة روايات من كتب الحديث لدينا تشعر بأن شفاعة المؤمنين بحق بعضهم بعضاً وشفاعة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) بحق الأمّة هي الاستغفار الذي يتم في هذه الدنيا ويتجسّم في الآخرة فينتفع منه المشفوع له، وهناك أحاديث أخرى كثيرةٌ تدلّ على هذا المعنى نكتفي بما ذكرناه، وقد جاءت روايات في كتب العامّة في نفس المعنى وسنذكر فيما يلي نماذج منها ليتيقَّن القارئُ أن الشفاعة التي تنفع في الآخرة هي الشفاعة ذاتها التي تتم بحق شخص في هذه الدنيا ويستحقها ذلك الشخص:

١- أخرج مسلم في صحيحه: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ

---

(١) الكُلَيْنِيُّ في «الكافي» ج٣/ ص١٨٨.

(٢) الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ج١/ ص١٦١، حديث رقم٤٥٣. ورواه الكُلَيْنِيُّ في «الكافي»/ بَابُ ثَوَابِ مَنْ مَشَى مَعَ جَنَازَةٍ، ج٣/ ص١٧٣.

فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ النَّاسِ قَالَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَخْرِجُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللهُ فِيهِ»(١).

٢- وأخرج النسائي في السنن بسنده: «عَنْ أُمِّ المؤمنين عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً يَشْفَعُونَ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ. قَالَ سَلَّامٌ فَحَدَّثْتُ بِهِ شُعَيْبَ بْنَ الْحَبْحَابِ فَقَالَ حَدَّثَنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ»(٢).

٣- وأخرج مسلم في صحيحه بسنده «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيعِ عَائِشَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ. قَالَ فَحَدَّثْتُ بِهِ شُعَيْبَ بْنَ الْحَبْحَابِ فَقَالَ حَدَّثَنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ»(٣).

٤- وأخرج النسائي في سننه بسنده «عن إِسْحَقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَوَاءٍ أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكَّارٍ الْحَكَمُ بْنُ فَرُّوخَ قَالَ صَلَّى بِنَا أَبُو الْمَلِيحِ عَلَى جَنَازَةٍ فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ كَبَّرَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَلْتَحْسُنْ شَفَاعَتُكُمْ قَالَ أَبُو الْمَلِيحِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ وَهُوَ ابْنُ سَلِيطٍ عَنْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ مَيْمُونَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: أَخْبَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ، فَسَأَلْتُ أَبَا الْمَلِيحِ عَنْ الْأُمَّةِ فَقَالَ أَرْبَعُونَ». ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده: ج٦/ ص ٣٣١ و٣٣٤.

٥- وأخرج ابن ماجه في سننه والإمام أحمد في مسنده بسندهما «عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هَلَكَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ لِي: يَا كُرَيْبُ! قُمْ فَانْظُرْ هَلْ اجْتَمَعَ لِابْنِي أَحَدٌ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ: وَيْحَكَ كَمْ تَرَاهُمْ أَرْبَعِينَ؟ قُلْتُ: لَا بَلْ هُمْ أَكْثَرُ. قَالَ: فَاخْرُجُوا بِابْنِي فَأَشْهَدُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز/ باب من صلى عليه أربعون شُفِّعُوا فيه.

(٢) سنن النسائي، كتاب الجنائز/ باب فضل من صلى عليه مائة. (المترجم)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز/ باب من صلى عليه مائة شُفِّعوا فيه. (المترجم)

لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ أَرْبَعِينَ مِنْ مُؤْمِنٍ يَشْفَعُونَ لِمُؤْمِنٍ إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللهُ»[١].

فهذه الأحاديث التي يتفق عليها جميع أئمة الحديث من أهل الإسلام تُظهر أن الشفاعة هي الاستغفار الذي يؤديه المؤمنون لشخص مؤمن لاسيما أثناء صلاة الجنازة على الميت وذلك لأنهم في الدنيا يشهدون أعمال بعضهم البعض ويفرّقون إلى حد ما بين الصالح والطالح فيطلبون الغفران والرحمة لمن يجدوه أهلاً لذلك أي يشفعون له.

ولقد تفطَّن إلى ذلك العلامة فخر الدين الرازي - من علماء العامَّة- في تفسيره الكبير «مفاتيح الغيب» (ج١/ ص٣٥) فقال: «قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩] دلَّت الآية على أنه تعالى أمَرَ محمداً بأن يستغفرَ لكلِّ المؤمنين والمؤمنات......... ولا معنى للشفاعة إلا هذا»، أي فذلك الاستغفار الذي أمر الله تعالى به نبيَّه هو شفاعته للمؤمنين.

وهذه الحقيقة تؤيدها وتبيِّنُها الروايات الواردة عن أئمة الإسلام: فقد روى المرحوم الشيخ الطوسي في تفسيره القيّم «التِبيان» (ج١/ ص٤٤٣، طبع طهران): ذيل تفسيره للآية الكريمة سورة النساء التي تقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤]: «.... وذكر الحسن في هذه الآية: أن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم، فأخبره الله بذلك، وقد دخلوا على رسول الله، فقال رسول الله: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمرٍ من النفاق، وائتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربهم، وليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم. فلم يقم أحد!. فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): ألا تقومون؟ مراراً. ثم قال: قم يا فلان وأنت يا فلان، فقالوا يا رسول الله! نحن نستغفر الله ونتوب إليه، فاشفع لنا. قال الآن أنا كنت في أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، وكان الله تعالى أسرع إلى الإجابة أخرجوا عني،

(١) سنن ابن ماجه/ كتاب ما جاء في الجنائز/ باب فيمن صلى عليه جماعة. (المترجم)

فأُخْرِجُوا عنه حتى لم يرهم.»(١)

فهذه القصَّة دليلٌ واضحٌ على أن الشفاعة هي الاستغفار، وليس في الآخرة بل الاستغفار في هذه الدنيا، كما تشير إليه بعض الأحاديث الشريفة، لا بل تصرّح بأن نبيَّ الإسلام (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) إنما يشفع للمؤمنين الذين رضي الله عنهم في الدنيا وليس يوم القيامة وإن كانت نتيجة تلك الشفاعة ستعود فائدتها إلى المشفوع له يوم القيامة، ومن جملة ذلك ما رواه علي بن إبراهيم القمي (أستاذ الكُلَيْنِيّ) في تفسيره ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ بسنده عن الإمام عليه السلام أنه قال: «قال لا يشفع أحدٌ من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) فإن الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللأئمة من ولده، ثم بعد ذلك للأنبياء عليهم السلام»(٢). وسنوضح هذه النقطة أكثر فيما بعد إن شاء الله.

وهناك نوعان من الشفاعة في القرآن الكريم كلاهما يتم بالطبع بإذن الله تعالى:

١- الشفاعة في الأمور الطبيعية وشؤون الخليقة التي تتم بواسطة القوى التي أَوْكَلَ اللهُ تعالى إليها بعض المهام في تدبير شؤون العالم، مثل الإحياء والإماتة والمطر والقحط والوفرة والمرض والصحة وغيرها، وهي الشفاعة ذاتها التي كان يعتقد بها المشركون والوثنِيُّون ويلتمسونها من أوثانهم وملائكتهم والموجودات الروحانية والسماوية حيث يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله ليعينهم في القضايا المذكورة، وعلى كل حال مثل تلك التصرفات للملائكة وقوى العالم الروحاني رغم أنها موجودة في عالم الإمكان إلا أنها لا تتصرف في شؤون الكائنات إلا بإذن خالق البريات وأمره كما مرَّ معنا في الآيات سابقة الذكر (فلا يجوز دعائها لأجل ذلك بل يجب أن يُدعى الله وحده الذي بيده ملكوت كل شيء).

٢- الشفاعة في أمور الآخرة أي في غفران الذنوب والتجاوز عن السيئات ورفع الدرجات

---

(١) الشيخ الطوسي، «التبيان»، ج ٣/ ص ٢٤٤. (المترجم)

(٢) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ط٣، قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤ هـ، ج٢/ ص٢٠٢.

يوم القيامة، والقرآن ينفي حصول مثل هذه «الشفاعة» بهذا اللفظ والمسمَّى يوم القيامة ويؤكد مراراً أنَّ يومَ المحشر يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلّةٌ ولا شفاعةٌ كما جاء في عديد من الآيات التي سبق ذكر بعضها.

نعم يذكر القرآن شفاعةً يمكنها أن تنفع بعض المؤمنين يوم القيامة وهم المؤمنون الذين رضي الله عنهم وأَذِنَ بأن يُشفع لهم، لذا يقوم النبيُّ أو الملائكة بالاستغفار للمؤمنين حال حياتهم في هذه الدنيا مما ينفعهم في الآخرة وينجيهم من عذابٍ موعودٍ أو يخففه عنهم، أو يوجب رفع درجاتهم في الجنة، ولكن مثل هذه الشفاعة مشروطة بثلاثة شروط وتعتمد على ثلاثة أصول:

- الشرط الأول: أن يكون المشفوع له من المؤمنين لأن الاستغفار لغير المؤمنين لا فائدة منه إطلاقاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

- الشرط الثاني: أن يكون المشفوع له -إضافةً إلى كونه مسلماً ومؤمناً- مستحقاً للشفاعة ولائقاً بها وبالتالي أن يرتضيه الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ كما قال سبحانه: ﴿...وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] و﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه:١٠٩].

- الشرط الثالث: أن هذه الشفاعة موقوفةٌ على إذن الله تعالى ومشيئته كما أشارت إليه الآية الأخيرة وكما تشير إليه آيات عديدة أخرى كقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ...﴾ [سبأ:٢٣].

فالشفاعة يوم القيامة لا تنفع إلا من تحققت فيه الشروط الثلاث المذكورة.

أما الأصول الثلاثة لشفاعة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لأفراد الأمة أو شفاعة المؤمنين

لبعضهم البعض فهي: (١) المؤمن (٢) المأذون بالشفاعة (٣) مورد الشفاعة

الأصل الأول: الإيمان، أي إيمان المشفوع له، وتدل عليه آياتٌ عديدةٌ كقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد:١٩]، وقوله سبحانه: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٦٢] وقوله تعالى: ﴿ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ ﴾ [الممتحنة:١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٣].

وفي مقابل ذلك نهى الله نبيه عن الاستغفار للمشركين أو الكفار والمنافقين كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]، وقوله تعالى قبل ذلك في السورة ذاتها: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤].

وأما الأصل الثاني والثالث فقد دلت عليهما الآيات المذكورة ذاتها لأن إِذْنَ الله تعالى هو أمره لنبيه بالاستغفار للمؤمنين وأمره للمؤمنين بالاستغفار لإخوانهم والمؤمن لا بد أن يكون مرضياً من الله وقابلاً للشفاعة ومستحقاً لها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنه في كل موضع في القرآن الكريم أُوكل فيه أمر الشفاعة لإذن الله جاءت لفظة الإذن بصيغة الفعل الماضي أي «أَذِنَ» حتى لو كانت كلمة «شفع» أو «نفعها» بالمضارع، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩] و﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ:٢٣].

فالآيتان تدلان أن الشفاعة لا تنفع إلا لمن سبق له الإذن من الله وهذه هي الحقيقة ذاتها التي بيناها من أن الشفاعة هي التي أَذِنَ اللهُ بها وأَمَرَ بها خلال الحياة الدنيا وقام بها النبي والمؤمنون

وظهر نفعها في الآخرة، وإلا فإن حصول شفاعة متجدِّدة يوم القيامة بتلك الصورة التي تصورها المغرورون لا وجود لها. هذا ومن الجدير بالذكر أنه ربما تمت مثل هذه الشفاعة في الدنيا مِنْ قِبَلِ النبيِّ أو المؤمنين أو الملائكة لأشخاصٍ ظاهرهم غير باطنهم أي ما كانوا جديرين بها، فهؤلاء لن ينتفعوا بها يوم القيامة، كما جاء في عدد من آيات الكتاب الحكيم كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠]، وقوله عز من قائل: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون:٦].

إذَنْ من الممكن أن يستغفر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والمؤمنون لمن ظاهره الإيمان دون أن يعلموا ما في باطنه من الكفر، فمثل هذا الاستغفار والشفاعة لن تجدي ذلك المنافق نفعاً كما لم تجدِ شفاعة نوح عليه السلام لابنه ولا شفاعة إبراهيم عليه السلام لأبيه (قبل أن يتبين له موته على الكفر فيتبرأ منه).

وكما ذكرنا سابقاً لم يأتِ في كتاب الله تصريحٌ واضحٌ ولا حتى لمرة واحدة بأن عمل «الشفاعة» سيقوم به، يوم القيامة، إنسانٌ من بني آدم – أيّاً كان– للناس الآخرين، بل كل ما جاء من ذكر لكلمة «الشفاعة» إنما كان الكلام فيه عن الملائكة سواء كان التشفّع لأجل الأمور الدنيوية أو يوم القيامة للأمور الأخروية. وتوضيح ذلك كما يلي:

ذكرنا سابقاً الآيات القرآنية الكريمة التي تثبت شفاعة الملائكة في أمور الخليقة وأما شفاعتهم في أمور المعاد والآخرة فقد جاءت في القرآن الكريم آياتٌ تؤيد تلك الشفاعة كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ

مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

فالشاهد أن لفظة «الشفاعة» لم تأت في القرآن الكريم إلا للملائكة سواء كانت شفاعتهم في أمور الخليقة أم في أمور يوم القيامة مع العلم أن كلا النوعين من الشفاعة موقوف على الإذن السابق لله تعالى ومشيئة ربّ العالمين.

وشفاعة الملائكة في أمور الآخرة هي استغفارهم للمؤمنين وليس كما يظنه المشركون الغلاة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر:٧]، وقوله سبحانه: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى:٥].

فالتَشَفُّعُ يتمُّ بواسطة الاستغفار وطلب العفو والرحمة. وهنا تجدر الإشارة إلى نقطتين:

الأولى: أن شفاعة الملائكة لأهل الأرض نابعة من فطرة الملائكة التي هي الخير المحض فلا تريد الملائكة لأهل العالم إلا كل خير وصلاح وهناك عدة روايات تؤيد هذا المعنى.

الثانية: أنَّ الملائكةَ المقربين من الله مثلَ حملة العرش والذين هم حول العرش، لا يستغفرون إلا للمؤمنين أما الملائكةُ الآخرونُ فيستغفرونَ لعامَّة أهل الأرض رغم أن استغفارهم هذا لن ينفع إلا من ارتضاهم الله من العباد وهو المعنى الذي يُستَنبط من الآية ٢٦ من سورة النجم: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦] ومن قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨].

وإذا اتضحت هاتان النقطتان فإنَّ هناك عدة أمور تنتج عنهما هي التالية:

١- لا وجود أبداً للشفاعة بذلك المعنى الذي يعتقده الغلاة يوم القيامة من أن النبي أو الإمام سيحتم على الله يوم القيامة بما له من الجاه العظيم عنده سبحانه، فيشفع للمجرمين والعصاة المصرين على كبائر الآثام والمستحقين لوعيد الله وعذابه ويضمن لهم بذلك رفع العذاب

وينقذهم من نتائج أعمالهم، بل حتى شفاعة الصالحين لا تتم في مثل ذلك اليوم إذا لم تكن قد تمّت من قبل، أي إذا لم يكن قد أذن الله بها من قبل! وما جاء خلاف ذلك من روايات وأخبار فهو من نسج خيال الوضاعين الذين أغوتهم شياطين الإنس والجن ليجرِّئوا المجرمين والمترفين على معصية الله وتجاوز حدوده ويسوقوا أمة الإسلام بذلك إلى مهاوي الذل والهوان كما حصل ذلك فعلاً!.

٢- استُعملت كلمة الشفاعة في القرآن الكريم -سواء كانت الشفاعة يوم المعاد أو الشفاعة في أمور الدنيا- بشأن الملائكة الذين وظَّفهم الله تعالى بالقيام ببعض أمور الخليقة والطبيعة، وهؤلاء لا يمكنهم أن يقوموا بعمل من الأعمال التي أوكلت إليهم دون إذن ومشيئة من الله ودون حول الله وقوته فليس لهم استقلال في أي أمر من الأمور ولا لهم اعتماد على إرادتهم المستقلة في أي شيء من الأشياء.

وأما شفاعتهم في أمر الآخرة فهو الاستغفار للمؤمنين أو لعامة أهل الأرض الذي يتم في الحياة الدنيا وأمره موكولٌ إلى الله إن شاء قبله وإن شاء لم يقبله.

٣- لا توجد في القرآن الكريم آيةٌ تنصُّ بصراحةٍ على وجود شفاعة الإنسان للإنسان يوم القيامة وفائدتها له، سواء كان الشفيع نبياً أو إماماً أو مؤمناً، بل إن آيات الكتاب تنكر مثل هذه الشفاعة وتؤكد أن ذلك اليوم لا تملك فيه نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمرُ يومئذٍ لِلَّهِ وحدَه وأن ذلك اليوم لا تنفعُ فيه شفاعةٌ ولا يغني فيه أحدٌ عن أحدٍ بل كلُّ نفسٍ ستكونُ رهينةً لأعمالها التي كسبتها في هذه الحياة الدنيا، وإذا أردنا أن نستنبط من القرآن الكريم إرادة خير وتشفُّع يقوم به إنسان لإنسان آخر فسنجد أنه الاستغفار الذي قام به النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لبعض المؤمنين من أمته عملاً بأمر الله تعالى أو هو استغفار المؤمن للمؤمن وطلب الرحمة له في هذه الدنيا التي هي دار عمل ومحل عبادة وطاعة، أما غير ذلك فلا يجرؤ أحد يوم القيامة على الكلام أمام الله تعالى وحمله على تغيير حكمه وثنيه عن إنزال ما أوجبه من عذاب على مستحقيه من العباد كُلٌّ بحسب أعماله، كيف وهو يعلم أنه لن تنفع أحد شفاعةٌ ولن يُؤخذ من أحدٍ فديةٌ ولا هم

يُستعتبون، بل كل امرئ سيكون مشغولاً بنفسه وغافلاً عن غيره.

٤- ليس قبولُ الله تعالى للشفاعةِ والاستغفارِ الذي تقوم به الملائكة أو النبيُّ والمؤمنون للآخرين ليس حتمياً إلا إذا وقع على مستحقه أي كان المشفوع له مؤمناً صادق الإيمان مرضياً من الله، وذلك لأن الملائكة حاملي العرش وكذلك الأنبياء والمؤمنين لا يعلمون على نحو اليقين أن من يستغفرون لهم مؤمنون مرضيون من الله، خاصة أن الملائكة حسب فطرتهم ملهمون إلى الخير المحض فلا يظهر منهم إلا تمني كل خير لكل أهل الأرض، على عكس الشياطين الأشرار بطبيعتهم فلا يريدون لأهل الأرض إلا الشرّ والسوء، فاستغفار أولئك الملائكة مَثَلُهُ مثل مطر الرحمة الذي يهطل على الأرض ولكن لا تنتفع منه إلا الأرض الخصبة كذلك استغفارهم لا ينتفع منه إلا من كان جديراً به وقابلاً له، وكذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ الذي أكد لنا القرآنُ الكريمُ أنه لا يعلم الغيب ولا يعلم جميع المنافقين من أهل المدينة وما حولها كما قال سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١]، قد يستغفر لأناس مردوا على النفاق لكن شفاعته هذه لن تفيدهم شيئاً لأنهم ليسوا ممن ارتضاه الله.

٥- إن هذه الشفاعة الصحيحة التي أوضحناها تستلزم أن يسعى كل مؤمن يرجو الخلاص يوم القيامة للإكثار ما استطاع من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة لكي يستحق استغفار الملائكة والمؤمنين ويكون جديراً بشفاعتهم وطلبهم من الله تعالى الرحمة له ولكي يقبل الله تعالى استغفارهم وشفاعتهم في حقِّه ويتغمده برحمته ومغفرته.

٦- ومثل هذه الشفاعة هي في الحقيقة نتيجةٌ لعمل الإنسان ذاته الذي يصبح من خلال تكراره للأعمال الصالحة ومداومته على الأخلاق الفاضلة مستحقاً لنيل مثل هذا الفيض وذلك خلافاً للشفاعة بمفهومها الخاطئ التي تورث الغرور والتي يتصور صاحبها أنَّ تقرّبه ومغالاته بحق النبي أو الإمام ستنيله شفاعتهما التي ستقبل حتماً ولو كان المشفوع له من الآثمين المجرمين الذين لم يكونوا يراعون لِـلَّهِ حرمةً ولا يتورَّعون عن الكبائر والموبقات وماتوا مصرِّينَ عليها،

والذين مصيرهم الذي يستحقونه في الأساس أن يكونوا حطباً لجهنَّم! فلعمري ما ظنّ أولئك إلا غرورٌ من الشيطان.

٧- إن شفاعة الملائكة والنبي والمؤمنين التي وصفناها بأنها الاستغفارُ للمؤمنين في الدنيا، تتجسم يوم القيامة الذي تتجسم فيه الأعمال، فيظهر الشفعاء والمشفوع لهم في عرصات القيامة، سواء الذين قُبلت الشفاعة فيهم أو الذين لم تقبل، وهنا يتحسر المنافقون والمجرمون الفاجرون على عدم قبول شفاعة النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والمؤمنين بشأنهم وهو ما تشير إليه الآية التي سبق وأوردناها من سورة المدثر في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨].

لقد ظهر مما بيناه وأوضحناه أن الشفاعة الرائجة اليوم على ألسنة وأفواه خطباء المنابر لا أساس لها من الحقيقة وهي الغرور الشيطاني ذاته الذي كان في الأديان الباطلة المنسوخة قبل الإسلام كاليهودية والمسيحية وغيرها والتي روجها الشيطان بين أتباعها ليضلهم عن سبيل الله واتبع سننها كثيرون في أمة الإسلام وكانت نتيجة ذلك ما نعلمه ونشهده من ذلّة وانحطاط نتيجة لإتباع الشهوات وتعدي حدود الله والتخلف عن أوامره وانتهاك محرماته مما هو مشهود بين المسلمين عامة وبين الشيعة خاصة الذين راج فيهم كثيراً هذا المفهوم المنحرف للشفاعة الذي يورث الغرور.

إن الشفاعة التي جاءت في الإسلام وبينها القرآن لا تجرِّئ أحداً على المعصية ولا تورثه الغرور وليس هذا فحسب بل هي بحد ذاتها أفضل دافع ووسيلة مؤثرة للقيام بالأعمال الصالحة والتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تجعل المؤمن مستحقاً لدعاء إخوانه المؤمنين له بالمغفرة والرحمة والذي يتقبله الله ويساعده إن كانت أعماله الصالحة غير كافية للنجاة من العذاب أو يساعده في رفع درجاته في الجنة.

والنقطة ذات الأهمية البالغة التي تستحق الانتباه الدقيق من القرَّاء الكرام هي ما ذكرناه أنه كلما ذُكرت الشفاعة في يوم القيامة جاء معها كلمة «أَذِنَ» بصيغة فعل الماضي أي أنه لا بد أن يكون الإذن بالشفاعة قد تمَّ إعطاؤه سابقاً حتى ينتفع بها المؤمن وبالتالي فإن ما ينتظره المؤمن يوم

القيامة هو «نفع الشفاعة» وليس «وقوع الشفاعة» والآيات الكريمة تدلُّ على هذا المعنى بوضوح وتصرّح بأنه لن تحصل يوم القيامة شفاعةٌ ولو وقعت -على سبيل فرض المحال- فلن تفيد ولن تُقبَل، وإنما قلنا على سبيل فرض المحال لأن القرآن قرنها بأعمال هي من المحالات ليبيِّنَ لنا أنه حتى وقوع المحالات لن يكون نافعاً ولا مقبولاً، فقرن عدم نفعها بعدم نفع إعطاء الفدية ولا نفع تقديم كل ما لدى الإنسان من مال ولو كان الدنيا وما فيها وبعدم نفع صداقة الخلّان، فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٤٨] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقال: ﴿ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾ [الأنعام:٧٠]. فمن الواضح أنه لا يوجد يوم القيامة تقديم فدية ولا عدل حتى يقبل أو لا يقبل، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] مع أنه لا مال يوم القيامة ولا بنون يمكن تقديمهم حتى ينتفع بذلك الإنسان أو لا ينتفع، أي أن الله يريد أن يقول حتى لو كان هناك بفرض المحال مالٌ أو بنون يوم القيامة أو مجالٌ لتقديم فِدْيَة أو الافتداء بتقديم أموال لدنيا وما فيها أو الاستفادة من شفاعة صديق خليل فإنها لن تنفع ولن تُقبل.

والشفاعة الوحيدة التي تنفع وتُقبل هي أن يرى الله تعال عبده في الدنيا قد قام بالأعمال الصالحة التي جعلته مرضياً عند الله عندئذ تستغفر له الملائكة والأنبياء والمؤمنون أي يطلبون له الغفران والرحمة، وهذا الاستغفار هو الشفاعة التي ستنفعه يوم القيامة وتُوجب غفران سيئاته أو رفع درجاته وأكبر دليل على ذلك هو مجيء الإذن الإلهي بصيغة الماضي أي أنه أعطى الإذن للشفاعة -أي الاستغفار- في الدنيا فظهرت نفعها يوم القيامة.

هنا قد يأتي سؤال أنه قد ورد في بعض آيات القرآن لفظ الإذن بالشفاعة أو الشفاعة نفسها بصيغة المضارع كقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ

ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦] وقوله سبحانه: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فهنا نقول:

فهذه الشفاعات خاصة بالملائكة وهي مستمرة نظراً إلى استمرار توالد بني البشر وتناسلهم على الدوام، مثلما هو استغفار الملائكة للمؤمنين الذي جاء بصيغة المضارع لأنه مستمر، فليس الأمر مربوطاً بالشفاعة بشأن الجزاء يوم القيامة، فلا تناقض ولا اختلاف في آيات الكتاب لمن تأمل من أولي الألباب، بل مطالب القرآن يؤيد بعضها بعضاً ويعضد بعضها الآخر، كالبناء الرفيع المنيع الذي أتقنته يد الخالق ومشيئته، وشاهدته قوة العقل والفهم لدى كل مؤمن واعٍ فقال: تبارك الله رب العالمين. فشفاعة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) مثل رسالته: بشارةٌ وإنذارٌ، ينتفع بها من عمل لها واستحقَّها وإن الله بعباده لخبير بصير.

اعتراضٌ والإجابةُ عنه

يتمسّك بعض القائلين بحصول الشفاعة ووقوعها يوم القيامة بمفهوم المخالفة للآيات التي جاء فيها أن الكفار والمجرمين يتحسّرون يوم القيامة على حرمانهم من الشفيع كما جاء في سورة الشعراء: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء:١٠١]، وكما جاء في سورة غافر: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]، أو يتحسرون على عدم انتفاعهم بشفاعة الشفعاء، كما جاء في سورة المدثر: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، أو على عدم وجود شفعاء لهم كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٣].

فيقولون أن هذه الآيات تدل بمفهوم المخالفة على أن هناك شفاعة للمؤمنين حُرم منها الكافرون، مع أن المتأمل لتلك الآيات ونظائرها يدرك أنه لا مجال لمفهوم المخالفة فيها، ألا نلاحظ أنهم تمنوا أن يكون لهم حميمٌ يُطاعُ، فهل هذا يدل على أن للمؤمنين حميمٌ يُطاع؟ ونلاحظ أنهم تمنوا أن يُرَدُّوا إلى الدنيا ليعملوا غير ما كانوا يعملون فهل هذا يعني أن أهل الإيمان يمكن أن يردوا إلى الدنيا؟

إن نفي فائدة الصديق الحميم ونفي أن يغني شخصٌ عن آخر يوم القيامة عامٌّ لكل الناس وليس خاصاً بالكافرين، ألم يقل الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المعارج:٨-١٠] ثم قال بعدها: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [المعارج:١١-١٥].

فهل هذه الإنذارات خاصّة بالكفار فقط؟! ألم يقل الله تعالى عن جميع الناس يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

فهذه الأمور والأحوال تقع للجميع، وتلك الآمال والأمنيات التي يتمناها الآثمون ويرجون أن يكون لهم شفيع أو حميم مطاع أمنيات مستحيلة لأنه لن يكون هناك يوم القيامة لا شفيعٌ يَشْفَع ولا حميمٌ يَنْفَع ولا فديةٌ تفيد ولا عدلٌ يُؤخذ. وليس أوضح دلالة على ذلك ولا أصرح من قوله تعالى الذي جاء مكرراً في كتابه خطاباً للمؤمنين: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة:١٣٢]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

ويسلم بعض المعترضين ولكن يقول إن أقصى ما تفيده الآيات المذكورة أن هناك شفاعة يوم القيامة ولكنها لن تقبل ولن تنفع. ونقول لهؤلاء إن تلك الآيات التي نفت قبول الشفاعة وفائدتها نفت كذلك قبول العدل (الفدية) وفائدتها، فكلاهما على حدٍّ سواء لن يكون موجوداً ولا حاصلاً يوم القيامة، إذ من البديهي أن لا أحد يقدر على تقديم فدية يوم القيامة ولذلك يتمنى المجرم أن يتمَّ تقديم شخص آخر بدلاً منه فديةً عنه، حتى ولو كان ذلك الآخر أعزّ الناس إليه مثل أبنائه أو زوجته وإخوته: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣﴾ [المعارج:١١-١٣]، والآية التالية من سورة الحديد تصرح بانتفاء أي فدية في ذلك اليوم: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٥]، كما تصرح آيات عديدة بأنه -على فرض المحال- لو أوتي الظالمون أموال الأرض كلها لافتدوا بها أنفسهم ولكن ذلك لن يفيدهم شيئاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ

بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس:٥٤]، وقوله: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [الرعد:١٨]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة:٣٦].

فكما أنه لا مجال لتقديم فدية ولن تنفع لو قُدِّمت فكذلك كلمة الشفاعة التي جاءت مجاورة لها ومنفية مثلها لا مجال لوجودها، ولو وجدت على فرض المحال فلن تنفع لذا يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

فبهذا البيان يتَّضح كيف أنه لا يوجد أي تناقض في آيات القرآن الكريم. والشفاعة بالصورة التي بينَّاها موجودةٌ وصحيحةٌ عقلاً ونقلاً، أما القائلون بوجود شفاعةٍ جديدةٍ تحصل يوم القيامة بشأن رفع العذاب الأخروي عن مستحقِّيه، فإنهم يقعون في تناقض صريح فمن ناحية يجدون في القرآن نفياً واضحاً وصريحاً للشفاعة، كما يجدون وقفَ الشفاعة على إذن الله، ومن الناحية الأخرى يريدون أن يستنبطوا من أمل الكافرين المجرمين بشفيعٍ يساعدهم -استناداً إلى مفهوم المخالفة- إلى أن المؤمنين سيكون لهم شفيع يساعدهم، وبالتالي يفتحون باب سوق الشفاعة للعصاة المجرمين على مصراعيه! وتناقضهم الآخر هو أنهم من جهة يُقِرُّون بوعيد الله للمجرمين والفاجرين والظالمين بالعذاب المهين، ولكن من الجهة الأخرى يفتحون باب الشفاعة لهم بذلك المعنى وذلك الاتّساع فتذهب كل تلك الإنذارات أدراج الرياح وتصبح حبراً على ورق ويتمّ هدم بناء الدين العظيم الذي بناه الشارع المقدّس وأحكم بنيانه بأحكامه وقوانينه من أساسه!! إن هؤلاء سيُفاجَؤون يوم القيامة بذهاب آمالهم أدراج الرياح فيصيحون: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء:١٠٠-١٠١]، وعندئذٍ سيُقَال لهم: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[الأنعام:٩٤].

الأئمَّة المعصومون ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويحصرون النجاة بالتقوى والورع

عمدةُ مستند القائلين بالشفاعة الأخروية، التي ستقع يوم القيامة من قِبَل النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والأئمَّة عليهم السلام، وغيرهم من المؤمنين، ومستمسكهم مجموعةٌ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنسوبة إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) أو الأئمَّة المعصومين عليهم السلام وسنقوم لاحقاً بتمحيص تلك الأحاديث وبيان حالها سنداً ومتناً بالاستفادة من كتب الرجال، هذا رغم أن مثل تلك الأحاديث المتضمنة لمطالب تعارض بوضوح كتاب الله تعالى يجب أن يُضرب بها عرض الحائط طبقاً لتعاليم الأئمَّة عليهم السلام أنفسهم، مهما كان حال سندها.

ولكن قبل تمحيص تلك الأحاديث نبدأ بذكر مجموعة من الأحاديث المروية عن الأئمَّة الأطهار سلام الله عليهم ينفون فيها الشفاعة بذلك المفهوم عن أنفسهم ويؤكدون أنهم لن يُغْنُوا يوم القيامة عن أحدٍ شيئاً، وأن النجاة في ذلك اليوم العسير لن تكون إلا لمن تحلَّى بالتقوى والورع والعمل الصالح. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحاديث توافق تعاليم القرآن تماماً فهي صحيحة من هذه الجهة بغض النظر عن حال أسانيدها (الذي قد يكون مخدوشاً):

١- روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة في كتابه «الأمالي» بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال لخَيْثَمَةَ: «أَبْلِغْ شِيعَتَنَا أَنَّهُ لَنْ يُنَالَ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِعَمَلٍ وَأَبْلِغْ شِيعَتَنَا أَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلًا ثُمَّ يُخَالِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَبْلِغْ شِيعَتَنَا أَنَّهُمْ إِذَا قَامُوْا بِمَا أُمِرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ.»[1].

٢- وروى الطبرسي في «مشكوة الأنوار» (ص ٣٢)، والمجلسي في «بحار الأنوار» (ج ٦٧/ ص ٣٠٩) نقلاً عن دعائم الإسلام، بسندهم عن الفُضَيْل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

---

(١) الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ٣٧٠.

«قال لي: يا فُضَيْل! أَبْلِغْ من لقيتَ مِنْ مَوَالِينَا عنَّا السَّلام وَقُلْ لَهُمْ إنِّي لا أُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ الله شيئاً إلا بالوَرَع فَاحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَعَلَيْكُمْ بالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.»».

٣- وروى الشيخُ الكُلَيْنِيُّ في «الروضة» من كتاب «الكافي» بالسند عن الإمام الصادق عليه السلام: «... واعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ ونَهَى لِيُطَاعَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ ولِيُنْتَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ، فَمَنِ اتَّبَعَ أَمْرَهُ فَقَدْ أَطَاعَهُ وقَدْ أَدْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ ومَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ فَقَدْ عَصَاهُ فَإِنْ مَاتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ أَكَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الله وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَنْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ إِلَّا طَاعَتُهُمْ لَهُ فَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَةِ الله إِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَقّاً...

(إلى قوله): وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئاً لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَنْ دُونَ ذَلِكَ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ تَنْفَعَهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ عِنْدَ الله فَلْيَطْلُبْ إِلَى الله أَنْ يَرْضَى عَنْهُ»[1].

٤- قال الشيخ الطوسي -رحمة الله عليه - في تفسيره القيِّم «التبيان» (ج ٨/ ص٦٧)، لدى تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤]: «وقيل: ذَكِّر عشيرتَك الأقربين أي عَرِّفْهُم إنَّكَ لا تُغْنِي عَنْهُم مِنَ الله شيئاً إن عَصَوْهُ... وقد فعل (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ذلك». قلت وقد جاء في ذلك الحديث المشهور الذي رواه الفريقان بصور مختلفة: «أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤] قَامَ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ الله لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنْ الله شَيْئاً! سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ الله شَيْئاً! سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ.. الحديث»[2].

---

(١) الكُلَيْنِيُّ في الروضة من «الكافي»، ج٨/ ص ١١.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي في سننهما وأحمد في مسنده وغيرهم بعدة أسانيد وألفاظ متقاربة. وفي رواية أحمد في المسند: (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ الله، يَا صَفِيَّةُ

وهذه العبارة أي قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «لَا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنْ اللهِ شَيْئاً» مؤيّدة لما ورد في القرآن الكريم مِنْ أنَّ نَبِيَّيْ الله نوحاً ولوطاً عليهما السلام لم يغنيا عن زوجتيهما شيئاً لما خانت كلٌّ منهما زوجها ولم تتّبع سبيل الحق، فقال سبحانه: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم:١٠].

٥- روى الشيخُ الطوسيُّ في كتابه «الأمالي» بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال «خدمتُ سيدَنا الإمامَ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثماني عشرة سنة، فلما أردتُ الخروج ودَّعْتُهُ، وقلتُ أَفِدْنِي. فقال: بعد ثماني عشرة سنة يا جابر؟! قلت: نعم إنكُم بَحْرٌ لا يَنْزِفُ ولا يُبْلَغُ قَعْرُهُ. فقال: يَا جَابِرُ! بلِّغْ شيعتي عَنِّي السَّلامَ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُ لا قَرَابَةَ بَيْنَنَا وبَيْنَ الله عزَّ وَجلَّ، وَلا يُتَقَرَّبُ إليْهِ إلا بِالطَّاعَةِ لَهُ. يَا جَابِرُ! مَنْ أطَاعَ اللهَ وأحَبَّنا فهو وَلِيُّنَا، وَمَنْ عَصَى اللهَ لم يَنْفَعْهُ حُبُّنَا، يَا جَابِرُ! مَنْ هذا الذي يسأَلُ اللهَ فَلَمْ يُعْطِهِ، أو تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكْفِهِ، أَوْ وَثَقَ بِهِ فَلَمْ يُنْجِهِ؟...»[1].

٦- وروى الكُلَيْنِيُّ في كتاب «الكافي» بسنده عن أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ! كُونُوا النُّمْرُقَةَ الْوُسْطَى يَرْجِعُ إِلَيْكُمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِكُمُ التَّالِي. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ سَعْدٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا الْغَالِي؟ قَالَ: قَوْمٌ يَقُولُونَ فِينَا مَا لَا نَقُولُهُ فِي أَنْفُسِنَا فَلَيْسَ أُولَئِكَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْهُمْ. قَالَ: فَمَا التَّالِي؟ قَالَ: الْمُرْتَادُ يُرِيدُ الْخَيْرَ يُبَلِّغُهُ الْخَيْرَ يُؤْجَرُ عَلَيْه. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: وَاللهِ مَا مَعَنَا مِنَ اللهِ بَرَاءَةٌ وَلَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ قَرَابَةٌ وَلَا لَنَا عَلَى اللهِ حُجَّةٌ وَلَا نَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُطِيعاً لِـلَّهِ تَنْفَعُهُ وَلَايَتُنَا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَاصِياً

عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنْ اللهِ شَيْئاً سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا)، هذا وقد نقل العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان (ج ١٥/ ص٣٣٣) هذه الروايات ذيل تفسيره للآية المذكورة أي قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾. (المترجم).

(١)الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ٢٩٦. (المترجم)

لِـلَّهِ لَمْ تَنْفَعْهُ وَلَايَتُنَا. وَيْحَكُمْ لَا تَغْتَرُّوا! وَيْحَكُمْ لَا تَغْتَرُّوا!»[١].

٧- وروى الشيخُ الكُلَيْنِيُّ في «الروضةِ» مِنْ كتاب «الكافي» صحيفةَ الإمامِ عليِّ بنِ الحُسَين زين العابدين عليهم السلام التي رواها عنه أبو حمزة الثمالي، فذكر فيها:

«...وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدُ الله ونَحْنُ مَعَكُمْ يَحْكُمُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ سَيِّدٌ حَاكِمٌ غَداً، وَهُوَ مُوقِفُكُمْ وَمُسَائِلُكُمْ فَأَعِدُّوا الْجَوَابَ قَبْلَ الْوُقُوفِ وَالْمُسَاءَلَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يُصَدِّقُ يَوْمَئِذٍ كَاذِباً وَلَا يُكَذِّبُ صَادِقاً وَلَا يَرُدُّ عُذْرَ مُسْتَحِقٍّ وَلَا يَعْذِرُ غَيْرَ مَعْذُورٍ، لَهُ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ الرُّسُلِ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَاسْتَقْبِلُوا فِي إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَطَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ مَنْ تَوَلَّوْنَهُ فِيهَا...»[٢].

٨- وروى أبو الفضل علي بن الحسن الطبرسي[٣] في كتابه «مشكاة الأنوار» عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «وَالله مَا مَعَنَا مِنَ الله بَرَاءَةٌ وَمَا بَيْنَنَا وبَيْنَ الله قَرَابَةٌ وَلَا لَنَا عَلَى الله حُجَّةٌ ولَا يُتَقَرَّبُ إِلَى الله إِلَّا بِالطَّاعَةِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُطِيعاً نَفَعَتْهُ وَلَايَتُنَا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَاصِياً لِـلَّهِ لَمْ تَنْفَعْهُ وَلَايَتُنَا»[٤].

٩- وروى الشيخ الصدوق - عليه الرحمة - في كتابه «صفات الشيعة» بسنده عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لما فتح رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) مكة قام على الصفا فقال: يا بني هاشم! يا بني عبد المطلب! إني رسول الله إليكم وإني شفيق عليكم، لا تقولوا إن محمداً منّا

(١) الكُلَيْنِيُّ، «الكافي»، ج ٢/ ص ٧٥- ٧٦. (المترجم)

(٢) الكُلَيْنِيُّ، قسم «الروضة» من كتاب «الكافي»، ج ٨/ ص ١٦. (المترجم)

(٣) هو أبو الفضل، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي. وهو ابن الحسن بن الفضل صاحب كتاب «مكارم الأخلاق» وحفيد أمين الإسلام الفضل بن الحسن مؤلف تفسير «مجمع البيان». وهو من كبار علماء القرن السادس الهجري. (المترجم)

(٤) علي بن الحسن الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، نشر المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.

فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون، ألا فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة! ألا وإني قد أعذرت فيما بيني وبينكم وفيما بين الله عز وجل وبينكم وإن لي عملي ولكم عملكم!»[١].

١٠ - وروى الشيخ الصدوق في كتابه «صفات الشيعة» أيضاً بسنده عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر (أي الإمام الباقر عليه السلام): «يا جابر! أيكتفي من اتَّخَذَ التشيُّع أن يقول بحبِّنا أهل البيت؟! فوالله ما شيعتُنا إلا من اتَّقَى اللهَ وأطاعه، وما كانوا يُعرَفون إلا بالتواضع والتخشُّع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرِّ بالوالدين والتعهُّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفِّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: يا ابن رسول الله! ما نعرف أحداً بهذه الصفة! فقال لي: يا جابر! لا تذهبنَّ بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه! فلو قال إني أحب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ورسول الله خيرٌ من عليٍّ ثم لا يتَّبعُ سيرَته ولا يعمل بِسُنَّتِهِ ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابةٌ، أحبُّ العباد إلى الله وَأكرمهم عليه: أتقاهم له وَأعْمَلُهُم بطاعته. يا جابر! ما يَتقرَّبُ العبد إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، ما معنا براءةٌ من النار ولا على الله لأحد منكم حجةٌ، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليٌّ ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوٌّ ولا تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[٢].

كانت تلك عشر روايات تنطبق مضامينها مع آيات القرآن الكريمة ومع حكم العقل والوجدان ولهذا أوردناها دون بحث في رجالها وأسانيدها عملاً بقول النبي والأئمة عليهم السلام: «فَمَا وَافَقَ القُرْآنَ فَخُذُوهُ» وقد اكتفينا بما ذكر رغم وجود أحاديث عديدة أخرى في هذا المجال واللبيب من الإشارة يفهم، أما الجاهل المعاند فلم تكفِهِ توراةُ موسى وعصاه ولا إنجيل عيسى ومعجزاته! فكم حري بأمة الإسلام وخاصّةً شيعة آل خير الأنام أن يرجعوا إلى أنفسهم

---

(١) الشيخ الصدوق، «صفات الشيعة»، طهران: دار الأعلمي للنشر، ص ٦. (المترجم)

(٢) المصدر السابق، ص ١١- ١٣.

ويعودوا إلى جادّة الحق والصواب وينقذوا أنفسهم من شر الدجالين والشياطين والكاذبين الغلاة الذين أوقعوا كل ذلك الخسران في دنيا المسلمين وآخرتهم، وإلا فسينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

تمحيص أحاديث الشفاعة وبيان ضعفها

سيقول الذين لا علم له بدسائس الوضّاعين: إذن ما هي قصة كل أحاديث شفاعة الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والأئمَّة - عليهم السلام- يوم القيامة تلك التي نسمعها ليل نهار من خطباء المنابر وقرّاء مجلس العزاء والمآتم والمدّاحين في كل محفل ومجلس بل نجدها في كل قصيدة وشعر والتي يبلغ اتساعها درجة يمكن معها حتى لأمثال شِمْر بن ذي الجوشن وسِنان[1] أن ينال الغفران وجنَّة الرضوان نتيجةً لشفاعة الأئمَّة عليهم السلام؟!

لذا سنمحِّصُ فيما يلي أهمَّ أحاديث الشفاعة كما جاءت في أوسع كتب الحديث والرواية لدى الشيعة الإمامية وأكثرها تفصيلاً أي كتاب «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي (رحمه الله) والتي أوردها في الجزء الثالث المخصَّص للمعاد ضمن بابٍ خاصٍّ عنوانه (باب الشفاعة) [2] (ونجده في المجلد الثامن من الطبعة الحديثة)، ونضعها أمام القراء الكرام المنصفين وسليمي الفطرة ليروا بأم أعينهم أي تشويه لدين الله أحدثه محرِّفو الكتاب ومخرِّبُو سنة سيد المرسلين وأي مصابٍ جللٍ أوقعوه بحقائق الإسلام الناصعة.

ومعظم تلك الأحاديث التي أوردها المجلسي إنما نقلها عن كتاب «تفسير العياشي» وهو تفسير مختصر بالمأثور ألفه «محمد بن مسعود العياشي» (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ) اعتمد فيه فقط على روايات وآثار منقولة عن الأئمَّة من آل النبي عليهم السلام، مع أن علماء الرجال قالوا بشكل عام عن «العياشي» أنه «يروي عن الضعفاء كثيراً» وأنه من أصحاب «علي بن الحسن بن فضال» الذي بيّنّا في كتابنا عن «الزكاة» حاله الوخيمة التي يتَّضح منها أنه من أسوأ رواة الحديث

---

(١) قاتلا الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهم السلام.

(٢) شغلت أحاديث ذلك الباب أي باب الشفاعة الصفحات من ٢٦٢ حتى ٢٧٢ من المجلد الثالث لبحار الأنوار، الطبعة الحجرية.

وأكثرهم كذباً، وقد كان من قبل فطحيّ المذهب ثم أصبح يقول بإمامة جعفر الكذاب وله في تخريب الشريعة سهم وافر ومن أراد تفصيل حاله فليرجع إلى كتابنا «الزكاة» ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما قاله فيه الفقيه «محمد بن إدريس» صاحب كتاب «السرائر» -الذي يُعَدُّ من كبار علماء الشيعة- حيث قال: «علي بن فضّال ملعونٌ ورأس كل ضلال هو وأبوه».

وبمعزل عن ذلك توجد في تفسير العياشي مطالبُ لا يمكن لأي مسلم يؤمن بالقرآن ولا لأي شيعيٍّ من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أن يقبل بها أو يصدّقها، فقد أورد المجلسي في الجزء الثامن من بحار الأنوار (ص٤٥-٤٧) نقلاً عن تفسير العياشي عن خيثمة - وهو ذاته الذي مرّ قبل صفحات روايته عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه خاطبه قائلاً: «أبلغ شيعتنا أنا لا نغني عنهم من الله شيئاً» - روايةً طويلةً هي التالية:

«عن خيثمة الجعفي قال كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام أنا ومفضل بن عمر ليلاً ليس عنده أحد غيرنا فقال له مفضل الجعفي: جُعِلْتُ فِدَاكَ! حدِّثْنا حديثاً نُسَرُّ به، قال: نعم! إذا كان يوم القيامة حشر الله الخلائق في صعيدٍ واحدٍ حفاةً عراةً غرلاً. قال فقلت: جُعِلْتُ فِدَاكَ! ما الغُرْلُ؟ قال: كما خُلِقُوا أَوَّلَ مرَّةٍ، فيقفون حتى يلجمهم العرق فيقولون ليت الله يحكم بيننا ولو إلى النار، يرون أن في النار راحة فيما هم فيه!، ثم يأتون آدم فيقولون: أنت أبونا وأنت نبيٌّ فاسأل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار فيقول آدم: لست بصاحبكم خلقني ربي بيده وحملني على عرشه وأسجد لي ملائكته ثم أمرني فعصيته ولكني أدلكم على ابني الصديق الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم كلّما كذّبوا اشتدّ تصديقه نوح قال فيأتون نوحا فيقولون: سل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار، قال فيقول: لست بصاحبكم إني قلت إن ابني من أهلي! ولكني أدلكم على من اتخذه الله خليلاً في دار الدنيا ائتوا إبراهيم. قال: فيأتون إبراهيم فيقول: لست بصاحبكم إني قلت إِنِّي سَقِيمٌ... (وهكذا ينتقلون إلى موسى ثم إلى عيسى وكلاهما يعتذر ويقول لست بصاحبكم حتى يَصِلُوْنَ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال فيقولون: يا محمد! سل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار! قال فيقول: نعم أنا صاحبكم فيأتي دار الرحمن وهي عدن وإن بابها سعته بعد ما بين المشرق

والمغرب فيحرّك حلقة من الحلق فَيُقَال: من هذا؟؟ وهو أعلم به، فيقول: أنا محمد. فيُقَال: افتحوا له، قال: فيفتح لي قال فإذا نظرت إلى ربي مجَّدْتُهُ تمجيداً لم يُمَجِّدْهُ أحدٌ كان قبلي ولا يُمَجِّدْهُ أحدٌ كان بعدي، ثم أَخِرُّ ساجداً فيقول: يا محمد! ارفع رأسك وقل يُسمع قولُك واشفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ. قال: فإذا رفعتُ رأسي ونظرتُ إلى ربي مجَّدْتُهُ تمجيداً أفضل من الأول..... (ويتكرر الأمر ذاته مرتين أخريين إلى أن يقول له الرّبُّ في الثالثة) فيقول: نعم يا محمد! قال: ثم يؤتى بناقة من ياقوت أحمر وزمامها زبرجد أخضر حتى أركبها ثم آتي المقام المحمود حتى أقضي عليه وهو تَلٌّ من مسك أذفر بحيال العرش ثم يدعى إبراهيم فيحمل على مثلها فيجيء حتى يقف عن يمين رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ثم رفع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) يده فضرب على كتف علي بن أبي طالب ثم قال: ثم تؤتى والله بمثلها فتحمل عليه.......... (إلى قوله): وكأني بكما معي ثم يؤتى بنا فيجلس على العرش ربُّنا ويؤتى بالكتب فنرجع فنشهد على عدونا ونشفع لمن كان من شيعتنا مرهقاً. قال قلت: جُعلتُ فداك! فما المرهق؟ قال: المذنب. فأما الذين اتقوا من شيعتنا فقد نجَّاهم اللهُ بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ... الحديث»[١].

لاحظ أيها القارئ اللبيب تلك العبارات التي وضعنا تحتها خط التي وردت في ذلك الحديث الذي رواه العياشيّ والتي تخالف أصول مذهب الشيعة بل تخالف ضروريات الإسلام: فأيُّ مؤمن يمكنه أن يقبل بمثل هذه الموهومات والأباطيل مثل أن الله تعالى ساكنٌ في منزلٍ له بابٌ وله حلقتان!!... والنبيُّ يقرع عليه الباب فيخرج الربّ فيراه الرسول!!... ويحصل بينهما ذلك الردّ والبدل والحديث!!... ويجلس الربّ على العرش ويقرأ الكتب!!...إلى آخر تلك التُّرَّهات، ومن الجدير بالذكر أن العياشيّ لمّا كان في أول عمره من العامة[٢] ثم صار بعد ذلك من الشيعة فإنّ في أحاديثه آثاراً كثيرةً من تسنُّنه السابق.

وجزءٌ آخر من أحاديث الشفاعة يوجد في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري

(١) بحار الأنوار، ج ٨/ ص ٤٥ - ٤٧.

(٢) أي من أهل السنة كما هو رائج لدى علماء الشيعة من التعبير عن أهل السنة بعبارة «العامة».

عليه السلام، وهذا التفسير- كما يعلم المطَّلعون وكما بيناه فيما سبق- كتابٌ غيرُ موثوقٍ على الإطلاق بل لا يوجد بين الكتب الشيعيّة كتابٌ أكثرُ فقداناً للاعتبار والثقة وأكثر امتلاءً بالأوهام والتُرَّهات والأباطيل من ذلك التفسير!.

وجزء آخر من أحاديث الشفاعة نقله المجلسي من كتب أخرى مثل كتاب «الكافي» للكلينيّ، أو بعض كتب الشيخ الصدوق أو كتاب «كنز الفوائد» للكراجكيّ[1]، مثل الحديث الذي جاء فيه «إن إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم» الذي يُعتبر من أهم مستندات الغلاة أمثال آية الله العظمى(!!) أبي الفضل النبوي صاحب كتاب «أمراء هستي» (أي أمراء الكون)، وفيما يلي نص الحديث:

روى الكُلَيْنِيُّ في «الكافي» (باب تفسير قوله تعالى: عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً ج ٨/ ص ١٦٢) عن سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ سَعْدَانَ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ «كُنْتُ قَاعِداً مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام والنَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا سَمَاعَةُ! إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الْخَلْقِ وعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ ومَا كَانَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وعَوَّضَهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ».

فَمَتْنُ هذا الحديث يعارضُ كتابَ الله ودين الإسلام معارضةً صريحةً ويخالفُ العقلَ والوجدان بل يجتث الدين وأحكامه ويقتلعه من جذوره! ويشجع الناس على الهرج والمرج ويسوقهم إلى الفجور والوحشية، وألفُ رحمةٍ على البابا وصكوك غفرانه أمام مثل هذا الحديث! لأن صكوك الغفران -على الأقل- تمنح الجنة للمجرمين والفاسقين الذين دفعوا أموالاً، أما هذا الحديث فيفتح باب الجنة على مصراعيه للمجرمين الفاجرين مجاناً وبلا أي مقابل!! إن هذا

---

(١) هو الشيخ أبو الفتح، محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي من علماء الشيعة في القرن الخامس الهجري، وكان معاصراً للشيخ الطوسي، وكان فقيهاً وأصولياً وعالماً بالرياضيات والنجوم وأديباً وعارفاً بعلوم الحديث والفلسفة والكلام والنحو والأخلاق والتأريخ والرجال والتفسير وكان طبيباً، وتوفي في مدينة صور في جنوب لبنان سنة ٤٤٩ للهجرة. (المترجم)

الحديث حتى لو كان سنده من أصح الأسانيد يجب أن يُضرب به عرض الحائط، ولكن لحسن الحظ أو لسوئه فإنه حديث مخدوش من حيث السند والرجال.

هذا وجملة «حَتَمْنَا عَلَى اللهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا» فيها من الوقاحة وسوء الأدب مع الله ما لا يخفى على أحد، فأيُّ كائن يملك أن يحتم على الله ويجبره على أمر؟! (لاحظ أن الحتم في اللغة الأمر الواجب الذي لا يمكن إسقاطه). فيلزم من هذا الحديث أن الإنسان الذي ضيَّع حقوق الله فلم يُصَلِّ ولم يَصُمْ ولم يحجَّ ولم يجاهد ولم يَقُمْ بشيء من العبادات وارتكب كل نوع من أنواع المعاصي الشخصيَّة من شرب الخمر والزنا واللواط وأمثالها مما ليس فيه أكل حق الناس، سَيَحْتُمُ الأئمّةُ على الله أن يكل تلك الأمور إليهم وهم سيعفون شيعتهم من تبعاتها!! وأما ما كان من حقوق العباد فهذا أيضاً سيستوهبه الأئمَّة منهم!! أهكذا يكون الحساب يوم القيامة؟! وهل يمكن لأئمّة الهدى عليهم السلام الذين نهضوا لأجل هداية الناس وصلاح أمرهم وأفنوا أعمارهم للترويج لدين نبي الإسلام (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) أن ينطقوا بمثل هذا الكلام الذي يقضي على كل أتعاب ذلك النبي الكريم ويذهب بها أدراج الرياح؟! هل يمكن لعاقل أن يصدق مثل هذا الكلام؟ وأي شيء في هذا الحديث يوافق كتاب الله؟ وما معنى عرض الأحاديث على الكاتب ورفض ما يخالفه منها؟ أي كتاب وأي عقل وأي وجدان يمكنه أن يصدق مثل ذلك الحديث؟!.

أما من ناحية السند فصحيح أن هذا الكتاب ورد في «الكافي» أي أول وأهم كتب حديث الشيعة (الإمامية) إلا أن ذلك الكتاب الذي يضم ستة عشر ألف حديث، تسعة أعشاره -حسب تشخيص العلامة المجلسي في كتابه «مرآة العقول»- أحاديث ساقطة عن درجة الصحة، هذا من الناحية العامة، وأما من ناحية السند الخاص لهذا الحديث فأول رواته هو «سهل» وهو «سهل بن زياد الآدمي الرازي أبو سعيد» الذي يعتبره علماء الرجال من أصحاب حضرة الإمام الجواد عليه السلام ويقول عنه النجاشي في رجاله (ص١٤٠، طبع طهران): «سهل بن زياد أبو علي الآدمي كان ضعيفاً في الحديث غير مُعتَمَدٍ فيه وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلوّ والكذب وأخرجه من قم إلى الريّ».

وقال عنه الشيخ الطوسي عليه الرحمة في «الاستبصار»: «إن أبا سعيد الآدميَّ ضعيفٌ جداً عند نُقّاد الأخبار».

وقال الغضائري عنه كما جاء في تنقيح المقال للمامقاني (ج٢/ ص٧٥): «سهل بن زياد الآدميّ الرازيّ كان ضعيفاً جداً فاسد الرواية والدين، وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري أخرجه من قم وأظهر البراءة منه والرواية عنه ويروي المراسيل ويعتمد المجاهيل».

واعتبره الفضل بن شاذان أيضاً أحمقاً، كما اعتبره بن داوود في رجاله (ص٤٦٠) ضعيفاً وفاسد الرواية ومن أهل الغلو والكذب، وكذلك وصفه مير مصطفى التفرشي في «نقد الرجال» بمثل تلك الأوصاف. فهذا هو حال أول رواة ذلك الحديث الشريف جداً!!

وقد روى سهل حديثه هذا عن «محمد بن سنان» وفيما يلي بيان حاله:

أ) قال النجاشي في رجاله (ص٢٥٢): «هو رجل ضعيف جداً لا يعوّل عليه ويُلتفت إلى ما تفرّد به وكان الفضل بن شاذان يقول لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان».

ب) وروى الشيخ أبو عمرو الكشيّ في رجاله (ص٣٣٢) عن أيوب بن نوح أنه كان يقول: «لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان»، وفي صفحة ٤٢٧ روى حمدويه بن نصير عن أيوب بن نوح أن «محمد بن سنان» قال حين وفاته: «كل ما حدثتكم به لم أسمعه من أحد بل وجدته!».

ج) وقال عنه الشيخ الطوسي في «الفهرست» (ص١٤٣): «له كُتُبٌ وقد طُعِنَ عليه وضُعِّفَ. وكُتُبُه مثل كتب الحسين بن سعيد على عددها وله كتاب النوادر وجميع ما رواه إلا ما كان فيها من تخليط أو غلوّ...».

د) وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥١): «محمد بن سنان...وقد اختلف علماؤنا في شأنه فالشيخ المفيد ﷺ قال إنه ثقة وأما الشيخ الطوسي رحمه الله فإنه ضعَّفَه وكذا قال النجاشي، وابن الغضائري قال: إنه ضعيف غال لا يُلتَفَتُ إليه. وروى الكشي فيه قدحاً عظيماً وأثنى عليه أيضاً! والوجه عندي التوقُّف فيما يرويه فإن الفضل بن شاذان رحمه الله قال في بعض كتبه: إن من

الكذابين المشهورين ابن سنان..».

هـ) وأورده ابن داوود في رجاله (ص٥٠٥) في قسم الضعفاء وقال: «إن محمد بن سنان كان يقول: «لا ترووا عني مما حدثتُ شيئاً، فإنما هي كتب اشتريتها من السوق!» ثم قال: والغالب على حديثه الفساد وعلماء الرجال متفقون على أنه من الكذابين.».

ومحمد بن سنان هذا روى حديثه عن «سعدان»، الذي قال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ص٢٣): «أهمله في الخلاصة والذخيرة والبُلغة وغيرها ولم يتعرضوا له أصلاً وفي موضع من الذخيرة: إنه ضعيفٌ وفي موضع آخر منه غير موثوق في كتب الرجال».

والأخير روى حديثه عن «سماعة بن مهران» الذي اعتبره الشيخ الصدوق في كتابه «من لا يحضره الفقيه» باب ما يجب على مَن أفطر أو جامع في شهر رمضان، واقفياً، في حين اعتبره بعض علماء الرجال فطحيّاً فاسد المذهب. كما أورده بن داوود في رجاله (ص٤٦٠) ضمن الضعفاء والمجروحين. هذا ويذكر ابن الغضائري والنجاشي أنه تُوفي في زمان حياة الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤٥هـ. وبالتالي فإن روايته لهذا الحديث عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام افتراءٌ على الإمام لا أساس له من الصحة وكذبٌ محضٌ!!.

أجل بمثل هذه الأحاديث الباطلة قام ذلك الملقب بآية الله العظمى ونظراؤه إلى محاربة القرآن وعقد في كتابه «أمراء هستي» (أي أمراء الكون) باباً تحت عنوان «التصرف في الكون والمكان وتدبير عالم الإمكان في ولاية الأئمَّة»!، وباباً آخر فتح فيه باب شفاعة الأئمَّة يوم القيامة على مصراعيه أمام الفسّاق والفجّار! وصوَّر أئمة الشيعة من آل الرسول الذين كانوا من أخلص عباد الله الصالحين وأكثرهم تواضعاً وكأنهم آلهة والعياذ بالله مهيمنين وحاكمين على ربّ العالمين، وأظهر مذهب شيعة أهل البيت وكأنه مذهب مملوءٌ بالشرك!.

ولعلك أيها القارئ العزيز تتصور أن ذلك الحديث الذي مرّ سابقاً والذي جاء فيه أن الرسول قرع بيت الله وفتح له فشاهده...الخ هو فريد في بطلانه وموهوماته وخرافيته خلافاً لسائر أحاديث الشفاعة التي تتمتع بالصحة والثقة، لذا سأضطر إلى أن أذكر جميع أحاديث

الشفاعة واحداً واحداً، كما أوردها «المَجْلِسيُّ» ضمن «باب الشفاعة» من موضوع «المعاد» في كتابه «بحار الأنوار»، وأمحّصها من حيث السند لكي يتبين لك أن كل تلك الأحاديث واهنةٌ بل ساقطةٌ سنداً وغير موثوقة ولا يمكن الاعتماد عليها، هذا رغم أنه عندما يكون متن الحديث باطلاً ومخالفاً لصريح آيات القرآن الكريم فأياً كان سنده حتى ولو كان -على فرض المحال- مسموعاً من المعصوم مباشرةً فلا يجوز إلا أن يُضرب به عرض الحائط طبقاً لوصية الأئمَّة عليهم السلام أنفسهم إضافة إلى حكم القرآن والعقل والوجدان.

وفيما يلي نذكر كل تلك الأحاديث التي أوردها المجلسي في باب الشفاعة ويبلغ عددها حدود ستين حديثاً دون التقيّد بأرقامها لأن بعضها ليس بحديث وبعضها مكرر:

الحديث الأول: منقول عن كتاب «الخصال» للشيخ الصدوق، رواه عن رواة العامة مثل أبي الحسن طاهر بن محمد بن يونس عن محمد بن عثمان بن الهروي وإلى أنس بن مالك وكلهم رواة لا نجد لهم ذكراً في كتب رجال الشيعة، وأمّا أنس بن مالك فقد كان بشهادة التاريخ من المنحرفين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولأجل تحقيق الحال راجعوا كتاب تنقيح المقال (ج١/ ص١٥٤) ومضمون الحديث أن لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا وقَدْ سَأَلَ سُؤالاً وَقَدْ أَخْبَأْتُ دَعْوَتِي لِشَفَاعَتي لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الحديث الثاني: لا علاقة له بالشفاعة فلا حاجة لمناقشة سنده.

الحديث الثالث: نقله المجلسي عن كتاب «الخصال» للشيخ الصدوق ومضمونه أن أمير المؤمنين قال: لا تُعَنُّونَا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدمتم.

والصدوق رواه عن محمد بن عيسى اليقطيني والقاسم بن يحيى وكلاهما ضعيف وغالٍ.

الحديث الرابع: جاء في سنده إبراهيم بن هاشم الذي لم توثقه كتب الرجال، وهو رواه عن علي بن معبد الذي قال عنه في تنقيح المقال (ج٢/ ص٣٠٩): «لم يُنَصّ فيه بالتوثيق ولا مُدِح» وفي (الصفحة ١١٠) اعتبره إمامياً مجهولاً.

الحديث الخامس: هو رأي الصدوق وليس حديثاً.

الحديث السادس: أورده عن كتاب «الأمالي» للشيخ الصدوق بسنده عن «أبي قلابة عبد الملك بن محمد» وهو رجل لا ذكر له ولا أثر في كتب الرجال. وهو رواه «عن غانم بن الحسن السعدي» وهو أيضاً اسمٌ بلا مسمّى، وهو رواه «عن مسلم بن خالد المكي» الذي اعتبره صاحب تنقيح المقال (في ص٢١٤ وص١٤٩) من المجاهيل.

ومضمون الحديث أن فاطمة عليها السلام قالت لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟ قال: يا فاطمة عند باب الجنة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي. قالت: يا أبتاه! فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أمتي. قالت: يا أبتاه! إن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول ربِّ سلِّم أمّتي. قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني وأنا عند الميزان أقول ربِّ سلِّم أمّتي. قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على شفير جهنم أمنع شررها ولهبها عن أمتي. فاستبشرت فاطمة بذلك صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها!».

الحديث السابع: نقله المجلسي عن تفسير القميّ عن ابن محبوب عن زرعة عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام، و«زرعة» طبقاً لما صرح به الشيخ الطوسي في رجاله (ص٣٥٠) كان واقفياً، وأورده ابن داوود أيضاً في رجاله (ص٤٥٣) في عداد المجروحين والضعفاء، وكذا فعل العلامة الحلي الذي أورده في القسم الثاني من رجاله المخصَّص للضعفاء (ص٢٤٤). وقد روى زرعة حديثه عن «سماعة» الذي بيّنا حاله فيما سبق حيث ذكرنا أنه كان واقفيّاً. أما متن الحديث فهو مشابه للحديث الذي رواه العياشي في تفسيره والذي يذكر انتقال الناس من نبي إلى آخر طلباً للشفاعة إلى أن يأتون رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ)... الخ.

الحديث الثامن: نقله المجلسي عن تفسير القمي عن محمد بن أبي عمير عن معاوية وهشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمي وأخ كان لي في الجاهلية.».

وأقول: لمّا كان هذا المتن لا يتناسب مع المطلب الذي نحن في صدده فلا حاجة بنا إلى مناقشة

سنده.

الحديث التاسع: نقله المجلسي عن تفسير علي بن إبراهيم القمي أيضاً عن جعفر بن أحمد عن عبيد الله بن موسى عن ابن البطائني عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ قال: «لا يشفع ولا يشفع لهم ولا يشفعون إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً إلا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فهو العهد عند الله.... الخبر».

قلت: في سنده ابن البطائني وهو إما علي بن حمزة البطائني أو ابنه الحسن بن علي بن حمزة، فإن كان الأول فقد قال عنه ابن الغضائري: «علي بن حمزة لعنه الله أصل الوقف وأشدّ الخلق عداوةً للمولى «يعني الرضا عليه السلام»»، وأورد صاحب تنقيح المقال (ج٢/ ص٢٦١) عشرات الأحاديث في ذمه. وأغلب الظن أنه هو. أما إن كان ابنه أي الحسن بن علي بن حمزة فقد قال الغضائري عنه: «الحسن بن علي بن حمزة البطائني مولى الأنصار أبو محمد، واقفي بن واقفي، ضعيف في نفسه». وقال عنه الكشي: «الحسن بن علي بن حمزة كذّاب». وأوضح صاحب تنقيح المقال حاله الوخيمة (ج١/ ص٢٩٠). ولذلك فإنَّ مثل هذا الرجل لا يستحق السماع.

الحديث العاشر: نقله المجلسي عن أمالي الصدوق وعن كتاب «بشارة المصطفى» بسندهما عن سلمة بن الخطاب عن الحسين بن سعيد عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن صباح عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون يا رب اكشف عنا هذه الظلمة قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: فهؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع! سلوهم من أنتم فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويُّون نحن ذريّة محمد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) نحن

أولاد عليٍّ وليِّ اللهِ نحن المخصوصون بكرامة الله نحن الآمنون المطمئنُّون فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل اشفعوا في محبِّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم فيشفعون فيُشَفَّعُون».

قلت في سنده «سلمة بن الخطاب» قال عنه النجاشي في رجاله (ص١٤٢): «كان ضعيفاً في حديثه»، وأورده العلامة الحليّ في القسم الثاني من خلاصته (ص١٠٤) واعتبره من الضعفاء، وكذلك أورده ابن داوود في القسم الثاني من رجاله (ص٤٥٨) المخصص للضعفاء والمجروحين وقال: «كان ضعيفاً في حديثه». كما اعتبره التفرشي في نقد الرجال (ص١٥٧) ضعيفاً، وفي «تحرير الطاوسي» ذُكر أنه كان واقفياً. وبقية رجال السند مجاهيل لذا الحديث غير معتبر ولا موثوق.

الحديث الحادي عشر: نقله المجلسي عن كتاب «علل الشرائع» للشيخ الصدوق الذي رواه بسنده عن أبيه عن محمد العطار عن جعفر بن محمد بن مالك عن أحمد بن مدين عن محمد بن عمار عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شيعتُنا من نور الله خلقوا، وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة وإنا لنَشْفَعُ فَنُشَفَّعُ ووالله إنكم لَتَشْفَعُونَ فَتُشَفَّعُونَ، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه فيُدْخِلُ أحِبَّاءَه الجَنَّةَ وأعداءَه النَّارَ».

قلتُ: في سنده «جعفر بن محمد بن مالك» الذي قال عنه النجاشي رحمه الله في رجاله: «كان ضعيفاً في الحديث وكان أحمد بن الحسين يقول عنه: كان يضع الحديث وضعاً، ويروي عن المجاهيل، وسمعت من قال كان أيضاً فاسد المذهب والرواية».

وقد روى هذا الوضّاع حديثاً عمن أسماه «أحمد بن مدين» الذي لا نجد له ذكراً في كتب الرجال فيبدو أنه من مخترعاته ومثله الراوي التالي في سلسلة السند أي «محمد بن عمار» (انظر تنقيح المقال: ج٣/ ص١٦٢).

الحديث الثاني عشر: نقله المجلسي عن كتاب «الأمالي» للصدوق عن ابن المتوكل عن محمد العطار عن ابن أبي الخطاب عن النضر بن شعيب عن القلانسي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «إذا قمت المقام المحمود تشفَّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي فَيُشَفِّعُني الله فيهم، والله لا تشفَّعْتُ فيمن آذى ذُرِّيَّتي».

قلت: «النضر بن شعيب» قال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج٣/ ص٢٧٢) أنه مجهول، وكذلك اعتبره الشهيد الثاني رحمة الله عليه مجهولاً، وأما سائر رواة الحديث فكلُّهم مجاهيل لذا فالحديث ساقط من الاعتبار.

الحديث الثالث عشر: رواه المجلسي نقلاً عن «الأمالي» للشيخ الصدوق بسنده عن القطّان عن السكري عن الجوهري عن محمد بن عمارة عن أبيه قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة».

قلت: أحمد بن القطان طبقاً لما ذكره المامقاني في تنقيح المقال (ج١/ ص٥٦) عن السيد صدر الدين وحواشيه في منتهى المقال عاميٌّ. وأما السكري فليس له اسم في كتب الرجال، و«محمد بن عمارة» مجهول الحال (كما في تنقيح المقال: ج٣/ ص١٦٤) وكذلك أبوه (ج٢/ ص٣٢٢) لذا فالحديث ساقط عن الاعتبار.

الحديث الرابع عشر: نقله المجلسي عن تفسير القمي بسنده عن أبيه عن ابن محبوب عن أبي أسامة عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قالا: «والله لنشفعنّ والله لنشفعنَّ في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ!».

قلت: ليس في سند الحديث إلا راوٍ واحد هو أبو أسامة الذي هو «زيد الشحّام» اعتبره ابن الغضائري وإسحاق بن علي بن عثّمان وغيرهما ضعيفاً وأشار بن داود في رجاله (ص١٦٤) إلى أنه كان واقفياً. وعلى أيِّ حال طالما أن بقيّة رجال السند بين أبي أسامة والإمام الصادق عليه السلام مفقودون فالحديث مرسل أو منقطع وساقط من الاعتبار.

الحديث الخامس عشر: نقله المجلسي عن «تفسير علي بن إبراهيم القمي» قال: «حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبر قال دخل مولى لامرأة علي بن الحسين صلوات الله عليهما على أبي جعفر عليه السلام يُقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر! تَغُرُّونَ الناسَ وتقولونَ شفاعةُ محمَّدٍ شفاعةُ محمَّدٍ! فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربَّد وجهه ثم قال: ويحك يا

أبا أيمن! أغرَّك أن عف بطنك وفرجك! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ويلك! فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟! ثم قال: ما أحدٌ من الأوَّلين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) يوم القيامة. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ولنا شفاعة في شيعتنا ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم. ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر وإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد».

قلتُ: في سنده «معاوية بن عمار» الذي جاء في «تنقيح المقال» (ج٣/ ص٣٢٤) أنه «مختل العقل»، وفي قاموس الرجال (ج٩/ ص٤٢) قال عنه «علي بن أحمد العقيقي» الذي يُعَدُّ من كبار علماء الرجال: «لم يكن معاوية بن عمار عند أصحابنا مستقيماً، كان ضعيف العقل متهماً في حديثه».

وروى عن «أبي العبّاس المكبر» ولا نعلم من هو، وأياً كان فقد روى معاوية بن عمار هذا الحديث في سن الشيخوخة ولا شك أنه رواه في الوقت الذي بدأ فيه يخرف ويفقد حواسه!.

الحديث السادس عشر: يكفي في بطلانه أن من رواته «محمد بن سنان» الغالي والكذَّاب المشهور الذي بيَّنَّا أحواله فيما سبق.

الحديث السابع عشر: نقله المجلسي عن كتاب «الخصال» للشيخ الصدوق الذي رواه بسنده عن علي بن الحكم عن أبان عن محمد بن الفضل الزرقي عن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: «إن للجنة ثمانية أبواب بابٌ يدخل منه النبيُّون والصدِّيقون وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون وخمسة أبوابٍ يدخل منه شيعتنا ومحبُّونا فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربِّ سلِّم شيعتي ومحبِّيَّ وأنصاري ومن تولّاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشُفِّعْتَ في شيعتك ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني و..و.. الحديث».

قلتُ: أما «علي بن الحكم» فهو مجهول الحال في كتب الرجال وكذلك «أبان»، وأما «محمد بن

الفضل الزرقي» فاعتبره الشيخ الطوسي في رجاله (ص٣٦٠) ضعيفاً، واتهمهم في موضع آخر (ص٣٨٩) بالغلوّ. وكذلك اعتبره العلامة الحلي في خلاصته (ص٢٥٠) ضعيفاً. واعتبره التفرشي في نقد الرجال (ص٣٢٧) ضعيفاً وغالياً.

الحديث الثامن عشر: نقله المجلسي عن كتاب «الأمالي» للشيخ الطوسي بسنده عن الفحّام عن المنصوري عن عمّ أبيه عن أبي الحسن العسكري عن آبائه عليهم السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام سمعت النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) يقول: «إذا حُشِرَ الناسُ يوم القيامة ناداني مناد: يا رسول الله! إن الله جلَّ اسمه قد أمكنك من مجازاة محبيك ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك والمعادين لهم فيك فكافهم بما شئت. فأقول: يا ربِّ الجنة فأبَوِّؤُهم منها حيث شئتُ، فذلك المقام المحمود الذي وعدت به».

أقول في أول سنده «الفحام عن المنصوري» وكلاهما مجهول الحال لا ذكر له في كتب علم الرجال لا بجرح ولا بتعديل، فالحديث مجهول، وراجع في ذلك تنقيح المقال (ج١/ ص٣١٠).

الحديث التاسع عشر: نقله المجلسي عن كتاب «الأمالي» للشيخ الطوسي بسنده «عن الحفار عن إسماعيل بن علي الدعبلي عن محمد بن إبراهيم بن كثير قال دخلنا على أبي نواس الحسن بن هاني نعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له عيسى بن موسى الهاشمي: يا أبا علي! أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من الآخرة وبينك وبين الله هنات فتب إلى الله عز وجل. قال أبو نواس: سنّدوني فلما استوى جالساً قال: إياي تخوفني بالله؟ وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «لكلِّ نبيٍّ شفاعةٌ وأنا خبَّأْتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة»، أفترى لا أكون منهم؟؟».

قلتُ: في بداية سند هذا الحديث إسماعيل بن علي الدعبلي عن محمد بن إبراهيم بن كثير، وكلاهما لا ذكر له في كتب الرجال، والراوي التالي هو أبو نواس الشاعر الفاجر الذي كان له ألف ليلة وليلة وأنشد: صلى الإله على لوط وشيعته.

والغريب أن لا أحد من رواة هذه الرواية إمام معصوم، رغم أن حمّاد بن سلمة مُدح في

كتاب «ميزان الاعتدال»، وثابت البناني أيضاً اسم مشترك بين عدة شخصيات، ولكن لمّا كانت الرواية منقولة عن أبي نواس الشاعر الفاسق المعروف بشرب الخمر واللواط وكان مضمون روايته أيضاً مخالفاً للقرآن المجيد ولروح الإسلام ولتعاليم جميع الأنبياء فالحديث ساقط من أساسه، ولعمري إذا كان مرتكبو الكبائر سينالون شفاعة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) رغم اقترافهم الموبقات والكبائر فما هي فائدة الدين والشريعة؟ وبالمناسبة سنذكر لاحقاً مزيداً مما جاء بشان أبي نواس الذي لم يكن يؤمن بالقيامة ونكتفي هنا في مذمته بأن نذكر أن حضرة الإمام الهادي عليه السلام كان يطلق عليه لقب أبي نواس الباطل.

الحديث العشرون: نقله المجلسي عن كتاب «عيون أخبار الرضا» للصدوق قال: «أحمد بن أبي جعفر البيهقي عن علي بن جعفر المدني عن علي بن محمد بن مهرويه القزويني عن داود بن سليمان عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): إذا كان يوم القيامة وُلِّينا حسابَ شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمنا فيها فأجابنا ومن كانت مظلمته بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح!».

إن متن هذا الحديث مؤداه أن عالم الخليقة ونظامه رهينٌ لإرادة أخلّاء الله وأحبابه!!، وهذا المتن يذكّرنا بمتن الحديث الذي رواه صاحب كتاب «أمراء الكون» مع فارق أن الحديث هنا منسوب إلى الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وهناك منسوب إلى حضرة الإمام الكاظم، ورُواة الحديث من الإمام الرضا حتى أمير المؤمنين من المعصومين، فما أعظمه من سند يستفيد منه المغرورون المخربون لدين الإسلام إذ يفتح الباب للاجتراء على كل معصية مما يخرب الدين أكثر من فعل مئة ألف جندي.

أما حال رجال سنده فإن «أحمد بن أبي جعفر البيهقي» و«علي بن جعفر البيهقي» و«علي بن جعفر المدني» لا ذكر لهم في كتب الرجال، بل هناك ذكر للرواة التالين فقط أي «علي بن مهرويه القزويني» الذي اعتبره المامقاني في تنقيح المقال مجهول الحال، و«داوود بن سليمان» الذي اعتبره

الوحيد البهبهاني[١] (ج١/ ص٤١٠)[٢] عامياً. والواقع أن علي بن مهرويه أيضاً من رواة العامة، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في «ميزان الاعتدال» (ج٢/ ص٨) بشأنه ما نصُّه:

«داود بن سليمان الجرجاني الغازي: عن علي بن موسى الرضا وغيره كذَّبه يحيى ابن معين ولم يعرفه أبو حاتم وبكل حال فهو شيخٌ كذَّابٌ له نسخة موضوعة عن علي بن موسى الرضا رواها علي بن محمد بن جهرويه القزويني الصدوق عنه قال: حدثنا علي بن موسى أخبرنا أبي عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي ﷺ مرفوعاً: "اختنوا أولادكم يوم السابع فإنه أطهر... (وذكر الحديث بطوله وهو ركيك اللفظ) وبه: "أربعة أنا أشفع لهم يوم القيامة ولو أتوني بذنب أهل الأرض: الضارب بسيفه أمام ذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في حوائجهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه".»

قلتُ: فمن هذا يظهر أن تلك الرواية هي مما أتحفنا به الشيخ الصدوق عليه الرحمة نقلاً عن العامة أو بالأحرى عن الكذابين منهم ولمّا كان «داوود بن سليمان» هذا من المخالفين للشيعة ولأهل البيت فلا عجب أن ينسب مثل تلك الرسالة المشحونة بالكذب إلى الإمام الرضا عليه السلام لكي يشوّه صورة مذهب الشيعة وأئمتهم! وإلا فلو صحّ ذلك الحديث لم يبقَ هناك معنىً لبعثة الرسل وإنزال الكتب! ومن الجهة الأخرى أيُّ قرابةٍ ونَسَبٍ بين الله تعالى والشيعة مما لا يوجد مثله بين الله وبقية عباده؟! فهل هناك ضلالٌ أوضح من ذلك، ولا ندري ربما كانت هناك أيادٍ نصرانية خفيّة وراء دسّ مثل هذا الحديث.

---

(١) هو محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني (توفي عام ١٢٠٥) جدته لأمه بنت المجلسي الأول وأخت الثاني! وهو أحد أهم مراجع ومجتهدي الشيعة الإمامية في عصره وهو محي طريقة الأصوليين المجتهدين والقاضي على طريقة الأخباريين التي كانت قد استفحلت قبله بفضل محمد أمين الأسترآبادي (١٠٣٦هـ) وتلامذة مدرسته. وقد جعل مركزه العلمي مدينة كربلاء. (المترجم).

(٢) لم يذكر المؤلف أن هذا الجزء والصفحة من أي كتاب؟ والظاهر أنها من تعليق البهبهاني على كتاب «منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال» للميرزا محمد الأسترآبادي (١٠٢١هـ). (المترجم)

الحديث الواحد والعشرون: هو حديث لا سند له ومتنه مطابق لمتن الحديث الرابع الذي مرّ.

الحديث الثاني والعشرون: (وهو الحديث رقم ٢٦ في الطبعة الجديدة لبحار الأنوار) رواه المجلسي نقلاً عن كتاب «ثواب الأعمال» بسنده عن أبي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي ولاد عن ميسر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمرّ به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به قال فيقول له: يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأسعفك في الحاجة تطلبها مني فهل عندك اليوم مكافاة؟ فيقول المؤمن للملك الموكل به: خلِّ سبيله، قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيخلي سبيله!».

قلت في سنده: «أبو ولّاد» (حفص بن يونس) وهو عن «ميسّر» وكلاهما مجهول الحال كما جاء في تنقيح المقال (ج١/ ص٣٥٦) و(ج٣/ ص ٢٦٤).

الحديث الثالث والعشرون: نقله المجلسي عن كتاب «ثواب الأعمال» أيضاً بسنده عن أبي عن سعد عن ابن عيسى عن محمد بن خالد عن النضر عن يحيى الحلبي عن أبي المغراء عن أبي بصير عن علي الصائغ قال قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصباً، ولو أن ناصباً شفع له كلُّ نبيٍّ مرسل وملك مقرب ما شُفِّعوا».

قلتُ: في سنده «محمد بن خالد» قال عنه ابن الغضائري كما جاء في تنقيح المقال (ج٣/ ص١١٣): «محمد بن خالد البرقي، حديثه يُعرف ويُنكر، ويروي عن الضعفاء ويعتمد على المراسيل». وأورده ابن داود في رجاله (ص٥٠٣) في عداد المجروحين والمجهولين وعدّه من الضعفاء في القسم الثاني من كتابه.

أما من ناحية متنه فلو قُصد بتلك الشفاعة الشفاعة في الدنيا (بمعنى الدعاء والاستغفار وطلب الرحمة للمشفوع له) لما كان في متنه إشكال، أما إن قُصد حصول ذلك في الآخرة فلا يصحّ كما أسلفنا.

الحديث الرابع والعشرون: (وهو الحديث رقم ٢٨ في الطبعة الجديدة) نقله المجلسي عن

كتاب المحاسن للبرقي بسنده عن أبيه عن سعدان بن مسلم عن معاوية بن وهب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وقالَ صَواباً قال: «نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً. قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! وما تقولون قال نمجِّد ربَّنا ونصلي على نبينا ونَشْفَعُ لشيعتنا فلا يردُّنا ربُّنا».

قلتُ: «سعدان بن مسلم» اعتبره علماء الرجال مهملاً وقالوا أنه ضعيف وغير موثوق. و«معاوية بن وهب» مجهول الحال (انظر تنقيح المقال ج٣/ ص٢٢٦).

الحديث الخامس والعشرون: وهو مرويٌ أيضاً عن سعدان المذكور في الحديث السابق ومتنه مشابه لمتن الحديث السابق. وقد ذكرنا مراراً أن الشفاعة بمعنى استغفار الملائكة والأنبياء والأولياء للمؤمنين في الدنيا شفاعة صحيحة ثابتة.

الحديث السادس والعشرون: متنه كمتن الحديث الرابع والعشرين بيد أن في سنده محمد بن الفضل الذي بينا ضعفه وغلوه في التعليق على الحديث السابع عشر.

الحديث السابع والعشرون: وهو عن محمد بن الفضل أيضاً. ومتنه أن محمد بن الفضل سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ؟ فقال نحن أولئك الشافعون!.

الحديث الثامن والعشرون: نقله المجلسي عن المحاسن للبرقي أيضا بلفظ: «أبي عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام إن لنا جاراً من الخوارج يقول إن محمداً يوم القيامة همُّه نفسُه فكيف يشفع؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) يوم القيامة».

قلت: «القاسم بن محمد» طبقاً لما صرح به علماء الرجال، واقفيٌّ، ولم يوثقه أحد، وردّ جميع الفقهاء روايته وطعنوا به. وأمّا «علي بن أبي حمزة» فهو ذلك الملعون ذاته الذي تكلمنا عنه في تعليقنا على الحديث الثامن.

الحديث التاسع والعشرون: عن كتاب «المحاسن» للبرقي أيضاً: «أبي عن حمزة بن عبد الله

عن ابن عميرة عن أبي حمزة قال قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) شفاعة.».

في سنده «حمزة بن عبد الله» لا ذكر له في كتب الرجال، ورواه عن «ابن عميرة» قد جاء في فصل الكنى (ص٢٨) من كتاب تنقيح المقال: لم أعرف اسمه ولا حاله!.

الحديث الثلاثون: عن كتاب «المحاسن» للبرقي أيضاً: «ابن محبوب عن أبان عن أسد بن إسماعيل عن جابر بن يزيد قال قال أبو جعفر ع يا جابر لا تستعن بعدونا في حاجة ولا تستعطه ولا تسأله شربة ماء إنه ليمر به المؤمن في النار فيقول يا مؤمن ألست فعلت بك كذا وكذا؟ فيستحيي منه فيستنقذه من النار، فإنما سمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن على الله فيؤمن فيجيز أمانه».

قلتُ: في سنده أبان عن «أسد بن إسماعيل» والأخير مجهول الحال كما جاء في «تنقيح المقال» (ج١/ ص٧) فضلاً عن أن متن الحديث لا علاقة له بتلك الشفاعة الواسعة المدّعاة.

الحديث الواحد والثلاثون: نقله عن كتاب «المحاسن» للبرقي أيضاً: «أبي عن فضالة عن حسين بن عثمان عن أبي حمزة أنه قال: للنبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) شفاعةٌ في أمته ولنا شفاعةٌ في شيعتنا ولشيعتنا شفاعةٌ في أهل بيتهم».

قلتُ: هذا الحديث من كلام أبي حمزة فهو ليس مرفوعاً إلى المعصوم فلا حجة فيه. وعلى كل حال فشفاعة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لأمته ثابتة ولكن بمعنى استغفاره لهم وطلبه الرحمة لهم.

الحديث الثاني والثلاثون: نقله المجلسي عن كتاب «المناقب» لابن شهرآشوب كالتالي: «علي بن الجعد عن شعبة عن قتادة عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ قال يعني ما تنفع كفار مكة شفاعة الشافعين ثم قال أول من يشفع يوم القيامة في أمته رسول الله وأول من يشفع في أهل بيته وولده أمير المؤمنين وأول من يشفع في الروم المسلمين صهيب وأول من يشفع في مؤمني الحبشة بلال!».

قلت: جميع رواة سند الحديث من العامة (أهل السنة) وهو موقوف على ابن عباس وليس من كلام المعصوم.

الحديث الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون: أيضاً منقولان عن العامة ومضمونهما بعيد عن الشفاعة المدعاة ولا يعارض ما ذكرناه.

الحديث الخامس والثلاثون: منقول عن «التفسير» المنسوب للإمام الحسن العسكري الذي سبق وبينا أنه كتاب منحول وغير موثوق بل ضعيف ومكذوب.

الحديث السادس والثلاثون: ومضمونه مشابه لحديث الشفاعة الطويل المنقول عن «تفسير العياشي» والذي فيه أن رسول الله يقرع حلقة باب بيت الله فيخرج الله ويسأل مَن بالباب...الخ. مما سبق بيان بطلانه عقلاً وشرعاً.

الأحاديث ٣٧-٣٨-٣٩ كلها منقولة كلها عن تفسير العياشي دون سند فلا حجة فيها ولا تستحق الاعتناء.

الحديث الأربعون: (وهو الحديث رقم ٥٣ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن كتاب «بشارة المصطفى» بالسند التالي: يحيى بن محمد بن الحسن الجواني عن جامع بن أحمد الدهستاني عن علي بن الحسن بن العباس الصندلي عن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي عن يعقوب بن أحمد السري عن محمد بن عبد الله بن محمد عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «أربعةٌ أنا لهم شفيعٌ يوم القيامة المكرِم لذريِّتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي في أمورهم ما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه عند ما اضطروا».

قلتُ: رواة الحديث بدأً من يحيى بن محمد الجواني وانتهاءً بيعقوب بن أحمد السري كلهم مجهولون وليس لهم ذكر في كتب رجال الشيعة، والأخير يرويه عن «محمد بن عبد الله بن محمد» وهو إن لم يكن مجهولاً فلا بد أنه «محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله» الذي اعتبره النجاشي ضعيفاً. والراوي التالي «عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه» وأبوه أي (أحمد بن عامر الطائي) قال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج١/ ص٦٣): مجهول الحال. وأحمد هذا روى الحديث عن عامر بن سليمان بن صالح وهو شخص مجهول لا ذكر له في كتب الرجال. فهذا الحديث

فاسد السند ساقط من الاعتبار من جميع الجهات.

الحديث الواحد والأربعون (أو رقم ٥٤ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن «كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة» كما يلي: «محمد بن العباس عن أحمد بن هوذة عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم وما كان للآدميين سألنا الله أن يعوضهم بدله فهو لهم وما كان لنا فهو لهم ثم قرأ: إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ».

قلتُ: «محمد بن العباس» و«أحمد بن هوذة» كلاهما مجهول الحال (انظر تنقيح المقال: ج٣/ ص١٣٥ وج١/ ص٩٩). و«إبراهيم بن إسحاق» اعتبره الشيخ الطوسي في رجاله (ص٤٥١) ضعيفاً، وقال الشيخ الطوسي في الفهرست (ص٢٩): «إبراهيم بن إسحاق أبو الإسحاق النهاوندي كان ضعيفاً في حديثه متهماً في دينه». وقال العلامة في القسم الثاني من خلاصته (ص١٩٨): «إبراهيم بن إسحاق... كان ضعيفاً في دينه وفي مذهبه ارتفاع، وأمره مختلط، لا أعمل على شيء مما يرويه».

والراوي التالي هو «عبد الله بن حماد» قال عنه ابن الغضائري: «عبد الله بن حماد أبو محمد الأنصاري نزل قم، لم يروِ عن أحد من الأئمَّة وحديثه يُعرف تارة ويُنكر أخرى.».

والراوي الأخير هو «عبد الله بن سنان» وهو خازن مكتبة أبو جعفر المنصور الدوانيقي.

فهذا هو سند الحديث الذي استدل به المدعو آية الله العظمى (!) أبو الفضل النبوي في كتابه «أمراء الكون» على أن إياب الخلق إلى الأئمَّة وحسابهم عليهم!!

الحديث الثاني والأربعون (أو رقم ٥٥ في الطبعة الجديدة): متنه كالحديث السابق وسنده مشترك معه في بدايته إلا أنه يصل في آخره إلى «محمد بن جعفر» عن أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد عرفنا حال الرواة من بداية السند وحتى عبد الله بن حماد، وبقي أن نتعرف على حال «محمد بن جعفر»:

ذكر الشيخ المفيد في كتابه «الإرشاد» أن «محمد بن جعفر» كان يرى رأي الزيدية في الخروج

بالسيف[١]، وقد خرج بذاته على المأمون في مكة سنة ١٩٩هـ، ودعا إلى نفسه وتسمَّى بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة، واتبعته الزيدية الجارودية، فخرج لقتاله عيسى الجلودي ففرق جمعه وأخذه وأنفذه إلى المأمون...[٢]. وجاء في كتاب «كشف الغمّة بمعرفة الأئمَّة» لعلي بن عيسى الإربلي، في الحديث عن موسى بن جعفر ما نصُّه: «ومات (الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام) في حبس (هارون) الرشيد وقيل سعى به جماعة من أهل بيته منهم محمد بن جعفر بن محمد أخوه ومحمد بن إسماعيل بن جعفر ابن أخيه والله أعلم»[٣].

وروى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا»: «عن علي بن جعفر قال جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وذَكَرَ لي أنَّ محمد بن جعفر دخل على هارون الرشيد فسلَّم عليه بالخلافة ثم قال له: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت أخي موسى بن جعفر عليه السلام يُسَلِّمُ عليه بالخلافة!»[٤]. وفي «عيون أخبار الرضا» أيضاً، كما في «الإرشاد» أنه: «لما خرج محمد بن جعفر بمكة ودعا لنفسه ويسمى بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة ودخل عليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فقال: يا عم! لا تكذِّب أباك وأخاك فإن هذا الأمر لا يتم.». وفي موضع آخر من «عيون أخبار الرضا» روى الصدوق بالسند عن عمير بن يزيد قال: كنتُ عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذُكِرَ «محمد بن جعفر بن محمد» فقال: «إني جعلتُ على نفسي أن لا يُظِلَّني وإيَّاه سَقْفُ بَيْتٍ!».

---

(١) أي عقيدة الزيدية في أن الإمامة بعد الحسن والحسين شورى بين أولادهما، فمن خرج منهم، سواء كان من ذرية الحسن أو من ذرية الحسين، وشهر سيفه ودعا إلى نفسه فهو المستحق للإمامة، ولذا فقد ساقت الزيدية الإمامة إلى كلِّ فاطميٍّ عالمٍ زاهدٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج للإمامة بالسيف، فاعتبرته إماماً واجب الطاعة. (المترجم)

(٢) انظر الشيخ المفيد، «الإرشاد»: ج٢/ ص ١١١ - ١١٢، وبهاء الدين علي بن عيسى الإربلي (المتوفى ٦٩٢هـ)، «كشف الغمَّة بمعرفة الأئمَّة»: ج٢/ ص ٣٠٠. (المترجم)

(٣) بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي، «كشف الغمَّة بمعرفة الأئمَّة»، ج٢/ ص ٢٥٢. (المترجم)

(٤) الشيخ الصدوق، «عيون أخبار الرضا»، ج١/ ص ٧٣.

فهذا هو حال «محمد بن جعفر» يُضاف إلى حال الرواة السابقين للسند الذي شرحناه فيما سبق!.

الحديث الثالث والأربعون: (وهو رقم ٥٨ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن كتاب «علل الشرائع» للشيخ الصدوق بسنده التالي: «ابن المتوكل عن سعد عن ابن عيسى عن ابن سنان عن مسكان عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمةَ وَقْفَةٌ على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ إلى النار، فتقرأ بين عينيه محبّاً فتقول: إلهي وسيدي! سميتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولى ذريتي من النار ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعك ليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي فمن قرأت بين عينيه مؤمنا فجذبت بيده وأدخلته الجنة!».

قلت: يكفي في بيان وضعه واختلاقه أن في سنده «ابن سنان» الذي هو محمد بن سنان الضعيف الغالي الذي سبق بيان حاله.

الحديث الرابع والأربعون: (وهو رقم ٥٩ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن كتاب «تفسير فرات بن إبراهيم» قال: «سهل بن أحمد الدينوري بإسناده عن الصادق عليه السلام قال قال جابر لأبي جعفر عليه السلام جُعِلْتُ فِدَاكَ! يا ابن رسول الله! حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفر عليه السلام حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة (ويذكر أنه يُنْصَبُ لعليٍّ منبرٌ وللحسنين منبرٌ و.. و.. حتى يقول): فيقول الله تعالى يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغُضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة فيأتيها جبرئيل بناقة من

نوق الجنة مدبحة الجنبين خطامها من اللؤلؤ الرطب عليها رحل من المرجان فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها ويبعث إليها مائة ألف ملك عن يسارها ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي فتقول يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم فيقول الله يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة...الحديث بطوله».

قلت: لم يذكر المجلسي تفصيل السند المشار إليه وكل ما ذكر هو الراوي «سهل بن أحمد الدينوري»، وهذا كاف لمعرفة كذب الحديث، لأن «سهل بن أحمد» هذا قال عنه ابن الغضائري - كما ذكر المامقاني في تنقيح المقال (ج٢/ ص٧٤)-: «كان يضع الأحاديث ويروي عن المجاهيل!»، كما عرفي العقيقي بأنه: «كان واقفيّاً غالياً». وهكذا جاء تضعيفه وجرحه بالوضع الغلو في جميع كتب الرجال، فابن داود الحلي مثلاً أورده في قسم الضعفاء من رجاله (ص ٤٦٠)، والتفرشي قال عنه في «نقد الرجال» (ص ١٦٤) أنه هو الذي وضع التفسير المنسوب إلى الإمام، وانظر أيضاً قاموس الرجال للتُسْتَرِيّ (ج٥/ ص ٣٢).

الحديث الخامس والأربعون: نقله المجلسي عن كتاب «الأمالي» للشيخ الطوسي عن المفيد عن ابن قولويه عن الحميري عن أبيه عن البرقي عن التفليسي عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك عن الصادق عليه السلام قال: «يا فضل إنما سمي المؤمن مؤمنا لأنه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه ثم قال أ ما سمعت الله يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ».

والتفليسي لقب «بشر بن بيان» الذي اعتبره في تنقيح المقال (ج١/ ص١٧٢) مجهولاً وذكر في صفحة ٢٠ أنه لا وجود له. وإن كان المراد من التفليسي «بيان بن حموان» فهو أيضاً مجهول كما في (ج١/ ص١٨٥) من تنقيح المقال. وإن كان المراد منه «شريف بن سابق» فهو حسب قول الغضائري ضعيف ومضطرب الأمر، وعلى قول صاحب تنقيح المقال (ج٢/ ص٨٤): «كلهم

يتسالمون على ضعف الرجل».

الحديث السادس والأربعون: عن الكافي للكليني: «علي عن أبيه عن ابن فضال عن حفص المؤذن عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحابه قال: واعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك فمن سره أن ينفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه».

قلت: متن هذا الحديث صحيح موافق للقرآن ولما بيناه من حقيقة الشفاعة.

الحديث السابع والأربعون: حديثٌ طويلٌ جداً أورده المجلسي نقلاً عن «تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي» بلا سند عن ابن عباس، ولمّا كان فاقداً للسند فلا حجة فيه. ومضمونه يحكي عن قدوم فاطمة عليها السلام إلى أرض المحشر على نحو مخصوص..الخ.

الحديث الثامن والأربعون: نقله المجلسي عن كتاب «علل الشرائع»: «أبي عن أحمد بن إدريس عن حنان قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا تسألوهم فتكلِّفُونا قضاء حوائجهم يوم القيامة».

قلت: في سند هذا الحديث «حنان بن سدير» الذي تذكر كتب الرجال أنه كان واقفياً (رجال الكشي ص٤٦٥) وذكره ابن داود في رجاله مع المجهولين والمجروحين والضعفاء (ص٤٥٠) كما اعتبره العلامة (ص٢١٨) واقفياً ونقل عن الشيخ الطوسي قوله: «إنه ثقة، وعندي في روايته توقُّفٌ...»، ولا ندري أن الجملة الثانية، أي التوقف في روايته، هي رأي الطوسي أم قول العلامة والأظهر أنها قول الطوسي.

واعتبره النجاشي عليه الرحمة في رجاله (ص١١٣) غير ثبت.

وقال عنه صاحب تنقيح المقال (ج١/ ص٣٨١): «حنان ضعيف لأنه كيساني»، وقال جميع علماء الرجال أن حناناً لم يدرك الإمام الباقر عليه السلام ومع ذلك فإنه روى هذا الحديث بصيغة: «سمعتُ أبا جعفر عليه السلام» مما يبين أن حديثه كذب من أساسه.

الحديث التاسع والأربعون: سنده كسابقه ومتنه شبيه به فلا اعتبار له.

الحديث الخمسون: نقله المجلسي عن كتاب «الأمالي» للشيخ الطوسي: «ابن عبدون عن ابن الزبير عن علي بن الحسن بن فضال عن العباس بن عامر عن أحمد بن رزق عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لا تستخفوا بشيعة علي فإن الرجل منهم ليشفع لعدد ربيعة ومضر».

قلت: ابن عبدون هو (أحمد بن عبد الواحد) الذي قال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج١/ ص٦٦): «لم يرد في الرجل توثيق صحيح». وأما «ابن الزبير» فقد اعتبره الوحيد البهبهاني غالياً. والأخير روى عن «علي بن الحسن بن الفضال» وهو من أسوء رجال الحديث سمعةً وقد سبق أن بينا حاله. وسائر رجال السند مجهولون لا ذكر لهم في كتب الرجال. وبالتالي فهذا الحديث واه من حيث السند بل من أوهن الأحاديث وأضعفها ثقةً.

الحديث الواحد والخمسون: من تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي «معنعناً عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا قوله تعالى فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ وذلك أن الله تعالى يفضلنا ويفضل شيعتنا حتى إنا لنشفع ويشفعون فإذا رأى ذلك من ليس منهم قالوا فَمَا لَنا مِنْ شافِعِينَ ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»

هذا الحديث كما هو ظاهر مروي هنا بدون سند ولكنه جاء في تفسير القمي (ص٤٧٣ من الطبعة القديمة) مسنداً عن إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن محبوب عن أبي أسامة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وأبو أسامة هو زيد الشحّام الممدوح لدى أكثر أرباب الرجال ولكن الغضائري اعتبره ضعيفاً، وإبراهيم بن هاشم لم يوثقه كثير من علماء الرجال.

الحديث الثاني والخمسون: (وهو حديث رقم ٧٠ في الطبعة الجديدة) نقله المجلسي عن «الكافي» للكُلَيْني قال: «محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن عمر بن أبان عن عبد الحميد الوابشي عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: إن لنا جاراً ينتهك المحارم كلَّها حتى أنه ليترك الصلاة فضلاً عن غيرها، فقال: سبحان الله وأعظم ذلك ألا أخبركم بمن

هو شرٌّ منه؟ قلت: بلى! قال: الناصب لنا شرٌّ منه، أما إنه ليس من عبد يُذْكَر عنده أهل البيت فيرقُّ لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها إلا أن يجيء بذنب يخرجه من الإيمان، وإن الشفاعة لمقبولةٌ وما تُقبَل في ناصب، وإن المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة! فيقول: يا ربِّ! جاري كان يكف عني الأذى، فيُشَفَّع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة! وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار فَمَا لَنَا مِنْ شافِعِينَ ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ».

قلت: أحد رواته «عليُّ بن فضال» الذي عرفناه فيما سبق، وبقية رواته مجهولون ومهملون. أما متنه فيمكن فهمه على نحو يتفق مع مفهوم الشفاعة الشرعية الذي سنشرحه لاحقاً.

الحديث الثالث والخمسون: هو الحديث التشبيهي الفاضح ذاته الذي استند إليه آية الله أبو الفضل النبوي وقد بينا ضعفه فيما سبق.

الحديث الرابع والخمسون: عن تفسير فرات بن إبراهيم: «محمد بن القاسم بن عبيد معنعنا عن بشر بن شريح البصري قال: قلت لمحمد بن علي عليه السلام: أَيَّةُ آيةٍ في كتاب الله أرجى؟ قال: ما يقول فيها قومك؟ قال قلت: يقولون يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله. قال: لكنا أهل البيت لا نقول ذلك! قال قلت: فأيُّ شيء تقولون فيها؟ قال نقول: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى، الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة».

قلتُ: إذا كان الراوي «محمد بن القاسم» هو «محمد بن القاسم الأسترآبادي» فهو كذاب متروك الحديث لأن الغضائري قال عنه – كما في تنقيح المقال: «ضعيف كذَّاب، وهو الذي وضع التفسير المنسوب إلى الإمام». أما إذا كان «محمد بن القاسم بن عبيد» فهو مجهول وكذلك الراوي الذي بعده أعني «بشر بن شريح»، فالحديث ساقط من الاعتبار لأن في سنده مجاهيل لا ذكر لهم في كتب الرجال. ومن الجدير بالذكر أن اسم «بشر» جاء في «تفسير فرات الكوفي» باسم «نشر» وهو أيضا مجهول!

الحديث الخامس والخمسون: منقول عن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري الذي

بينا فيما سبق أنّه كتاب موضوع مكذوب.

الحديث السادس والخمسون: من كتاب «صفات الشيعة» للصدوق رحمه الله بإسناده عن عمار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لكلِّ مؤمنٍ خمس ساعات يوم القيامة يشفع فيها.».

قلت: عمّارٌ الساباطيُّ كان فطحيَّ المذهب، قال عنه صاحب «كاشف الرموز»: «عمَّارٌ فطحيٌّ لا أعمل على روايته». وقال عنه الشيخ الطوسي في الرواية التي أوردها حول السهو في صلاة المغرب: «هو فطحيٌّ ملعونٌ من الكلاب الممطورة».

الحديث السابع والخمسون: عن كتاب «دعوات الراوندي»: عن سماعة بن مهران قال قال أبو الحسن عليه السلام: «إذا كانت لك حاجة إلى الله فقل اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأنا من الشأن وقدراً من القدر فبحقّ ذلك الشأن وذلك القدر أن تصلّي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا، فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسَلٌ ولا مؤمنٌ ممتحنٌ إلا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم.».

قلتُ: قال الشيخ الصدوق: «أنا لا أفتي برواية سماعة بن مهران». ثم إن سماعة هذا مات عام ١٤٥هـ زمن الإمام الصادق عليه السلام، ومع ذلك فإنه يروي هذه الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام الذي ولد عام ١٤٨هـ! فهذا يدلُّ إما على الانقطاع في السند أو كذب في الرواية. وكلاهما يجعل السند ضعيفاً لا يمكن الوثوق به.

الحديث الثامن والخمسون: منقولٌ من غير سند عن «التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري» الذي ذكرنا مراراً أنه كتابٌ منحولٌ موضوعٌ، فضلاً عن أن متن الحديث الطويل يتضمَّن مطالب واضحة البطلان تنضح منها علامات الوضع، كحكايته عن رجل من شيعة عليٍّ يأتي يوم القيامة وقد وضع له في كفّة سيئاته من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيارة وليس عنده حسنة واحدة! (وليت شعري كيف يُعَدُّ مثل هذا المجرم الأثيم من شيعة علي؟!)، ومع ذلك تُغْفَرُ له كل ذنوبه عندما يَهَبُهُ عليٌّ عليه السلام ثواب نَفَسٍ من أنفاسه ليلة مبيته في فراش النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ)!! وغير ذلك من التّرّهات غير المستغربة من مثل ذلك الحديث

الملفَّق المكذوب.

الحديث التاسع والخمسون: منقول عن تفسير العياشي «عن أسباط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، قال: الصَّرْفُ النافلة والعدل الفريضة».

قلتُ: بيّنّا فيما سبق أن العياشي ضعيف في الرواية، فضلاً عن أن موضوع هذه الرواية لا علاقة له بمسألة الشفاعة التي نتكلم عنها.

الحديث الستون: منقول كذلك عن تفسير العياشي عن أبان بن تغلب قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول فيرفع سبابتيه يا رب خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد فيشفع فيه».

قلتُ: فيه ما في سابقه من ضعف العيّاشي، فضلاً عن الانقطاع في سنده فلا تقوم به حجة. أما متنه فإذا فهمنا الشفاعة هنا على معنى استغفار المؤمن لأخيه الذي يحبّه فلا إشكال في هذا، لأنه هو المعنى الصحيح للشفاعة كما بيّنّا.

تلك كانت عمدة أحاديث الشفاعة التي جمَّعها المجلسي من كتب الرواية المختلفة في كتابه «بحار الأنوار»/ باب الشفاعة، - وقد اكتفينا بستين منها لأن بعضها الآخر ليس بحديث والبعض لا سند له-، وكما لاحظنا لا يوجد بينها حديث صحيح واحد، كما أن كثيراً منها يتضمن قصصاً وخيالات عجيبة ملفَّقة مِنْ نَسْجِ خَيَالِ رُوَاةٍ مُضِلِّين دجَّالين أغواهم الشيطان فأبعدوا الناس بأكاذيبهم هذه عن كتاب الله وجعلوا دين الله مهجوراً وأغفلوا عن إنذارات رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) فجعلوها عديمة الفائدة والأثر فيهم بما أمّلوهم من هذه الشفاعة لمن ذنوبه وكبائره كالجبال الرواسي والبحار السيارة وليس له حسنة قط! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الشفاعة عند الله لا تُقاس على الشفاعة عند سلاطين الدنيا

بيَّنَّا فيما سبق للقرَّاء الكرام أنَّ الشفاعة بمعنى توسُّط شخص مقرَّب ذي حظوة ومنزلةٍ لدى سلطانٍ حاكمٍ لأجل تخفيف العقاب أو العفو والسماح عن شخص مجرم ارتكب ما يستوجب العقاب، كان عادةً رائجةً زَمَنَ السلاطين الجبارين والمستبدين المتكبرين، ونقول: إن مثل هذا النمط من الشفاعة لا يمكن أن يوجد في نظام عالم الوجود الخاضع بشكل مطلق لإرادة ومشيئة رب العالمين، بل القول بمثله فيه نوع من الجهل بالله والتجرُّؤ على ساحة ربوبيَّتِهِ المقدّسة، فقياس الشفاعة لديه على الشفاعة لدى سلاطين الدنيا قياس مع الفارق الكبير، بل قياس أمر على آخر لا علاقة له به.

فالقول بشفاعةٍ بمعنى قيام النبي أو الإمام بالتدخل والتوسط لدى الله تعالى لحمله على تغيير حكمه والرحمة بحق شخص قد أجرم إما لتخفيف العقاب عنه أو رفعه كليةً والسماح عنه، فيه نوع من الجهل بالله والوقاحة وإساءة الأدب بحق ذاته العلية وتشبيهه بسلاطين عالم الدنيا، مما لا تقره شريعة الإسلام المطهّرة. ولذا فقد جاء في كتاب «البداية والنهاية» للحافظ أبي الفداء ابن كثير الدمشقي (ج١/ ص١١): «...... عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله! جهدت الأنفس وجاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنّا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ : «ويحك أتدري ما تقول؟؟» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يُسبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك»...».

وفيما يلي نذكر أهم خصائص الشفاعة التي تتم عند السلاطين الجبارين في الدنيا لنرى كيف أن مثل هذه المواصفات لا تنسجم ولا يمكن أن يُقال بمثلها بحق الباري تبارك وتعالى:

١) المجرم يرتكب أعماله في غيبة السلطان الحاكم الذي لم يكن مطلعاً عليه أثناء ارتكابه لجرائمه.

٢) عندما يصل الأمر إلى محضر السلطان الحاكم ويتضح لديه ما عمله المجرم فإنه يصدر أمراً بمجازاته وعقابه وليس لهذا الجزاء قاعدة ثابتة وإنما يخضع لهوى السلطان وما يراه من المصلحة!.

٣) عندما يتوسل مرتكب الجرم بصاحب الجاه والحظوة لدى السلطان ويرجوه أن يشفع له عند السلطان فإن صاحب الجاه إذا عرف أن هذه الشفاعة فيها نفع له أكبر من ثِقَل ترجّي السلطان فإنه يشفع وإلا لو شعر أن شفاعته لن تفيده مادياً ولا معنوياً فإنه يأبى الشفاعة.

٤) الشفيع الذي يتدخل ويتوسط للمجرم لدى السلطان عادةً ما يقدم للسلطان أعذاراً وتبريرات لما فعله المشفوع له، أو يبين له أن من يشفع لأجله لم يرتكب في الواقع ذلك الجرم المنسوب له، أو أنه ارتكبه جهلاً منه ودون قصد أو عن غير عمد، أو يبين للسلطان أن هذا المشفوع له وإن أجرم إلا أنه في مقابل ذلك له إيجابيات فيها فائدة للسلطان وحكمه، فالأَوْلى العفو عنه والاستفادة منه، فعندئذ يقتنع السلطان ويقبل الشفاعة ويعفو عن المشفوع له.

٥) قبول السلطان لشفاعة الشفيع ينجم عادة عن عدم اطلاعه الكامل على ما فعله المشفوع له واحتماله القوي أو يقينه بأن ما يقوله الشفيع حول عدم تقصير المجرم أو استحقاقه العفو صحيح، أو أنه يقبل شفاعة الشفيع كي لا يخيب أمله ولا يغضبه، إذ قد يكون لرفض شفاعته آثار وتبعات سلبية تضر بالسلطان لذا فإنه يقبل وساطته تجنباً لتلك التبعات.

٦) نتيجة مثل هذه الشفاعة تكون عادةً نجاة المجرم من العقاب المستحق عليه وبالتالي فإن الشفيع الذي نجح في مسعاه يحظى لدى الناس باحترامٍ أكثر من السلطان إذْ يشعر الناس أنهم مدينون له وأنه يستحق التذلل له أكثر من السلطان، لأنهم سيدركون أن السلطان ليس مبسوط اليد في بلاده تماماً وأن هناك من يؤثر على أحكامه وقدرته...

لذا فإن المجرمين في مثل هذه الحالة يرضون عن الشفيع أكثر من رضاهم عن السلطان وتقع محبة الشفيع في قلوبهم أكثر لأنه هو الذي حال دون تنفيذ العقاب بحقهم!

والآن أيها القارئ الكريم ضع هذه النقاط الست للشفاعة أمامك وقارنها بإرادة خالق العالم ومشيئته المطلقة وقدرته وسلطانه التي لا حدّ لها، وانظر هل من الممكن القول بمثل ذلك المفهوم للشفاعة بحق الباري عزّ وجلّ؟

هل الله تعالى غير مطلع على أفعال عباده؟ هل نظام الخليقة قائم على الهوى أم على السنن والقوانين الإلهية التي لا تتخلّف؟ هل يحتاج العباد لوسطاء وشفعاء لمخاطبة الله تعالى مع أنه القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

وهل الشفعاء الذين اخترعهم الغلاة والجاهلون لأجل يوم القيامة بحاجة إلى المجرمين والاستفادة منهم؟ وهل هم أرحم بخلق الله من الله تعالى!؟ هذا مع أنه حتى النبي محمد والإمام علي عليهما السلام اللذَين يعتقد أولئك القوم أنهما رحماء بأتباعهم ومحبين حباً جمّاً لشيعتهم، مهما بلغ مقدار محبتهما وشفقتهما لن يكون أكثر من قطرة في بحر رحمة الله ومحبته لعباده.

وهل يمكن للشفعاء أياً كانوا أن يُثْنُوا اللهَ عن حكمٍ اتخذه وَيَحْمِلُوهُ على تغييره؟! وهل الله تعالى يحسب حساباً للشفعاء ويخشى عدم إرضائهم!؟

إن القول بأي واحد مما سبق كفر وجهل بالله، تعالى الله عما يقول الجاهلون.

والخطأ الآخر في مسألة الشفاعة هو أن القائلين بها على ذلك النحو يتصورون أن نتيجة الشفاعة هي النجاة من عذاب جهنم ودخول الجنة، مثلما يحصل في الدنيا إذ أنه يحصل في الدنيا أحياناً أن المجرم الذي يستحق العقاب يتم العفو عنه بعد شفاعة الشفيع صاحب المنزلة لدى صاحب السلطة، فينجو من العقاب، وليس هذا فحسب بل قد يحظى بالتقرُّب من السلطان فيصبح من جلسائه وذوي المقام لديه، وهذا وإن كان وقوعه في الدنيا قليلاً لكنه يحصل أحياناً خاصةً عندما يكون المجرم صاحب كفاءات وملكات بارزة وشخصيّة قويّة، فيقربه السلطان بعد عفوه عنه وقد يعطيه منصباً وزارياً أو قد يرتقي به إلى أعلى من ذلك.

ولكن مثل هذا التصوّر للشفاعة لا مكان له مطلقاً في يوم المحشر لأن العذاب أو الثواب

المستحقان على العبد هنالك نتيجة حتميّة ودقيقة لأعماله وللياقته وشخصيته فإن كان معذباً فلأجل ملكاته الخبيثة التي تكوَّنَت في نفسه نتيجة أعماله، ومثل هذا لو سيق فرضاً إلى جنّات الفردوس فلن يتلذذ بشيء منها، مثله مثل المريض الذي فقد كل إحساس في جهازه الهضمي نتيجة عطب في ذلك الجهاز إذا أعطوه طعاماً لذيذاً ليأكله لن يشعر بطعمه ولن يتلذذ به، أو مثل الرجل العنين والعجوز الذي فقد كل قواه الجنسية حتى لم يبق له حسّ اللمس ولا البصر ما عساه أن يستفيد من رؤية الحور العين وكيف سيتمتّع بهنّ؟ إن الشفاعة لا يمكن أن تضفي على المشفوع له كمالاً آنيّاً في ساعة واحدة وتبدِّلَ ملكاته السيئة بكمالٍ ورقيٍّ معنويٍّ يتمتَّعُ فيه بنعيمِ جنَّةِ الرضوان، وينطبق عليه مثل الشاعر بابا طاهر الذي يقول: (أمسيتُ كردياً وأصبحتُ عربياً)! فليس في كون الله مثل هذه الطفرات. إن إدراك مقام الرضوان الإلهي والسعادة والنعيم الأخروي يحتاج إلى مقام العبادة والرياضة ولا يمكن تحصيل تلك الكمالات إلا في الدنيا كما قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «وإنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولا حِسَابَ وغداً حِسَابٌ ولا عَمَلَ».

إن دين الإسلام لا يؤمن بالتناسخ والحياة الجديدة على الأرض بعد الموت كما في البوذية والبرهمية فلا يمكن تحصيل مقام القرب والعروج نحو الذات الأحدية في فرص الحياة الجديدة المتكررة بعد الموت بل هذه الحياة الدنيا هي فرصة الإنسان الوحيدة لتحصيل الكمالات وتهذيب النفس والقرب من الله كما قال الشاعر:

چه رفتى از جهان يكباره رفتى   دگر هرگز بعالم در نيفتي

أي: إذا رحلت عن العالم رحلت نهائياً ولن تعود بعدها أبداً إلى الدنيا ثانيةً.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

إن المقام الأخروي هو الدرجة نفسها التي وصل إليها الإنسان في هذا العالم ولا يمكن أن تحصل خلال لحظة بسبب الشفاعة!.

وإذا كانت المقامات والمراتب العلمية في الدنيا لا يمكن الحصول عليها بغتة وفي لحظة عن طريق هبتها لشخص بل لا بد من سهر الليالي وتعب السنوات وبذل الجدّ والاجتهاد للوصول إلى تلك المراتب، فإنَّ تحصيل المراتب المعنوية والدرجات الأخروية أكثر أهمية وصعوبة من تلك المراتب العلمية في الدنيا، ولا بدّ للحصول عليها من سنوات طويلة من العبادات وجهاد النفس ورياضتها، وهذا ما تدل عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٢]

﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩]

﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ ﴾ [الإسراء:١٩-٢١].

﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [الأحقاف:١٩]

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة:١١].

﴿ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾ [طه:٧٥-٧٦].

والآيات التي تدل على هذا المعنى وأن درجات الجنة وإدراك لذاتها على قدر تزكية النفس وكمالاتها ومقدار السعي إلى الآخرة الذي قام به العبد في الدنيا وعلى قدر درجة العلم بالله التي اكتسبها العبد في الدنيا كثيرة وهي كلها تؤكد بوضوح ما ذكرناه بأن عالم الخليقة ليس اعتباطياً ولا طفرات فيه، وحساب الآخرة أدق بكثير من حساب الدنيا، فإذا كان تقسيم الأرزاق في هذه الدنيا بتقدير من الله فإنَّ مصير الإنسان في عالم الآخرة رهين بسعيه وأعماله وما كسبته يداه:

﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ [الطور:٢١].

﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:٣٨].

فحتى لو فرضنا وجود شفاعة أخروية بالمعنى الذي يقولونه فلا يمكن الوصول عن طريقها

إلى الدرجات العالية في الجنة التي لا تحصل إلا بطي مقامات الإنسانية بواسطة العبادات والمجاهدات. إن هذا الكمال لا بدّ أن يحصل في نفس الإنسان بواسطة العلم والعرفان والإسلام والإيمان والإحسان ولا يحصل في لحظة.

ومن العجب كيف يغفل الإنسان العاقل عن نفسه وعن الهدف من خلقه، مع أنه في هذه الدنيا كلما حصّل مقاماً لم يقتنع به وسعى إلى إحراز مقام أعلى وأفضل، هذا مع أن مقامات الدنيا، أياً كانت، فهي فانية وزائلة ولا تعادل شيئاً بالنسبة للآخرة، ولكن ذلك الإنسان بدلاً من سعيه إلى كسب المقامات الأخروية التي تورثه السعادة الأبدية التي لا تزول يغرّ نفسه بشفاعة من ذلك النوع والمفهوم الذي لا أساس له من الصحة لا عقلاً ولا شرعاً بل هو من أوهام وخيالات الغافلين ودسائس ومكر أعداء الإسلام الذين قادوا المسلمين إلى وضعهم التعيس الذي نراه!

إننا اليوم لا نرى أحكام الإسلام التي فيها قوام حياة المسلمين وعزّتهم مطبقة بينهم، لاسيما فريضة الدفاع عن حياض الدين والجهاد وإقامة الحكومة الإسلامية واتحاد المسلمين، بل نرى أعمالاً وبدعاً اخترعها الغلاة والدجّالون واعتبروها من أفضل الأعمال في حين أن ضررها واضح للعيان، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

فحقيقة الشفاعة هي ما ذكرناه من قبل من أن الملائكة المجبولين على حبّ الخير وإرادته للمؤمنين، يستغفرون لهم كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر:٧]، وبعضهم يطلب الخير لجميع أهل الأرض ويستغفرون لهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى:٥]، ولكن هذا الاستغفار والشفاعة بحق أهل الأرض لن ينفع جميع الناس بل لن

ينتفع منه إلا الذين رضي الله عنهم كما قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

ونلاحظ في آية استغفار حملة العرش للمؤمنين تصريحاً واضحاً بأن الذين سيستحقون النجاة هم الذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيل الله وصلحوا هم وآبائهم وأزواجهم وذرياتهم فالمدار أولاً وآخراً على الإيمان والتوبة والصلاح: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ ﴾ [غافر:٧-٨].

ومن الجدير بالذكر أنه كما أُمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) بالشفاعة لأمته أي أن يستغفر لهم ويطلب الرحمة لهم فإن الملائكة أيضاً تستغفر للنبي لأنها تستغفر لجميع المؤمنين بل لجميع أهل الأرض وهو (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) منهم، وكذلك أُمرت الملائكة أن تصلي على النبي بشكل خاص، ومعلومٌ أن الصلاة معناها طلب الرحمة وعلوّ الدرجة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، والمؤمنون كذلك مأمورون بالصلاة على النبي، ولذلك ورد عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «إن ربي قد وعدني درجة لا تُنال إلا بدعاء أمتي»[(١)].

إذن الشفاعة وطلب الرحمة والغفران الذي تقوم به الملائكة من غير حملة العرش لعامة أهل الأرض لا يشمل إلا من كان قابلاً للشفاعة ومستحقاً للغفران ومثل هذه القابلية والاستعداد

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن هناك حديث صحيح معناه قريب منه وهو ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٨٣) (وصحَّحه الألباني في«صحيح الجامع الصغير (٧١٥١)» عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي (ﷺ) قال: (الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة) وروي بلفظ: (إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتينيها على الخلق يوم القيامة) رواه السيوطي في الجامع الصغير وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير (١٩٨٨)». (المترجم)

إنما تحصل لدى الأفراد من كل جيل لكل من يطوي مقامات القرب من الله وهذا الأمر يتكرر على الدوام لذا جاء التعبير في الآية المذكورة سابقاً بصيغة المضارع ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

فهذه هي حقيقة الشفاعة التي عرضناها في الصفحات السابقة وبينا أنها ذلك الاستغفار والدعاء ذاته الذي تقوم به الملائكة ويقوم به النبي للمؤمنين أو يقوم به المؤمنون لبعضهم بعضاً وكل ذلك منوط بإذن الله: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾ [طه:١٠٩].

فالشرط المهم لقبول الشفاعة أن يكون الله قد أذن بها سابقاً في الدنيا للملائكة والنبي والمؤمنين، لذا جاء الإذن بصيغة الماضي، وهو الإذن الذي أذنه الله للملائكة وأشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كما أذن به للنبي وهو ما أشار إليه في مواضع عديدة من كتابه كقوله تعالى:

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد:١٩].

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النور:٦٢]

وقوله تعالى: ﴿ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الممتحنة:١٢]

وهو ما قام به خليل الله إبراهيم عليه السلام عندما دعا قائلاً: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم:٤١]

وكذلك ما قام به حضرة نوح عليه السلام من دعائه لنفسه ووالديه والمؤمنين كما في قوله تعالى عنه:

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴾ [نوح:٢٨]

فكل هذه الأدعية وطلب الغفران الذي يقوم به الأنبياء هو نفس الشفاعة التي أذن بها الله والتي ستنفع المؤمنين الذين يرتضيهم الله، أما غير المؤمنين فلن ينتفعوا منها بشيء، وهو معنى

أكدته عديد من الآيات التي بينت أن استغفار الملائكة والأنبياء لمن كانوا من المنافقين أو من كانوا من العصاة المصرين على آثامهم الظالمين لأنفسهم لن تنفعهم شيئاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [المنافقون:٦]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٨٠].

ولهذا نجد أن شفاعة إبراهيم لقوم لوط لم تُقبَل، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود:٧٤-٧٦].

وشفاعة نوح لابنه لم تُقبل، قال تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود:٤٢-٤٧].

فهذا يؤكد تلك الحقيقة القرآنية أنه لدى مقام العزة والجلال الإلهي لا يوجد نسبٌ ولا قرابةٌ ولا وساطةٌ بل كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٤]، فلا يوجد إلا الإيمان والتقوى، ولا مكان للأنساب ولا ينفع نبيٌّ ابنه ولا زوجَته.

ولذلك فقد يشفع الأنبياء أي يستغفرون لأمتهم دون أن يعني ذلك أن الكل سيستفيد من

تلك الشفاعة لأن الأنبياء ليس لهم علم بباطن كل فرد من أفراد أمتهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩] وكما حكي سبحانه وتعالى عن نوح: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء:١١١-١١٣].

وكما قال تعالى عن نبينا محمد: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] فهو (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لا يعلم الغيب ولا يعلم بالتالي بواطن أفراد أمته لأنه من الغيب، وقد صرح تعالى بعدم معرفة نبيه بكثير من المنافقين الذين مردوا على النفاق فقال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]، لذا فهو لا يعرف جميع الصالحين من الطالحين من أمّته فكيف يمكن أن يشفع لمن لا يعرفهم!؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وخلاصة الكلام أنه بمعزل عن عدم وجود دليل على الشفاعة الأخروية المتجددة بالمعنى المشهور وإن كانت توجد فليس هناك أي آية تدل صراحةً أو كنايةً على أن النبيَّ والأئمةَ سيقومون بها يوم القيامة، أما إذا قلنا بالمعنى الذي طرحناه أي الشفاعة بمعنى الاستغفار والدعاء بالغفران والرحمة فهذه واقعة وصحيحة ولن ينتفع منها سوى المؤمنين الموحِّدين الذين ارتضاهم الله.

خلاصة بحث الشفاعة

١- إن مسألة الشفاعة بالصورة التي راجت بين أمة الإسلام عموماً وفي مذهب الشيعة خصوصاً لا أساس لها من الشرع ولا العقل ومن اليقين أنها سرت إلى المسلمين من الملل والنحل السابقة، ومن شأن التحقيق في تلك الملل والأديان أن يكشف هذه الحقيقة ويؤكد هذا المطلب.

٢- إن الشفاعة بالصورة التي فُهمت لدى العامة هي من طراز وكيفية شفاعة المقربين للسلاطين الجبارين الذين يقوم حكمهم على إرادتهم المستبدة وتنفيذ غضبهم وشهوتهم الظالمة والجاهلة، ولا تتناسب لا من قريب ولا من بعيد مع إرادة ربّ العالمين الحكيمة ومشيئته العالمة وسنته العادلة، وتصور مثل تلك الشفاعة بحق خالق العالم وصانعه الحكيم نهاية الجهل بالله كما سبق وأوضحناه.

٣- معظم آيات الشفاعة في القرآن الكريم جاءت ردّاً ودفعاً للعقائد الجاهلية التي كانت رائجة قبل الإسلام لاسيما بين العرب المشركين عبّاد الأوثان والمجوس وأتباع فلاسفة اليونان القائلين بتعدد الآلهة والأرباب المسيِّرين لنظام الخليقة والذين لديهم قدرة ومشيئة خاصة بهم مثل إله الريح والمطر وإله الحرب والسلام وإله القحط والخصوبة وإله المرض والصحة وغير ذلك وكلٌ له سلطانه وعزّته واحترامه ومقامه لدى الإله الواحد الكبير تخوّلهم أن يطلبوا منه إيصال النفع لفلان وفلان من العبيد الذي تقرَّب إليهم وطلب الشفاعة منهم، فيقبل الإله الكبير شفاعة تلك الآلهة، وينجز تلك الطلبات التي كانت في الواقع طلبات دنيوية لأن المشركين زَمَنَ نزول القرآن لم يكونوا يؤمنون بالآخرة فعبادتهم للآلهة رجاء شفاعتها كان هدفه تحقيق رغباتهم ومصالحهم الدنيوية، والتأمل بدقّة في آيات القرآن الكريمة يوضّح هذا المعنى لطالبي الحقيقة كما أوضحناه.

٤- إن آيات الشفاعة التي تشير إلى أنه ثمة شفاعة أذن بها الله تعالى أو يأذن بها يوم القيامة

وسينتفع بها المؤمنون الذين ارتضى الله الشفاعة بحقِّهم، إنما تشير إلى شفاعة ملائكة السماء والأنبياء والمؤمنين لسائر المؤمنين بواسطة الاستغفار لهم وطلب الرحمة لهم ومثل هذه الشفاعة كما شرحناه سابقاً لها أصول وشروط أولها أن يكون الشخص المشفوع له مستحقاً وجديراً بشفاعة الملائكة واستغفارهم له وأهلاً لشفاعة النبيّ والمؤمنين له، أي أن يكون مُوحداً مرضياً لِلَّه، وثانياً: أن يأذن الله تعالى بالاستغفار له، وثالثاً أن تتم هذه الشفاعة والاستغفار أثناء حياة ذلك الشخص في هذا العالم وإلا فيوم القيامة يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ، أي أن أثر تلك الشفاعة واستغفار الملائكة والنبيين للمؤمنين في حال حياتهم في الدنيا ينعكس في الآخرة التي تتجسَّم فيها الأعمال وينتفع بها المؤمنون الموحِّدون كما يفيده قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩]. فالآيات التي تتحدث عن الشفاعة والإذن بها يوم القيامة لا تشير بالضرورة إلى وقوع الشفاعة مجدَّداً في القيامة بل تشير إلى نفعها أو عدم نفعها في ذلك اليوم.

٥- جميع الأحاديث التي جاءت في كتب الرواية في باب الشفاعة الأخروية الشاملة مخدوشةٌ متناً وغير صحيحة سنداً بل ضعيفة متهافتة كما مرّ تفصيله.

٦- من المؤكد أن الدافع وراء توسيع موضوع الشفاعة والمبالغة بها على ذلك النحو الرائج هو سعي الغلاة وأعداء الإسلام لحرف المسلمين عن قرآنهم وإنذاراته وتسهيل باب الفسق والفجور والانهماك في الشهوات عليهم لإضعافهم وإيقاف انتشار دين الإسلام لأن الأمة التي ينتشر فيها الكسل والتباهي والغرور تسير نحو الانحطاط فيصل بذلك أولئك الأعداء إلى هدفهم!.

٧- إن دعاة السوء الجاهلون ينشطون في منابرهم في نشر وإشاعة ذلك المفهوم الباطل للشفاعة مدفوعين من قبل أعداء الإسلام سواء علموا بذلك أم لم يعلموا، ويستفيدون بذلك إقبال العامة عليهم لما يَلْقَى هذا المفهوم لدى العامة من استقبال كونه محبّباً إلى نفوسهم منسجماً مع روح الطمع والطبيعة الحيوانية فيهم، وإلا فإن أدنى تعقّل وتفكّر وتدبّر لآيات القرآن تبيّن

فساد ذلك المعنى وحقيقة الشفاعة التوحيدية.

٨- الشفاعة التي يبينها القرآن الكريم لا تبعث على الغرور والتجرّؤ على المعاصي كما هو شأن التصوّر المشوّه للشفاعة بل على العكس هي بحد ذاتها أفضل وسيلة لتربية الإنسان وترقيّه الروحي وبث روح خشية الله فيه وتشجيعه على الأعمال الصالحة، ولمّا كانت هذه النقطة مهمة جداً فإننا نوضحها فيما يلي بمزيد من الشرح والتفصيل:

في الكتاب المجيد السماوي لدين التوحيد كل الحول والقوة والإرادة والمشيئة وخاصَّةً يوم القيامة مختصة باللِه ربّ العالمينِ مالك يوم الدين وحده، ولا تأثير ولا قُوَّةَ ولا حُكْمَ لأحد من المخلوقات سواء كانوا من الملائكة المقربين أم من الأنبياء المرسلين أم من الأولياء الصالحين في ذلك اليوم، لا بل حتى لا يجرؤ أحدُ على قول كلمة في محضر الله إلا بعد أن يأذن لم يشاء ممن يقول قولاً صواباً كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ:٣٨]، ويقول عن ذلك اليوم: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥].

ففي منطق القرآن لم يُعطَ وعد الشفاعة يوم القيامة لأي أحد من عباد الله من الإنس سواء كانوا من الأنبياء أو الأئمة والصالحين، لا بل أكثر من ذلك لقد جاء في القرآن ردّ شفاعة بعض الأنبياء لأقربائهم كردّ شفاعة نوح لابنه ورفض شفاعة إبراهيم لأبيه وشفاعته لقوم لوط ورفض شفاعة الرسول الأكرم لبعض أقربائه أو صحبه ممن كان من المنافقين.

أما الشفاعة التي يصرِّح بها القرآن فهي عبارةٌ عن بعض الأمور التي يقوم بها بعض الملائكة بتسيير بعض شؤون نظام الطبيعة بأمر الله وإذنه وتقديره، كما هي عبارة عن استغفار الملائكة من حملة العرش للمؤمنين واستغفار سائر الملائكة لأهل الأرض أجمعين لما جبلوا عليه في طبيعتهم الملكوتيّة من الخير المحض، وهو طلب للغفران أي شفاعةٌ لن تنفع إلا أصحاب الاستحقاق الجديرين بها من عباد الله الذين رضيها الله لهم وأذن بها في حقهم: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

والشفاعة التي يُثبتها القرآن للبشر من بني آدم هي ذات الاستغفار أي طلب الرحمة وغفران الذنوب الذي يقوم به الأنبياء للمؤمنين أو يطلبه المؤمنون ويدعون به لبعضهم البعض، وتعود بركته على المستحقين له الجديرين به يوم القيامة.

وأثر الإيمان بمثل هذه الشفاعة أن يسعى المؤمنون - خلال حياتهم الدنيوية من خلال الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة- في أن يكونوا أهلاً لذلك الاستغفار وجديرين بدعاء النبي والمؤمنين بالغفران لهم، أي يسعون أن يكونوا مرضيين لله تعالى، لا أن يغتروا بشفاعةٍ مطلقة يستفيد منها كل واحد مهما فعل فيستسهلوا الانغماس في أودية الفسق والفجور وإشباع الشهوات وارتكاب المحرمات فيستحقون العذاب الإلهي الأبدي وينالون الذلّ في الدنيا والآخرة كما هو مشهود!.

وأثر الإيمان بهذه الشفاعة التوحيدية هو أن يعرف المؤمن أن لا معبود في عالم الوجود سوى الله الواحد الأحد، فلا يُوَلُّون وجوههم شطر أندادٍ وأولياء شركاء لله بوصفهم شفعاء عنده، كما كان يفعل المشركون من قبل، بل يتجهون بكل قلوبهم وأرواحهم لذات الواحد الأحد الذي بيده الشفاعة جميعاً وله الحكم له وحده ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦]، فيكونون موحدين حقيقيين لا يدعون إلا الله ولا يلتجئون إلا إليه ولا يشركون بعبادة ربهم أحداً كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠].

وأثر تلك الشفاعة التوحيدية أيضاً أن يسعى كل فردٍ للالتزام بأوامر الشرع ومعاملة الناس معاملة تجعل النبي والمؤمنين يستغفرون له ويطلبون له العفو والرحمة من صميم قلبهم لأنهم كانوا راضين عن عشرته وسلوكه في الدنيا فعندئذٍ تشمله شفاعة النبي والمؤمنين التي تنفعه في الآخرة فتوجب نجاته أو تخفيف العذاب عنه أو رفع درجاته في حين أن مثل هذه الشفاعة التوحيدية لن تنفع المجرمين ولا الكفار ولا المشركين كما قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ

ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨].

أجل مثل هذه الشفاعة توجب رقيَّ النفس وعلوّ روح المؤمنين وتجعلهم لائقين لمجالسة المؤمنين والصالحين يوم القيامة، وهي منسجمة مع منطق القرآن والعقل والوجدان وما عدا ذلك كله ليس سوى إلقاءات من الشيطان وخداع من الأعداء.

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف:٤٣] والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

حيدر علي قلمداران

مصادر التأليف والتحقيق لبحث الشفاعة

١) القرآن الكريم.

٢) ابن الغضائري، رجال ابن الغضائري، قم: مؤسسة إسماعيليان، ط٢، ١٣٦٤ هـ

٣) ابن حجر العسقلاني، الشيخ الحافظ، «لسان الميزان»، ط حيدر آباد ـ الهند ١٣٣١هـ.

٤) ابن داود الحلي (توفي في القرن ٨ هجري؟)، «رجال ابن داود»، نشر مؤسسة النشر في جامعة طهران، ١٣٨٣ هـ

٥) ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، القاهرة ١٣٥١هـ

٦) ابن ماجه، الحافظ محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، «سنن ابن ماجه»، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مصورة دار الفكر ـ بيروت.

٧) ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (٢١٣هـ) السيرة النبوية، القاهرة، بتحقيق السقا والأبياري والشلبي، مكتبة البابي الحلبي، مصر ١٩٧٣م.

٨) أحمد بن حنبل، الإمام (٢٤١ هـ)، المسند.

٩) الإربلي، الشيخ والشاعر بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي (٦٩٢هـ)، «كشف الغمَّة بمعرفة الأئمة»، تبريز: مكتبة بني هاشمي، ١٣٨١ هـ.

١٠) الاسترآبادي، الميرزا محمد الاسترآبادي، «منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال».

١١) الألباني، المحدِّث محمد ناصر الدين، «صحيح الجامع الصغير»، المكتب الإسلامي ـ الرياض ١٤٠٦هـ.

١٢) البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل، «صحيح البخاري»، المكتبة العصرية،بيروت، ١٤١٨هـ.

١٣) الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى أبو عيسى (٢٧٩هـ)، سنن الترمذي.

١٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (٢٧٥هـ)، المستدرك على الصحيحين.

١٥) الحلي، العلامة الفقيه الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦ هـ)، «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال»، الطبعة القديمة.

١٦) الحلي، العلامة الفقيه الحسن بن يوسف بن المطهر، «منتهى المطلب».

١٧) الحلي، العلامة، رجال العلامة الحلي، قم: دار الذخائر، ١٤١١ هـ

١٨) السيوطي، الإمام جلال الدين، «الجامع الصغير من سنن البشير النذير»، بيروت.

١٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة، قم: دار الهجرة للنشر.

٢٠) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ) كتاب «الأمالي»، طهران: المكتبة الإسلامية، ط٤، ١٤٠٤ هـ

٢١) الصدوق، الشيخ، «صفات الشيعة»، طهران: دار الأعلمي للنشر.

٢٢) الصدوق، الشيخ، «علل الشرائع»، قم: مكتبة الداوري.

٢٣) الصدوق، «عيون أخبار الرضا عليه‌السلام»، الناشر: دار العالم للنشر (جهان)، ١٣٧٨ هـ

٢٤) الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ط٣، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.

٢٥) الطوسي، الشَّيْخُ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (٤٦٠ هـ)، كتاب «الأَمَالِي» (أو المجالس)، ط١، قم: دار الثقافة للنشر، ١٤١٤ هـ

٢٦) الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، «التبيان في تفسير القرآن»، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩ هـ.

٢٧) الطُّوسِيُّ، رجال الشيخ الطوسي (الأبواب)، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ

٢٨) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ط٣، قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤ هـ.

٢٩) علي بن الحسن الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

٣٠) الكشي، (محمد بن عمر بن عبد العزيز)، رجال الكشي، طبع كربلاء.

٣١) الكُلَيْنِي، الشيخ محمد بن يعقوب الكُلَيْنِي الرازي (٣٢٩هـ)، «الكافي» (الأصول والفروع والروضة)، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هـ شمسية.

٣٢) المامقاني (أو الممقاني)، آية الله الشيخ عبد الله (١٣٥٠هـ)، «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، طبعة حجرية بدون مشخصات.

٣٣) متى، إنجيل متى.

٣٤) المجلسي، العلامة المنلا محمد باقر بن محمد تقي (١١١٠هـ)، «بحار الأنوار»، طبعة كمپاني الحجرية القديمة في تبريز، وطبعة بيروت: لبنان، نشر مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤هـ في ١١٠ مجلدات.

٣٥) محمد حسين الطباطبائي «تفسير الميزان»، بيروت.

٣٦) مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، «صحيح مسلم»، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٧) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري البغدادي (٤١٣هـ)، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ط١، الناشر: قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ..

٣٨) النجاشي (الشيخ أحمد بن علي)، «الرجال»، طهران. أو بيروت، ١٤٠٨ هـ. بتحقيق محمد جواد النائيني.

٣٩) النسائي، الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (٣٠٣هـ)، سنن النسائي الكبرى.

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

٤

بحث في زيارة المزارات وفقه الزيارات

- نقد وتمحيص أحاديث فضائل الزيارات في ضوء علم الرجال
- نقد وتمحيص دعاء «الزيارة الجامعة الكبيرة» سنداً ومتناً
- منشأ تعظيم القبور والغلوّ في الأموات وآثارها السيئة
- الأحاديث الواردة في النهي عن تعمير القبور والنهي عن الغلوّ

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله الأطهار وصحبه الأخيار الأبرار ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد،

فلقد أدى انتشار كتاب «أُمراي هستي» (أي أمراء الكون) تأليف أحد الغلاة ويدعى آية الله العظمى السيد أبو الفضل النبوي، في قم/ ايران، في الستينات من القرن الماضي (الميلادي)، الذي طرح فيه مؤلفه نظرية الولاية التكوينية المطلقة للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، أو المعصومين الأربعة عشر (لدى الشيعة الإمامية)، فاعتبر أن الله جعلهم أمراءَ العالَم ومدبري شؤونه ومقسمي أرزاق العباد والقَيِّمِين على شؤونهم... الخ، فنحا فيه منحىً غاية في الغلوّ والإفراط؛ إلى نهوض **المرحوم الأستاذ «حيدر علي قلمداران القُمِّيّ»** المجاهد بالقلم واللسان، والمدافع عن حريم التوحيد الناصع، إلى الرد عليه وتزييف دعاويه وبيان مخالفتها للقرآن والسنة وتعاليم الأئمة، فألف كتاباً كبيراً من خمسة مباحث (بالفارسية طبعاً) أسماه «**راه نجات از شرِّ غلاة**» (أي طريق النجاة من شر الغُلاة) ضمَّنه المباحث التالية:

١. «**بحث در اختصاص علم غيب به خدا**» بحث في اختصاص علم الغيب بالله.
٢. «**بحث در ولايت وحقيقت آن**» أي بحث في الولاية وحقيقتها.
٣. «**بحث در شفاعت وحقيقت آن**» أي البحث في الشفاعة وحقيقتها.
٤. «**بحث در باره غلاة**» أي البحث حول الغلاة.
٥. «**بحث در باره زيارت**» أي البحث حول زيارة المراقد.

ولكن، وكما كان مُتَوَقَّعاً، لم يتمكن من طبع كتابه ونشره، نظراً لما أوجده حراس الخرافات والغلو من عراقيل أمامه حالت دون تمكنه من طباعة الكتاب، فقسَّم تأليفه إلى عدة أقسام، ونضد كل قسم سراً في مطبعة مستقلة من مطابع المدن والبلدات المجاورة لمدينته قم، وأخرج

نسخاً منها بصورة مضطربة، دون أن تتاح له إمكانية مراجعتها وتنقيحها فكثرت فيها الأخطاء المطبعية، وكان عدد النسخ محدوداً تم توزيعه بين الأصدقاء والمعارف وعدد قليل من الناس.

وكذلك استفاد المؤلف من فرصة الانفتاح في السنة الأولى من الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م. فقام على عجل بطبع الفصلين الثالث والرابع (حول الشفاعة وحول الغلو والغلاة) في كتاب واحد وكانت الطبعة أيضاً مشوَّشة ومليئة بالأخطاء المطبعية.

ثم قام أصدقاء المؤلف الذين يشاطرونه أفكاره، بعد وفاته، بتنضيد جديد للمبحث الخامس من كتابه المذكور أي بحث زيارة المراقد ونشروه باسم «زيارت وزيارتنامه» (أي زيارة المراقد وأدعية الزيارات) وضمُّوا إليه فصلاً أخذوه من كتاب آخر له لتناسبه مع هذا الكتاب، وأتحفوني بنسخة منه، فقمتُ بترجمته وأسميته (بحث في زيارة المزارات وأدعية الزيارات) وهو الكتاب الحالي، ومما يجدر ذكره أن المرحوم قلمداران في هذا الكتاب وسائر مباحث الكتاب الأصلي (أي: **راه نجات از شر غلاة**) كان يكتب بأسلوب غاضب ومندفع ولم تخلُ بعض عباراته من شدة وحماس زائد، والكتابة مع العاطفة الملتهبة لها جانب إيجابي وآخر سلبي، أما الإيجابي فهو أن المؤلف ترك المجاملات وكان صريحاً قاطعاً بلا مواربة لم تأخذه في قول كلمة الحق لومة لائم، أما الجانب السلبي فهو أن الكتابة بهذا الدافع تكون عادة مشوشة وغير مرتَّبة حتى أنه لم يضع فصولاً لكتابه بل اكتفى بعناوين وسرد مباحثه تحتها سرداً لم يخلُ أحياناً من التكرار، هذا إضافةً إلى استخدامه أحياناً ألفاظاً غاضبة - كما يلاحظ القارئ - مما لا ينبغي أن تكون في كتاب علمي، فالكتاب العلمي يجب أن يُكْتَبَ بشكلٍ هادئ وعلى نحو مرتب ومنسق، وهذا ما قمت به في الترجمة فلم يقتصر عملي على مجرد الترجمة إلى العربية، بل **حقَّقْتُ الكتاب ووثَّقْتُه وهذَّبْتُه وحذفتُ تكراراته وخرَّجْتُ بعض رواياته التي لم يذكر مصدرها، وأحياناً وسَّعتُ اقتباساته التي اختصرها فأوردتها في الترجمة كاملةً لما رأيت فيها من الفائدة، وترجمتُ للشخصيات الهامة المذكورة فيه، ورتَّبته على نحو منطقي بعناوين وضعتُ بعضها من عندي، ولم ألتزم فيه بالترجمة الحرفية بل تلقّفت المعنى الذي يريد إيصاله فعبَّرت عنه بألفاظٍ تناسب العربية حتى لا تكون الترجمة حرفية**

ركيكة وعسيرة على الفهم، والخلاصة سعيت في خدمة الكتاب وإظهاره بهذه الحلة القشيبة، أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه والحمد لله أولا وآخراً.

المترجم (سعد محمود رستم)

١٣/ شوال/ ١٤٢٨ هـ

١- تمهيد

في كتابنا «**طريق النجاة من شر الغلاة**» أوردنا خمسة أبحاث أحدها حول موضوع الزيارة، وذلك لأن غلاة هذا العصر يستندون في مزاعمهم وأقاويلهم حول الولاية التكوينيَّة وتصرّفات المعصومين الأربعة عشر[1] في ملكوت السماء والأرض إلى بعض الفقرات الواردة في الزيارات، مثل فقرة: «**السلام عليك يا عين الله الناظرة! ويده الباسطة!**» وأمثالها...

لذا وجدنا لزاماً علينا أن نبحث في أصل مسألة «**الزيارة**» ومشروعيتها بحثاً علمياً محقَّقاً: فنقول وبالله التوفيق، إنه مما لا شك فيه أن التردد والسفر لزيارات الأضرحة والمشاهد - بالصورة والمراسم التي تتم فيها اليوم - لا أساس لها في دين الإسلام المقدس، وهي قطعاً ليست من أحكام «**ما أُنْزِلَ به الكتابُ وأُرْسِلَ به الرسولُ**»، ولم يأتِ أيُّ نبيٍّ في شريعته بأحكامٍ حول زيارات المزارات والمشاهد، كما أنه لم يشرع في أي دين من الأديان الإلهية الحقَّة عبادةٌ باسم زيارات العتبات. والشاهد على هذا، الكتبُ السماويةُ الموجودةُ وعدمُ وجود مزارات للأنبياء الإلهيين الذين لا يُعَدُّونَ ولا يُحْصَوْنَ ولا لذراريهم. كما أنه لم تأت في كتاب الله المجيد وقرآنه الحميد أيُّ آيةٍ أو إشارة إلى تلك الأعمال، وكل ما يوجد في هذا الصدد إشارة قد يستفاد منها، صراحةً أو كنايةً، ذمُّ التردُّد لزيارات القبور وهي قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ التكاثر[2]. فإذا كانت زيارة مراقد الأولياء تتم أحياناً ابتغاء

---

(١) يقصد بالمعصومين الأربعة عشر النبيَّ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وابنَتَه فاطمةَ عليها السلام ثم الأئمة الاثني عشر بدءاً من علي بن أبي طالب وانتهاء بالمهدي الغائب المنتظر عليهم السلام.

(٢) إن التفاخر والتكاثر إما أن يكون في المزايا والفضائل التي تكون في نفس الإنسان مثل العلم والشجاعة والفهم... أو تكون في الفضائل التي هي خارج نفسه مثل المال والجاه والأقرباء والمنسوبين... فالافتخار بالعلم والشجاعة والكمالات النفسية إذا لم يكن وليد العجب بالنفس وتزكية النفس بل بهدف تشجيع الآخرين وترغيبهم بتلك الصفات فهو ليس عملاً مذموماً.

رضوان الله وبما يرضي الله، فإن أكثر ما تتم لأجله زيارات المراقد والأضرحة اليوم أمورٌ شركيَّةٌ نهى عنها الشارع وأعمالٌ ذمَّها الله سبحانه وتعالى توجبُ الحسرةَ والندامةَ يوم الحشر، ومن هنا نفهم لماذا كان التردّد إلى زيارات القبور مذموماً ومكروهاً شرعاً في بداية بعثة خاتم النبيين - ﷺ -.

و مما يدل بوضوح على ما قلناه: الجملةُ المتواترةُ: «**قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ**»، فإذا استندَ مدَّعٍ إلى ما جاء في تتمة الحديث من قوله صلوات الله عليه وآله، بعد نهيه: «**فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»(١)، قلنا:

من البديهي أن زيارة القبور التي تُذَكِّرُ الإنسانَ بالآخرةِ والموتِ مشروعة وممدوحة ولكنها لا علاقةَ لها من قريبٍ ولا من بعيدٍ بتلك الزيارات وشد الرحال إلى الأضرحة الفخمة المزخرفة المزينة بجميع أنواع زينات الدنيا من القبور المرتفعة الملبسة بأقشمة الحرير المذهَّبة، المسيَّجة بالفضَّة المعطَّرة، إلى القباب ورؤوس المآذن المطلية بالذهب، إلى الكريستال الفاخر والسجاد الثمين والشمعدانات الجميلة والثريات المتدلية الفخمة، بل مثل هذه الزيارات تذكّر الإنسان بالدنيا، إذْ فيها دافعٌ قويٌّ للانجذاب نحو حطام الدنيا وزينتها، وشدٌّ للنفس نحو متاعها، إضافة إلى ذلك فإن أمر الشارع في هذه المسألة - أي قوله فزوروها فإنها تذكركم الآخرة - ليس منحصراً بزيارة قبور المؤمنين بل يتساوى فيه زيارة قبور المؤمنين والكفار لأن كلا الزيارتين تذكِّران الإنسان بالموت والآخرة وتدعوه إلى العبرة من أحوال الغابرين، بشرط أن يكون القبر قبراً عادياً وليس بناءً شامخاً عظيماً ومزخرفاً.

ومن جملة ما يدل على نَهْي النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عن زيارات القبور في صدر الإسلام، الحديثُ المشهورُ عن ابن عباس أَنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ: «**لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ**

---

(١) هذا الحديث مقبول لدى الفريقين، كما جاء في «السنن الكبرى» للبيهقي(ج٤، ص٧٧): «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة فزوروا ولا تقولوا هجراً**». ومثله ما جاء في كتاب «**الذكرى**» للشهيد الأول باختلاف يسير.

وَالمتَّخِذِيْنَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[١].

وإذا تمسك المخالفون بالمفهوم المخالف للآية الكريمة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ... ﴾ (سورة التوبة/ ٨٤). مستدلين بأن الله تعالى نهى فيها نبيَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم على قبر المنافق مما يدُلُّ بمفهوم المخالفة على جواز قيامه على قبر المؤمن!

قلنا: إذا كان هذا المعترض منصفاً وطالباً للحق وليس كالغريق الذي يتشبث بالقشَّة، فإنه يستطيع بتأمل بسيط للآية أن يدرك أن المراد من القيام على القبر فيها، العمل الذي يتم بعد أداء صلاة الجنازة على الميت أي: دفنه ومواراته التراب، ولا علاقة له بالزيارة، كما جاء في اللغة «قام على الأمر»: أقدم عليه.

وبغض النظر عن عدم وجود تشجيع أو تشريع للتردد على الأضرحة وزيارات قبور الصالحين في أي دينٍ أو شريعة إلهية حقة[٢]، وعدم وجود مثل هذا الحكم في الكتاب والسنة؛ فإن تاريخ مسلمي صدر الإسلام والسيرة النبوية العطرة ليس فيهما أي خبر عن مثل هذا العمل إلى حد أنه بعد أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة من رحلة النبي الأكرم، لمّا ذَهَبَتْ عائشةُ زوجُ النبيِّ إلى زيارة قبر أخيها «عبد الرحمن ابن أبي بكر» - في عهد خلافة معاوية - لامها بعض التابعين

---

(١) روى الترمذي وابن ماجه في سننهما والإمام أحمد في مسنده الجملة الأولى «**لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ**» وقال الترمذي: وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه البيهقي في سننه الكبرى بهذا اللفظ بتمامه (السنن الكبرى: ج٤/ ص ٧١) ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن ابن عباس قال: «**لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زائراتِ القبور والمتخذاتِ عليها المساجد والكنس.**». انظر مصنف ابن أبي شيبة: ج٢/ ص ٢٦٩. (المترجم)

(٢) وفي الإنجيل كذلك لم تأت أية وصية بالتردد لزيارات القبور وبناء المزارات والمشاهد عليها، وليس هذا فحسب، بل اعتبر السيد المسيح أن بناء الأبنية على القبور نوع من أنواع الرياء، من ذلك ما جاء في إنجيل متى (الإصحاح ٢٣/ الآيات ٢٩ - ٣٢): «**الوَيلُ لكُم يا مُعَلّمي الشّريعةِ والفَرّيسيّونَ المُراؤونَ! تَبْنونُ قُبورَ الأنبياءِ وتُزَيّنونَ مدافِنَ الأتقياءِ،** ٣٠ وتَقولونَ: لو عِشنا في زَمَنِ آبائِنا، لما شارَكْناهُم في سَفْكِ دَمِ الأنبياءِ. ٣١ فتَشهَدونَ على أنفُسِكُم بأنّكُم أبناءُ الّذينَ قَتَلوا الأنبياءَ. ٣٢ فتَمّموا أنتُم ما بَدأَ بِه آباؤُكُم!.».

وذكَّرَها بِنَهْيِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عن زيارة القبور، فأخبرته أنه سمح بها بعد ذلك[١]!.

فمثل هذا العمل لم يكن رائجاً في الصدر الأول، ولذلك كان «**الشعبي**» (أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي المتوفى ١٠٤ هـ ق) - الذي يُعتَبر من علماء الإسلام الكبار، وقد لَقِيَ أكثر من مئة وخمسين صحابياً، وأخذ عنهم الحديث -، يقول - كما ينقل عنه ابن بطّال -: «**لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبيّ** [و في رواية: **لَزُرْتُ قبرَ ابْنَتِي**]»[٢].

أي أنه حتى بعد مرور مئة عام على الهجرة لم يكن هناك زيارات جماعيَّة للمراقد بالصورة التي نشأت فيما بعد. ولا ندري متى شاعت هذه البدعة بين المسلمين ومتى راجت كل هذا الرواج بين الشيعة؟ وأما ما قيل من أن أول من زار الإمامَ **أبا عبد الله الحسين** عليه السلام في كربلاء، كان الصحابي الجليل «**جابر ابن عبد الله الأنصاري**»، فلا يمكننا أن نصدق مثل هذه الروايات ونستند إليها، وذلك لكثرة الرواة الكذبة والغلاة الذين لا حصر لهم بين رواة تلك الزيارات، وعلى فرض صحة تلك الرواية فليس فيها مطلقاً ما يدل على أنَّ جابرَ إنما زار ذلك القبر متوسلاً متمسِّحاً وبوصفه يؤدي طقساً معيناً..، لاسيما أنه لم يكن لمرقد الإمام الهمام عليه السلام في ذلك الزمن بناءٌ ولا قبَّةٌ ولا ضريحٌ... ولم يقم ذلك الصحابي الجليل بالأعمال التي يقوم بها الزائرون اليوم في حرم ومرقد ذلك الإمام مثل الطواف وطلب الحوائج والاستشفاع...، بل أكثر ما يمكن قوله هو أن جابر زار قبر سيد الشهداء عليه السلام ليدعو الله تعالى الحيّ القيوم له بالرحمة والغفران. وأياً كان الأمر فلا يمكن اعتبار هذه الواقعة دليلاً محكماً وشاهداً معتبراً على شدّ الرحال لزيارات المراقد.

---

(١) أخرج البيهقي في سننه الكبرى (ج٤/ ص٧٨) بسنده عن عبد الله بن أبي مليكة «**أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلتُ لها: يا أم المؤمنين! من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر. فقلتُ لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم! كان نهى ثم أمر بزيارتها**»(المترجم)

(٢) ورد هذا الحديث في عدد من كتب الحديث، مثل «المصنف» لـ عبد الرزاق الصنعاني (ج٣/ ص٥٦٩) وفي بعض طرقه كلمة «ابنتي» بدلاً من كلمة «النبي»، وهذا لا يغير من حقيقة النهي شيئاً!.

وفي ما يلي سنذكر بعض الأخبار والآثار، الواردة في الكتب الموثّقة والمعتبرة، التي تؤيد هذا المعنى وتثبت مُدَّعانا في أن الرحيل إلى «**زيارات الأضرحة**» لم يكن في أي وقتٍ - في نظر شارع الإسلام - عملاً ممدوحاً ولم يجعله أمراً مهماً ولم يعتبِرْهُ من العبادات والحقائق الشرعية بل كان - بدلالة الروايات الآتية - منهياً عنه من قِبَلِ الرسول المختار (ﷺ) وكان ينكره أصحابه الأجلاء في صدر الإسلام، وعلى أقل تقدير لم يكن عبادةً مأموراً بها:

١ - روى الحافظ «**عبد الرزاق الصنعاني**»(ت ٢١١ هـ ق)[١] في كتابه القيّم «**المصنَّف**» الذي يُعَدُّ أحد أقدم كتب الحديث في الإسلام، كما أن مؤلِّفَه كان معاصراً للأئمة - عليهم السلام - من زمن الإمام الصادق وحتى الإمام الجواد، وكان - طبقاً لتصريح علماء الرجال - شيعيّ المذهب، الرواية التالية: «**عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: من زار القبور فليس منّا**»[٢].

٢ - وروى «**الحاكم النيسابوري**»[٣] بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٤]قال: «قَبَرْنَا[٥] مع رسول الله ﷺ رجلاً، فلمّا رجعنا وحاذينا بابه إذا هو بامرأة لا نظنه عرفها، فقال: «**يا فاطمةُ من أين جِئْتِ؟» قالت: جئتُ من أهل الميِّت رحمتُ إليهم مَيِّتَهم وعزَّيْتُهُم. قال:**

(١) هو الحافظ عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ ق) من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث. له (المصنف في الحديث) ويقال له «الجامع الكبير» قال فيه الذهبي: وهو خزانة علم، ويُعَدُّ من أقدم كتب الحديث، حقَّقه حبيب الرحمن الأعظمي الباكستاني المعاصر، ونشره المجلس العلمي الباكستاني في ١١ جزءاً. (المترجم)

(٢) المصنف، ج٣/ ص٥٦٩، حديث ٦٧٠٥. (المترجم)

(٣) الحاكم النيسابوري هو محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الطهماني الشهير بالحاكم، أبو عبد الله (٣٢١ - ٤٠٥ هـ ق) من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق وحج وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. صنف كتباً كثيرةً أهمها في الحديث: «**المستدرك على الصحيحين**» طبع في أربع مجلدات، و«معرفة الحديث» طبع أيضاً. (المترجم)

(٤) كان عبد الله بن عمرو بن العاص ممن أجاز له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ كتابة حديثه.

(٥) أي دَفَنَّا. (المترجم)

«فلعلَّك بلغتَ معهم الكدي[١]؟» قالت: معاذ الله أن أبلغ معهم الكديَ، وقد سمعتُكَ تذكر فيه ما تذكر!، قال: «لو بلغتِ معهم الكدي ما رأيتِ الجنَّةَ حتى يرى جدُّ أبيكِ» «والكدي: المقابر»[٢]. ومعنى الجملة الأخيرة إنه من المستحيل عليكِ إن فعلتِ ذلك أن تدخلي الجنَّةَ!. فهذا الحديث الشريف يُبيِّن إلى أي حدٍ كانت زيارة القبور في ابتداء أمر الإسلام مكروهةً في نظر الشارع.

٣ - وهناك عدة روايات وأحاديث مأثورة أخرى عن رسول الله في نهيه ﷺ عن زيارة القبور في ابتداء بعثته... مثل الحديث القائل: «**إني نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**»، فأمر بزيارتها لأجل الاعتبار وتذكر الموت، وقد روت كتب العامة والخاصة، وروى الزيدية أيضاً في مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام، كلهم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**نهانا رسول الله ﷺ عن زيارة القبور**»[٣].

٤ - كما جاء من طرق العامة والخاصة أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: «**لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**»[٤].

٥ - كما روى جميع المسلمين أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال مراراً: «**لا تتخذوا قبري عيداً**»[٥] وسنشرح هذا الحديث بتفصيل أكثر لاحقاً إن شاء الله.

٦ - ومن الأحاديث الشديدة التي يرتجف لها الإنسان والتي جاء فيها النهيُ الشديدُ والكراهةُ العظيمةُ لهذا العمل، ما رواه عطاء بن يسارعن النبي الأكرم أنه تضرّع إلى رب العزّة

---

(١) الكدىَ: جمع كُدية وهي القطعة الصلبة من الأرض تحفر فيها القبور والمراد القبور. (المترجم)

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج١/ ص٣٧١. (المترجم)

(٣) مسند الإمام زيد، بيروت: دار مكتبة الحياة، باب الأكل من لحوم الأضاحي ص٢٤٦. (المترجم)

(٤) «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول» (ج١/ ص٣٨٢) (المترجم)

(٥) رَوَى الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي أَمَالِيهِ (أو مجالسه): بسنده عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (علي) عليه السلام قَالَ: «**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً وَلَا تَتَّخِذُوا قُبُورَكُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً.**» (انظر مستدرك الوسائل، ٥٥ - بَابُ كَرَاهَةِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عِنْدَ الْقُبُورِ، ج٢/ ص٣٧٩.)

والجلال قائلاً: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً**» ثم قال: «**لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[١].

٧ – ويدل عليه مضمون الحديث الذي رُوِيَ عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهِم مَسَاجِدَ. (قالت عائشة): ولولا ذلك لأبرز قبره إلا أنه خشي أن يُتَّخَذَ مَسْجِداً**»[٢].

٨ – مما يدل على ذلك أيضاً عدم اهتمام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه الأخيار بقبور الأنبياء والأولياء التي كانت موجودة في ذلك الزمن – سواءً كانت قبوراً واقعية أم موهومة – مثل قبر سيدنا إسماعيل وهاجر في مكة، وقبر سيدنا إبراهيم الخليل وسيدنا يوسف عليهما السلام في أرض فلسطين من بلاد الشام، وقبر سيدنا هود عليه السلام في اليمن، فلم يُرْوَ عنه أنه ﷺ زار أياً من تلك القبور.

كما إن رسول الله ﷺ فقد أعزةً عليه في الدنيا وكان من الممكن أن يجعل قبرهم مزاراً فلم يفعل، كقبر أم المؤمنين خديجة عليها السلام وقبور شهداء بدر وأحد، وقبور الصحابة الكبار

---

(١) روى الشيخ الصدوق في «علل الشرائع» بسنده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له الصلاة بين القبور؟ قال: «صلِّ في خلالها ولا تتخذ شيئاً منها قبلةً، فإن رسول الله (ﷺ) نهى عن ذلك وقال: **ولا تتخذوا قبري قبلةً ولا مسجداً فإن الله تعالى لَعَنَ الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد!.**» «علل الشرائع»/ باب العلة التي من أجلها لا تتخذ القبور قبلة، (ج ٢/ ص ٣٥٨)، وروى الصدوق نحوه أيضاً في كتابه «من لا يحضره الفقيه» (ج١/ ص ١٧٨) باختلاف يسير. (المترجم)

ومن طرق أهل السنة أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده/ مسند أبي هريرة، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: (**أَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُصَلَّى له، اشْتَدَّ غضبُ اللهِ على قَومٍ اتخذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ**) المنصف لابن أبي شيبة: ج٢/ ص٢٦٩. (المترجم)

(٢) روى هذه الرواية ابن أبي شيبة في المصنف (ج٢/ ص٢٦٩). هذا وقد ورد في مسند الإمام زيد (ص١٧٧، باب غسل النبي وتكفينه) عن حضرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّحْدُ لنا والضريح لغيرنا.**» (ومعنى ذلك أن الضريح كان لغير المسلمين كأهل الكتاب أو المشركين من أهل الجاهلية.).

أمثال عثمان بن مظعون وغيرهم، والتي لم يُرْوَ أن أياً منها كان قبراً مبجلاً ومزاراً يتردد الناس إليه؟ وحتى قبور أبناء رسول الله ﷺ نفسه لم تتحول أبداً إلى مزارات يُطاف حولها، كما كان حال قبر إبراهيم ابن رسول الله في المدينة الذي لم يتحول إلى مزار، طبقاً لما رواه الشيخ الصدوق - عليه الرحمة - في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**»، والكليني في «**الكافي**» حيث قالا: «**وَ فِي رِوَايَةِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: كَانَ عَلَى قَبْرِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ الله ﷺ عَذْقٌ يُظِلُّهُ مِنَ الشَّمْسِ حَيْثُمَا دَارَتْ فَلَمَّا يَبِسَ الْعَذْقُ ذَهَبَ أَثَرُ الْقَبْرِ فَلَمْ يُعْلَمْ مَكَانُهُ!**»[(١)].

فلو كان هناك استحباب لزيارة القبرِ والطواف حوله لكان أولى الناس بذلك قبر ابن رسول الله ﷺ، لا أن نرى ذلك مندرساً لا يُعْرَف له أيُّ أثرٍ في زمن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذاته؟ وكذلك لم يكن قبر عمّ النبي حمزة سيد الشهداء عليه السلام مزاراً يُزَارُ[(٢)].

وقد روت جميع التواريخ وكتب السير والطبقات بما في ذلك **سيرة ابن هشام** و«**مغازي الواقدي**» و«**تفسير عليٍّ بن إبراهيم القميّ**»، والمجلد السادس من «**بحار الأنوار**» للمجلسيّ أن رسول الله ﷺ لّما رأى جسد حمزة عليه السلام في سفح جبل أُحد عرياناً ومُـمَثَّلاً به قال: «**لَوْلَا أَنْ يُحْزِنَ ذَلِكَ نِسَاءَنَا، لَتَرَكْنَاهُ لِلْعَافِيَةِ - يَعْنِي السّبَاعَ وَالطّيْرَ - حَتّى يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بُطُونِ السّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطّيْرِ.**»[(٣)].

بديهيٌّ أنه لو كان عمل الزيارة مطلوباً ومستحبّاً إلى تلك الدرجة التي يدّعيها القائلون بذلك، لما كان رسول الله ﷺ يرضى أبداً بترك جثمان عمه سيد الشهداء دون أن يجعل له قبراً يُزار.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق، ج ٣/ ص ٤٧٣، والفروع من الكافي، ج٣/ ص٢٥٤.

(٢) كما أن الإمام علي عليه السلام لم يأمر في عهد خلافته ببناء مزار وضريح للمرقد المطّهر لنبي الإسلام ولا لشهداء صدر الإسلام العظام. (بُرقعي).

(٣) ورد بهذا اللفظ في مغازي الواقدي: ج١/ ص ٢٨٩، وجاء في سيرة ابن هشام (ج٢/ ص ٩٥) بلفظ «**لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيّةُ، وَيَكُونَ سُنّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْته، حَتّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطّيْرِ!**». (المترجم)

٩ - وردت أخبارٌ عديدة تنهى عن البناء على القبور أو تعميرها وتجصيصها، ومن الواضح تماماً أنه لم يَرِد في تلك الأخبار أي تمييزٍ بين قبور الأنبياء والأولياء وقبور عامة الناس، كما جاء في مستدرك الوسائل [١] عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أول عدل الآخرة، القبور لا يُعرف شريفٌ من وضيع**». وقد جاءت مئات الأحاديث في هذا الباب في كتب المسلمين ولا يخفى أن النهي عن تعمير القبور إنما هو لأجل ألا تتحول إلى مزارات.

١٠ - ويؤكد حقيقة هذا المعنى - أي أن تعظيم القبور أمر مكروه نهى عنه الإسلام بشدة - تلك الأوامر التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأمر بها عليٌ أبا الهياج الأسدي فقال - كما روى ذلك الكُلَيْنِيُّ في «**الكافي**» والبَرقيُّ في «**المحاسن**» «عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **بعثني رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إلى المدينة فقال: لا تَدَعْ صُوْرَةً إلّا محَوْتَهَا ولا قَبْرَاً إلا سَوَّيْتَه**...» وفي روايةٍ أخرى لهما أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال: «**أرسلني رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - في هَدْمِ القبور وَكَسْرِ الصُّوَر**»[٢].

وكذلك كل ما ورد في باب النهي عن تعمير وتجديد القبور، يدلُّ بوضوح تام على تلك الحقيقة، وذلك مثل ما جاء في كتاب «**من لا يحضره الفقيه**» للصدوق، وكتاب «**المحاسن**» للبرقيّ والمجلد ١٨ من بحار الأنوار للمجلسيّ أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**مَنْ جَدَّدَ قبراً أو مَثَّلَ مثالاً، فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الإسْلامِ**»[٣].

ومن الواضح أنه لو كانت زيارات القبور والطواف بها وطلب الحوائج من أصحابها

---

(١) النوري الطبرسيّ، مستدرك الوسائل، كتاب الطهارة، أبواب الدفن، باب ٧٩، ج١/ ص١٤٨.

(٢) الكُلَيْنِي، «**كتاب الكافي**»، (ج٦/ ص٥٢٨)، ح ١٤ ثم ح ١١ على الترتيب. والمجلسي، بحار الأنوار ج٧٦/ ص٢٨٦، وجاء من طرق أهل السنة بلفظ «**أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي بِهِ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وسلم **أَنْ لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ**» انظر سنن الترمذي، باب ما جاء في تسويه القبور.

(٣) الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه» ج١/ ص١٨٩، حديث رقم ٥٧٩. وقد أورده المجلسي في بحار الأنوار، ج٧٦/ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ (من الطبعة الجديدة).

والتشفع بالأموات أمراً مطلوباً للشارع ومحبوباً في نظره لما أرسل نبيٌّ الله وعليٌّ المرتضى - سلام الله عليهما - أشخاصاً بمهمة محدَّدة هي تخريب وهدم كل قبر مشرفٍ دون استثناء ولما اعتبر القبور العامرة أمراً مرادفاً لعبادة الأوثان إلى حد قوله كما مرَّ «**مَنْ جَدَّدَ قبراً أو مَثَّلَ مثالاً، فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الإسْلامِ**»، كما ندرك هذه الحقيقة جيداً في زماننا هذا ونلمسه لمس الواقع.

إن هناك أحاديث وقرائن كثيرة أخرى تؤكد ما قلناه ونكتفي بالنماذج العشرة التي أوردناها.

تلك عشرة كاملة.

٢- الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارات المراقد في الإسلام

لقد بدأنا بالدلائل النقلية على عدم استحباب زيارات الأضرحة لأن المعتقدين بالزيارة يستندون إلى الأدلة النقلية، وإلا فإن الأدلة العقلية أيضاً تدل على ما نقول إذ لا يوجد عاقل يعتبر صرف الوقت في شد الرحال والسفر إلى القبور أمراً ممدوحاً، وفي ما يلي نذكر عدداً من الأدلة العقلية على أن التردد إلى زيارات الأضرحة ليس عبادةً مأموراً بها من قبل الشارع:

١- لم يأتِ في جميع آيات القرآن أدنى ذكر لأهمية زيارة القبور، والآية الوحيدة التي جاء فيها ذكرٌ لزيارة المقابر هي قوله تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ ﴾ (التكاثر/ ١ - ٢)، وهي آيةٌ قد يُسْتَنْبَطُ منها كراهةُ أو منعُ زيارة المقابر لا استحبابها، لأن سياقها يدل على مذمّة هذا الأمر.

٢- لا يوجد في الأديان الإلهية السابقة على الإسلام أي تعاليم تحثُّ على التردُّد إلى القبور وزيارتها، هذا ونحن نعلم أن دين الإسلام جاء يؤكّد ما شرعه الله للأنبياء السابقين مثل نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ... ﴾ (النساء/ ١٦٣)، وكذلك: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ... ﴾ (الشورى/ ١٣)، و﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (فُصِّلَتْ/ ٤٣).

فمفاد هذه الآيات أنَّ ما شَرَعَهُ اللهُ في دين الإسلام لِنَبِيِّ آخر الزمان هو نفس ما شَرَعَهُ اللهُ للأنبياء السابقين. وبالتالي فمن البديهي أن الله لم يشرع لنبيه الخاتم ما لم يكن مشروعاً في الرسالات والأديان الإلهية السابقة. ولو شرع ذلك للأنبياء السابقين لشرعه في الإسلام.

٣- رغم مجيء/ ١٢٠٠٠٠/ (مئة وعشرين ألفَ) نبيٍّ إلى العالم - حسب الرواية المشهورة[١] - بل في القرآن الكريم ما يفيد أن عدد الأنبياء كثير لا يحصيه إلا الله، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ... ﴾ (سورة إبراهيم/ ٩)، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (سورة النساء/ ١٦٤)، رغم ذلك لا نشاهد أي ضريح أو مزار لهؤلاء الأنبياء، على كثرتهم. أما بعض القبور الموجودة والمنسوبة لبعض الأنبياء، فلا أحد يعرف على وجه اليقين حقيقة أمرها، كما جاء في طبقات ابن سعد (طبع بيروت، ص٥٣) عن إسحق بن عبد الله أبي فروة قوله: «**ما يعلم قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة:**

(١) قبر إسماعيل، فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت.

(٢) وقبر هود، فإنه في حَقْفٍ من الرمل تحت جبلٍ من جبال اليمن عليه شجرة تندى، وموضعه أشد الأرض حراً.

(٣) وقبر رسول الله، ﷺ، فإن هذه قبورهم بحق».

هذا مع أنه لو كان أمر الزيارة مستحباً إلى هذا الحد في نظر الشارع ومطلوباً في شريعته، لكانت زيارة نبي الله داوود عليه السلام مثلاً، أهم بكثير من زيارة «إمامزاده داوود»[٢]، ولَكَانَ قبرُ

---

(١) روى أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير ضمن حديثٍ عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) فيه: «**قلت: يا نبيَّ الله كم عدد الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسلُ من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر، جماً غفيراً**». قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير.. ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف. اهـ. (المترجم)

(٢) كلمة إمامزاده تعني حرفيّاً: ابن الإمام أو ذرية الإمام، والمقصود من «الإمامزاده داوود» رجلٌ صالحٌ من أولاد أحد الأئمة يُدعى داوود، له مزار معروف في منطقة جبلية قرب طهران لا يمكن الوصول إليها إلا على ظهور الدواب، يعتقد العوام بكراماته ويذهبون إلى مزاره رغم وعورة الطريق، لرفع الكُرَب وطلب الحوائج والشفاء من الأمراض المستعصية منه!. (المترجم).

حضرة النبي إلياس عليه السلام أكثرَ أهميةً من قبور أولاد الأئمة وأحفادهم.

٤ - إن كتب التواريخ والسير تشهد جميعُها أنه لم يحصل لأيِّ واحدٍ من كل ذلك العدد من المؤمنين الصالحين والمجاهدين الأبرار الذين ارتحلوا أو استشهدوا في عهد النبوَّة أو في صدر الإسلام أن بُني لهم مزار مجلَّل أو ضريحٌ مُعَظَّم، رغم أن بعضهم كان من الأعلام والصالحين ومن أقرب الناس إلى نبيِّ الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل عمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه أو ابنه إبراهيم عليه رحمة الله.

٥ - تدلُّ أعمال الدفن في صدر الإسلام بحدِّ ذاتها على أنه لم يكن هناك فرقٌ في هذا الأمر بين الأموات مهما كان شأنهم رفيعاً أو كانوا من عظماء الإسلام وأئمّته فالكل كان يُدْفَن بنفس الطريقة ولم يكن هناك لأحد أضرحةٌ ومزاراتٌ.

٦ - لقد قام عليٌّ عليه السلام بدفن زوجته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بكيفية جعلت قبرها غير معلوم لأحد حتى هذا اليوم، بل أوصى مولى المؤمنين عليه السلام أصحابه بعد وفاته بدفن جثمانه بنحوٍ يتم فيه إخفاء قبره عن أنظار الناس، وفي هذا أكبرُ عبرة لأولي الأبصار وتذكرة لأولي الألباب، بل هو تدبيرٌ تحار في عظمته عقول المؤمنين وتدهش لبصيرة عليٍّ النافذة ورؤيته الربانية البعيدة التي جعلته يأمر بذلك وكأنه كان يرى من وراء أستار القرون ما سيفعله عُبّاد القبور بعد ألف عام؟؟ ولا عجبَ فهو عليٌّ إمام التوحيد، وهو عليٌّ الذي أمره الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بهدم كلِّ قبر مُشْرِف من قبور الناس التي كانت مزاراً في ذلك الزمن بل كانت معبد أصنامِ عُبّاد الأموات، كما أمره بهدم كل وثن أو تمثال كان الناس لا يزالون يعبدونه وربما كان في مقابرهم[1].

أجل، لم يكن في نظر عليٍّ - إبراهيم زمانه المحطم للأصنام - أيُّ فرق بين أن يعتلي كتف

(١) إشارة من المؤلف إلى الحديث المعروف: «عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال **بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته ولا كلبا إلا قتلته**» ومثله الحديث «عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال **أرسلني رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في هدم القبور وكسر الصور**». والحديثان أخرجهما الكليني في الكافي والبرقي في المحاسن، انظر: بحار الأنوار للملا محمد باقر المجلسي: ج ٧٦/ ص٢٨٦. (المترجم)

النبي (صلى الله عليه وآله) في فتح مكة لكي يُخْرِجَ الأصنام من بيت الله ويطرحها أرضاً فيجعلها حطاماً، وبين أن يذهب إلى القبور ويحطِّم القبور المشرفة فيسوي بها الأرض، فكلا الأمرين أمرُ رسول الله ورضا رب العالمين. فكيف لا يرى ذلك الشخص العظيم، ببصيرته النافذة وتفكيره البعيد، أنه من الممكن لهذه الأمة التي تخلّصت حديثاً من ظلمات الجاهلية، أن تحوِّلَ – عن قريبٍ – قبرَ ابنةِ النبيِّ الوحيدة، التي حازت مزايا ومناقب خاصة من جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كقوله: «**فاطمة بضعة مني**» و«**فاطمة سيدة نساء العالمين**»، إلى مزارٍ، أو بتعبير أصح إلى معبد أوثان جديد مثل تلك التي أُمِرَ بهدمها، فقام بدفنها في وسط الليل حتى لا يطلع أحد مكانها أحد فيتخذه مزاراً؟!

وكيف لا يوصي نبراس التوحيد ذاك عليه السلام بدفن جثمانه على نحو لا يعلم بمكان قبره أحد، وهو يرى بعين اليقين والبصيرة ما سيحدث لقبره فيما بعد، كيف لا وقد رأى في حياته أشخاصاً رفعوه إلى حد الإلهية فاعتبره بعضهم اللهَ ربَّهم وخالقَهم؟! إلى الحد الذي اضطر لأجل ثنيهم عن تلك العقيدة الفاسدة أن يهدّدهم بالقتل والحرق، بل أن ينفذ ذلك، حسب ما ذكرته بعض التواريخ، ورغم ذلك لم يرجع أولئك الأفراد عن عقيدتهم واحترقوا وماتوا عليها. أفلا يجب على مثل ذلك الإمام أن يخفي قبره وقبر ابنة رسول الله عليهما السلام عن أنظار الناس حديثي العهد بالجاهلية؟.

أما ما يدّعيه بعض العلماء من أن قبر فاطمة عليها السلام إنما تمّ إخفاؤه حتى لا يصلِّي عليه الشيخان فهو – والله أعلم – ليس سوى ظنّ خاطئ لا يقوم عليه دليل، وإلقاء للاختلاف والعداوة بين المسلمين، والدليل على ما نقول أن علياً عاش سنين طويلة بعد رحلة الشيخين، كما أن الأئمة من ذرية فاطمة – عليهم السلام – عاشوا في زمن لم يبق فيه أيُّ خوف من ذلك الأمر أصلاً، فلماذا بقيَ قبرُ فاطمة مجهولاً ولم يقم عليٌّ ولا الأئمة الكرام من أولاده بإظهاره؟!

وكذلك ما قالوه من أن علّة أمر عليٍّ بإخفاء قبره هو خشيته من أن يقوم الخوارج بنبش قبره وحرق جثمانه، لا يعدو أيضاً ظنّاً كاذباً تكذّبه الحقيقة والتاريخ لأن الخوارج – رغم إجرامهم – لم يؤثَر عنهم أنهم قاموا بحرق أي جثمان من أجساد مخالفيهم ولم يأت مثل هذا الخبر في أي

تاريخ.

إن الذين يشيعون بين المسلمين مثل هذه الأباطيل والأقوال الكاسدة إما جاهلون بحقيقة الدين أو عاجزون عن معرفة أولياء الله ومدى بُعْد نظرهم أو متعصبون أو مدفوعون لإثارة الاختلاف والنزاع بين المسلمين أو كل ما سبق!؟

٧ - إن قضية نهيِ رسولِ الله (ﷺ) عن زيارة القبور كانت معروفةً ومشهورةً في صدر الإسلام إلى حدٍّ أنه لما قامت أم المؤمنين عائشة زوج رسول الله بالذهاب إلى قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر بعد موته عام ٥٥ أو ٥٦ هجرية، لامها بعض المسلمين استناداً نهيِ رسولِ الله النساءَ عن زيارات القبور؟!. فاعتذرت قائلةً إن رسول الله ﷺ قد سمح بذلك أخيراً بعد أن كان قد نهى عنه.

٨ - كما أن موضوع نهي رسول الله عن زيارة القبور كان لا يزال مشهوراً كل الشهرة وحاضراً في النفوس بكل قوة بحيث أنه - كما ذكرنا - كان الشعبيُّ (أبو عامر شراحيل) المتوفى سنة ١٠٤ والذي لقي أكثر من ١٥٠ صحابيّاً من أصحاب رسول الله وروى عنهم الحديث، يقول مراراً: «**لولا أنَّ رسولَ الله نهى عن زيارة القبور لَزُرْتُ قبرَ النبيِّ (أو قبر ابنتي)**»[١].

٩ - إن أفضل دليل عقلي ونقلي على ما نقول هو أنه حتى أكثر من قرنٍ كاملٍ بعد وفاة النبيِّ (صَلَّى الله عليه وَآلِهِ) لم يتحوَّل قبره المطهَّر إلى مزارٍ يتردَّد إليه أيٌّ من الصحابة الكرام أو التابعين الكبار! فمن المسلَّم أنَّ الجثمان المطهَّر للنبي (ﷺ) إنما دفن في نفس البيت الذي كان يسكنه والذي كان منزل عائشة، وطبقاً للتواريخ الموثَّقة بقيت عائشةُ قاطنةً في ذلك المنزل ولم تتركه، كما يروي ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج٢/ ص ٣٠٧)، كما يشير عموم المؤرخين إلى أن عائشة كانت تعيش فوق قبر النبي (ﷺ) وتنام هنالك وحتى إلى ما قبل زمان دفن عمر لم تكن تحتجب في منزلها ولكنها بعد دفن عمر وضعت الخمار على رأسها - بل ربما الجلباب على بدنها -

---

(١) مرَّ تخريجه قبل صفحات.

ولم تنزعه حتى ضربوا جداراً على القبور[١].

وكذلك جاء في طبقات ابن سعد (ص٣٠٧): «**أخبرنا مسلم بن خالد، حدثني إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمي عن أبيه قال: انهدم الجدار الذي على قبر النبي ﷺ، في زمان عمر بن عبد العزيز، فأمر عمر بعمارته، قال: فإنه لجالسٌ وهو يُبْنَى إذ قال لعلي بن حسين: قُمْ يا علي فَقُمَّ البيت**[٢]**، يعني بيتَ النبي ﷺ، فقام إليه القاسم بن محمد فقال: وأنا أصلحك الله! قال: نعم وأنت فَقُمَّ، ثم قال له سالم بن عبد الله: وأنا أصلحك الله! قال: اجلسوا جميعاً وقُمَّ يا مزاحم فَقُمَّهُ، فقام مزاحم فَقَمَّهُ، قال مسلم: وقد أثبت لي بالمدينة أن البيت الذي فيه قبر النبي، ﷺ، بيت عائشة وأن بابه وباب حجرته تجاه الشام وأن البيت كما هو سقفه على حاله وأن في البيت جرَّةً وخَلْقَ رِحَالِهِ**[٣]**.**».

ومن البديهي أنه لو كان القبر الشريف مزاراً يختلف إليه الناس لما تجمع عليه كل ذلك الغبار والتراب أو الكُناسَة التي احتاجت من عمر بن عبد العزيز أن يأمر الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أولاً بكنسها، فيرجوه القاسم بن محمد بن أبي بكر أن يسمح له بالمشاركه في ذلك الفضل، وكذلك يفعل سالم بن عبد الله، فيحول عمر بن عبد العزيز تلك المهمة منهم إلى

---

(١) انظر مثلا ما رواه ابن سعد في طبقاته بسنده قال: «**عن مالك بن أنس يقول: قسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كان تكون فيه عائشة، وبينهما حائط، فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا (أي بدون حجاب)، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها.**». وبسنده عن عثمان بن إبراهيم قال: «**سمعت أبي يذكر قال: كانت عائشة تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع رسول الله، ﷺ، فلما دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع**». (طبقات ابن سعد: ج٢/ ص ٢٩٤، باب ذكر موضع قبر رسول الله ﷺ) (المترجم).

(٢) معنى «**قُمَّ البيت**» أي اكنسه، من قَمَمْتُ البيت: كَنَسْتُهُ. والقُمامَةُ: الكناسة، والجمع قُمامٌ، والمِقَمَّةُ: المِكْنَسَةُ. (انظر «الصحاح في اللغة» للجوهري، مادة: قَمَمَ) (المترجم).

(٣) الرحال جمع رَحْل وهو ما يُسْرَج به البعير ليُرْكَب عليه وتُحَمَّل الأمتعة عليه. والخَلَقُ، مُحَرَّكَةً: البالي، للمُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ، وخَلَقَ الثَّوبُ وخَلُقَ وَخَلِقَ، كنَصَرَ وكرُمَ وسَمِعَ، خُلوقَةً وخَلَقاً، محرَّكَةً: بَلِيَ. فمعنى «خَلَقُ رِحَالِهِ»: قطعة القماش المهترئة البالية التي كانت توضع على البعير. (المترجم).

«مزاحم».. الخ ما جاء في الرواية.

وأيضاً من الواضح أن البيت والقبر الذي بقيت فيه جرّةٌ وقماشةٌ مهترئةٌ منذ زمن بعيد، وحتى قرن كامل، لم يكن أبداً مزاراً عامراً، بالإضافة إلى كون الرواية دليلاً بارزاً على أن عائشة واصلت سكناها في ذلك البيت حتى آخر عمرها!

١٠ - عندما انهدم جدار البيت الذي كان فيه قبر رسول الله (ﷺ) بسبب المطر، وقعت حادثةٌ أخرى هي خروج رائحةٍ كريهةٍ من الناحية الشرقية للمنزل، فجاء عمر بن عبد العزيز مع أحد أحفاد النبي (ﷺ) وأمر وردان أن يكشف عن المسألة وأن يباعد الأتربة المتراكمة حول قبر عمر، فقال عبد الله حفيد عمر بن الخطاب لعمر بن عبد العزيز الذي كان خائفاً من ذلك الأمر: أيها الأمير! هذه رائحة قدمي جدك عمر بن الخطاب!! وجاء في خبر آخر أن الرائحة المذكورة كانت رائحة قطة ميتة، ولا شك أن الخبر الثاني هو الأصح لأنه كيف يمكن أن تظهر رائحةٌ من قدمي عُمَرَ بعد مرور سنوات على دفنه وبعد أن بليت عظامه وصارت تراباً؟!

١١ - وروي ابن سعد في طبقاته فقال: «**أخبرنا سريج بن النعمان عن هشيم، أخبرني رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سقط حائط قبر رسول الله، ﷺ، في زمن عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ على المدينة في ولاية الوليد، وكنت أول من نهض فنظرت إلى قبر رسول الله، ﷺ، فإذا ليس بينه وبين حائط عائشة إلا نحو من شبر، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة**».

١٢ - بعد دفن رسول الله ﷺ والشيخين في ذلك المنزل كان بعض الناس الذين تصل أيديهم إلى القبر يأخذون من تربته بقصد التبرّك، فأمرت عائشة بضرب جدار حول القبر وترك نافذة فيه ففعلوا ذلك ولكن الناس ظلُّوا يأخذون من تربة القبر من تلك النافذة فأمرت عائشة بسدِّها.

ولدينا عشرات القرائن من هذا القبيل تدل جميعاً على أن القبر الشريف لم يكن حتى ذلك الزمن مزاراً يزوره المسلمون، ومن أراد الإطلاع أكثر على مثل هذه الشواهد فليرجع إلى كتب

التاريخ لا سيما كتاب «**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**» تأليف «**نور الدين علي ابن أحمد السمهودي**»[(١)] (ص٥٤٣ فما بعد).

١٣ - لدينا أخبار وآثار عديدة تبين أن زيارة قبر رسول الله (ﷺ) كانت منهياً عنها من قبل الصحابة والأنصار وحتى أحفاد النبي الكريم، ومن جملة ذلك:

آ - جاء في كتاب «**المصَنَّف**» القيّم تأليف «**عبد الرزاق الصنعاني**» (ج٣/ ص٥٧٧)، وفي كتاب «**وفاء الوفاء**» **للسمهودي** (ص ١٣٦٠):

«عبد الرزاق عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل **عن الحسن بن الحسن بن عليّ قال: رأى قوماً عند القبر، فنهاهم وقال: إن النبي ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلُّوا عليَّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني.**».

ب - وجاء في الكتاب ذاته: «**روي عن علي بن الحسين** رضي الله عنهما **أنه رأى رجلاً يجيء فرجة عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعوه، فنهاه، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن** رسول الله (ﷺ) **قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.**».

ج - وفي كتاب السمهودي ذاته أيضاً ضمن بحث «الصلاة على النبي» روايةٌ «**عن القاضي إسماعيل عن سهل بن أبي سهيل قال: جئت لأسلم على النبي ﷺ وحسن بن حسن رضي الله تعالى عنهما يتعشى وبيته عند بيت النبي، وفي رواية:... رآني الحسن بن الحسن رضي الله تعالى عنهما عند القبر وهو في بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها يتعشى قال: هلمَّ إلى العشاء فقلت: لا أريد، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟، وفي رواية: ما لي رأيتك وقفت؟ قلت: وقفتُ أسلِّم على**

(١) السمهودي (٨٤٤ - ٩١١ هـ = ١٤٤٠ - ١٥٠٦ م) علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي بها. من كتبه «**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**» في مجلدين، طبع وحقِّق عدة مرات، وله «**خلاصه الوفا**» اختصر به الأول، وطبع أيضاً. (من الأعلام للزركلي) (المترجم).

النبي! فقال: إذا دخلت فسلم عليه! وفي رواية: إذا دخلت المسجد فسلم عليه! قال: إن رسول الله (ﷺ) قال: لا تتخذوا بيتي عيداً! ولا بيوتكم مقابر ثم قال: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء!».

أي يستوي في السلام على النبيّ أن يكون المسَلِّمُ بعيداً في الأندلس أو قريباً في الروضة الشريفة (فلا حاجة للمجيء إلى قبر النبي ﷺ في المدينة بشكل خاص بهدف إلقاء السلام عليه!).

د - وفي كتاب السمهودي، يروي القاضي إسماعيل أيضاً حديثاً آخر يصل سنده إلى الإمام علي بن حسين أنه قال: «**إن رجلاً كان يأتي كلَّ غداةٍ فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما انتهره عليه عليُّ بن الحسين، فقال له علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: ما يحملك على هذا؟ قال: أحب التسليم على النبي ﷺ، فقال له علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟ قال: نعم!، قال له علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تجعلوا قبري عيداً**».

قلتُ: إن من غرائب الأمور أن هذا الحديث «**لا تتَّخذوا قَبْرِي عِيْداً**»، الذي روي عن رسول الله ﷺ بشكل متواتر، وكل من روى ذلك الحديث، حتى أحفاد النبي الكرام مثل الحسن بن الحسن المثنى وعلي بن الحسين السجاد عليهم السلام، فهمه على معناه الواقعي الذي يعني تكرار الذهاب والإياب إلى قبره ﷺ، فنهى الناس عن التردُّدِ لزيارة قبر النبي عملاً بمفاد ذلك الحديث، ومع كل ذلك لمّا رأى ذوو التفكير الأعوج ومحبو البدع أن هذه الجملة لا تنسجم مع بدعتهم، قالوا: إن معنى عبارة «**لا تجعلوا قَبْرِي عِيْداً**» أي لا تجعلوا قبري كالعيد لا تزورونه في السنة إلا مرتين بل زوروه دائماً وكل يوم!!. ولعمري ما تفسيرهم لهذا الحديث إلا كتفسير الوضّاعين لحديث النبيِّ الذي يقول فيه: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» فقالوا: إن النبي قال من كذب عليّ ولم يقل من كذب لي، ونحن لا نكذب عليه بل نضع الحديث لأجله أي أن حديثنا الكاذب ليس ضد النبي بل لصالحه ولصالح دينه!!.

هـ - وقال السمهودي، رغم أنه هو نفسه من مؤيدي الزيارة، في كتابه وفاء الوفاء

(ص١٣٦٨): «**رُوي عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أنه قال:ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي ﷺ وكان يكره إتيانه!**».

و - في صدر الإسلام، حتى بعد قرابة قرن من رحلة النبي ﷺ، كان الصحابة والتابعين ينهون الناس عن التردد والذهاب والإياب لزيارة قبر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كما تشهد بذلك الأخبار المأثورة والروايات المذكورة، والتي من جملتها ما جاء في كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ج٣/ ص٥٧٦) وسنن البيهقي: «**عبد الرزاق عن الثوري عن أبي المقدام أنه سمع ابن المسيِّب، ورأى قوماً يسلمون على النبي ﷺ قال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً**»[1].

ومعنى كلامه أنه بعد أربعين يوم من الوفاة والدفن في التراب، فإن زيارة النبي ﷺ بتصور أن روح حضرته الشريفة لا تزال في القبر أو حوله خطأ لا فائدة منه.

إن المتتبع لكتب التواريخ والمدقِّق فيها يرى أنه من المسلمات المعلومة أنه لم يكن في صدر الإسلام وفي زمن حياة صحابة رسول الله والطبقة الأولى من التابعين خبرٌ أو أثرٌ عن مسألة الزيارة بين المسلمين، ولم يتحوَّل قبرُ النبيِّ المطهر ﷺ أبداً إلى مزار يتردّد إليه أصحابه الأبرار! وحتى سنة ٩١ هجرية عندما أمر الخليفة الأمويّ الوليد ابن عبد الملك، عمرَ بن عبد العزيز بإصلاح ما تهدّم من جدار غرفة قبر رسول الله ﷺ، ما كان أحدٌ يقوم حتى ذلك الوقت بزيارة قبر النبي، كما مر معنا فيما سبق عن اثنين من أحفاد النبي الأعلام: أي الحسن المثنى وحضرة عليّ بن الحسين - عليهم السلام - أنهما كانا ينهيان الأشخاص الذين يأتون خصيصاً ويدخلون البيت لأجل زيارة النبي والسلام عليه! وكلا الإمامين الجليلين كان مجاوراً لذلك القبر الشريف وكان

---

(١) روي البيهقي من طريق ابن أبي ليلي وهو سيِّء الحفظ عن ثابت عن أنس مرفوعاً: «**أن الأنبياء لا يُتْرَكُونَ في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور.**». قال البيهقي: (إن صح بهذا اللفظ فالمراد والله أعلم لا يتركون لا يصلون (كذا) إلا هذا المقدار ثم يكونون مصلين بين يدي الله تعالى، كذا في وفاء الوفاء ٢: ٤٠٥.). انتهى. (المترجم)

من أعلم الناس بتعاليم الشرّع وأفهمهم لأحكام الإسلام، لذا كان الإمامان الشريفان حريصين أكثر من أي شخص آخر على مراعاة أحكام الإسلام والعمل بما يرضي الله.

ومن جملة الأدلّة التي تؤكّد أن القبر المبارك لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لم يكن أبداً حتى لمدة قرن بعد هجرة النبيّ، مورداً لتردُّد الزائرين وذهابهم وإيابهم إليه عملاً بنهيه (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في قوله: «**لا تجعلوا قبري عيداً**»، ما أورده نور الدين علي بن أحمد السمهودي في كتابه «**وفاء الوفاء**» (ص٥٤٧ و٥٤٨) نقلاً عن صحيح البخاري من أنه لما عهد الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بإصلاح ما انهدم من مقبرة النبيّ وبشراء البيوت المحيطة بالمسجد لتوسعة الروضة الشريفة، شاهد المسلمون قبل البدء بإقامة الجدار أثر قدم على التراب المحيط بالقبر الشريف فأصابهم هلع من هذا المنظر وتصوروا أن ذلك أثر قدم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نفسه! فتبين لهم فيما بعد أنها بقية قدم عمر[1]، مما يعني أنه منذ زمن عمر وحتى ذلك اليوم لم يذهب أحدٌ إلى ذلك القبر المنوَّر!

ز - جاء في كتاب الكافي، في كتاب الجنائز (ص٢٠١/ نشر المكتبة الإسلامية) عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «**كان قَبْرُ رَسُولِ الله ﷺ مُحَصَّبٌ حَصْبَاءَ حَمْرَاءَ**». وروى ابن سعد في طبقاته (ج٢/ ص٣٠٧) عن عمرو بن عثمان عن قاسم بن محمد (جدّ حضرة الإمام الصادق لأمّه) أنَّه قال: «**اطلعتُ على صِغَرٍ على القبور فرأيت عليها حصباء حمراء**».

إن مضمون حديثي الكافي والطبقات هو أنه حتى زمن الإمام الصادق - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أي بعد مضي أكثر من ١٢٠ عاماً على هجرة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)كان قبره والطبقة المغطية له والمؤلَّفة من حصى أحمر مجهولاً للناس، الأمر الذي حدا بالإمام الصادق وبجده لأمه: القاسم بن

(١) رواية البخاري كالتالي: «حَدَّثَنَا فَرْوَةُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ **لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمْ الْحَائِطُ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ لَا وَاللهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ** رضي الله عنه». صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه. (المترجم).

محمد بن أبي بكر، أن يخبرا عنه، وكما يقول حديث القاسم بن محمد إنه لما كان طفلاً كان يرى ذلك القبر الشريف من خلال مدّ رأسه من النافذة أو من وراء الستائر.

ح - أثناء إصلاح جدار البيت الذي كان فيه القبر المبارك كانت هناك طاسة خشبية أو من الفخار إلى جانب القبر أو في رف الجدار تحطمت عندما انهار الجدار (طبقات ابن سعد، ج٢/ ص٣٠٧، وكتاب وفاء الوفاء ص٥٤٩).

ط - لما سقط جدار البيت، شُوهدت ثلاثة قبور لم يعرفها الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى أن عرّفها له عمر بن عبد العزيز بأنها لرسول الله والشيخين. فلو كانت الزيارة رائجة في تلك الأيام لما كانت تلك القبور مجهولة تحتاج إلى من يسأل عنها.

ي - جاء في مصنف عبد الرزاق (ج٣/ ص٥٠٣): «**أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد قال: سقط الحائط الذي على قبر النبي فستر ثم بنى، فقلت للذي ستره: ارفع ناحية الستر حتى أنظر إليه، فإذا عليه جبوب**[1] **وإذا عليه رمل كأنه من رمل العرصة**[2]». فهذا يدل على أن عبد الرحمن رغم كونه من ورثة عائشة إلا أنه لم يكن قد شاهد القبر حتى ذلك الزمان!

هذه عشرة أدلة على أن حديث لا تجعلوا قبري عيداً كان حتى قرن كامل معمولاً به بكل قوة! **تلك عشرة كاملة.**

١٤ - أهمُّ دليلٍ على أن تلك الزيارات الرائجة في زماننا لقبور الأئمة - حتى أننا أصبحنا نجد كل ذلك الكم الكبير من الروايات والأحاديث المنسوبة إليهم في فضائل زياراتهم وعظيم

---

(١) الجبوب، بفتح الجيم: الأرض الغليظة. وقيل هو المدر واحدتها جبوبة، كذا في النهاية ١/ ١٢٦. (المترجم، نقلا عن حواشي وتعليقات حبيب الرحمن الأعظمي على المصنف لعبد الرزاق).

(٢) وقال الأعظمي في تعليقاته على المصنف: «أخرج أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد قال: عَنْ الْقَاسِمِ بن محمد قَالَ: **دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّهْ! اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا! فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةٍ وَلَا لَاطِئَةٍ مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ.**» انظر سنن أبي داود: كتاب الجنائز/ باب في تسوية القبر. (المترجم).

ثوابها - لم تكن أبداً رائجة بين مسلمي الصدر الأول وأئمة الهدى - عليهم السلام - ولا مُعتنى بها، هو أننا لا نجد في أي تاريخ موثّق قيامَ أيٍّ من أولئك الأولياء والأئمّة العظام بزيارة قبر النبيّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أو قبور الأنبياء الآخرين ولا قيام الصحابة والتابعين بالسفر وشد الرحال لأجل زيارة قبر واحد من الأئمة، ولا يمكن أن نصدّق أن الإمام الذي يأمر الناس بعبادةٍ يمتنع هو عن أدائها!! لأنه عندئذٍ سيشمله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ الصف/ ٢ - ٣.

فمثلاً رووا في أحاديث الزيارة الرواية التالية: «عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قال: **أَبْلِغْ شِيعَتِي أَنَّ زِيَارَتِي تَعْدِلُ عِنْدَ الله عَزَّ وجَلَّ أَلْفَ حَجَّةٍ!** قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَلْفَ حَجَّةٍ؟؟ قَالَ: **إِي وَالله وَأَلْفَ أَلْفِ حَجَّةٍ لِمَنْ زَارَهُ عَارِفاً بِحَقِّهِ!**»[(١)].

أفلا يحق لنا أن نتساءل: لو كان هذا الحديث صحيحاً وكان ثواب زيارة الإمام الرضا عليه السلام يعدل ثواب ألف حجّة، فضلاً عن أن يعدل ثواب ألف ألف حجّة، هذا مع العلم أن ثواب الحج المستحب - طبقاً لأحاديث الإمام ذاته - أفضل من الصلاة والصوم بل أفضل من عتق عبدٍ، بل طبقاً لروايةٍ أخرى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) لَقِيَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ الله! إِنِّي خَرَجْتُ أُرِيدُ الْحَجَّ فَفَاتَنِي، وَأَنَا رَجُلٌ مُمِيلٌ (أي غنيٌّ) فَمُرْنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي مَا أَبْلُغُ بِهِ مِثْلَ أَجْرِ الْحَاجِّ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ فَلَوْ أَنَّ أَبَا قُبَيْسٍ لَكَ ذَهَبَةً حَمْرَاءَ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا بَلَغْتَ بِهِ مَا يَبْلُغُ الْحَاجُّ! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْحَاجَّ إِذَا أَخَذَ فِي جَهَازِهِ لَمْ يَرْفَعْ شَيْئاً ولَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ومَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ورَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ فَإِذَا رَكِبَ بَعِيرَهُ لَمْ يَرْفَعْ خُفّاً ولَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَإِذَا سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ... الخ الحديث»[(٢)].

---

(١) الشيخ النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج ١٠/ ص ٣٥٩.

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة، «تهذيب الأحكام»، ج ٥/ ص ١٩ - ٢٠.

فإذا كان ثواب حج بيت الله كذلك وكان الإمام أبو جعفر محمد التقيّ[١] عليه السلام الذي عاش في بلاط المأمون ١٨ عاماً، كصهر محترم له، كما قام المأمون بدفن أبيه حضرة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان في القبة الهارونية، ولم يكن هناك أي مانع أن يزور الإمام محمد التقي قبر أبيه الإمام الرضا المجاور لقبر والد المأمون أي هارون الرشيد، وليس ذلك فحسب بل كان من شأن هذه الزيارة أن تدخل السرور على الخليفة! فلماذا إذن امتنع الإمام محمد التقي عن تحصيل مثل ذلك الثواب العظيم؟! وكيف نبرِّرُ تضييعَه على نفسه ثواب مليون حِجَّة حسب قوله، أو على الأقل ثواب ألف حجة كما جاء في كتاب والده الإمام الرضا عليه السلام نفسه؟! مع أن الحجة الواحدة حسب الحديث الذ أرودناه لها كل تلك الأجر، هذا إضافةً إلى أن مثل تلك الزيارة لو تمَّت فسيكون لها عدّة فوائد أخرى هامَّة جداً هي التالية:

أ - لما كان الإمام الرضا والد الإمام محمد التقي - عليهما السلام - فإن زيارة الأخير له سيكون لها أجر برّ الوالدين إضافة إلى نيل كل ذلك الأجر المخصَّص لكل من يزور الإمام الرضا عليه السلام؟.

ب - سيصبح مثل ذلك العمل - لو تمّ - حجَّةً وسنداً لمن يرى أن السفر لزيارات القبور والمراقد أمرٌ مشروعٌ ومستحبٌّ.

ج - ستكون زيارته سبباً يدعو الآخرين وعامة المؤمنين للقيام بهذا العمل بكل اطمئنان ويقين، فينالوا كلَّ ذلك الأجر العظيم.

ومع كل ذلك، لم يقم الإمام محمد التقي بمثل تلك الزيارة، فإن قيل: لم يفعل ذلك لما فيها من مشقّة السفر إذْ إنه توجد بين بغداد التي كان الإمام محمد التقي مقيماً فيها وخراسان موضع قبر والده الرضا، مسافةٌ كبيرةٌ وسفرٌ شاقٌّ، قلنا: إن هذا السفر لم يكن صعباً عل الإمام محمد التقي عليه السلام وذلك بفضل وسائل الرفاهية والراحة التي كان المأمون قد وضعها تحت تصرفه.

---

(١) وهو الشهير أيضاً بالإمام محمد الجواد عليه السلام، وهو الإمام التاسع لدى الإمامية الاثني عشرية، والمدفون إلى جوار الإمام السابع موسى الكاظم عليه السلام في حيّ الكاظمية ببغداد. (المترجم).

والواقع أن الإمام محمد التقي (الجواد) لم يزُرْ والده الرضا وليس هذا فحسب بل لم يقم حتى بزيارة جده الكريم موسى بن جعفر الذي كان قريباً منه في مقابر قريش قرب بغداد (والتي تحولت إلى منطقة الكاظمية اليوم)، هذا رغم ما رووا عن أبيه الإمام الرضا في كتب الحديث من أحاديث عديدة تبين عظيم الأجر والثواب لمثل هذه الزيارة بالإضافة إلى أن فيها براً للوالدين وفيها ردّاً وإنكاراً على الواقفيّة الذين كانوا يتصورون أن الإمام الكاظم لا يزال حياً وأنه قائم آل محمد وأنه آخر أئمة آل البيت، فزيارة قبر جده الكاظم كان من شأنها أن تقلِّلَ من عدد أولئك الواقفيّة، فضلاً عن أن مثل تلك الزيارة تؤدي إلى تصديق الروايات التي وردت أو نُقِلَتْ عن أبيه الإمام الرضا في ثواب زيارة جدِّه!

إذا لاحظنا تلك الروايات ولاحظنا وسائل التيسير والرفاهية التي كانت ميسَّرة للإمام محمد الجواد فيمكننا أن نعتبره - والعياذ بالله - مقصراً في دينه من عدة جهات! لأنه علاوة على عدم زيارته قبر أبيه وجده عليهما السلام امتنع أيضاً عن زيارة ذلك الشخص الذي له حق كبير ليس على الإمام الجواد فقط بل على كل مسلمي العالم ألا وهو مولى الموحدين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان قبره - حسب المشهور - في النجف أي قرب بغداد التي كانت مقراً وسكناً لصهر الخليفة الإمام محمد التقي (الجواد) آنذاك.

هذا مع أن زيارة حضرة أمير المؤمنين كانت واجبة على الإمام محمد التقي (الجواد) من عدة جهات:

أ - وردت أحاديث كثيرة عن الأئمة عليهم السلام تبين الثواب الذي لا حصر له لزائري أمير المؤمنين بل فيها تهديدات مخيفة! لمن لا يقوم بتلك الزيارة، كتلك الرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ عليه السلام لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ! أَلَا تَزُورُونَ مَنْ تَزُورُهُ الْمَلَائِكَةُ؟!**»[1]، وهذا تهديدٌ ليس من السهل - لو صحّت الرواية - عدم الاعتناء به.

ب - في زيارة أمير المؤمنين ثواب بر الوالدين إضافة إلى ثواب الزيارة لأنه أبو الأئمّة.

---

(١) الشيخ النوري الطبرسي، مستدركالوسائل، ج ١٠/ ص ٢١٢.

ج - لو عمل الإمام بذلك الأمر لخفَّف من الكراهة المشهورة لزيارات القبور، وعلى العكس من ذلك يشكلِّ امتناعُه عن الزيارة وامتناعُ الأئمّة من قبله ومن بعده دليلاً كبيراً على صحّة مذهب القائلين بعدم أهميّة ولا استحباب الزيارة!.

د - إن زيارةَ الإمام الجواد قبرَ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في النجف ستكون تصديقاً لصحة مكان المزار الذي اختاره هارون الرشيد اعتماداً على الحَدْسِ والظنِّ واستناداً إلى قول أحد الفلاحين حول موضع قبر مولى المتقين عليه السلام، فبنى عليه قبر عليّ الذي لم يوافق أكثر المؤرخين على صحة مكانه!!

وعليه فلو أن الإمام الجواد قام بزيارة ذلك المزار العلوي لكان المأمون أول من يُسَرُّ بذلك ويمتنُّ له، لأن أبا المأمون - أي هارون - هو الذي وضع أساس ضريح النجف، هذا إضافة إلى أن ذلك سيكون دليلاً على صحة روايات فضائل الزيارة.

إذن، عندما نجد أن حضرة الإمام الجواد عليه السلام الذي كان يمتلك - أكثر بكثير من الأئمة قبله - إمكانية القيام بعمل كثير الثواب مثل زيارة قبور آبائه الكرام، والتي لها من الأجر - طبقاً للروايات المنسوبة إليه - ما يفوق ما رُوِيَ من ثواب الزيارة عن جميع الأئمّة، مثل ما نُسِبَ إليه من أن زيارة واحدة لحضرة الرضا عليه السلام - التي تعادل ألف حجّة في فيما نَقِل عن الإمام الرضا نفسه - تعادل فيما روي عن الإمام الجواد ألف ألف حجّة![1]، ورغم ذلك لم يبادر هو إلى ذلك الأمر، فهذا يضع علامات استفهام كبيرة على كل تلك الروايات، بل إننا على يقين أن تلك الروايات إنما نُسِبَتْ إليه كَذِباً ولم ينطق بمثلها قط!. ومثلها كل الروايات التي نُسِبَتْ سواء إلى

(١) لا يوجد أدنى شك في أن مثل هذه الروايات روايات باطلة وموضوعة لأن كل عاقل منصف يعلم أنه لو كانت زيارة مراقد الأنبياء والأئمة عليهم السلام لها ثواب ألف حجة أو نحوه لبيّن القرآن الكريم وجوب ذلك وأهميته، كيف لا وهو تبيانٌ لكلِّ شَيء؟! وهو الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم!، فلا يُعْقَل أن يدل الناس على الحج وبعض الأمور الجزئية ذات الثواب الضئيل، ويترك إرشاد الناس للقيام بما يعادل ثوابه ثواب آلاف بل ملايين الحجات!. (برقعي)

الإمام الجواد أو إلى سائر الأئمة - سلام الله عليهم - حول الثواب الجزيل والأجر العميم للزيارات، فهي موضوعة على ألسنتهم ولا صحة لها، كيف لا ولو صحَّت تلك الروايات فإن الأئمّة سيشملهم عندئذ - والعياذ بالله - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف/ ٢)، ونحن لا يمكننا أبداً أن نعتقد بمثل هذا في حق أولئك الأئمة الكرام والهداة العظام سلامُ الله عليهم أجمعين.

والحاصل أن ثمَّةَ حقيقةً هامَّةً ذات دلالاتٍ كبيرةٍ تسترعي انتباه كلِّ مُنْصفٍ هي أنه لو تتبعنا كل التواريخ الموثَّقة لا يمكننا أن نجد أيَّ خبرٍ يَذْكُرُ سفر أيِّ إمام لزيارة مرقد أي إمام آخر من الأئمة عليهم السلام! أما ما رُويَ من زيارة الإمام الصادق عليه السلام لقبر أمير المؤمنين عليه السلام فسنبين في الصفحات التالية من هذا الكتاب ضعف تلك الرواية ووَهَنِهَا.

٣- حلُّ إشْكَالٍ ورَفْعُ مُعْضِلَةٍ

تبيَّن من الأدلة العقلة والنقلية التي أوردناها، أن مسالة زيارة المراقد التي اتَّسعت وكَثُرَ الاهتمامُ بها في هذه الأمة إلى هذا الحد الذي ظن فيه أكثر الناس أنها من الواجبات الدينية الأساسية، وأنها ركنٌ هامٌّ من أركان الإسلام!، لا تستند في الواقع إلى أي أصل من أصول الدين، بل إن كثيراً مما يحف بها ويحصل خلالها هو من البدع المحرَّمة!!.

ولعل القارئ الكريم يتساءل: إذن فما قصَّة كل تلك الروايات والأحاديث الموجودة في كتب الفريقين الشيعة والسنة حول الزيارة؟؟ وكيف قامت كل تلك المزارات والأضرحة المنتشرة اليوم في البلدان الإسلامية والمبنيّة على قبور الأموات وأصبحت تأتيها قوافل الزوار من الشرق والغرب ومن كل حدب وصوب، منهم من يقيم حولها ويعتكف بها، ومنهم من يتردَّد إليها في كل فصل ومناسبة؟! وما الذي أدى إلى انتشار كل هذه الكتب والرسائل المتعلقة بالزيارات وآدابها التي حررها علماءُ أعلامٌ؟! إلى الحد الذي قد يمكننا أن نستخرج فيه من كتب الشيعة الإمامية فقط، أمثال كتاب «**كامل الزيارات**» لابن قولويه القمِّي[1] وكتاب «**الكافي**» للشيخ محمد بن يعقوب الكُلَيْنِيّ[2] وكُتُب «**تهذيب الأحكام**» و«**الاستبصار**» و«**مصباح المتهجِّد**» للشيخ أبي

---

(١) هو الشيخ أبو القاسم، جعفر بن محمد بن جعفر بن قولويه القمي، من أبرز الشخصيات بين رواة الشيعة في القرن الرابع الهجري، ويُعَدُّ ابن قولويه من أفضل تلامذة محمد بن يعقوب الكليني، ومن أبرز مشايخ الشيخ المفيد، ولد في قم وتوفي فيها سنة ٣٦٧ هـ ومن أشهر مؤلفاته: «كامل الزيارات» المليء والمشحون - مع الأسف - بالروايات الضعيفة والموضوعة. (المترجم)

(٢) هو الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكُلَيْنِي الرازي (توفي ٣٢٩هـ) قال عنه النجاشي في رجاله (ج٢/ ص٣٧٧): «شيخ أصحابنا في وقته بالري وجههم، وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير ويسمى الكافي في عشرين سنة...» انتهى ملخَّصاً. (المترجم)

جعفر الطوسي[١]، وسائر الرسائل والصحائف قرابة ألف حديث ورواية حول ثواب الزيارة وآداب الدخول إلى المشاهد والمزارات ونصوص وأدعية الزيارات المتعددة والتي يتضمن بعضها عبارات مثل: «**السلام على عين الله الناظرة ويده الباسطة!**»، والتي جعلت حضرة آية الله العظمى (!) السيد أبو الفضل النبوي يستند إليها في كتابه «**أُمراي هستي**» (أي «**أمراء الكون**»!!) ليثبت الولاية التكوينية للأئمة عليهم السلام! فهل من الممكن أن يكون كل هذا الكلام لغواً وباطلاً؟!

لذا سنقوم - بعون الله تعالى - في هذه الرسالة المختصرة بتوضيح هذه القضية إلى حدِّ الإمكان، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً يجب أن نشير إلى نقطة مهمة هي أنه لا ينبغي أن نصاب بالهلع لكثرة الأحاديث والكتب والرسائل التي كتبت في هذا الباب أو في أي موضوع آخر، لأن كلَّ مَنْ له إلمام وشغل بالكتب والرسائل وله خبرة بالروايات والأحاديث والأخبار، يعلم أن كثيراً من هذه الكتب لا يستحق الالتفات إليه بل أفضل خدمة نقدمها للبشرية وللإسلام هي أن نرميها في عرض البحر!!. كما لا أهمية لكثرة الأحاديث وغزارتها في بعض المواضيع لأنه لا بد من عرض كل هذه الروايات على الدلائل القرآنية والعقلية والحسية والتاريخية فإذا خالفتها تأكد لنا أنها روايات لا أساس لها من الصحة مهما كَثُرَت!

ولا يخفى عليك أيها القارئ الحصيف أنَّه لو صَحَّتْ مئات الأحاديث التي رُوِيَتْ حول زيارات المراقد لكان أهم قبر يستحق أن تُطَبَّقَ عليه هو القبر الشريف المنَوَّر لنبيِّ الله ﷺ، والذي ذكر الشيعة والسنة في كتبهم أحاديث عديدة حول فضل زيارته! هذا في حين أننا أثبتنا بالدلائل النقلية والتاريخية والعقلية أن قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يكن مزاراً أي لم يكن

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (توفي ٤٦٠ هـ)، قال عنه العلامة الحلي في الخلاصة (ص١٤٨): «شيخ الإمامية، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع..الخ». انتهى. (المترجم)

الصحابة الكبار يترددون إليه أو يشدون رحالهم إليه لزيارته حتى قرابة قرن كامل بعد رحلته ﷺ، فضلاً عن السفر لزيارة أضرحة أخرى لأئمّة أو أولياء صالحين.

وبالتالي فإذا لم يكن قبرُ رسول الله مزاراً للمسلمين في صدر الإسلام بل كان أصحابُ النبيِّ الأخيار وأحفاده من أهل بيته الكرام ينهَوْنَ بعض العوام الذين لا اطلاع لهم على أحكام الإسلام عن المجيء الخاص إلى ناحية قبره للسلام عليه، ويعلمونهم السلام عليه من أماكنهم، فأي اعتبار إذن لتلك الأحاديث الواردة في هذا الموضوع؟ أفلا يدل ذلك على أنها من الأخبار الدخيلة التي طرأت على الإسلام؟؟.

وكلُّنا يعلم أن الإسلام لم يبقَ محصوراً في المكان الذي ظهر فيه (مكة والمدينة)، بل وصل بفضل الله وببركة جهود مسلمي صدر الإسلام إلى أقصى نقاط المعمورة، وخضعت له بلدان العالم في الشرق والغرب - والتي كان لها عادات وآداب وسنن دينية واجتماعية نابعة من حضارتها الخاصة -، ومن جملة ذلك كان في بعض البلدان ذات الحضارة، في تلك الأيام، احترامٌ كبيرٌ للأموات، فكانوا يبنون على قبور العظماء أبنيةً خاصّةً، كما كان الحال في مصر مثلاً التي يوجد فيها كثيرٌ من مقابر الملوك، وما الأهرامات الثلاث التي بُنيت فوق قبور الفراعنة إلا دليل واضح على مدى اهتمامهم بقبور عظمائهم، وكذلك نجد في أطراف إيران قبور «كورش الكبير» و«داريوش» و«بازرقاد» و«كوردختر» وسائر تلك الآثار التي ما نشأت إلا من الاهتمام بالأموات وتعظيمهم، وفي الحجاز نفسه كان عرب الجاهلية المشركين يؤمنون بقدرات كبيرة وتأثير للأموات السابقين، والظاهر أن أحد علل النهي عن زيارات القبور في بدء الدعوة هو هذه العقيدة الجاهلية الفاسدة التي تتصور أن بعض الأموات السابقين لهم قدرة وإحاطة وتصرف في أحوال الأحياء، وقد سعى الإسلام بكل قوة للقضاء على هذه العقائد ومحو آثار الجاهلية الخاطئة.

ولكننا نرى أنه بعد غروب شمس النبوَّة بدأت آثار الجاهلية تعود تدريجيّاً إلى الحياة من جديد، خاصَّةً بعد اختلاط المسلمين بشعوب الأمم المفتوحة التي كانت تتفوّق عليهم في العراقة

والمدنية ولاسيما في عهد العباسيين عندما أصبحت الدولة والخلافة الإسلامية تحت تصرُّف نبلاء العجم وأشراف إيران! فانتقل كثيرٌ من العادات والآداب والتقاليد الإيرانية تدريجياً إلى المسلمين وراجت بينهم بوصفها آداباً إسلامية!، ومن جملة ذلك آداب وسنن تجهيز الأموات مثل تشييع جنائز الأشراف برفع الرايات والأعلام وضرب الطبول والمزامير وبناء الأضرحة وإشعال المصابيح وغير ذلك من التقاليد. وبهذا سرت مسألة أهمية زيارة الأموات إلى المسلمين وبدأت تزدهر.

فَعِلَّةُ ذلك الانتشار الواسع لموضوع زيارات القبور إذن هي بكل بساطة تقليد المسلمين لسنن وآداب الشعوب غير الإسلامية واتباعها والتأثر بها.

ولكن يجب أن نبحث لماذا جاءت في كتب الحديث وكتب الزيارات كل تلك الأحاديث في ثواب وفضيلة زيارات الأموات، وهذا هو الهدف الأصلي من تأليف هذه الرسالة خاصة أنه في مذهب الشيعة أصبحت زيارات المراقد والقبور من أهم وأكبر العبادات إلى درجة طغت فيها من ناحية الثواب والاهتمام بها على سائر العبادات الأخرى!!.

٤- علّة الاهتمام الزائد بالزيارات ووضع الأحاديث في فضائلها

يمكننا أن نجمل علّة الاهتمام الزائد بزيارات مراقد الأئمّة والأولياء، لدينا معشر الشيعة الإمامية، بالأمرين التاليين:

١ - لقد كان لسياسة الشيعة دورٌ هامٌّ في أمر الدين ومسألة الزيارة. وعلّة ذلك أنَّ تلك الفئة من الصحابة الذين كانوا من مؤيدي حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أواخر حياة رسول الله والذين كانوا يرونه أفضل الصحابة وأولاهم بالخلافة، اضطروا هم ومن آمن بفكرتهم من أتباع وشيعة أمير المؤمنين، بعد استلام معاوية الحكمَ عقب صلح الإمام الحسن عليه السلام، إلى التخفّي والاستتار نظراً لما وقع عليهم من ملاحقات واضطهاد، ولم تُكَلَّل محاولات نقل الحكم من بني أميَّة إلى آل عليٍّ بالنجاح إلى أن وقعت فاجعة كربلاء الدموية الأليمة، فلجأ من بقي من شيعة أهل البيت من معارضي أعداء الحكومة الأموية، والذين لم يكونوا جميعاً على مستوىً كبير من العلم والتقوى، بل كان كثيرٌ منهم من الأصدقاء الجهلاء، إلى السعي إلى إضعاف الأمويين عن طريق إقناع الناس بعدم مشروعية حكومتهم وتحريض الناس ضد بني أمية عن طريق نشر فضائل الإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام والتي كانت لا تزال مستقرة في صدور بقية أصحاب رسول الله كالبحر الزخّار هذا من جهة، وقد تسربت من هذا الطريق بعض الأخبار الموضوعة التي وضعها بعض المتحمّسين، ومن الجهة الأخرى قاموا بذكر آلام ومصائب آل عليٍّ الأبرار التي تعرّضوا لها على أيدي الظلمة من بني أمية لا سيما شهادة سيد الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام، وهنا أيضاً لم يُقَصِّر بعض الغلاة من وضع الأخبار في هذا المجال، إلى أن دالت دولة بني أمية على أيدي بني العباس الذين أوقعوا من الظلم على آل عليٍّ ما فاق ظلم بني أميّة لهم! فاستمرَّت - نتيجةً لذلك - تلك الطريقة، أي ذكر ظلم المخالفين ومصائب أهل البيت عليهم السلام وبيان فضائل العترة الكثيرة، ومن البديهي أن مثل هذه

الأعمال (أي الزيارات وقراءة المراثي وإقامة المآتم ومجالس العزاء) تلعب دوراً كبيراً في تحميس الناس وإثارتهم، فلا غرابة أن نجد أن سوق وضع الأخبار والأحاديث في ثواب الزيارات وفي الأجر الجزيل لمن يقيم أو يحضر مراثي ومآتم آل البيت يروج ويزدهر، وتُنْسَبُ في هذا المجال أحاديث وروايات كثيرة إلى أئمة آل البيت عليهم السلام! لأن ذلك من شأنه أن يؤثِّر كثيراً في الناس وإن كان تأثيراً مؤقتاً سريع الزوال!.

ولعلَّ بعض القرّاء الكرام يستبعد أن يقوم بعض المتدينين المحبين لآل الرسول بوضع الأحاديث على ألسنة الأئمة، ولكن كل من له اطلاع جيد على تاريخ الحديث الشريف وسيرته يعلم أن مثل هذا الأمر سهلٌ بالنسبة إلى أصحاب الأهواء السياسية الجامحة الذين يسعون لتحقيق مصالح مبدئهم الذي يوقنون بصحَّته، وهذا ما سيطلع عليه القارئ فيما يلي إن شاء الله.

٢ - أما العلّة الثانية المؤثّرة في وضع مثل هذه الأحاديث (أحاديث المناقب وفضائل الزيارات وثواب المآتم...الخ) فهي عداوة بعض المتظاهرين بالإسلام الباطنية لهذا الدين الحنيف ولتعاليم القرآن الحقَّة وكراهيتهم لحقائق الإسلام وأحكامه، والتي دفعتهم إلى السعي لتخريبه من الداخل بوضع الأحاديث الكاذبة. وتفصيل ذلك أن القرآن الكريم كان نوراً أشع من نور الربوبية واعتبر الإنسان رهين أعماله فقال: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ (الطور/ ٢١). وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ (الزلزلة/ ٨ - ٧).

ومثل هذه الدقّة في الحساب لم تكن ترُقْ لزنادقةٍ كانوا يرغبون أن تبقى أبواب الشهوات أمامهم مُشْرَعَة، وأن تُتاح لهم ملذّات الدنيا بلا رقيب ولا سؤال ولا محاسبة دقيقة يوم القيامة، فكان لزاماً عليهم أن يخترعوا طرقاً تبرِّر نجاة الإنسان - مهما عمل - من شدة عذاب اليوم العظيم، وتؤمّنه من مخاطر يوم الحسرة والندامة، بل تُغدق عليه الحورَ والقصورَ في جنان الخلد والرضوان ولو كانت صحائف أعماله سوداء!.

مثل هذه الرغبات أوجدت وضّاعين يضعون أحاديثَ تجعل الفاجرين والفاسقين يتمتّعون

بنعمة الشفاعة وتجعل هذه النعمة متاحةً لمن يتوسل ويتضرع أمام مرقد إمامٍ مُتَوَفَّى أو وليٍّ مَيِّتٍ أو لمن يزور قبر إمام ويدعو عنده ببعض الكلمات غير المفهومة باسم دعاء مأثور، فيصبح بذلك مسلوب العيوب مغفور الذنوب، ويرتاح بمجرَّد قيامه بمثل هذه الأعمال المبتدعة من تجشُّم عناء العبادات ورعاية أحكام الحلال والحرام ويدخل في نهاية المطاف بكل عزة واحترام في جنة الرضوان!

وفي الواقع لقد ابتدأ ظهور مثل هذه الأحاديث التي كان الوضّاعون - الذين لا شك في نفاقهم وعداوتهم الباطنية للإسلام وكراهتهم لما أنزل الله من أحكام - يفترونها دفعاً لأوامر القرآن ونواهيه، منذ زمن رسول الله ﷺ مما دعا رسول الله إلى أن يقوم ويحذر الناس من هذا الخطر، كما نقل عنه ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: «**لَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ الله - ﷺ - عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.**»[(١)].

ولكن أصحاب رسول الله الأخيار رضي الله عنهم كانوا لا يزالون منتشرين في البلاد فما كان أحد يجرؤ على بثِّ أحاديث ملفَّقة، لذا كان سوق الأحاديث الباطلة لا يزال كاسداً، لكنه بدأ يروج تدريجياً فيما بعد هروباً من تعاليم القرآن الصارمة، كما بيَّن ذلك سلمان المحمّدي فيما نقله عنه حضرة الإمام أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام في الحديث التالي الذي أخرجه الكشي في رجاله فقال: «**عن محمد بن حكيم، قال ذُكِرَ عند أبي جعفر عليه السلام سلمانُ، فقال ذلك سلمانُ المحمدي، إن سلمان منَّا أهلَ البيت، إنه كان يقول للناس هربتم من القرآن إلى الأحاديث، وجدتم كتاباً رقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقطمير والفتيل وحبة خردل فضاق ذلك عليكم وهربتم إلى الأحاديث التي اتسعت عليكم**»[(٢)].

هذا ورغم أن تدوين الأحاديث في بدء عهد بعثة رسول الله (ﷺ) كان ممنوعاً خشية أن يختلط بالقرآن الكريم، ثم سُمح لأفراد قلَّة مثل عبد الله بن عمرو بن العاص - بناءً على بعض

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٠.

(٢) رجال الكشي، ص/ ١٨.

الروايات – أن يكتب ما كان يسمعه من رسول الله، واستمرّ التوقي من نقل وكتابة الحديث بعد رحلة النبي خشيةً من الصحابة أن يبدِّلوا عبارة أو كلمة من كلام رسول الله (ﷺ) دون قصد[١]، كما روت عائشة «إن أباها (أبا بكر) جمع حدود خمسمئة حديثٍ عن رسول الله في دفتر خاص فبات ليلته يتقلب كثيراً! قالت فقلتُ: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أيّ بُنَيَّة هَلُمِّي الأحاديث التي عندك! فجئته بها، فدعا بنا فحرقها. فقلت: لِمَ أحرقتها؟ قال خشيتُ أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنتُهُ ووثقتُ به ولم يكن كما حدَّثني فأكون قد نقلتُ ذاك»[٢].

ولكن بعد مرور قرن من الزمن سمح عمر بن عبد العزيز بتدوين الأحاديث فكثر التدوين وراج وأصبح نقل الروايات والأخبار من مفاخر وامتيازات ذلك العهد ووصل الأمر إلى حد أن أصبح بيع وشراء الأخبار من أغلى متاع ذلك الزمن! ومن المعروف أنه قبل ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان، كان أبو هريرة أو سمرة بن جندب (أو شخصٌ آخر) قد قبض كلٌّ منهما من معاوية أربعمئة ألف درهم ليروي حديثاً واحداً كاذباً!

وفي النهاية وصلت كثرة الأحاديث في زمن الإمام **أحمد بن حنبل** إلى درجة أنه جمع مسنده الذي يضم الآن بضعة وثلاثين ألف حديث **من أصل مليون حديث!** كما جمع **الإمام البخاري** صحيحه الذي يضم الآن سبعة آلاف حديث **من أصل سبعمئة وخمسين ألف حديث**، وكذا اختار **مسلم** أحاديث صحيحه البالغة أربعة آلاف **من أصل ثلاثمئة ألف حديث!**

ولم يكن هذا العمل – أي حركة الوضع – مقتصراً على أشخاصٍ في أوساط العامة

---

(١) يؤيد ذلك ما رواه الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي (٩١١ هـ ق) في "**تذكرة الحفاظ**" (ج١/ ص ٢ – ٣) قال: «**ومن مراسيل بن أبي مليكة أن (أبا بكر) الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه**» اهـ. (المترجم).

(٢) السيوطي، تذكرة الحفاظ، ج١/ ص٥، وقال السيوطي بعد ذكره هذه الرواية **إنها لا تصح**. (المترجم)

المشتهرين بأهل السنة بل كانت شدته أكثر في أوساط الفريق الذي يطلق عليه اليوم اسم الشيعة، وكانوا يُنْبَذُون في ذلك الزمن بلقب الرافضة، الذين كانوا في الواقع أحزاباً سريَّةً، فكان وضع الحديث لديهم أكثر، وعلة ذلك أن معارفهم وآثارهم لم تكن تحت الرقابة ولا كانت مشهورةً ولم تبقَ لدى حزب خاصٍ أو جماعة محددة بل كانت كل يوم تنتشر وتُتَناقل خُفْيَةً من جماعة إلى أخرى إلى حد أن جماعة واحدة كانت تنشعب إلى عشر جماعات أحياناً.

وكان أكثر الوضّاعين الكذَّابين في العراق، إلى حدِّ قول بعضهم أن من كل ألف حديث لمحدِّثي العراق، ٩٩٩ منها كذبٌ، وواحدٌ منها موضعُ شكّ!!.

وعلينا أن نعترف بحقيقة أن كثيراً ممن يعادون الإسلام في باطنهم كانوا يتظاهرون بأنهم من شيعة عليٍّ وآل البيت عليهم السلام، وكانوا يوجِّهون ضرباتهم المهلكة لجسم الإسلام، وكان أهم أسلحتهم وضع الحديث!! وهذه الحقيقة ستتأكد أكثر للقراء الكرام عندما يقومون بمطالعة كتب الملل والنحل لاسيما تلك التي كتبها علماء الشيعة الأعلام حول فرق ومقالات الشيعة وذلك مثل كتاب «**المقالات والفرق**» لـ«**سعد بن عبد الله الأشعري**» رحمه الله المتوفى سنة ٣٠١ هجرية، والذي كان من أعلام الشيعة وخواص أصحاب الأئمة عليهم السلام، أو كتاب «**فرق الشيعة**» تأليف «**أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي**» رحمه الله المتوفى ٣٠٠ هـ ق، والذي يُعَدُّ من كبار علماء الشيعة الإمامية أيضاً ومن أسرة معروفة بالعلم والفضل.

لقد ذكر هذان المؤلفان «رحمهما الله» أكثرَ تلك الفرق التي كانت خارجة عن الإسلام أثناء بيانهم لفرق الشيعة مثل: السبئية والكيسانية والمغيرية والسرحوبية والرافضية والإسماعيلية والفطحية والواقفية والخطابية والنميرية وغيرهم، مما يُبَيِّنُ كيف أصبح الاسمُ المبارك لعلي بن أبي طالب عليه السلام وما عاناه هو وأبناؤه الكرام - الذين اشتهروا في الآفاق بالعدل وحسن السيرة - من ظُلْمٍ وحَيْفٍ، ملجأً يتستَّر خلفه بعض المنحرفين والزنادقة الذين يضمرون كره الإسلام ويسعون في خراب بنيانه، فاستطاعوا من خلال وضعهم للأحاديث وإحداثهم للمذاهب المبتدعة أن يمزقوا جسد المجتمع الإسلامي إرباً إرباً!.

وخلاصة ما تقدَّم أنه كان هناك دافعان لوضع الحديث: الدافع الأول الهوى السياسي ونصرة قضية آل البيت ومظلوميتهم، والدافع الثاني ذو شعبتين أولهما الفرار من القرآن ليصبح الإنسان بواسطة الأحاديث الموضوعة في مأمن من إنذاراته وتخويفاته ويصبح أكثر حرية في إشباع شهواته ورغباته، والثاني السعي إلى هدم الإسلام من داخله، وأحياناً كان الدافعان يجتمعان لدى الشخص أو الجماعة ذاتها! راجعوا أيها القراء الكرام الكتابين المذكورين للعالمين الشيعيين الجليلين سعد بن عبد الله الأشعري والحسن بن موسى النوبختي، رحمة الله عليهما، وانظروا كيف أن الذين أسسوا المذاهب والفرق العديدة كانوا يضعون الأخبار لحرف الناس عن أحكام الحلال والحرام وتشجيعهم على ارتكاب المحرمات!

مثلاً تلك الفرقة من أصحاب أبي الخطاب الأسديّ التي كانت تشكل في ذلك الزمن إحدى فرق الشيعة كانت - طبقاً لما جاء في كتاب المقالات والفرق (ص٥١، طبع طهران): «**أحلُّوا المحارم من الزنا والسرقة وشرب الخمر وتركوا الزكاة والصلاة والصيام والحج، وأباحوا الشهوات بعضهم لبعض...**»! وهذه العبارة ذاتها نقلها النوبختي في كتابه فرق الشيعة أيضاً (ص٦١/ طبع النجف) باختلاف يسير في ألفاظها حيث زاد على المحرمات **اللواط والسرقة!!**.

كما نقل صاحب كتاب«المقالات والفرق» (ص٥٧) عن فرقةٍ تُدْعَى المجسِّمة أنهم: «**وأباحوا الفروج كلها وأبطلوا النكاح والطلاق...**»! وللاطلاع على سائر العقائد الفاسدة للفرق المنحرفة أمثال الإسماعيلية والنصيرية والنميرية راجعوا الصفحات: ٦٣ و٩٢ و١٠٠ من كتاب «**المقالات والفرق**»، والصفحات ٨١ و١٠٥ و١١٦ من كتاب «**فرق الشيعة**» لكي تتأكدوا أن من أهم أهداف واضعي الحديث ومؤسسي الفرق الضالة الفرار من أحكام الإسلام وتخريبها.

ولعل قائلاً يقول: إن تلك الفرق التي ذكرت أنها كانت من ضمن فرق الشيعة في ذلك الزمن هي فرقٌ مرفوضةٌ اليوم في نظر الشيعة الإمامية. وثانياً لم يبقَ على وجه الأرض أي واحدة من تلك الفرق الضالَّة في يومنا هذا ولله الحمد، فما علاقة تلك الفرق فيما نحن فيه؟

أقول: صحيحٌ أن تلك الفرق القديمة المغالية مرفوضةٌ في نظر الشيعة الإمامية وتعتبر في

نظرهم من الفرق الضالّة، لكن **لا تزال هناك أخبارٌ وآثارٌ عديدةٌ لهم وجدت طريقها إلى ثنايا كتب حديث الشيعة الإمامية، التي اختلط فيها الحق بالباطل، وامتزجت فيها الآثار الباقية عن الأئمة الهداة - عليهم السلام - بأقاويل منقولة عن رجالات تلك الفرق، ولم يتم إلى يومنا هذا - مع الأسف الشديد - عملٌ جديٌّ شاملٌ لفرز الدخيل عن الأصيل وتمييز الموضوع عن الصحيح!**

هذا علاوةً على أن كثيراً من رواة أخبار وأحاديث الشيعة الإمامية هم من أتباع تلك المذاهب الباطلة ذاتهم مثل الفَطَحِيَّة والوَاقِفِية والشَلْمَغَانيّة وحتى بعض أولئك الذين اشتهروا بأنهم من كبار أصحاب الأئمة، كانوا من قَبْلُ من أتباع بعض تلك المذاهب الباطلة وأمضوا فيها مدَّةً من حياتهم قبل أن يرجعوا إلى مذهب الإمامية وذلك مثل أبناء أعين وأبو خديجة والمعلّى بن خنيس وغيرهم. **فإذا لم نتمسَّك بالقرآن الكريم ونرجع إليه ونجعله حكماً لتمييز الصحيح من الخطأ فإن عملية تفكيك وتفريق الأخبار والآثار التي رواها أولئك زمن اعتقادهم بمذهبهم السابق وتلك التي رووها بعد رجوعهم إلى مذهب الإمامية ستكون عمليّةً عسيرةً للغاية.**

٥- الأحاديث الباقية من الفرق الضالّة

بغض النظر عن عيوبها الأخرى، توجد في كتب الحديث المعتبرة لدى الشيعة الإمامية أحاديث موضوعة تحمل رائحة المذاهب الباطلة وطعمها ذاته، فيظهر أنها تسرَّبت من أولئك الغلاة أصحاب دعاوى إسقاط التكاليف إذْ تدعو الإنسان بشكل غير مباشر إلى التجرؤ على الذنوب وفعل ما نهى القرآن عنه! وإليكم بعض الأمثلة:

١ - روى **الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي** في «**الأمالي**» في «المجلس الثمانون» (ص ٥٣٩) ضمن بيان فضيلة شهر رجب وثواب صيامه الرواية التالية:

«... ومن صام من رجب تسعةً وعشرين يوماً غفر الله عزَّ وجلَّ له ولو كان عشّاراً أو لو كانت امرأة فجرت بسبعين مرَّةً [امرأً] بعد ما أرادت به وجه الله والخلاص من جهنم لغفر الله لها!......».

لاحظ أيها القارئ الكريم أنه بصيام تسعة وعشرين يوماً يمكن للمرأة المومس التي زنت سبعين مرَّة ربما في سبعين رجلاً أي زنت ٤٩٠٠ مرَّة أن يُغْفَر لها!!

٢ - وذكر العلامة الحلي في كتابه الفقهي «**منتهى المطلب**» (ج١/ ص٤٦١) روايةً غريبةً لا سند لها ولا مصدرٍ، فقال: **«[الرابع] يُسْتَحَبُّ أن يجعل معه شيئاً من تربة الحسين عليه السلام طلباً للبركة والاحتراز من العذاب (والستر) من العقاب، فقد رُوِيَ أن امرأة كانت تزني تضع أولادها فتحرقهم بالنار خوفاً من أهلها ولم يعلم به غير أمّها، فلما ماتت دُفِنَتْ فانكشف التراب عنها ولم تقبلها الأرض فنُقِلَتْ عن ذلك الموضع إلى غيره فجرى لها ذلك، فجاء أهلها إلى الصادق عليه السلام وحكوا له القصة فقال لأمِّها ما كانت تصنع هذه في حيوتها من المعاصي؟ فأخبرته بباطن أمرها، فقال عليه السلام: إن الأرض لا تقبل هذه لأنها كانت تعذب خلق الله بعذاب الله، اجعلوا في قبرها شيئاً من تربة الحسين عليه السلام، ففعل ذلك فسترها الله تعالى»!!**.

أجل، بمقدارٍ قليلٍ من التربة يُرْفَعُ العذاب عن جرائم بمثل تلك الفظاعة والبشاعة التي يهتزّ لهولها العرش!!

٣ – في المجلد التاسع عشر من بحار الأنوار (ص٣٠٢/ طبع كمپاني) ينقل المجلسي عن كتاب «**مهج الدعوات**» للسيد بن طاووس[1] الرواية التالية، قال:

«رويناه بإسنادنا إلى سعد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن فضال عن الحسين بن الجهم عمن حدثه عن الحسن بن محبوب أو غيره عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: **إن عندنا ما نكتمه ولا نعلِّمُهُ غيرَنا، أشهد على أبي أنه حدثني عن أبيه عن جده قال: قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام: يا بُنَيّ! إنه لا بد من أن تمضي مقادير الله وأحكامه على ما أَحَبَّ وقضى وسيُنْفِذُ الله قضاءه وقدره وحكمه فيك، فعاهِدْني أن لا تلفظ بكلام أستره إليك حتى أموت وبعد موتي باثني عشر شهراً وأخبرك بخبر أصله عن الله: تقول غداوة وعشية فيشتغل به ألف ألف ملك يُعْطَى كلٌّ منهم قوة ألف ألف كاتب في سرعة الكتابة ويوكل بالاستغفار لك ألف ألف ملك يُعْطَى كل ملك مستغفر قوة ألف ألف متكلم في سرعة الكلام ويبنى لك في دار السلام ألف ألف بيت في مائة قصر يكون فيه من جيران أهله ويبنى لك في الفردوس ألف بيت في مائة قصر يكون لك جار جدك ويبنى لك في جنات عدن ألف ألف مدينة ويحشر معك في قبرك كتاب يقول ها أنا لا سبيل عليك للفزع ولا للخوف ولا لزلازل الصراط ولا لعذاب النار ولا تدعو بدعوة فتحب أن تجاب في يومك فيمسي عليك يومك إلا أتاك كائنة ما كانت بالغة ما بلغت في أي نحو كانت ولا تموت إلا شهيداً وتحيي ما حييت وأنت سعيد ولا يصيبك فقرٌ أبداً ولا جنونٌ ولا بلوى ويُكْتَب لك في كل يوم بعدد الثقلين كل**

(١) هو السيد الشريف رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاوس من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام، عالمٌ إماميٌّ مشاركٌ، ولد في الحلة عام ٥٨٩ هـ وصار فقيهاً وأديباً وشاعراً واشتهر بالزهد والعرفان، وكانت أكثر مؤلفاته في الأدعية والزيارات، من أشهر كتبه: «كشف المحجة لثمرة المهجة» و«الملهوف على قتلى الطفوف» و«**مهج الدعوات**» توفي رحمه الله في بغداد سنة ٦٦٤ هـ ق. (المترجم)

نفس ألف ألف حسنة ويمحى عنك ألف ألف سيئة ويرفع لك ألف ألف درجة ويستغفر لك العرش والكرسي حتى تقف بين يدي الله عز وجل ولا تطلب لأحد حاجة إلا قضاها ولا تطلب إلى الله حاجة لك ولغيرك إلى آخر الدهر في دنياك وآخرتك إلا قضاها.... (إلى قوله:) فعاهد الحسنُ علياً على ذلك ثم قال: إذا أردت إن شاء الله ذلك فقل هذا الدعاء: **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان الله في آناء الليل وأطراف النهار سبحان الله بالغدو والآصال سبحان الله....** (إلى آخر الحديث)»[1]

كل ذلك الثواب العميم والأجر الخطير على ماذا؟ على قراءة دعاء بسيط من عدة أسطر أولها: سبحان الله والحمد لله والله أكبر وعدد من الجمل الأخرى. ولا ننسَ بالطبع أن أمير المؤمنين قد أخذ من حضرة الحسن أو الحسين عهداً ألا يبيحا ذلك السر لأحدٍ، ولكن ويا للأسف! كُشف ذلك السرّ وفُتح باب هذا الكنز العجيب والعظيم فملأ الكتب، والآن يمكن لكل فاسق وفاجر ألا يبالي بكل إنذارات القرآن ويواصل فسقه بكل طمأنينة بال!! وأهل المعاني يعرفون أن هذا الإصرار على كتمان ذلك السر إنما كان لتحلية سوقه وتشويق الناس إليه على قاعدة: «**الإنسان حريص على ما منع**» و«**كل ممنوع مرغوب**» وبالتالي فعليهم أن يحرصوا على هذا الدعاء قبل أن يطير من أيديهم فيفقدوا كل ذلك الثواب الجليل والأجر الجزيل!!.

٤ - وهناك أحاديث أخرى عديدة أيضاً على ذلك النمط في كتاب «**مهج الدعوات**» تشكل ملاذاً جيداً يلتجئُ إليه الباحثون عن مأمنٍ من إنذارات القرآن، ومن جملة ذلك حديثٌ في الدعاء، أورده المجلسي في المجلد التاسع عشر من «**بحار الأنوار**» نقلاً عن «**مهج الدعوات**» ينصّ على مقادير هائلة من الثواب تلقاء دعاء بسيط يضمن لمن قرأه غفران ذنوبه حتى ولو كان من بينها الزنا بأمه!!! وإليكم الحديث من «**مهج الدعوات**» (ص٧٥ - ٧٦):

«قال حدثنا عبد الله قال حدثنا أبو جعفر حميد البصري قال بلغنا عن رجل من أهل نيشار يقال له عبد الله قال حدثنا إبراهيم بن أدهم عن موسى الفراء عن محمد بن علي بن أبي طالب

---

(١) السيد ابن طاووس، مهج الدعوات، الرواية المتقدمة من دعاء العشرات، ص١٤٥ - ١٤٦.

عليه السلام عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: **من دعا بهذه الأسماء استجاب الله عز وجل له وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لو دعي بهذه الأسماء على صفائح من حديد لذاب الحديد بإذن الله تعالى وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والذي بعثني بالحق نبيّاً لو أن رجلا بلغ به الجوع والعطش شدة ثم دعا بهذه الأسماء لسكن عنه الجوع والعطش، والذي بعثني بالحق نبيّاً لو أن رجلاً دعا بهذه الأسماء على جبل بينه وبين الموضع الذي يريده لنفذ الجبل كما يريده حتى يسلكه والذي بعثني بالحق نبيّاً لو دعا بهذا الدعاء عند مجنون لأفاق من جنونه.....** (إلى قوله): **ولو أن رجلاً دعا بهذا الدعاء أربعين ليلةً من ليالي الجمع لغفر الله عز وجل له كلَّ ذنب بينه وبين الله تعالى ولو فجر بأمه لغفر الله له ذلك....** (إلى قوله): **وهي هذه الأسماء تقول اللهم إني أسألك يا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه يا من تسربل بالجلال والعظمة واشتهر بالتجبر في قدسه يا من تعالى بالجلال والكبرياء في تفرد مجده يا من انقادت الأمور بأزمتها طوعا لأمره...** (إلى آخر الدعاء الطويل)، **قيل إن سلمان الفارسي رحمه الله قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي ألا أعلمه الناس؟؟ قال: لا يا أبا عبد الله! يتركون الصلاة ويركبون الفواحش ويغفر لهم ولأهل بيتهم وجيرانهم ومن في مسجدهم ولأهل مدينتهم إذا دعوا بهذا الأسماء!!.**».

أي أن ثواب هذا الدعاء عظيم وسريع وخارق إلى درجة أنه لا يضمن غفران ذنب قارئه - الذي من جملة ذنوبه ترك الصلاة وارتكاب الزنا حتى بأمِّه - فحسب، بل كل الناس الساكنين في مدينة ذلك الداعي ستُغْفَرُ ذنوبُهُم أيضاً!!!

فماذا تريد من حديث أفضل من ذلك؟ ناقلٌ مثل السيد ابن طاووس وراوٍ مثل أمير المؤمنين (علي) وقائل مثل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ - حاشاهما ذلك -؟! وبهذا تم خير الدنيا والآخرة!! فمن لم يعجِبْه فلينطح رأسه بالحائط!

٥ - ومن الأحاديث الأخرى المعادية للقرآن والموجودة بكثرة في الكتب المعتبرة حديثٌ آخر في كتاب «**مهج الدعوات**» للسيد ابن طاووس - حسب ما نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار (مجلد١٩/ ص٢٩٦) - يقول:

«و من ذلك دعاء جامع لمولانا ومقتدانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رويناه بإسنادنا إلى سعد بن عبد الله في كتابه كتاب فضل الدعاء قال حدثنا يعقوب بن زيد يرفعه قال قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: **سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال لي رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): يا علي! لو دعا داع بهذا الدعاء على صفائح الحديد لذابت والذي بعثني بالحق نبيّاً لو دعا داع بهذا الدعاء على ماء جار لسكن حتى يمر عليه والذي بعثني بالحق نبيّاً أنه من بلغ به الجوع والعطش ثم دعا بهذا الدعاء أطعمه الله وسقاه والذي بعثني بالحق نبيّاً لو أن رجلا دعا بهذا الدعاء على جبل بينه وبين موضع يريده لانشعب الجبل حتى يسلك فيه إلى الموضع الذي يريده**...... (إلى قوله): **والذي بعثني بالحق نبيّاً لو دعا به داع أربعين ليلة من ليالي الجمع غفر الله له كل ذنب بينه وبين الآدميين ولو كان فجر بأمه غفر الله له ذلك**... (إلى قوله): **والذي بعثني بالحق أنه من نام وهو يدعو به بعث الله إليه بكل حرف منه ألف ألف ملك من الروحانيين وجوههم أحسن من الشمس والقمر بسبعين ضعفاً يستغفرون الله ويكتبون الحسنات ويرفعون له الدرجات. قال سلمان: فقلت له بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين! أيعطى بهذا الأسماء كل هذا؟؟ فقال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي أنت وأمي يا رسول الله! أيعطى الداعي بهذه الأسماء كل هذا؟؟ فقال: يا علي! أخبرك بأعظم من ذلك من نام وقد ارتكب الكبائر كلها وقد دعا بهذا الدعاء فإن مات فهو عند الله شهيد وإن مات على غير توبة يغفر الله له ولأهل بيته ولوالديه ولولده ولمؤذن مسجده ولإمامه بعفوه ورحمته**. يقول: اللهم إنك حي لا تموت وصادق لا تكذب وقاهر لا تقهر وبديء لا تنفد وقريب لا تبعد وقادر لا تضاد وغافر لا تظلم وصمد لا تطعم وقيوم لا تنام ومجيب لا تسأم وجبار لا تعان وعظيم لا ترام وعالم لا تُعَلَّم وقوي لا تضعف وحليم لا تعجل وجليل لا توصف ووفيٌّ لا تخلِف.... (إلى آخر الدعاء).»[1].

نعم هذه هي بعض الأدعية الموجودة في كتبنا الموثقة!! التي حررها أعلام كبار أمثال الشيخ الصدوق والعلامة الحلي والسيد بن طاووس وأمثالهم! وهذه الأدعية تحتاج إلى استعداد خاص

(١) السيد ابن طاووس، «مهج الدعوات»، ص ١٣٧ - ١٣٩.

للزنا بالمحارم لكي يستفيد قارئها منها بشكل جيد ويستخدمها وسيلة لغفران ذنوبه!! وعندئذ له أن يرتكب ما يشاء من الذنوب وأن ينال شهوته من كل امرأة لأنه ليس هناك زنا أكبر من الزنا بالأم ورغم ذلك فإن هذا الحديث الملفَّق يعتبر هذا الدعاء سبباً لغفران حتى من يرتكب الفجور بأمه!! فأي ذنب بعد ذلك يستطيع أن يقف أمام قوَّة الغفران الهائلة التي يملكها ذلك الدعاء ويقاومها، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟!

أجل هذه هي بركات بعض الأحاديث الموضوعة في كتبنا الموثقة!! وفي مثل هذه الكتب بالذات ورد أن ثواب زيارة قبر لإمامٍ يعادل تسعين حجة مع رسول الله وأكثر من مليون حجة مع غيره!!!

وهنا يقول بعض مخالفينا من الذينَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ البِدَعَ ممن لا حجة لديهم عندما نواجههم بمثل هذه الانتقادات لكتبنا وأخبارنا: ما الذي يدعوك إلى البحث والتفتيش ونبش مثل هذه النوادر الغريبة والضعيفة التي لا يعرفها أحد، ولا يأبه بها أحد، وتكبيرها وإظهارها أمام الأعين؟!

فأقول مجيباً:

أولاً: إن ما أتينا به من هذه الروايات الملفَّقة البدعية الهادمة للسنن ليس نوادر غريبة بل يوجد مثلها الكثير وهي في متناول كل يد.

ثانياً: وحتى لو فرضنا أنها روايات نادرة - رغم أن الكتب مملوءة بمثلها - أليس رواية واحدة من هذا النمط كافية لزلزلة أركان الدين وهدم بنيان الشريعة؟!

عندما ينال الإنسان، بمجرد قراءة دعاء مسند ومختصر، غفرانَ جميع ذنوبه حتى دون توبة ويملك الجنان والحور والقصور، وعندما ينال أجرَ تسعين حجة مع رسول الله بمجرد قراءة نص زيارة أمام قبر إمام، وعندما يطفئ غضبَ الله عليه بقطرة دمع يذرفها في مأتم الحسين!، فهل يبقى أثرٌ لكل آيات الوعيد في القرآن الكريم التي تزيد على ألف آية؟ وهل يبقى في المجتمع الذي يؤمن بمثل تلك الروايات أي إنسانية وتدين؟! إن العيان يغني عن الكلام! أجل إنَّ مثقالاً من

السم كافٍ لتلويث نهر بأكمله وتسميم آلاف الأشخاص وقتلهم.

والأخطر من كل ذلك هو الألفاظ الشركية الواردة في أمثال تلك الأدعية الكاذبة ونصوص الزيارات الملفقة مثل جملة «**عين الله الناظرة ويده الباسطة**» في مخاطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام! والتي جعلت أحد آيات الله العظمى في زماننا (!) (أبو الفضل النبوي) يثبت بواسطتها الولاية التكوينية وعلم الغيب، الذي لا يعزب عن صاحبه مثقال ذرة، للأئمة!! ويستدلّ بجملة: «**إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم!**» الواردة في «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» على أن جميع شيعة الأئمة معفوٌ عنهم ومغفورةٌ ذنوبهم كلُّها، وليس هذا فحسب بل إنهم يملكون الشفاعة لجميع خلق العالم!! وبهذه الجملة من نصِّ تلك الزيارة يُقضى على عشرات آيات الوعيد والإنذار بأسوأ العذاب يوم القيامة للمجرمين والأشرار التي تهتز لها الجبال وتتفتت من خشيتها الأكباد!!

ألا يجب على كل عاقل أن يسأل: كيف يمكن أن يأتي رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بكل آيات الوعيد والإنذار والتخويف التي تسلب الأمن من عذاب الله من كل مَن يقرؤها من جهة ثم في الوقت ذاته يرشد إلى قراءة دعاء من عدة أسطر أو إلى القيام بزيارة قبر وقراءة دعاء ونص زيارة عنده لكي تغفر كل الذنوب وينال القارئ آلاف الحور العين والقصور وآلاف آلاف الحسنات والثواب!! أليس هذا هو التناقض بعينه؟ وإن لم يكن هذا تناقضاً فما هو الناقض إذن؟ لعلَّ تأمّل القارئ المنصف في هذه الرسالة التي نحررها يهديه إلى حقيقة ما نقول!

كما ذكرنا سابقاً كانت الغاية من وضع الأحاديث وتلفيق الأخبار منذ البدء تحقيق أهداف سياسية من جهة ومعاداة الحقائق الدينية والتعاليم الإسلامية من الجهة الأخرى وهو ما شرحناه في كتابنا «ارمغان آسمان» (أي هدية السماء)، ونضيف هنا أن الروايات الملفقة في موضوع المجازفات العجيبة في ثواب الدعاء والزيارة والمحبة والولاية إنما وضعت - قطعاً - لتقضي على خوف المسلمين وخشيتهم من ارتكاب المعاصي وبالتالي إضعاف أحكام الدين وإلا فليس لتلك الأدعية ذلك الأثر ولا لتلك الزيارات ذلك الثمر وكما ذكرنا سابقاً ليس لزيارة الأموات في شريعة حضرة خير البريات كل تلك البركات المدَّعاة!.

هنا قد يطرح سؤالٌ نفسه يقول إن مسألة ثواب الزيارات ليست منحصرة بفرقة الشيعة بل يمكننا أن نجد في كتب أهل السنة أيضاً أحاديث في هذا الباب. ومن جملة ذلك ما ذكره السمهودي في كتابه «**وفاء الوفاء**» حيث روى فيه سبعةَ عشرَ حديثاً في فضل زيارة قبر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالإضافة إلى ثلاثة وثلاثين حديثاً في هذا الأمر من طرق الشيعة.

وبالطبع بعض تلك الأحاديث مكررة من حيث المتن أو السند بحيث يمكن أن نرجعها جميعها إلى حديثين فقط!! أوردهما البيهقي في السنن الكبرى (ج٥/ ص٢٤٥) أحدهما في سنده مجهول والآخر ضعيف!!.

تسعة من الأحاديث السبعة عشر التي أوردها السمهودي يرويها «ابن عمر» ولعل هذا الاستناد يعود إلى أنه من بين أصحاب رسول الله كان من عادة عبد الله بن عمر وحده أن يذهب عند عودته من كل سفر إلى باب المنزل الذي فيه قبر رسول الله وقبر أبي بكر وقبر أبيه فيلقي عليهم السلام! لذا استند واضعو الحديث إلى عمله فلفقوا عليه هذا الحديث وأسندوه إليه!

ولو دققنا في أسانيد تلك الروايات لوجدنا أكثر رواتها مجاهيل! وأحد العجائب في هذه الأحاديث أننا نشاهد في أغلبها جملة: «**من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي**»! وهذه العبارة بالذات دليل على عدم صحة تلك الأحاديث، لأن كل إنسان منطقي وعاقل، وحتى من يريد أن يعتمد على مضمون تلك الأحاديث، يدرك أن الحياة أفضل من المات، هذا من جهة ثم من الجهة الأخرى إن زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وحدَها - إذا لم تُشْفَع بالإيمان الكامل وصلاح العمل واستقامة السيرة لا تنفع الزائر شيئا وحدَها، فليت شعري أيُّ فضيلة نالها من الزيارة أولئك الذين زاروا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إبّان حياته ولكنهم لم يعملوا بتعاليمه ولم يستقيموا على دينه؟؟ حتى ينال مثلها من يزوره بعد موته؟ خاصة أن الحديث يبدأ بكلمة«**من**» التي تفيد العموم وتشمل بعمومها كلَّ من يزور قبره أياً كانت أعماله! وبالتالي يشمل الحديث كل من زاره زمن حياته ﷺ من الكفار والمنافقين وممن بدّلوا وغيروا ولم يتبعوا السابقين من المسلمين بإحسان، أي الذين لم يكن لهم أي فضيلة في زيارته وليس هذا فحسب بل على العكس كانت

تلك الزيارة حجةً عليهم وسبباً لخسرانهم يوم القيامة، فكذلك بالنسبة للمؤمنين لا تُكْسِبُ الزيارةُ وحدَها الزائر فضلاً بل ما يوجب السعادة والنجاة له هو إتباع النبيّ والتأسي به في أعماله الصالحة. ولهذا نجد أن أويس القرني الذي لم ير حضرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ ولم يزُرْهُ في حياته قد نال - كما هو مشهور - ثناء النبي ومديحه[1] إلى درجة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ قال في حقِّه: «**إني أجد نَفَسَ الرَّحْمنِ مِنْ جَانِبِ اليَمَنِ**»[2] في حين أن عبد الله بن أبيّ بن سلول (زعيم المنافقين) الذي رأى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مراراً وزاره، لم ينله إلا اللعن مِنْ قِبَلِ الله ورسولِه.

إن من المسلَّم به إلى درجة القطع واليقين أن أياً من تلك الأحاديث سواء كانت خمسين حديثاً أو حديثين، لم تصدر عن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ، وإلا لو سمع الناس واحداً فقط من تلك الأحاديث في زمن حياته صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ لأصبح مكان دفنه منذ أول يوم مزاراً يتردد إليه كل الصحابة! لا أن يبقى القبر في غرفة يعلوها الغبار ويُكْتَشَف في زاوية من زواياها، بعد قرنٍ، قماشةُ رحل جمل مهترئة، وفي الزاوية الأخرى إناء خالٍ يعلوه الغبار!.

وبصرف النظر عن أن الإسلام - كما مرَّ - نهى في بدء أمره عن التردد إلى زيارة القبور ثم أمر بها للعبرة وتذكر الموت، فإن كل الرواة الموجودين في أسانيد أحاديث فضائل الزيارات هم من الغلاة والضعفاء والمجاهيل. وسنقوم فيما يتلو ببيان حال حوالي أربعين نفر منهم كما جاء شرحها في كتب أئمة الرجال وأنت أيها القارئ أفهم القصة المفصلة من هذا البيان المجمل!!

فهذه الأحاديث إن لم تكن لأجل تخريب الدين فهي ليست على أي حال لتأييده ولن تكون كذلك! وإذا تأمَّل القارئ الباحث عن الحقيقة بدقة ما أوردناه في كتابنا المختصر هذا من ترجمة

---

(١) كما روى مسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ باب من فضائل أويس القرني ﵁، بسنده عن النبي: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ.». (المترجم)

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده ضمن حديثٍ مرفوع: «**وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ**»، وذكر الحافظ العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء للغزالي أن رواته ثقات. وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن سَلَمَةَ بن نُفَيْلٍ السَّكُونِيِّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ مُوَلٍّ ظَهْرَهُ إِلَى الْيَمَنِ:«**إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ هَهُنَا**» وذكر الغزالي في الإحياء أن المقصود بذلك: أويس القرني. (المترجم)

حال رجال تلك الأحاديث التي تجعل لزيارات القبور كل ذلك الثواب والأجر، ولاحظَ وضعَ رواتَها الذين أتحفونا بها، أدرك أن هذه الأحاديث ليست مقبولةً سنداً ولا معقولةً متناً! بل هي أكاذيب من نسج خيال حفنة من الغلاة والجهلة إن لم يكونوا أعداء الإسلام فإنهم على أقل تقدير من أجهل الناس بحقائقه وأبعدهم عن الاهتمام بتعاليمه الحقة ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ... وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ (النور/ ٤٠).

٦- أضرار أحاديث الزيارة وخصومتها لآيات القرآن

إن الحديث الشريف والسنة النبوية أصلٌ من أصول الإسلام لا غنى عنه لفهم أحكام الشريعة الإسلامية وسنَّة النبيّ ﷺ وإدراك تفصيل مجملات آيات القرآن الكريم، غير أن الأحاديث الدخيلة والمكذوبة التي تسلَّلت من خلال الأحاديث الصحيحة أحدثت أضراراً جسيمةً بأحكام القرآن، ووجهت ضربةً شديدة لأوامر الشريعة ونواهيها وسنشير إشارات مجملة لبعضها!

ولا يقتصر ضرر الأحاديث الموضوعة والأكاذيب الملفَّقة على الوعود المجازفة بثواب لا حدّ له ولا حساب على الزيارات والأدعية وحضور مآتم آل البيت وأمثالها، مما يفقد القوى المحركة للدين والشريعة أثرها، بل يحول الإنسان - على العكس - إلى حيوان بل ما إلى هو أسوأ بمئات المرات، أقول لا تنحصر أضرار الأحاديث الملفَّقة بهذا الأمر فحسب، بل إن لها تأثيراتها السلبية جداً على جميع تعاليم الإسلام!

فمثلاً الصلاة، التي تُعَدُّ عمود الدين وركن الإسلام الهامّ، أخذت في بعض الأحاديث شكلاً مختلفاً تماماً!! والزكاة التي ما شُرِعَتْ إلا لتأمين معيشة الفقراء بل تأمين ميزانية بلاد الإسلام، تم حصرها بواسطة بضعة روايات موضوعة وغير معقولة بتسعة أصنافٍ هي الأنعام الثلاثة الإبل والبقر والغنم بشرط أن تكون سائمة غير معلوفة، وبالذهب والفضة المسكوكَيْن، وبالغلّات الأربعة البر والشعير والتمر والزبيب بعد توفر شروط خاصة فيها، الأمر الذي أفقد الزكاة في هذا الزمن كل أهمية وأصبحت بلا أثر تقريباً!. وكذلك روّجت تلك الأحاديث الدخيلة في أوساط الشيعة لقضية «**الخمس**» مع أنه ليس لمثل هذا الحكم أثرٌ عن الله ورسوله ولا في عمل مسلمي صدر الإسلام![1].

---

(١) وقد أَلَّفْتُ في موضوع الزكاة والخمس كتاباً من مجلدين عنوانه «حقائق عريان در اقتصاد قرآن» (أي الحقائق المكشوفة في اقتصاد القرآن)، وقد تم طبعه.

كذلك يتم – استناداً لمجموعة من الأحاديث المخْتَلَقَة الموضوعة – صرفُ أموالٍ وفيرةٍ واستهلاكُ أملاكٍ كثيرةٍ على بناء الأضرحة المفضضة والقباب المطلية بالذهب على قبور الأئمة، وحسب إقرار محاسبي الأوقاف في بلادنا فإن ربع أراضي وأملاك إيران مكرسةٌ لتعمير وتزيين تلك المقابر والمشاهد التي صارت أشبه بقصور السلاطين الجبابرة وفراعنة الزمان، حتى أصبحنا نرى في كل مدينة وقرية صغيرة قبوراً وأضرحةً فخمةً ذات أبّهة وجلال وأوقافاً كثيرةً تابعةً لها.

وفرضوا بقوة تلك الأحاديث عدداً من الكسالى والطفيلين تحت اسم السادات والأشراف والعلماء على رقاب المسلمين إلى الحد الذي أصبح فيه لكلِّ فرد معمَّمٍ قليل الاطلاع في زماننا – باسم الولاية – الحق في التصرُّف بشؤون المسلمين بل بجميع أقوام الدنيا! حتى أصبحنا نخشى أن يصبح اسم الإسلام – لا سمح الله – مكروهاً ومنفوراً في أنحاء العالم!

إن هذه الأضرار المؤذية للأحاديث الموضوعة ومئات مثلها تُضاف إلى أضرار إيجاد الغلو والإفراط بحق الأئمة عليهم السلام، رغم أنهم كانوا من أكثر عباد الله تواضعاً، فجعلتهم بعض الروايات الكاذبة سادة عالم الوجود والمتصرفين في الكون وأنداداً وشركاء لرب العالمين!! ((**تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**)).

وغنِيٌّ عن الذكر أننا لا ننكر أصل الحديث ولا نعارض أصل السنة بل على العكس – كما قلنا في بداية الموضوع – نعتبر الحديث ضرورياً جداً لفهم أوامر ونواهي الشريعة وتفصيل مجملات القرآن، بيد أن الحديث الذي يفصِّل مجملات القرآن ويبين أحكام الحلال والحرام هو ذاك الذي يؤيِّدُ القرآنَ ويوافقه – كما أرْشَدَنَا إلى ذلك الأئمة عليهم السلام – لا الأحاديث التي تنسخ القرآن وتنقض تعاليمه!!.

فمثلاً الأحاديث التي تعطي الثواب العظيم الذي لا يُصَدَّق لمن يقوم بزيارة القبور تخالف القرآن إما صراحةً أو كنايةً لأن القرآن الذي يقول ﴿**أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣**﴾ (التكاثر/ ١ – ٣) يعتبر زيارة المقابر لأجل التكاثر والتفاخر أمراً مكروهاً بل ممنوعاً، من هنا نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في بداية دعوته عن زيارة القبور – كما مرَّ –

ثم أمر بها فيما بعد بهدف العبرة وتذكّر الآخرة أو تذكُّر الموت، مما يعني أن الزيارات التي تتم حالياً ليست مستثناة من ذلك النهي الابتدائي لأن تلك الأضرحة الجليلة والمشاهد الفاخرة التي تفوق في زخرفتها بلاط الفراعنة والأكاسرة لا تذكر بالموت ولا بالآخرة بل تضاعف حب الدنيا وزخارفها في قلب الإنسان! فالأغنياء والأثرياء الذين يشاهدون تلك القباب والمآذن المذهَّبَة والحيطان المزخرفة والثريات الضخمة والفخمة والزينات الباذخة والأبنية المرتفعة والسجاد الفاخر يسعون إلى تقليد تلك الزينات في بيوتهم وقصورهم فيأتي أولادهم وأحفادهم ويتفاخرون بها ويتبع ذلك من المفاسد ما يتبع!.

هذا علاوة على أن تلك الوعود الموجبة للغرور بإعطاء درجات خيالية من الثواب على الزيارة أو على قراءة دعاء أو على البكاء أو التباكي في مآتم الأئمة التي تبلغ أحياناً منزلةً لا يصلها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ!! من شأنها أن تُضْعِفَ تأثير آيات الوعيد والبشارة والإنذار في القرآن الكريم أكثر مما تفعله جنود أبو جهل وأبو سفيان!.

ويعلم الله السميع العليم - وكفى بالله شهيداً - أن كاتب هذه السطور لا هدف له من تأليف هذه الكتب والرسائل سوى إزالة غبار الأوهام والأكاذيب عن الوجه المنوَّر لدين الإسلام، وقد صرفتُ لأجل هذه الغاية السامية أيَّام عمري وتحملتُ في هذا السبيل الآلام والتُّهَم إلى الحد الذي تعرَّضْتُ فيه لمحاولة القتل، وأنا على يقين أنه حتى بعد موتي سيلعنني كثير من خاصة الناس وعامتهم ويسبونني ليل نهار! ولكنني لمّا كنت أسعى إلى هذا الهدف إرضاءً لله تعالى العليم ذي الجلال والإكرام معتبراً هذا العمل جهاداً لنصرة الحق وإعلاء راية الإسلام فإنني أتحمل كل مشقة ومصيبة واحتسب أجرها عند الله وأعتبره أفضل من أجر المجاهدين بسيوفهم في سبيل الله!

وهنا لا بد من ذكر نقطة وهي أن بعض مؤيدي الزيارات عندما تعييهم الحجج يقولون: لِنَفْرِضَ أن زيارة قبور الأولياء والأئمَّة ليس لها كلُّ ذلك الثواب فعلاً، ولم يأمر بها الشارع، إلا أن تلك المشاهد والأضرحة ليست بأقل أهمية من نصب الجندي المجهول الذي يوجد في كل

بلدان العالم المتمدِّنة وينال احترام الناس ويزوره الوافدون والقادمون والكبار والرؤساء!!.

فأقول: رغم أن هناك تفاوتاً وتضاداً واضحاً بين الأمرين إلا أننا نقول مع ذلك أننا **لا ننكر أصل زيارة القبور بل نرى أن لها فوائد وفضائل** أكثر من زيارة الجندي المجهول ولكننا نرى أنها يجب أن تتم ضمن الشروط والضوابط التالية:

أولاً - يجب إزالة كل تلك الأحاديث الملفَّقة والروايات الموضوعة حول الزيارات والمجازفات والمبالغات في أجرها وثوابها، فلا ننسبها إلى الشريعة، ولا نرتب أثراً عليها، فلا نعظِّم القبور ذلك التعظيم، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن به الله، ولا نبذر الأموال في أعمال لا طائل تحتها.

ثانياً - أن نكتفي بزيارة واحد أو اثنين من قبور أئمة الدين التي اشتهر أصحابها بالفضائل والمناقب والمآثر في حياتهم، لا أن نوجد في صقع وبلدة مزاراً وضريحاً.

ثالثاً - أن نُجَنِّبَ القبورَ كلَّ تلك الزخارف والزينات وصرف الأموال ونطهرها من الممارسات الشركية مثل تقديم النذور وطلب الحوائج، حتى لا نقع في ورطة الشرك والعياذ بالله.

رابعاً - والأهم من كل ما سبق أن نعقد اجتماعات في كل سنة أو في المناسبات الخاصة، يجتمع فيها الناس لسماع الخطب التي تذكر بمناقب الأئمة العظام - عليهم السلام - وتضحياتهم الموثَّقَة تاريخيَاً، وذلك لتشجيع الناس وحملهم على التأسِّي بهم في التضحية في سبيل إعلاء راية الحق والدين.

ومن البديهي أننا لو قمنا بالأمور المذكورة فإننا سنجني فوائد ونتائج إيجابية أكثر مما يذكره دعاة الزيارات البدعية. وهذا أمرٌ قمنا به قبل ثلاثين عاماً ونيّف في كربلاء في الصحن الحسيني المطهر، حيث اقترحنا تلك الأمور التي أجملناها في رسالتنا المختصرة هذه.

إلى هنا ننتهي من هذه الأبحاث التمهيدية وننتقل إلى متن الكتاب الذي ألفته قبل بضع سنين رداً على كتاب «**أُمرايِ هستي**» (أي أمراء الكون) الذي ألفه أحد الآيات العظام**!!** في «قُم» هذا رغم ما واجهناه من صعوبات ومشاكل وعراقيل في نشر ذلك الكتاب والتي أدت إلى تأخير نشر

بحثين منه هما بحث الولاية وبحث الزيارة فإليكم بحث الزيارة نضعه أمام طلاب الحق وما توفيقي إلا بالله.

٧- ضعف روايات الزيارات في ضوء علم الرجال

لا شك إنه لما اتصل المسلمون بأتباع الملل والأديان المخالفة من اليهود والنصارى والمجوس والبوذيين والأقباط، ورأوا في ديارهم مقابر قديسيهم أو ملوكهم وأمرائهم كقبر «كورش» و«داريوش» وأمثالها في إيران مثلاً، تأثروا بهذا الأمر وبدؤوا ببناء المشاهد والمزارات على قبور أئمتهم وصالحيهم منذ العهد العباسي وبدأت قوافل الزوار تشد رحالها من الشرق والغرب لزيارة تلك المزارات والمشاهد التي أقيمت على قبور بعض الأئمة الصالحين. ويوماً بعد يوم كانت تزداد زينات وفخامة تلك المشاهد والأضرحة وتبنى عليها القباب الطينية ثم الآجرية ثم المطلية بالفضة ثم الذهبية! وتكاثرت القباب في كل حدب وصوب وظهر الرواة الوضاعون في الشرق والغرب وشرعوا في وضع الأخبار وفي الواقع شرعوا في إضعاف أحكام الشرع الأنور التي فيها حياة الناس وتحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية، وامتلأت كتب الحديث والأخبار بالوعود المجازفة المبالغ بها على ثواب الزيارة إلى الحد الذي أصبحت فيه زيارة قبر من القبور تعادل عدداً من الحجات والعمرات وأخيراً أصبحت تعادل مئة ألف حجة مع رسول الله (ﷺ)، ومئة ألف عمرة بل حتى مئة ألف غزوة مع النبي أو مع إمام عادل... بل أكثر من ذلك!!

وأياً كانت علة وضع تلك الأحاديث واختلاقها فإن كل عاقل حصيفٍ يمكنه أن يستنتج من حال معظم رواة تلك الروايات الملفقة والأكاذيب الموضوعة الذين هم جميعاً من الغلاة والمفسدين والفسقة الكذابين أن غايتهم وهدفهم من وضع تلك الروايات ليس سوى إضعاف بنيان الشريعة وتمييع أحكامها والاستهزاء بكتاب الله تعالى، ولكي تزول من نفوس المصدّقين بتلك الروايات المُختَلَقَة روح الخوف والخشية من الوقوع في المعاصي أو الخوف من التقصير في العبادات، بل يتعاظم بأنفسهم الغرور بأن أداء تلك الزيارات أو قراءة بعض تلك الأدعية عند

القبور سيراكم لصالحهم مقداراً هائلاً من الحسنات والطاعات تكفيهم يوم القيامة حتى ولو خاضوا في بعض المعاصي وارتكبوا الفسق والفجور وأضاعوا أوقاتهم وأوقات جيلهم فيما لا طائل تحته، وبدلاً من الإقبال نحو المبرّات والخيرات وبذل المال في وجوه الإحسان والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله احتساباً للأجر عند الله يوم الميعاد، خاصة أن الجهاد في سبيل الله وسيلة حاسمة للحفاظ على حياض بلاد الإسلام وتأمين رقيها وتقدمها وعظمة الإسلام، بدلاً من ذلك يتجه الناس إلى أعمال لا فائدة منها وإن لم تأتِهم بالمذلة والنكبات لا جرم أنها لا تأتيهم بالعزة والشوكة، ولا تصنع لهم تَقَدُّماً ولا رُقِيّاً.

ولعل الغرض الآخر من وضع وتلفيق تلك الروايات هو ما يقوله بعض مخالفي الشيعة من أن بعض سلاطين الشيعة وملوكهم أرادوا من خلال تلك الروايات التخفيف من أهمية حج بيت الله، تلك العبادة التي تُعَدُّ أفضل وأهم وسيلة لتلاقي المسلمين واتحادهم وترابطهم، وصرف الناس عنها حتى المقدور نحو الحج إلى المشاهد والمزارات!

وأياً كانت أغراض وأهداف حركة وضع تلك الروايات فإنها أدَّت دورها للأسف وحققت غرضها على أحسن وجه حتى أصبح أكبر أمل وأهم عمل للمسلمين المنتسبين للتشيع لأئمة آل البيت في يومنا هو أن يحالفهم التوفيق لزيارة قبر إمام من أئمة آل البيت - عليهم السلام - أو المشاركة في مأتمه ومجلس عزائه!

ومن الواضح تماماً أن مثل هذه الأعمال لا تفيد هذا الشعب ولا ينتج عنها سوى الغرور والجهل والفقر! ولم تزد على معارف وعقائد هذه الطائفة سوى عبارات كفرية ومغالية في حق الأئمة مثل: «**يا عين الله الناظرة ويده الباسطة!**» أو جملة «**وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم!**»

وجعل الناس يرددونها ليلاً نهاراً في المشاهد المتبرَّكة!.[1]

وسيرى القرّاء الكرام أن معظم بل كل تلك الأخبار والروايات التي تعطي كل ذلك الثواب وتشجع على الزيارات إنما وضعها ولفَّقها رواةٌ مغالون وكذابون وأعداء لدنيا المسلمين وآخرتهم. ولكن الأمر المحير هو قيام كثيرٍ من جامعي كتب الحديث الذين هم أنفسهم من أئمة علم الرجال، بإدراج تلك الروايات في كتبهم؟! فمثلاً **الشيخ الطوسي** - عليه الرحمة - الذي ألف نفسه كتابين في علم الرجال وبيّن حال كثير من رواة تلك الأحاديث فذكرهم بعبارات: فلانٌ كان غالياً وكذاباً وضعيفاً، رغم ذلك يروي في كتابه «**تهذيب الأحكام**» كثيراً من أحاديث الزيارة عن عين أولئك الغلاة الكذابين أنفسهم!

أليس مثلهم في ذلك مثل الطبيب الذي يوصي باتخاذ إجراءات وقائية للحيلولة دون ابتلاء الناس بالأمراض ولكنه يقوم هو نفسه بنشر جراثيم هذه الأمراض!![2]. نحن لا نشك أن أولئك العلماء الأفاضل أمثال الشيخ الطوسي وغيره لم يكن لهم قصدٌ سوى خدمة الشريعة، ولكن على أي حال يجب ألا نغفل عن ذلك الخطأ والغفلة التي وقعوا فيها.

لقد كتبنا هذه المباحث التمهيدية حول الزيارة قربةً إلى الله وطلباً لمرضاته واستقبلنا كل ما

---

(١) قارن هذه العبارة بقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام/ ٥٢) وقوله تعالى: ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ (الشعراء/ ١١٣) أو بالنسبة للجملة الأخيرة قارن مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ (الغاشية/ ٢٥ - ٢٦).

(٢) كان هناك مذهب شائع في الأمم البدائية القديمة هو مذهب الأرواحية (أنيميزم) ولا يزال لدى بعض القبائل البدائية، ويعتقد أصحابه أن أرواح رؤساء وزعماء القبيلة تسعد بزيارة أبناء قبيلتها وقيام الأحياء منهم بتقديم الثناء وأنواع القرابين لهم فيسعدون من وفاء أبناء قبيلتهم وإخلاصهم لهم، ولذلك لا بد أن يذكروهم دائماً ليستجلبوا رضاهم. كما أنه في الأساطير نصف التاريخية ينال بعض العظماء والأبطال قبل موتهم مراحل رفيعة من الكمال يصلون فيها إلى جانب من الألوهية (ملخص عن «كتاب تاريخ جامع أديان» (بالفارسية) ومن سائر كتب الملل والنحل.

نزل بنا من خسائر مادية وأذى معنوي في هذا السبيل محتسبين ذلك جهاداً في سبيل الله، نريد أن نقدِّم هذه الأبحاث لطلاب الحق والباحثين عن الحقيقة كي يتأملوها بعقل نيِّر منفتح، وعين بصيرة، فإذا قبلها عقلهم ووجدانهم فأملي منهم أن يسعوا في نشرها وإشاعتها عسى أن ننقذ طلاب الحق من هذه الخرافات ونعود بهم إلى طريق الإسلام الصحيح الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة، آملين أن يكرمنا الله بثواب هداية الخلق وأن نكون بذلك قد أدينا جزءاً بسيطاً من الدَّيْن الواجب علينا تجاه تلك الشريعة العظيمة التي أكرمنا الله بها والتي أمرنا - إضافة إلى إتباعها - أن نحافظ عليها ونحرسها قدر طاقتنا ((**إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**)).

وفيما يلي سنذكر قائمةً من رواة أحاديث الزيارة الذين ذكرت أحاديثهم في كتب الشيعة المشهورة مثل («**الكافي**» و«**كامل الزيارات**» و«**من لا يحضره الفقيه**» و«**تهذيب الأحكام**») مرتَّبةً على ترتيب حروف الهجاء ما عدا أفراد نوادر ليس في أحاديثهم مخالفة لأسس الدين أو لم يوجد يقين بصدور تلك الأحاديث عنهم:

١ - أحمد بن هلال
٢ - بكر بن صالح
٣ - جعفر بن محمد بن مالك
٤ - الحسن بن عبد الله القمي
٥ - الحسن بن علي بن أبي حمزة
٦ - الحسن بن علي بن أبي عثمان
٧ - الحسن بن علي بن زكريا
٨ - الحسين بن عبد الله
٩ - الحسين بن مختار
١٠ - الحسين بن يزيد النخعي
١١ - الخيبرى بن علي الطحان
١٢ - داوود بن كثير الرقي
١٣ - سلمة بن الخطاب
١٤ - سهل بن زياد
١٥ - سيف بن عميرة
١٦ - صالح بن عقبة

١٧-عبد الرحمن بن كثير
١٨-عبد الله بن عبد الرحمن الأصم
١٩-عبد الله بن القاسم الحضرمي
٢٠-عبد الله بن ميمون القداح
٢١-عثمان بن عيسى
٢٢-علي بن حسان
٢٣-علي بن فضال
٢٤-عمرو بن ثابت
٢٥-قاسم بن يحيى
٢٦-محمد بن أرومة
٢٧-محمد بن اسلم
٢٨-محمد بن جمهور
٢٩-محمد بن الحسن بن شمعون
٣٠-محمد بن سليمان الديلمي
٣١-محمد بن سنان
٣٢-محمد بن صدقة
٣٣-محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني
٣٤-محمد بن فضيل
٣٥-محمد بن موسى الهمذاني
٣٦-المعلى بن محمد البصري
٣٧-المفضل بن صالح
٣٨-المفضل بن عمر
٣٩-موسى بن سعدان
٤٠-يونس بن ظبيان
٤١-موسى بن عمران النخعي
٤٢-سليمان بن عمرو النخعي*
٤٣-صالح النيلي*
٤٤- المنذر بن جارود*

بعض هؤلاء الرواة[١] روى حديثاً واحداً في باب الزيارات وثوابها، في حين يصل عدد

(١) أورد الأستاذ قلمداران أسماء آخر ثلاثة رواة (الذين وضعنا جانبهم علامة النجمة *) ضمن قائمة رواة أحاديث الزيارة ولكن سقط من قلمه التعريف بهم وبيان حالهم. أما الراويان الأولان فهما من معاصري الإمام الصادق عليه السلام، وفيما يلي بيان حالهما:

- «سليمان بن عمرو النخعي» ضعَّفَه جداً علماء الرجال، ولكثرة كذبه أطلقوا عليه لقب «**كذّاب النخع**»!

روايات بعضهم إلى عشرين حديثاً، وبعضهم روى أكثر من ذلك، ورواياتهم كانت إمّا عن إمامٍ من أئمة أهل البيت - سلام الله عليهم - مباشرةً أي دون واسطة، أو عنهم بواسطة.

وفيما يلي نذكر حالهم واحداً واحداً حسب الترتيب الذي أوردناه، من كتب رجال الشيعة الموثقة أعني كتب: «**النجاشي**» و«**الشيخ الطوسي**» و«**الغضائري**» و«**العلامة الحلي**» عليهم الرحمة، ونضعها أمام القراء الطالبين للحقيقة مع ذكر بعض أحاديثهم التي رووها بشأن الزيارة وأنواع الثواب العظيم الذي جعلوه لها، حتى يرى كل منصف هل يمكن لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يثق بمثل هذه الأحاديث التي يرويها أمثال أولئك الرواة أو يستند إليها للقيام بعمل لم يأت عليه نصٌّ في كتاب الله ولا ذكرٌ في سنة رسول الله؟! وهل يمكن أن يثبت من خلال بعض العبارات والفقرات الكفرية التي وردت فيها عقيدةً خطيرةً كالولاية التكوينية وتصرّف الأئمّة في كل الموجودات، ويجعل بذلك من الأمة التي كانت من أرقى ملل العالم في فكرها وعقيدتها من أكثر أمم العالم انحطاطاً وذلاً في دينها ودنياها ببركة تلك الروايات المشؤومة؟!.

فلنشرع إذن ببيان حال أولئك الرواة:

أول رجال أحاديث الزيارات حسب ترتيب حروف الهجاء هو:

١ - **أحمد بن هلال العبرتائي**: وقد مر ذكره في متن الكتاب لذا سنكتفي بما ذكرناه ثمة (راجع الصفحة ١٤٧ من هذا الكتاب).

٢ - **بكر بن صالح الرازي**: وهذا أيضاً مَرَّ ذكره في متن الكتاب فنحيل القارئ إلى ما ذكرناه ثمَّة (راجع الصفحة ١١٨ - ١١٩ من هذا الكتاب).

- «صالح بن الحكم النيلي الأحول» جاء تضعيفه ايضاً في الصفحة ١٥١ من رجال النجاشي.

- أما «المنذر بن جارود العبدي» فقال عنه المرحوم المامقاني في كتابه تنقيح المقال (ج٣/ ص٢٤٨): «**وعلى كل حال لا شبهة في ضعف منذر**». (البرقعي).

٣ - جعفر بن محمد بن مالك:

أ) قال **ابن الغضائري** عنه كما جاء في «**مجمع الرجال**» **للقهپائي**[١] (ج٢/ ص٤٢): «قال في «مجمع الرجال»: «(غض): **جعفر بن محمد بن مالك بن عيسى بن شابور، كذاب، متروك الحديث جملة، وكان في مذهبه ارتفاع ويروي عن الضعفاء والمجاهيل وكل عيوب الضعفاء مجتمعةٌ فيه!.**».

ب - ووُصِفَ في رجال النجاشي (ص٩٤) بهذه الأوصاف السيئة ذاتها وزاد عليها قوله: «**وسمعت من قال: كان أيضاً فاسد المذهب والرواية**».

ج - وأكد العلامة الحلي في رجاله (ص٢١٠) ما ذكره النجاشي والغضائري عنه وختم ذلك بقوله: «**عندي في حديثه توقُّف ولا أعمل بروايته**».

٤ - **الحسن بن عبد الله القميّ**: هذا الراوي - حسب ما جاء في تنقيح المقال (ج١/ ص٢٨٨) وخلاصة العلامة الحليّ (ص٢١٢) - هو الحسن بن عبيد الله، وهو **مُتَّهَمٌ بالغلوِّ**.

٥ - الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني:

أ) في رجال النجاشي (ص٢٨): «**إنه كان من وجوه الواقفة، لا أستحلُّ روايته**».

ب) وفي مجمع الرجال للقهپائي (ج٢/ ص١٢١): «**محمد بن مسعود قال: سألت علي بن الحسن الفضّال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني؟ فقال: كذَّابٌ ملعونٌ**».

ج) وقال عنه المرحوم الغضائري: «**الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني مولى الأنصار أبو محمد واقفيّ بن واقفيّ ضعيف في نفسه**».

---

(١) القهپائي هو عناية الله (زكي الدين) بن علي (شرف الدين) بن محمود بن علي القهبائي النجفي (توفي بعد ١٠١٩ هـ ق): عالم بالتراجم وعلم الرجال، من أهل النجف، له كتب، من أشهرها «**مجمع الرجال**» جمع فيه ما ورد في الكتب الرجالية الإمامية الخمسة الأساسية (أي رجال الكشي ورجال وفهرست الطوسي ورجال النجاشي والضعفاء لابن الغضائري). (المترجم)

د - وذكر **التفرشي**[١] في «**نقد الرجال**» (ص٩٢) ما ذكره السابقون بشأنه وأضاف: «**حكى لي أبو الحسن حمدويه ابن نصير عن بعض أشياخه أنه قال: الحسن بن علي بن أبي حمزة رجلُ سوء**».

والآن اقرؤوا أحاديث هذا الكذّاب الملعون كما جاءت في كتاب «**كامل الزيارات**»[٢] لـ «**ابن قولويه**» (ص١١٩) حيث جاء:

«**وحدثني أبي ومحمد بن الحسن وعلي بن الحسين عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وَكَلَ اللهُ تبارك وتعالى بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلون عليه كل يوم شعثاً غبراً ويدعون لمن زاره ويقولون يا رب! هؤلاء زوار الحسين عليه السلام افعل بهم وافعل بهم [كذا وكذا]**».

ولا يعلم أحدٌ لماذا وكّل اللهُ الحكيمُ أولئك الملائكة بتلك الصورة أي شُعثاً غُبراً وما فائدة كونهم كذلك؟! وهل هناك عيبٌ في أن يكون الإنسان منظَّفاً مرتَّباً؟! ألا يمكن للإنسان إذا كان شعره مسرحاً ولباسه نظيفاً مرتباً أن يشارك في المأتم ومراسم العزاء؟!

وجاء في الصفحة ١٥٣ من «**كامل الزيارات**»:

«**حدثني أبي رحمه الله عن سعد بن عبد الله عن أبي عبد الله الجاموراني الرازي عن الحسن بن**

---

(١) هو السيد مير مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، ومن كبار تلامذة المحقق عبد الله بن الحسين التستري (ت ١٠٢١هـ)، والشيخ عبد العالي العاملي الكركي (٩٩٣ هـ). ترجم له جم غفير من العلماء، ولكن لم يتطرق أحد منهم إلى سنة ولادته أو وفاته، وذكر الآقا بزرك الطهراني في الذريعة ما يفيد أنه كان حيّاً سنة ١٠٤٤ هـ. أثنى عليه كل من ترجم له بوصفه بالصفات الحميدة والإشادة بغزارة علمه وتبحره في علم الرجال وهو صاحب كتاب «**نقد الرجال**» الذي يعد من أحسن كتب الرجال الإمامية وأجمعها للتحقيقات والتدقيقات، طبع أول مرة في قم/ إيران بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بتاريخ ١٤١٨ هـ ق، في ٥ مجلدات. (المترجم)

(٢) **ابن قولويه القمي، كامل الزيارات**، في جزء واحد، دارالمرتضوية: النجف الأشرف، ١٣٥٦ هـ ق.

علي بن أبي حمزة عن الحسن بن محمد بن عبد الكريم عن المفضل بن عمر عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل: فإذا انقلبت من عند قبر الحسين عليه السلام ناداك مناد لو سمعت مقالته لأقمت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام وهو يقول: طوبى لك أيها العبد! قد غنمت وسلمت، قد غفر لك ما سلف فاستأنف العمل!... وذكر الحديث بطوله».

أجل مثل هذه الأحاديث تشجّع المغرورين على التجرؤ على معصية الله وارتكاب كل منكر أملاً بثواب الزيارة هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى يدفع أولئك الزوّار لإنفاق ملايين التومانات من عرق جبينهم كل عام على السفر لهذه الزيارات، ونتيجة ذلك هي هذا الوضع الذي نلاحظه اليوم.

٦ - الحسن بن علي بن أبي عثمان:

أ) قال الشيخ الطوسيّ رحمه الله في كتاب «**رجال الطوسيّ**» (ص٤١٣ و٤٢٠): «**الحسن بن علي بن أبي عثمان، السجادة، غالي**».

ب) وفي مجمع الرجال للقهپائي (ج٢/ ص١٢٤): «**الحسن بن علي بن أبي عثمان أبو محمد الملقب بسجادة في عداد القميين ضعيف وفي مذهبه ارتفاع**».

ج) في رجال النجاشي (ص٤٨): «**الحسن بن علي بن أبي عثمان أبو محمد الملقب بسجادة أبو محمد كوفي ضعّفه أصحابنا**».

د) وجاء في رجال الكشيّ (ص٤٧٨، طبع كربلاء): «**قال أبو عمرو... السجادة لعنه الله ولعنه اللاعنون والملائكة أجمعون**».

هذا الشقي الملعون روى مع صاحبه الآخر «**الحسين بن عبد الله**» - الذي سنبين حاله التعيس عن قريب إن شاء الله - روايةً أوردها «**ابن قالويه**» في الصفحة ١٣٢ من كتابه «**كامل الزيارات**» تحت عنوان: (**الباب التاسع والأربعون ثواب من زار الحسين عليه السلام راكباً أو ماشياً ومناجاة الله لزائره!**) هي التالية:

«حدثني أبي وجماعة مشايخي عن سعد بن عبد الله ومحمد بن يحيى وعبد الله بن جعفر

الحميري وأحمد بن إدريس جميعاً عن الحسين بن عبيد الله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن عبد الجبار النهاوندي عن أبي سعيد عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة قال قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا حسين! من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنةً ومحا عنه سيئةً حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المصلحين المنتجبين [المفلحين المنجحين] حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملكٌ فقال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرئك السلام ويقول لك استأنف العمل فقد غُفِرَ لك ما مضى!**».

والعجيب أن راوٍ على مثل تلك الدرجة من سوء السمعة في كتب الرجال والذي لابدَّ من ردِّ أحاديثه بسبب عقيدته الفاسدة، خاصَّةً مثل هذه الأحاديث التي تطفح منها المغالاة في ترتيب الأجر والثواب على الزيارة، ومع ذلك نجد أن علماء الشرع لا يردُّون أحاديثه بل يروونها في كتبهم!! ألا تقتل مثل هذه الروايات روح الخوف والخشية لدى الأفراد وتجرئهم على المعاصي وتضعف فيهم روح العمل بالفرائض والأحكام وتجعلهم يغترون بأنهم بقيامهم بزيارة واحدة إلى قبر الإمام ستُسَجَّلُ في دفتر حسناتهم آلاف الحسنات وتمحى عنهم آلاف السيئات، ويُقال لهم قد غُفِرَ لكم كل ما سبق فاستأنفوا العمل!! ألن يَسْعَوْا عندئذٍ إلى القيام بتلك الزيارة مهما كلفهم الأمر ليرتاحوا بذلك من قيود سائر الأحكام؟!.

٧ - **الحسن بن علي بن زكريا أو الحسين بن علي بن زكريا** (حسب اختلاف النسخ):

أ) قال عنه **الغضائري** كما جاء في كتاب «**مجمع الرجال**» للقهپائي (ج٢/ ص١٩٠): «**الحسين بن علي بن زكريا بن صالح زُفر العدوي أبو سعيد ضعيفٌ جداً كذّابٌ**»

ب) ووصفه العلامة الحليّ في رجاله (ص٢١٧) بهذه الصفات ذاتها.

٨ - **الحسين بن عبد الله**: مَرَّ شَرْحُ حاله خلال بيان حال «**الحسن بن علي بن أبي عثمان**» وقد وصفته كتب الرجال بما يلي:

أ) في رجال العلامة الحلي (ص٢١٦): «**الحسين بن عبد الله السعدي أبو عبد الله بن عبيد الله بن سهل ممن طعنوا عليه ورُمي بالغلو**».

ب) وفي رجال الكشيّ (ص٤٣٢): «**إن الحسين بن عبد الله القميّ أُخْرِجَ من قُم في وقت كانوا يُخرِجون من اتهموه بالغلو**».

٩ - **الحسين بن مختار**: اعتبره في تنقيح المقال (ج١/ ص٣٤٣) نقلاً عن الشيخ الطوسي عليه الرحمة واقفياً كما أورده العلامة الحلي في القسم الثاني من رجاله المخصص للضعفاء واعتبره واقفياً، واعتبره الشيخ البهائي أيضاً في كتابه «الوجيزة» من الضعفاء.

١٠ - **الحسين بن يزيد النخعي**: قال القهپائي في مجمع الرجال نقلاً عن النجاشي عليه الرحمة: «قال قوم من القميين إنه غلا في آخر عمره»!

١١ - **الخيبري بن علي الطحان**:

نقل القهپائي في مجمع الرجال (ج٢/ ص٢٧٥) عن الغضائري رضي الله عنه قوله: «**خيبري بن علي بن الطحان ضعيف الحديث غال المذهب كان يصحب يونس بن الظبيان ويكثر الروايات عنه وله كتاب عن أبي عبد الله عليه السلام لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه**».

كما وصفه النجاشي في كتابه (ص١١٨) بالأوصاف ذاتها قائلاً إن في مذهبه ارتفاعاً وغلواً.

لفَّق هذا الشقي الغالي في موضوع الزيارة حديثاً كلُّه كَذِبٌ وغلوٌّ أورده **ابن قولويه** في «**كامل الزيارات**» (ص١٤٧) جاء فيه:

«وحدَّثني أبي رحمه الله عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن إسماعيل عن الخيبري عن الحسين بن محمد القمي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: **من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق [في] عرشه!**»

أجل الحسين مثل الله - والعياذ بالله - والفرات مثل العرش[1]! والأعجب من ذلك أن الشيخ الطوسي (عليه الرحمة) روى الحديث ذاته في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (ج٦/ ص٤٦) بالسند ذاته!

---

(١) لم يفكر هؤلاء الغلاة لحظة بالفرق بين عرش الله الذي يحيط بالأرض وبكل شيء: ((أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ)) (فصلت/ ٥٤) أوليس تشبيه ومقارنة الإمام الحسين بالله وشط الفرات بالعرش الإلهي غلواً محضاً؟!

١٢ - **داوود بن كثير الرقيّ**: بينا شرح حاله في متن الكتاب فليراجع ثمة[١].

١٣ - **سلمة بن الخطاب**: رُوِيَت عن هذا الراوي في كتاب «**كامل الزيارات**» و«**تهذيب الأحكام**» أكثر من عشرين روايةٍ، وفيما يلي ترجمته:

أ - الغضائري في مجمع الرجال (ص١٥٢): «**سلمة بن الخطاب البراوستاني أبو محمد من سواد الري، ضعيف**».

ب - رجال النجاشي (ص١٤٢): «**سلمة بن الخطاب أبو الفضل البراوستاني الأيرقاني قرية من سواد الري كان ضعيفاً في حديثه**».

ج - واعتبره العلامة في رجاله (ص٢٢٧) ضعيفاً وهكذا وصفته كتب الرجال الموثقة الأخرى.

١٤ - **سهل بن زياد الآدمي**: هذا أيضاً جاءت ترجمته في متن الكتاب فراجعها ثمة[٢]

١٥ - **سيف بن عميرة**: طبقاً لما ذكره مؤلف «كشف الرموز» وبناءً على نقل «تنقيح المقال»، هذا الشخص مطعون وملعون.

١٦ - **صالح بن عقبة**:

جاءت عن هذا الراوي الشقي في موضوع الزيارة أحاديث عديدة في كتابي «**التهذيب**» و«**كامل الزيارات**» وفيما يلي بيان حاله:

أ) قال عنه الغضائري كما جاء في مجمع الرجال (ج٣/ ص٢٠٦): «**صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان ريحة مولى رسول الله، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، غالٍ، كذاب، لا يُلتَفَت إليه!**».

ب) وأورده العلامة الحلي في القسم الثاني من رجاله المخصص للضعفاء (ص٢٣٠) وذكر عنه العبارات السابقة ذاتها.

ج) وجاء في تنقيح المقال (ج٢/ ص٩٣) نقلاً عن ابن داوود العبارات السابقة فقال:

---

(١) راجع الصفحة ١٢٠ من هذا الكتاب.

(٢) راجع الصفحتين ١٣٤ - ١٣٥ من هذا الكتاب.

«**ونُسِب إلى ابن الغضائري أنه قال: ليس حديثه بشيء، غالٍ، كذاب، كثير المناكير**».

وإليكم إحدى تحف هذا الراوي كما جاءت في «**كامل الزيارات**» (ص١٠٤):

«حدثنا أبو العباس القرشي عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن أبي هارون المكفوف قال قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا أبا هارون!** أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته فبكى فقال أنشدني كما تنشدون يعني بالرقة قال فأنشدته: امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية...

قال فبكى ثم قال زدني قال فأنشدته القصيدة الأخرى قال فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: **يا أبا هارون! من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسةً كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه [عينيه] من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة.**»

وأبو هارون المشار إليه في الحديث هو ذات أبو هارون الذي قيل عنه في فصل الكِنى من كتاب «تلقيح المقال»: «**رُوي فيه طعنٌ عظيمٌ!**»، وقال مثله العلامة الحلي في الخلاصة (ص٢٦٧).

أجل هذا نموذجٌ من الأساطير التي يستلهمها شياطين الإنس من شياطين الجن فيوحون بها إلى عامة الناس ليلاً ونهاراً، وتكون نتيجة ذلك تربيةُ أشخاصٍ لا يأبهون لحساب أو كتاب، ويفقدون شعورهم وإنسانيتهم ويجترئون على الفساد والمعاصي بنحوٍ يستحيل فيه بعد ذلك إصلاحهم، لأنهم فسدوا من نفس الطريق والجهة التي كان ينبغي أن يصلحوا بها، أي من طريق الدِّين الذي إن فسد لا يوجد بديل له لإصلاحه!.

ولقد رُوِيَتْ عن هذا الغالي الكذَّاب كثيرِ المناكيرِ الذي لا نظير لأحاديثه في الغلوّ، كثيرٌ من الروايات من كل نوعٍ في كتب الحديث. ومن ذلك هذا الحديث الآخر الذي جاء في «**كامل الزيارات**» (ص١٦٩ - ١٧٠):

«حدثني محمد بن جعفر القرشي الرزاز الكوفي عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن

محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ربما فاتني الحج فأعرف (أي أكون يوم عرفة) عند قبر الحسين عليه السلام فقال: **أحسنت يا بشير! أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبلات وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة متقبَّلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل! قال فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟ قال فنظر إليَّ شبه المغضب ثم قال: يا بشير! إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل في الفرات ثم توجّه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها ولا أعلمه إلا قال وغزوة.»**

فهل يمكن لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يصدّق هذا الحديث من مثل ذلك الكذاب؟ وما هي الفائدة التي نجنيها من مثل هذا الحديث سوى إهمال التقيد بأحكام الإسلام التي فيها حياة الناس وقيام أمرهم والاكتفاء بدلاً من ذلك بمثل تلك الزيارة التي لا تشكِّل أبداً جزءاً من الفرائض الإلهية أو الواجبات الشرعية؟!

الأخطر من ذلك ما ورد عن هذا الراوي أيضاً في «كامل الزيارات» (ص١٧٤ - ١٧٥) في فضل زيارة عاشوراء التي يرويها محمد بن موسى الهمداني الذي هو كذلك من الغلاة الكذابين عن سيف بن عميرة الواقفي المطعون الملعون عن صاحبنا صالح بن عقبة عن مالك الجهني: **«عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرم حتى يظل عنده باكياً لقيَ اللهَ تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف [ألف] حجة وألفي [ألف] ألف عمرة وألفي ألف غزوة وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين!»**.

لاحظ أيها القارئ كيف أن هذا العمل - قراءة زيارة عاشوراء والبكاء - الذي يمكن إنجازه عن بُعْدٍ أيضاً لم يُبْقِ أيَّ قيمةٍ لسائر أحكام الدين! أفليس هذا كذبٌ على الله ورسوله وأئمّةِ الهدى

عليهم السلام؟ وهل يمكن لأي نبيٍّ أو إمامٍ أو صالحٍ في العالم أن يقوم خلال عمره بمليوني حجة ومليوني عمرة ومليوني عزوة مع نبي أو إمام؟ والتي سينال أجرها وثوابها من يقرأ زيارة عاشوراء فقط فإذا قرأها مرات عديدة فكم يصبح أجره عندئذٍ؟! إن رسول الله ﷺ ذاته وأئمة الهدى عليهم السلام لم يحجوا في عمرهم سوى حجة واحدة وأقصى ما قام به بعضهم هو عشرين حجة في حياته، أما ذلك الزائر القارئ للزيارة في عاشوراء فسيفوقهم أجراً بكثير لأنه سينال ثواب مليوني حجة!!

١٧ - **عبد الرحمن بن كثير:**

أ - جاء في رجال النجاشي (ص١٨٩) خلال ترجمة حال «علي بن حسان» الذي يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير: «**عبد الرحمن بن كثير الهاشمي ضعيف جداً، ذكره بعض أصحابنا في الغلاة، فاسد الاعتقاد.**»

ب - ويقول الغضائري كما ورد في مجمع الرجال (ص١٧٦) في ترجمة علي بن حسان: «**روى عن عمه عبد الرحمن بن كثير، غال ضعيف**».

ج - ونقل العلامة الحلي في رجاله (ص٢٣٣) قول الغضائري والنجاشي ثم قال أن المسعودي قال: «**فهو كذاب وهو واقفي**».

١٨ - **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم:**

رُويت عن هذا الرجل أحاديث كثيرة في كتاب «**كامل الزيارات**» في حين أن كتب الرجال قالت عنه ما يلي:

أ) رجال النجاشي ص١٦١: «**عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمى بصريّ ضعيف غال ليس بشيء وله كتاب المزار!**» (ويبدو أن هذا الكتاب هو ذات أحاديثه الملفقة والكثيرة حول الزيارة).

ب) وقال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٤/ ص٢٥): «**عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمى بصريّ ضعيف مرتفع القول، وله كتاب في الزيارات، ما يدل على خبث عظيم**

ومذهب متهافت، وكان من كذابة أهل البصرة».

ج) وذكره العلامة الحلي رحمة الله عليه في القسم الثاني من رجاله المخصص للضعفاء (ص٢٣٨) وقال: «**عبد الله بن عبد الرحمن الأصم بصريّ ضعيف غال، ليس بشيء، وله كتاب في الزيارات يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت وكان من كذابة أهل البصرة**».

وإليكم بعض أحاديث هذا الغالي الخبيث وكذاب البصرة التي زيّن بها (!) ابن قولويه كتابه «**كامل الزيارات**»، كهذا الحديث الذي جاء في الصفحة ٦٨و٦٩ بسنده عن حضرة الصادق عليه السلام:

«حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري عن **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم** عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله فأخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لعن الله قاتليك ولعن الله سالبيك**..... (إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة):... **ويأتيه قومٌ من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم وليس على ظهر الأرض أحدٌ يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور وهم الشفعاء وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم.... الحديث بطوله!**»

لاحِظ أنه في هذا الحديث: زوار الحسين هم الوحيدون الذين يكونون أعلم الناس بالله وأقومهم بحقوق رسول الله! وهم وحدهم الملتفتون إلى حضرته صلى الله عليه وآله وسلم! فهم مصابيح الهدى وشفعاء المحشر! فهل هذا هو شأن زوّار الحسين اليوم حقاً؟!

كما يروي هذا الراوي حديثاً آخر عن حضرة الصادق عليه السلام جاء في (الصفحة ٨١ و٨٢) من «**كامل الزيارات**» ونصه:

«وحدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري عن **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم** عن أبي يعقوب عن أبان بن عثمان عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا زرارة! إن السماء بكت على الحسين**

أربعين صباحاً بالدم وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة وإن الجبال تقطعت وانتثرت وإن البحار تفجرت وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام **وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد...** (إلى قوله)**:... وما من عينٍ أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه ووصل رسول الله وأدى حقنا وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي الحسين** عليه السلام **فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه والسرور بيِّنٌ على وجهه والخلق في الفزع وهم آمنون والخلق يعرضون وهم حداث الحسين** عليه السلام **تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء يوم الحساب يُقَالُ لهم ادخلوا الجنة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه وإن الحور لترسل إليهم......** (إلى آخر الحديث)**!**»

نعم! مثل هذه الأحاديث التي يرويها الكذابون والغلاة، هي التي تُشعِلُ نار العداوة والحروب التي نعرفها.

وفي (ص ٨٦ – ٨٧) من «**كامل الزيارات**» حديث آخر لذلك الكذاب جاء فيه:

«حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري عن **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم** قال حدثنا الهيثم بن واقد عن عبد الملك بن مقرن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إذا زرتم أبا عبد الله (الحسين)** عليه السلام **فالزموا الصمت إلا من خير وإن ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونها من شدة البكاء فينتظرونهم حتى تزول الشمس وحتى ينوِّر الفجر ثم يكلّمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم فإنما شغلهم بكم إذا نطقتم! قلت: جعلت فداك! وما الذي يسألونهم عنه وأيهم يسأل صاحبه الحفظة أو أهل الحائر قال أهل الحائر يسألون الحفظة لأن أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد!**

قلت: فما ترى يسألونهم عنه؟ قال: إنهم يمرون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء...... (إلى قوله): ولو يعلمون ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لاقتتلوا على زيارته بالسيوف ولباعوا أموالهم في إتيانه.

وإن فاطمة عليها السلام إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صديق وألف شهيد ومن الكروبيين ألف ألف يساعدونها على البكاء وإنها لتشهق شهقة فلا يبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها وما تسكن حتى يأتيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ [أبوها] فيقول: يا بنية! قد أبكيتِ أهل السماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكفى حتى يقدسوا فإن الله بالغ أمره!! إنها لتنظر إلى من حضر منكم فتسأل الله لهم من كل خير ولا تزهدوا في إتيانه فإن الخير في إتيانه أكثر من أن يحصى!»

ومن مجموع هذا الحديث يُفْهَم أن تلك المعركة تدور كل يوم حيث ينزل الملائكة ويصعدون ويجتمع الأنبياء والصديقون كلهم في خدمة الزهراء مع ملايين الملائكة الكروبيين!! كلهم يسعى في تسكين بكائها، ثم تدعو فاطمة لزوَّار قبر الحسين... ويتكرَّر هذا المشهد كل يوم.. وكأن كل المصائب التي حلت بفاطمة الزهراء - سلام الله عليها - في الدنيا لم تكن كافيةً في غمِّها وحزنها بل لا بد أن تبكي وتحزن وتغتم حتى في الآخرة وفي الجنة، وكذلك شأن سائر الأنبياء وأولياء الله!!، مع أن الله تعالى وصف حال المؤمنين في الدار الآخرة بقوله: ((**لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**)) (البقرة/ ١١٢).

فبالله عليكم أيها القراء المحترمون: هل هذه الأقاويل إلا أوهام من نسج خيال ذلك الوضَّاع، ولا تدل إلا على جهله وشدَّه كذبه؟؟.

وفي الصفحة ١٣٨ من الكتاب المذكور رواية أخرى هي التالية:

«مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَبَشِيِّ بْنِ قُونِيٍّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السُّلَمِيِّ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ حَمَّادٍ عَنْ **عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنِ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله** عليه السلام **قَالَ قُلْتُ لَهُ**: **جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ** عليه السلام **وهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ**؟ قَالَ: **إِنَّهُ قَدْ**

عَقَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وعَقَّنَا واسْتَخَفَّ بِأَمْرٍ هُوَ لَهُ ومَنْ زَارَهُ كَانَ الله لَهُ مِنْ وَرَاءِ حَوَائِجِهِ وكُفِيَ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وإِنَّهُ يَجْلِبُ الرِّزْقَ عَلَى الْعَبْدِ ويُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا يُنْفِقُ ويُغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً ويَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ ومَا عَلَيْهِ وِزْرٌ ولَا خَطِيئَةٌ إِلَّا وقَدْ مُحِيَتْ مِنْ صَحِيفَتِهِ.... (إلى آخر الحديث»

وقد روى الشيخ الطوسي عن ذلك الخبيث هذا الحديث في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (ج٦/ ص٤٥)!

لعمري إن هؤلاء الغلاة الكذابين ليسخرون بتلفيقاتهم تلك من خلق الله ودين الله وأنبياء الله وأولياءه ويصوِّرُون وكأنه ليس لله غايةٌ من خلق البشر ولا لأنبيائه من هدف سوى البكاء على الحسين عليه السلام بل كأن الغرض من الخليقة كلها البكاء على الإمام الحسين أو زيارته!!

وفي الصفحة ١٠١ من ذلك الكتاب حديث عجيب آخر أيضاً اختلقه ذلك الكذاب جاء فيه:

«حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري عن **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم** عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **يا مسمع! أنت من أهل العراق أ ما تأتي قبر الحسين** عليه السلام؟ **قلت: لا أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي! قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم! قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي!. قال: رحم الله دمعتك! أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها**....(إلى آخر الحديث الطويل الذي يستغرق أكثر من صفحتين أخريين ومن أراد تفصيله

فليرجع إلى الكتاب المذكور!)».

إن كتاب «**كامل الزيارات**» مملوء من أمثال هذه الأحاديث التي يرويها الغلاة والكذابون ليضلوا بها عباد الله ويجرئوهم على معاصي الله، وينزِّلُوا من قيمة العبادات التي قررها الشرع ويستبدلوها بمثل هذه الأعمال التي يعادل القيام بواحد منها ثواب آلاف العبادات الشرعية!!

١٩ - عبد الله بن القاسم الحضرمي:

وهو أحد رواة أحاديث الزيارة والشفاعة المشهورين وفيما يلي ما قالته كتب الرجال عنه:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٤/ ص٣٥): «**عبد الله بن القاسم الحضرمي غالٍ متهافتٌ لا ارتفاع به**».

ب) وفي رجال النجاشي (ص١٦٧): «**عبد الله بن القاسم الحضرمي المعروف بالبطل، كذابٌ، غالٍ، يروي عن الغلاة، لا خير فيه ولا يُعْتَدُّ بروايته.**».

ج) وفي رجال العلامة الحليّ (ص٣٣٦): «**عبد الله بن القاسم الحضرمي من أصحاب الكاظم عليه السلام واقفيٌّ وهو يُعْرَفُ بالبطل، وكان كذّاباً روى عن الغلاة لا خير فيه ولا يُعْتَدُّ بروايته وليس بشيء ولا يُرتَفَع به.**».

لقد لفَّق هذا الشخص الغالي والكذاب وصاحب تلك السوابق السيئة أحاديثَ أوحاها له شيطانه فنسبها إلى الأئمة عليهم السلام من ذلك ما جاء في «**كامل الزيارات**» (ص١١٩):

«**حدثني محمد بن جعفر الرزاز الكوفي عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن عمر بن أبان الكلبي عن أبان بن تغلب قال قال أبو عبد الله عليه السلام أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة رئيسهم ملك يقال له منصور ولا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا شيعوه ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا عليه [وعلى جنازته] واستغفروا له بعد موته**».

وفي الصفحة ١٩٢ من ذلك الكتاب أيضاً تكرارٌ لروايته تلك وفيها:

«**حدثني محمد بن جعفر عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن عبد**

الله بن القاسم عن عمر بن أبان الكلبي عن أبان بن تغلب قال قال أبو عبد الله عليه السلام: هبط أربعة آلاف ملك يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال! فرجعوا في الاستئذان فهبطوا وقد قُتِلَ الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شُعْثٌ غُبْرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا شيّعوه، ولا يمرض مريض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا على جنازته واستغفروا له بعد موته وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام».

وكذلك في الصفحة ٦٦ من «**كامل الزيارات**» حديث خرافي آخر عن مَلَكٍ اسمه «**فطرس مَلَك**»! غضب الله عليه لتأخره في أداء مهمّةٍ ما فنفاه الله إلى جزيرةٍ مدة ستمئة عام! حتى ولد الحسين فجاء وتمسَّح به، وهو لا يزال رضيعاً حديث الولادة في قنداقه، فعُفِيَ عنه، فوعد أن يبلغ سلام كل زائر للحسين إليه! جاء في الرواية:

«**...فأخبر فطرس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ بحاله، فدعا له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وقال له: تمسَّح بهذا المولود (أي الحسين) وعد إلى مكانك! قال: فتمسَّح فطرس بالحسين عليه السلام وارتفع وقال: يا رسول الله! أما إن أمتك ستقتله وله عليّ مكافاة أن لا يزوره زائر إلا بلغته عنه ولا يسلِّم عليه مسلِّم إلا بلَّغته سلامه ولا يصلِّي عليه مصلٍّ إلا بلَّغته عليه صلاته، قال: ثم ارتفع!!**».

وقد أطلنا في ذكر مثل هذه الأوهام والخرافات الملفقة لأن بعض قراء المراثي في مجالس عزاء الحسين يقرؤون أحياناً أمثال هذه القصص الخرافية ليثيروا بها العوام فكان لا بد من بيان حالها ومعرفة مصدرها لكي يعرف القارئ ماذا فعل بنا الغلاة والكذابون والمفسدون أمثال عبد الله بن القاسم الحضرمي وموسى بن سعدان!.

٢٠ - **عبد الله بن ميمون القدّاح**: هذا المفسد من مؤسسي مذهب القرامطة الإسماعيلية ويكفي هذا في معرفة حاله!

٢١ - **عثمان بن عيسى**:

هذا الشخص طبقاً لتصريح علماء الرجال واقفيٌّ، وذكر عنه «الكشي» في رجاله ما يفيد أنه

كان لديه مال كثير عن الأئمة ولما طالبه بها الإمام الرضا عليه السلام بعد وفاة أبيه الإمام الكاظم عليه السلام استنكف عن دفعها إليه، وأن الإمام الرضا عليه السلام سخط عليه لأجل ذلك، هذا وقد جاء تفصيل سوابقه وأخباره أيضاً في «**تنقيح المقال**» (ج٢/ ص٢٤٧) حيث بين ثمَّةَ تخلفه واستنكافه عن إطاعة أمر الإمام الرضا عليه السلام.

وقد ضعّفه بشكل عام كل من الجزائري وابن داوود والمحقق الأردبيلي والفاضل المقداد وصاحب المدارك والعلامة الحلي.

وفيما يلي حديث آخر في موضوع الزيارة رُوي عن هذا المغرور الجريء على الله ورسوله كما جاء في «**تهذيب الأحكام**» للشيخ الطوسي (ج٦/ ص٤):

«**وعَنْهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الله عَنْ عُثْمانَ بْنِ عِيسَى عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ يَا أَبَتَاهْ مَا جَزَاءُ مَنْ زَارَكَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! مَنْ زَارَنِي حَيّاً أَوْ مَيِّتاً أَوْ زَارَ أَبَاكَ أَوْ زَارَ أَخَاكَ أَوْ زَارَكَ كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ!**».

وكأن حضرة الحسين عليه السلام كان يعلم منذ طفولته بأنه ما خُلق إلا ليزوره الناس إلا أنه لم يكن يعلم مقدار ثواب زيارته! أو أنه أراد أن يصل إلى الناس خبر ذلك لذا سأل رسولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عن مقدار ذلك الثواب!؟.

٢٢ - **علي بن حسان**: وقد جاءت الإشارة إلى ترجمة حاله وقيمة رواياته خلال ترجمة عمه عبد الرحمن بن كثير[١].

٢٣ - **علي بن فضّال**: وصفه صاحب السرائر بأنه **ملعونٌ ورأس كل ضلال هو وأبوه.**

٢٤ - **عمرو بن ثابت**: وصفه في مجمع الرجال (ص٢٧٥) بأنه «**ضعيفٌ جداً**».

٢٥ - القاسم بن يحيى: وهو يروي عن جده «الحسن بن راشد»: وقال الغضائري رحمه الله كما جاء في مجمع الرجال (ج٥/ ص٥٣): «**روى عن جده ضعيفٌ**». ووصفه التفرشي في «**نقد**

(١) وشرحنا حاله في الصفحات ٨٥ - ٨٦ من هذا الكتاب.

الرجال» بأنه فاسد المذهب. وتبع العلامةُ الحليُّ الغضائريَّ فيما قاله عنه واعتبره ضعيفاً في خلاصته، ومع ذلك فإن أول حديث في كتاب «**كامل الزيارات**» مروي عن هذا الراوي وهو ذات الحديث الذي أورده الشيخ الطوسي في «**تهذيب الأحكام**» (ج٦/ ص٤٠) ونصه:

«سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ عَنِ القَاسِمِ بْنِ يَحْيَى عَنْ جَدِّهِ الحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: **بَيْنَا الحَسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فِي حَجْرِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا أَبَهْ! مَا لِمَنْ زَارَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ مَنْ أَتَانِي زَائِراً بَعْدَ مَوْتِي فَلَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أَتَى أَبَاكَ زَائِراً بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أَتَى أَخَاكَ زَائِراً بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أَتَاكَ زَائِراً بَعْدَ مَوْتِكَ فَلَهُ الجَنَّةُ.**».

وهناك حديث آخر عظيم البركة (!) عن هذا الراوي أي القاسم بن يحيى الموصوف بأنه فاسد المذهب وضعيف الرواية، يرويه عن يونس بن ظبيان الذي يُعَدُّ من أشهر الغلاة والكذابين، فيما يلي نصه كما جاء في «**كامل الزيارات**» (ص١٧٠ - ١٧١):

«حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد البرقي عن القاسم بن يحيى بن الحسن بن الراشد عن جده الحسن عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة في سنة واحدة كتب الله له ألف حجة مبرورة وألف عمرة متقبلة وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة**».

لاحظ أيها القارئ أن ثلاث زيارات فقط تعطي صاحبها من الثواب ما لا يستطيع حتى إمام أو نبي تحصيله! فليسمع من لم يسمع!!

ويذكرني هذا بقول الشاعر:

سرّ خدا كه عارف كامل به كس نگفت در حيرتم كه باده فروش از كجا شنيد؟

إن العارف الكامل لم يبح بسر الله لأحد! فأنا محتار من أين سمعه بائع الخمر؟!

٢٦ – **محمد بن أرومة:**

أ) رجال النجاشي (ص ٢٥٣): «**محمد بن أورمة أبو جعفر القمي: ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دس عليه من يفتك به، فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه. وحكى جماعة من شيوخ القميين عن ابن الوليد أنه قال محمد بن أورمة طُعِنَ عليه بالغلو**».

ب) وقال المرحوم الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥/ ص١٦٠): «**محمد بن أرومة أبو جعفر القمّيّ اتهمه القمِّيُّون بالغلو**».

ج) الشيخ الطوسي في «الفهرست»: «**محمد بن أرومة: له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد وفي رواياته تخليط، أخبرنا بجميعها إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الحسين بن الحسن بن أبان عنه، وقال أبو جعفر ابن بابويه محمد بن أرومة طعن عليه بالغلو فكلما كان في كتبه مما يوجد في كتب الحسين بن سعيد وغيره فإنه يعتمد عليه ويفتي به وكلما تفرد به لم يجز العمل عليه ولا يعتمد.**».

د) ووصفه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥٢) بتلك الصفات السيئة إلى أن قال في آخر الكلام: «**والذي أراه التوقف في روايته**».

٢٧ – **محمد بن أسلم**: قال عنه العلامة في رجاله (ص٢٥٢): «**يقال أنه كان غالياً فاسد الحديث**».

٢٨ – **محمد بن الحسن بن جمهور:**

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥/ ص١٨٤): «**محمد بن الحسن بن جمهور أبو عبد الله العمي، غال فاسد الحديث، لا يكتب حديثه، ورأيته له شعراً يحلل فيه محرمات الله عز وجل**».

ب) رجال النجاشي (ص ٢٦٠): «**محمد بن جمهور أبو عبد الله العمي: ضعيف في الحديث، فاسد المذهب، وقيل فيه أشياء الله أعلم بها من عظمها. روى عن الرضا عليه السلام. وله كتب كتاب الملاحم الكبير، كتاب نوادر الحج، كتاب أدب العلم.**».

ج) رجال العلامة الحلي (ص٢٥١): «**محمد بن الحسن بن جمهور: بالجيم والراء العمي عربي بصري روى عن الرضا عليه السلام كان ضعيفاً في الحديث غالياً في المذهب فاسداً في الرواية لا يُلتَفَت إلى حديثه ولا يُعْتَمَد على ما يرويه.**».

٢٩ - محمد بن الحسن بن شمون:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥/ ص١٨٧): «**أصله بصري واقفي ثم غلا، ضعيف متهافت لا يلتفت إليه وإلى مصنفاته**».

ب) في رجال النجاشي (ص٢٥٨): «**محمد بن الحسن بن شمون: أبو جعفر، بغدادي، واقف، ثم غلا، وكان ضعيفا جدا، فاسد المذهب. وأضيف إليه أحاديث في الوقف، وقيل فيه.**».

ج) رجال العلامة الحلي (ص٢٥٢): «**محمد بن الحسن بن شمون: بالشين المعجمة والنون أبو جعفر بغدادي من أصحاب العسكري عليه السلام واقف ثم غلا وكان ضعيفاً جداً فاسد المذهب وأضيف إليه أحاديث في الوقف وعاش مائة وأربع عشرة سنة ومات سنة ثمان وخمسين ومائتين وكان أصله بصرياً وهو متهافتٌ لا يُلتَفَتُ إليه ولا إلى مصنفاته وسائر ما يُنْسَب إليه.**».

٣٠ - محمد بن سنان الديلمي:

أ) رجال النجاشي (ص٢٨٢): «**محمد بن سليمان الديلمي ضعيف جداً لا يُعَوّلُ عليه في شيء**».

ب) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥/ ص٢١٩): «**محمد بن سليمان زكريا الديلمي أبو عبد الله ضعيف في حديثه مرتفع في مذهبه لا يُلتَفَت إليه**».

ج) ووصفه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥٥) بعبارات النجاشي ذاتها.

٣١ - محمد بن سنان:

لقد شرحنا حال هذا الراوي سيء الصيت الذي يُعَدُّ من الكذابين المشهورين في كتابنا «**الشفاعة**»، بالتفصيل، ونكتفي بإشارة سريعة هنا:

أ) قال عنه الشيخ الطوسي في «الفهرست» (ص١٤٣): «**له كتب وقد طُعِنَ عليه وضُعِّفَ.**

وكُتُبُه مثل كتب الحسين بن سعيد على عددها وله كتاب النوادر وجميع ما رواه إلا ما كان فيها من تخليط أو غلوّ...».

ب) وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥١): «محمد بن سنان...وقد اختلف علماؤنا في شأنه فالشيخ المفيد رحمه الله قال إنه ثقة وأما الشيخ الطوسي رحمه الله فإنه ضعَّفَه وكذا قال النجاشي، وابن الغضائري قال: إنه ضعيف غال لا يُلتَفَتُ إليه. وروى الكشي فيه قدحاً عظيماً وأثنى عليه أيضاً! والوجه عندي التوقف فيما يرويه فإن الفضل بن شاذان رحمه الله قال في بعض كتبه: إن من الكذابين المشهورين ابن سنان..».

وفيما يلي أحد رواياته كما جاءت في كتاب «**كامل الزيارات**» (ص٦٧):

«... **عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القماط عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره، إذ بكى وخر ساجداً ثم قال: يا فاطمة! يا بنت محمد! إن العليَّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة وقال لي: يا محمد! أتحب الحسين عليه السلام؟ فقلت: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني. فقال لي: يا محمد! - ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام - بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناوأه ونازعه أما إنه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة**.... وذكر الحديث»

لاحظ أيها القارئ كيف جاء الله تعالى إلى بيت فاطمة ومسح على رأس الحسين وقال كذا وكذا!! أجل هذه هي المعارف الإلـهية العالية التي يريدون أن يهدوها للمجتمع البشري باسم شيعة عليّ! ولا غرو فمحمد بن سنان كما قلنا من الكذابين المشاهير، فليس بغريب منه تلفيق مثل هذه الترَّهات.

وإليكم حديثاً عجيباً آخر لهذا المفتري في الصفحة ٢٦٧ من «**كامل الزيارات**»:

«عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القماط عن عمر بن يزيد بياع السابري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إن أرض الكعبة قالت من مثلي وقد بنى الله بيته [بني بيت الله] على ظهري ويأتيني**

الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه فأوحى الله إليها أن كفّي وقري فوعزتي وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست [غمست] في البحر فحملت من ماء البحر ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ولولا ما تضمنته أرض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به فقري واستقري وكوني دنيا متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولامستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم!».

نعم هذه هي الأسرار التي يُدَّعى أن الأئمة لم يكونوا يبوحون بها إلا إلى أولئك الغلاة الأفاكين**!!** ألا لعنة الله على الكذابين الغلاة الذين شوهوا دين الإسلام وشوهوا صورة أهل بيت رسول الله أمام العالم بمثل هذه الضلالات التي لا تعدو في نظرنا سوى دسائس تهدف إلى محو آثار الإسلام وهدم أركانه.

٣٢ - **محمد بن صدقة:**

أ) مجمع الرجال (ج٥/ ص٣٦) «**محمد بن صدقة بصري غال**».

ب) رجال الطوسي (ص٣٩١): «**محمد بن صدقة بصري غال**».

وأعجب العجب أن الشيخ الطوسي رحمه الله الذي اعتبر هذا الراوي غالياً إذا به نفسه يروي عنه الحديث التالي في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (ج٦/ ص٤٤):

«..**عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ صَالِحٍ النِّيلِيِّ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ مَنْ أَعْتَقَ أَلْفَ نَسَمَةٍ وكَمَنْ حَمَلَ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ الله مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ!**»**.**

فليت شعري هل قانون ثواب الله على هذه الدرجة من الرخاوة والعطاء بغير استحقاق ولا حساب؟! أليس هو القائل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ...﴾ (التوبة/ ١١١)، والقائل أيضاً ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة/ ٢١٤)، فنيل الحسنات والدرجات

ودخول الجنة ليس بسيطاً بكل تلك السهولة! بل يتطلب التضحية بالنفس والمال والصبر على البأساء والضراء، ولكن الغلاة الكذابين جعلوها مفتوحة الأبواب بلا حساب ولا كتاب لكل من يقوم بزيارة وقراءة دعاء، وبعدها لا حاجة أن يخاف من معصية الله وعذابه! وبذلك فإن تلك الروايات لا تُنْشِئُ إلا أشخاصاً متحررين من كل قيد والتزام كما نشاهد في أيامنا!

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نجد القرآن المجيد قد ضيق الأمر إلى درجة تأكيده أن كل مثقال ذرة من الشر سيحاسب عليها الإنسان: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ (الزلزلة/ ٧-٨) ويقول كذلك: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء/ ٤٧)، ويقول: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان/ ١٦).

وكفى بالله حسيباً، ولا شك لدينا في رحمة الله الواسعة وفضله الذي لا حد له ولا حصر، ولكنه شرع الثواب على الأعمال التي أمر بها وليس على عمل لم يأت الأمر به في أي موضع من القرآن الكريم فمثل هذا التوزيع للثواب المجازف به ليس سوى من تطفل الغلاة وفضولهم.

٣٣ - **محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني:**

أ) في رجال الطوسي (ص٤٢٧): «**محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ضعيف**».

ب) في الفهرست (ص١٦٧): «**محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ضعيف، وقيل إنه كان يذهب مذهب الغلاة**».

٣٤ - **محمد بن فضيل:**

مجمع الرجال (ج٦/ ص٢٣): «**محمد بن فضيل الأسدي ضعيف، يُرْمَى بالغلو**».

٣٥ - **محمد بن موسى الهمداني:**

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٦/ ص٥٢): «**محمد بن موسى بن عيسى السمّان أبو جعفر الهمداني ضعيف يروي عن الضعفاء تكلم فيه القميون بالرد**».

ب) وفي رجال النجاشي (ص٢٦٠): «**محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمان، ضعفه القميون بالغلو، وكان ابن الوليد يقول إنه كان يضع الحديث، والله أعلم.**».

ج) وفي رجال العلامة الحلي (ص٢٥٢): «**محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر السمان الهمذاني، ضعيف يروي عن الضعفاء وضعّفه القمّيّون بالغلو وكان ابن الوليد يقول إنه كان يضع الحديث والله أعلم. قال ابن الغضائري إنه ضعيف يروي عن الضعفاء ويجوز أن يخرج شاهداً. تكلّم القمّيّون فيه فأكثروا واستثنوا من كتاب نوادر الحكمة ما رواه.**».

أجل، إنه محمد بن موسى الهمداني ذاته الذي أتحف طائفة الشيعة بزيارة عاشوراء التي رواها عن كذابين مثل «سيف بن عميرة» و«صالح بن عقبة» والتي جعل لها كذا وكذا من الثواب مما لا يستطيع فعله لا نبي مرسل ولا ملاك مقرَّب!!.

٣٦ - المعَلَّى بن محمد:

أ) مجمع الرجال (ج٦/ ص١١٣): «**المعَلَّى بن محمد البصري أبو محمد يُعرف حديثه ويُنْكَر، ويروي عن الضعفاء**».

ب) رجال النجاشي (ص٣٢٧): «**المعَلَّى بن محمد البصري أبو اسحق مضطرب الحديث والمذهب**».

ج) ووصفه العلامة في رجاله (ص٢٥٩) بالأوصاف السيئة ذاتها.

٣٧ - المفضل بن صالح أبو جميلة الأسدي:

أ) تنقيح المقال (ج٣/ ص٢٣٧): «**قال الغضائري رحمة الله عليه: المفضل بن صالح أبو جميلة الأسدي النحاس مولاهم، ضعيف كذاب يضع الحديث**».

ب) وصفه العلامة الحلي في القسم الثاني من خلاصته بالأوصاف السيئة ذاتها، وهكذا فعل ابن داوود وسائر علماء الرجال الذين اعتبروه ضعيفاً وكذاباً وواضعاً للحديث.

٣٨ - المفضل بن عمر:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٦/ ص١٢٣ حتى ١٣١): «**المفضل بن**

عمر الجعفي أبو عبد الله ضعيف متهافت مرتفع القول خطّابي وقد زيد عليه شيء كثير، وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً ولا يجوز أن يُكْتَبَ حديثه.»

ب) رجال النجاشي (ص٣٢٦): «**مفضل بن عمر أبو عبد الله قيل أبو محمد، الجعفي، كوفي، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يُعْبَأُ به. وقيل إنه كان خطابياً. وقد ذكرت له مصنفات لا يُعَوَّلُ عليها.**»

ج) وفي رجال العلامة الحلي (ص٢٥٨): «**مفضل بن عمر الجعفي أبو عبد الله ضعيف كوفي فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعبأ به متهافت مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير وحمل الغلاة في حديثه حملا عظيما ولا يجوز أن يكتب حديثه.**».

٣٩ – موسى بن سعدان:

أ) في رجال النجاشي (ص٣١٧): «**موسى بن سعدان الحفّاظ ضعيف في الحديث**».

ب) في رجال العلامة (ص٢٥٧): «**موسى بن سعدان الحفّاظ...روى عن أبي الحسن، ضعيفٌ في مذهبه غلوٌّ.**».

٤٠ – **يونس بن ظبيان**: من الغلاة والكذابين المشهورين وقد جاء ذكره وترجمة حاله في أكثر من مكان في هذا الكتاب وقد أتينا بحديث له في ترجمتنا لأحوال «**القاسم بن يحيى**» يكفي في بيان حاله.[1].

٤١ – **موسى بن عمران النخعي**: سنتكلم عنه في المبحث التالي عند تمحيصنا لسند «**الزيارة الجامعة الكبيرة**»[2].

بعد أن انتهينا من ترجمة أحوال أهم رواة أحاديث فضائل الزيارة وأدعية الزيارة وتبين أن جميعهم غلاة كذابون ولا يمكن الاعتماد على رواياتهم فإن سؤالاً يطرح نفسه: لو كان أولئك الرواة حقيقة وفعلاً مثل ما وصفهم علماء الرجال كالغضائري والنجاشي والكشي والشيخ

---

(١) راجع الصفحتين ١٤٧ – ١٤٨ من هذا الكتاب لمعرفة تفصيل حاله.

(٢) راجع المبحث التالي (أي المبحث ٨) من هذا الكتاب.

الطوسي والعلامة الحلي وابن داوود - رحمة الله عليهم - غلاة ووضاعون وكذابون فلماذا نجد أن علماءنا الأعلام رووا كثيراً من الأحاديث في كتبهم الدينية في مسائل الأحكام الشرعية وفروع الفقه عن أولئك الرواة أنفسهم واعتمدوا على تلك الأحاديث في فتاواهم وفقههم؟! فإذا كانوا كاذبين متروكي الرواية فلا بد من ترك رواياتهم برمتها وليس هذا فحسب بل لابد من البراءة منهم ولعنهم، إذ ليس هناك كذبٌ أسوء من الكذب على الله ورسوله، كيف والكذب بحد ذاته في أي موضوع جرمٌ في غاية القبح لعن الله فاعليه فقال: ﴿ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (آل عمران/ ٦١)، فما بالك في الكذب على الله ورسوله الذي اعتبره الله تعالى من أظلم الظلم وتوعَّد فاعليه في مواضع عديدة من كتابه الحكيم كقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام/ ١٤٤)، وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... ﴾ الأعراف/ ٣٧، ويونس/ ١٧، والكهف/ ١٥.

لذا نرى أن موقفنا من أحاديثهم يجب أن يكون نفس ما أرشدنا إليه الأئمة - عليهم السلام - أنفسهم وهو أن نعرض كل ما ينسبه الرواة إليهم على القرآن الكريم فما وافق القرآن أخذنا به وما خالفه ضربنا به عرض الحائط[1]، ولما كانت أحاديث الزيارة وأنواع الثواب الأسطوري عليها مخالفة لروح القرآن ونصه فهي أحاديث موضوعة ينبغي أن نضرب بها عرض الحائط.

لقد كتبنا قبل عدّة سنوات بحث الزيارة هذا وجهزناه للطباعة ولكن ممانعة حراس

(١) يُراجع في ذلك ما جاء في بَابُ الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وشَوَاهِدِ الْكِتَابِ من كتاب «**أصول الكافي**» كقول الإمام الصادق عليه السلام قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً فَمَا وَافَقَ كِتَابَ الله فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ الله فَدَعُوهُ.». وعن بْنَ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عَنِ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ يَرْوِيهِ مَنْ نَثِقُ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ لَا نَثِقُ بِهِ قَالَ: «**إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثٌ فَوَجَدْتُمْ لَهُ شَاهِداً مِنْ كِتَابِ الله أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله** صلى الله عليه وآله وسلم **وإِلَّا فَالَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ أَوْلَى بِهِ.**». (المترجم)

الخرافات وعرقلتهم لهذا الأمر منعتنا من طباعته وأجبرتنا على أن نضعه على الرف حتى سنحت الفرصة بمساعدة بعض الإخوة لطباعته على الآلة الكاتبة وتصوير نسخ عديدة منه نضعها أمام أنظار القراء الطالبين للحقيقة عسى أن يتأملوها بعقلهم الذي وهبهم الله إياه فينجوا من ورطة الشرك والغلو الذي يعتبر أعظم ذنب في نظر الشريعة المطهرة.

عسى الله تعالى أن ينظر بعين الرحمة والكرم إلى هذه الأمة فينتشلها من ذلتها ونكبتها ويرد المسلمين إلى أحكام الإسلام النقية والعظيمة التي فيها حياتهم وتقدمهم لا سيما ما أمر الله به من الاتحاد وإقامة الحكومة الإسلامية وإقامة الجمعة والجماعات والجهاد والعدل، **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**.

وفي الختام نقول: إن احترام أولياء الله وأخذ العبرة والدروس من سيرتهم العظيمة والتأسي بهم وزيارة مراقدهم بهذا الغرض ولنوقظ في أنفسنا الهمة والتضحية لأجل عزة الدين وحرمته أمرٌ مطلوبٌ ومستحبٌ في نظر كل عاقل. ولقد تلكمنا عن هذا الأمر على نحو وافٍ في كتابنا «**فلسفه قيام حسين**» (أي: فلسفة ثورة الحسين)، كما أننا قمنا قبل ثلاثين عاماً في ليلة ١٩/ صفر/ ١٣٦٩هـ بإلقاء خطبةٍ في الصحن الحسيني المطهر في كربلاء بحضور عدة آلاف من الزوّار والمجاورين ننقلها فيما يلي للقراء المحترمين ونذكّر بأننا لا زلنا نؤمن بما ذكرناه فيها ونلتزم به ونقترحه!

وقبل أن أنقل الخطبة أود أن أذكِّر بنقطة هامَّة وهي أنه من الممكن أن يتصور بعض الناس في نفسه أو يوسوس له بعض المغرضين بأن ما ذكرناه في كتابنا هذا ليس سوى ترديدٍ لأفكار ودعايات الطائفة الوهابية وغيرها من أعداء الشيعة!

فأقول في الإجابة عن هذه الشبهة:

أولاً: ما ذكرناه في رسالتنا هذه مأخوذٌ كله من مصادرنا الشيعية الموثَّقة ومن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومن التواريخ المعتبرة وسير صدر الإسلام الموثوقة، قبل أن يتلوث المسلمون ببدع وخرافات الأمم الأخرى.

ثانياً: إذا قالت الفرقة الوهابية أو أي فرقة أخرى قولاً حقاً يوافق كتاب الله وسنة رسوله فهل علينا أن نرفضه أم يجب أن نقبل كل قول حسن يدل عليه الكتاب والسنة أياً كان قائله عملاً بأمر الله تعالى الذي يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر/١٨) فهذا ما قمنا به ونؤمن به، **وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**.

٨- خطبة المؤلف في الصحن الحسيني المطهَّر في كربلاء

في ذكرى أربعين الحسين عليه السلام عام ١٣٦٩ هـ ق وعملاً بأمر حضرة العلّامة آية الله محمد الخالصي[١] - رحمة الله عليه - قمت أنا العبد الفقير بإلقاء خطبة في الصحن الحسيني في جموع الزوار من العرب والعجم الذين كان عددهم يربو على عدة آلاف تساءلت فيها: لماذا رغم هذه الجهود وصرف الإيرانيين لأموالهم وأوقاتهم في الأمور الدينية، لا نجد حالهم يتحسن ولا نجد أي ثمرة مفيدة تنعكس على حياتهم تجاه الإسلام؟! واستنتجتُ أن السبب هو الوضع السيئ والخاطئ للخطاب الديني والتبليغات الإسلامية التي ابتعدت عن روح الحقيقة وعن جوهر الإسلام وأصبحت ملوّثة بالأوهام والخرافات فلم يعد الإيرانيون يخرجون بأي ثمرة مفيدة رغم كل عشقهم وشوقهم لأهل بيت الرسالة وبذلهم كل تلك الأموال والأوقات لما يظنونه في اعتقادهم من أهم الأمور الدينية!

فمثلاً هؤلاء الزوار أنفسهم الذين جاؤوا في مثل هذا العام لزيارة الحسين عليه السلام غير عابئين بجميع المصاعب والمشاكل التي واجهتهم في طريق السفر، تدفعهم قوة الحب والإيمان، فصلوا إلى هذه العتبة المقدسة بصدورٍ متألمةٍ وأعينٍ باكيةٍ، ورغم كل ذلك نجد أن النتيجة التي حصَّلوها

---

(١) هو المرجع المجاهد العلامة الشيخ آية الله محمد بن محمد مهدي الخالصي (١٣٠٧ - ١٣٨٣هـ/ ١٨٩٠ - ١٩٦٣م) من كبار فقهاء الإمامية **ودعاة الإصلاح ونبذ البدع وإحياء معالم الإسلام الأصيل، ومن العاملين بصدق لأجل الوحدة الإسلامية بين الشيعة والسنة**، من أهل الكاظمية، تفقه في الكاظمية والنجف واشترك مع أبيه المرجع محمد مهدي الخالصي، الذي كان أحد أبرز زعماء الثورة على الاحتلال البريطاني في العراق، في الثورة ضد الانكليز عام ١٩٢٠، فنفاه الإنكليز هو وأباه وعدداً من مراجع الشيعة إلى إيران، فبقي مُبْعَداً فيها ثلاثين عاماً كانت له فيها صولات وجولات مع طاغيتها الشاه رضا خان بهلوي، ثم عاد في أواخر عمره إلى العراق وتوفي في الكاظمية عام ١٩٦٣. طبع له في حياته نحو ٧٠ كتاباً، منها «إحياء الشريعة في مذهب الشيعة» في ٣ أجزاء، و«الإسلام فوق كل شيء» خطب ومقالات في ٤ أجزاء، و«الرأسمالية والشيوعية في الإسلام». وكان المؤلف «حيدر علي قلمداران» من محبي الشيخ الخالصي وتلامذته الفكريين والتقى به عدة مرات وقام بترجمة بعض كتبه إلى الفارسية. (المترجم)

من هذا السفر والجهد ليست سوى إيمانهم بأنهم - طبقاً لما سمعوه من تبليغاتٍ خاطئة من المشايخ التقليديين - قاموا بإفراغ ما يحملونه في جعبتهم من أكوام الذنوب فرموها على عتبة الحسين! ليعودوا إلى بلدانهم وقد غُفرت جميع ذنوبهم مما يسمح لهم أن يعودوا فيملؤوا أكياسهم من الذنوب من جديد، أو على الأقل يصيبهم الغرور بأنهم أصبح لديهم من الحسنات ما يجعلُ اللهَ مديناً لهم!!

وهدية السفر التي يأتون بها لأقربائهم وأبناء مدنهم وقراهم ليست سوى وصف القباب والمآذن المذهبة الجميلة وشكل الصحن الحسيني وروعة الضريح وفخامة الأقمشة والسجاد بالإضافة إلى شيء من البضائع وتمر كربلاء!!

هذا في حين أننا لو كنا نملك تشكيلات صحيحة، ومنظمة دعوة وتبليغ إسلامية صحيحة، لأخذنا أعظم العبر ولتأثرنا كل التأثر من مشاهدة مزار أولئك الشهداء الأبطال الذين تلطخت أكفانهم بالدماء في سبيل الدفاع عن الإسلام وحفظه من عدوان جنود الشيطان فقدموا أرواحهم رخيصة على طبق الإخلاص في سبيل معشوقهم الحقيقي الله عز وجل. لو أن ذلك المشهد ترافق بتبليغ صحيح جدير بهذا المكان لغرس في قلوب زوار قرابين دين الله أولئك، روحَ التضحية والبذل في سبيل الله، ولنفخ فيهم العزم على السير على طريق أولئك الرُوَّاد والهداة وتقديم كل غالٍ ورخيص لإعلاء كلمة الله وإحياء دين الله كما فعل الحسين وأصحابه!

لو كنا نملك زعماءَ وعلماءَ ومبلغينَ واعين وأكفَّاء لاستطاعوا غرس روح التضحية في سبيل المجد والشرف والدين وحفظ حدود الإسلام في نفوس زوار الحسين، وأن ينفخوا في الذين يشاهدون تلك المشاهد المثيرة للهمم روحَ حب الاستشهاد كالبركان الثائر والبحر المتلاطم.

فلا يوجد بيانٌ أبلغ ولا لسانٌ أوضح لتشجيع الناس على التضحية وبذل الروح لأجل الشرف والعزة من مشاهدة قبور أئمة الدين المجاهدين الملطخة أكفانهم بدم الشهادة في تلك الصحراء المحرقة حيث كانوا ينازلون أعداء الدين وشفاههم قد أبرمها العطش ووجوههم قد علاها الإنهاك والغبار في تلك الملحمة البطولية التي قدموا فيها رؤوسهم وأطرافهم رخيصةً في

ميدان العشق الإلـهي على نحو أدهش ملائكة الملأ الأعلى وحيَّر الناظرين في عالم الملكوت!

وبدلاً من ذلك الضريح الفخم المزخرف بالذهب والفضة والجواهر والياقوت أي كل ما يحبه الفراعنة ويتعلق به الطواغيت، كم كان من الأفضل لو أُبقيت تلك القبور الدارسة لسيد شهداء كربلاء الحسين أبي الأحرار وأصحابه النبلاء على حالتها الطبيعية، كي يتذكر الإنسان ولو بنظرة سطحية قطع الأبدان الممزقة والرؤوس المفصولة عن الأجساد والأرجل والأصابع المقطعة المتناثرة لفدائيي الإسلام أولئك ويستحضر شفاههم العطشى التي سقطت قرب نهر الفرات السيّال وهي تتحسر على جرعة ماء! ويتذكر أكبادهم التي فتتها العطش وشرايينهم وأوْرِدَتَهم التي جفَّت فيها الدماء، إن زيارة مثل هذا المشهد كانت كفيلة يقيناً بأن تشعل في قلب الزائر حرارة العشق الإلهي ذاتها التي حركت أولئك المجاهدين البواسل وجعلتهم يقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل رضا المحبوب.

ألم يكن أولئك الشهداء هم من يأتي بجراحهم يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك، ببركة تقديمهم أرواحَهم الغالية في سبيل ما هو أغلى من الروح أي الدفاع عن الدين والحق والذَبّ عن أهل بيت النبي ﷺ؟

لقد كانوا الفراشات التي احترقت أجنحتها وهي تحيط بالشعلة الحسينية لا بل كانوا نجوم سماء الهداية التي تحيط بشمس الشهادة المشعّة، يكتسبون منها النور على الدوام ليعكسوه إلى عالم البشر... ألا تستطيع مشاهدة قبورهم النيرة أن تشعّ في قلوب الناظرين المظلمة ذلك النور فتخرجهم من ظلمات المادية وعبادة الدنيا؟

قسماً بالحق لو استطعنا أن نرفع الستار من وراء تلك الزخارف والمصابيح والثريات وصفائح الذهب والفضة وأدوات الزينة التي لا تليق إلا بقبور الملوك وعُبَّاد الأموات، والتي تحول دون تجليّ مشهد محفل الشهادة ذاك، وأن ننظر بعين طلّاب الحق إلى حفلة التضحية بالأرواح تلك، لسارعنا إلى تقديم رؤوسنا وأيدينا على طبق الحب إلى مضيف ذلك الحفل أي رب العالمين، عساه يتقبلنا لديه في جوار رحمته الأبدية مع الشهداء والصالحين!

أقسم بالله عليكم أيها المسؤولون عن تلك الزينات والزخارف، وأسألكم بجمال الله رب الجمال إلا أزحتم ذلك الضريح الفضي والقطع المذهبة عن تلك القبور النيرة وأعدتم القمصان الملطخة بالدماء والأكفان الحمراء إلى أجساد أسود عرين الدين الأعزاء أولئك، وأسمعتمونا ذلك الرَّجَز الذي كانت شفاههم العطشى تلهث فيه مع أنفاسهم الأخيرة وهم يسلمون الروح إلى بارئها، عسى ذلك أن يُحيي فينا من جديد منظر كربلاء ويوم عاشوراء، فيبْرُزُ من بيننا شبابٌ أعزةٌ أحرارٌ كالحُرِّ بن يزيد الرياحِيّ التميمي، وشيوخٌ أبطالٌ مثلُ حبيب بن مظاهر الأسدي، في هذا الزمن الذي يصرخ فيه جسد الإسلام في أطراف الدنيا وأقصاها: «**هل من ناصر ينصرني، هل من معينٍ يعينني؟**» فيهبوا لنصرته لينقذوه من كربة غربته، لا أن يُعَلِّقَ الزوارُ آمالاً مغرورةً على نيل درجات هائلة من الأجور وأنواع الثواب تعادل آلاف الحجات والغزوات، فيروا أنهم أدوا واجبهم نحو الدين وزيادة، فلا حرج عليهم بعد ذلك إن نالوا نصيباً من الفسق والفساد، فقد صار لديهم من الحسنات والأعمال الصالحة ما يكفيهم ويعوض تقصيرهم أضعافاً مضاعفة! كما هو الحال مع الأسف الشديد!

بالله عليكم أزيلوا ذلك الضريح الفضي والذهبي الذي لا يليق إلا بقبور الملوك والفراعنة وجبابرة الأرض عن التربة الطاهرة لابن أبي تراب التي ضمت قطع بدنه المدمّاة، وإن أردتم المزيد فاطرحوا نموذجاً وشبيهاً لقميصه المدمّى والممزق بالسهام على قبره الشريف، وعندئذٍ اقرؤوا المرثية المثيرة للحماس لتعطوا القضية حقها وتجسدوا للناس الساعات الأخيرة من حياة الحسين أي قصة العشق والفداء لسيد شباب أهل الجنة وريحانة المصطفى الذي ودّع الدنيا وهو ينظر بقلبٍ يتفطر حسرة على تلك الأمة وينظر مشتاقاً إلى أبنائه وأخواته ونسائه الذين تُركوا وحيدين بلا مأوى ولا نصير إلى مصيرٍ مجهول في تلك البادية أمام جموع الأعداء، متمتماً:

إلهي رضاً بقضائك وصبراً على بلائك!

ألن يترك هذا أعظم الأثر في بيان عظمة الدين وقيمة التضحية في سبيله في نظر المسلمين؟؟ وعندئذٍ يمكننا أن نتوقع من زوار المرقد الحسيني أن يرجعوا بروحٍ مثل روح التوّابين، الذين

عندما رأوا ذلك القبر الغريب في صحراء كربلاء بعد مُضي أكثر من خمس سنوات على واقعة عاشوراء، اشتعلت في نفوسهم نار الحسرة والندامة وقرروا أن لا يقرّ لهم قرارٌ حتى يَهَبُوا أرواحهم وكل ما يملكون في طريق الحسين وخطّه!

مثل هذا المشهد المؤثر يمكن إقامته في المناسبات، حسب مقتضيات الزمان، في كل سنة مرة أو مرتين، كما كان يفعل شيعة أهل البيت في الصدر الأول. ولكن يا للأسف الشديد، إن تلك الدعايات الخرافية والخطاب الديني المنحرف حول أنواع الثواب التي لا حد لها ولا حصر الذي يناله الزائر بمجرد زيارته للقبر قد أفرغ القضية من محتواها وحولها إلى مراسم تقليدية تؤدى بهدف نيل ذلك الثواب العظيم، ولا تترك أثراً اللهم إلا إنشاء ذهنية مخالفة لآيات القرآن الكريم تُضْعِفُ في النفس أوامر الدين ونواهيه وتشجِّعها على التعدِّي على أحكام شريعة خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ، باعتبار أن الزائر يحصل من عظيم الأجر والثواب ما يغطي كل ما ارتكبه وما سيرتكبه!.

٩- تمحيص دعاء «الزيارة الجامعة الكبيرة»

من الأدلة التي استند إليها آية الله العظمى (!) السيد أبو الفضل النبوي في كتابه «**أمراء الكون**» لإثبات الولاية التكوينية للأئمة عليهم السلام وتصرفهم في الكون وفي شؤون الخلق، بعض الفقرات من دعاء الزيارة المعروف باسم: «**الزيارة الجامعة الكبيرة**»[1] مثل: «**بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وبِكُمْ يَخْتِمُ وبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وبِكُمْ يُنَفِّسُ الهمَّ ويَكْشِفُ الضُّرَّ...**»!!

وفي الصفحة ٤٨٠ من كتابه المذكور استشهد (أبو الفضل النبوي) بفقرة «**وإِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ وحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ**» في تلك الزيارة، لإثبات أن الأئمة هم الذين يحاسبون الخلق يوم القيامة، ولكي يثبّت استدلاله المزعوم نقل من كتاب «**الأنوار الإلهية**» للمحدث المرحوم الشيخ عباس القمي خلال روايته لهذه الزيارة عن الإمام على النقي (أي الإمام الهادي عليه السلام) كلامَ العلّامة المجلسي بشأن هذه الزيارة الجامعة الكبيرة الذي قال فيه: «**أقول إنما بسطتُ الكلامَ في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقها حذراً من الإطالة لأنها أصحُّ الزياراتِ سنداً وأعمُّها مورداً وأفصحها لفظاً وأبلغها معنىً وأعلاها شأناً!!**»[2].

لذا سنقوم في البدء بتمحيص سند حديث هذه «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» الذي ادعى آية الله (!) أبو الفضل النبوي صحته، ثم نبحث في فقرات متن الزيارة:

---

(١) وهي زيارة مشهورة وطويلة تمتد في ٨ صفحات كاملة منسوبة **إلى الإمام علي بن محمد الهادي** عليه السلام (أي الإمام العاشر من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)، رواها الشيخ الصدوق بسنده إلى الإمام عليّ الهادي (النقي) في كتابه «**عيون أخبار الرضا**» (ج٢/ ص ٢٧٢ إلى ٢٧٨). ثم رواها عنه الشيخ الطوسي في «تهذيب الأحكام» تحت عنوان بَابُ زِيَارَةٍ جَامِعَةٍ لِسَائِرِ المَشَاهِدِ عَلَى أَصْحَابِهَا السَّلَامُ: (ج٦/ ص٩٥ - ١٠١)، ورواها المجلسي عنهما وعن غيرهما ضمن عدة روايات في الجزء ٩٩ من بحار الأنوار.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار (ج ٩٩/ ص ١٤٥) من الطبعة الجديدة. (المترجم)

أولاً لو فرضنا أن هذه الزيارة – كما تفضل العلّامة المجلسي – أصحّ جميع الزيارات فإن هذا لن يعنى شيئاً لأنه لا توجد بين الزيارات أي زيارة واحدة صحيحة حتى تكون هذه أصحها، لأن جميعها إما لا سند له أو سنده ضعيف ومخدوش، فجميع أسانيد أحاديث الزيارات ومقادير ثوابها، لا تخلو من رواة غلاة فاسدي العقيدة أو ضعفاء أو كذابين مما سيلاحظه القارئ عن قريبٍ إن شاء الله.

روى العلّامة المجلسي في المجلد ٢٢ من بحار الأنوار (أو المجلد ٩٩/ ص ١٢٧من الطبعة الجديدة) تلك الزيارة بسنده عن: [«الدقاق» و«السنائي» و«الوراق» جميعاً عن «**الأسدي**» عن «**البرمكي**» عن «**النخعي**» عن حضرة الإمام علي بن محمد النقيّ (أي الإمام الهادي) عليه السلام]:

وفيما يلي بيان حال رجال السند:

أ) قال النجاشي عن «**الأسدي**»: «**محمد بن جعفر الأسدي كان ثقةً، صحيح الحديث، إلا أنه روى عن الضعفاء... وكان يقول بالجبر والتشبيه!!**».

ب) ووصفه ابن داوود بمثل تلك الأوصاف وأدرجه في القسم المتعلق بالضعفاء والمجروحين.

ج) وأورده المرحوم المامقاني في «تنقيح المقال» (ج٢/ ص٩٥) في القسم الثاني وقال: «**قوله بالجبر والتشبيه فإنه لو كان على حقيقته لأوجب فسقه بل كفره**» ثم شرع في الدفاع عنه وتطهيره وتعميده!!

وقد روى الأسدي تلك الزيارة عن البرمكي وهو: «**محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشر البرمكي أبو جعفر المعروف بصاحب الصومعة، ضعيفٌ**».

وأورده الشيخ «طه نجف» في رجاله في زمرة الضعفاء.

والبرمكي روى الزيارة عن «**موسى بن عبد الله النخعي**» وهو شخص مجهول لا أثر له في كتب الرجال.

وقال المرحوم المامقاني في «**تنقيح المقال**» لدى ترجمة «**موسى بن عبد الملك**»: «**إذا أهمله علماء**

الرجال فهذا لا يعني قدحه أو ذمه» وبعد أن طمأن نفسه عن الرجل بتلك العبارة نقل عن الشيخ الصدوق احتماله أن يكون موسى بن عبد الملك هو موسى بن عبد الله النخعي ذاته وأنه لم يشرب النبيذ في حياته إلا عندما أحضره الخليفة المتوكل العباسي مع إبراهيم لمجلس القمار فشرب معه الشراب! وليس لدينا في كتب رجال الحديث إلا نخعيٌّ واحدٌ قال عنه الرضا عليه السلام: «**اخرج عني لعنك الله ولعن من حدّثك!**».

إن راوي الزيارة الجامعة المتصل بالإمام طبقاً لسند رواية الزيارة التي أوردها الصدوق في كتابه «**عيون أخبار الرضا**» هو «**موسى بن عمران النخعي**»، ورغم أن هذا الراوي ذُكر في كتاب «**من لا يحضره الفقيه**» للصدوق، وفي كتاب «**تهذيب الأحكام**» للشيخ الطوسي الذي نقل الرواية في الواقع عن «**من لا يحضره الفقيه**» باسم: «**موسى بن عبد الله النخعي**» إلا أن الظاهر أنهما (أي موسى بن عمران وموسى بن عبد الله) شخص واحد وقد نشأ الاشتباه في كتابة اسمهما لكون لفظي عبد الله وعمران في رسم الخط الكوفي متطابقان.

هذا رغم أن كلاً من «موسى بن عمران النخعي» و«موسى بن عبد الله النخعي» مجهول في كتب الرجال ولكن هناك قرائن تدل أن الراوي هو في الواقع «موسى بن عمران النخعي» الذي قالت عنه كتب الرجال ما يلي:

أ) موسى بن عمران النخعي بن أخ الحسين بن يزيد الذي وصفته كتب الرجال بأنه من الغلاة وموسى بن عمران يسند رواياته إلى ابن يزيد، ولما كانت الزيارة الجامعة الكبيرة مملوءةً غلواً فنسبتها لموسى بن عمران صحيحةٌ.

ب) الحسين بن يزيد عُدَّ من أصحاب الرضا عليه السلام في حين كان ابن أخيه: موسى بن عمران معاصراً لحضرة الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

ج) إن لموسى بن عمران عديدٌ من مثل تلك الأحاديث نجد نماذج عنها في كتاب «كمال الدين وتمام النعمة» للشيخ الصدوق.

وعلى كل حال فمما لا ريب فيه أن تلك الزيارة من اختلاق ووضع الغلاة والمشركين كما تدل

على ذلك عباراتها وتثبته بأفضل برهان.

ولا شك أن «موسى بن عمران النخعي» راوي هذه الزيارة الجامعة الكبيرة من الغلاة فرائحة الغلو تُشْتَمُّ بشدة من معظم رواياته التي جاءت في كتب الأخبار مثل الرواية التالية التي رواها ذلك الشخص عن عمه الحسين بن يزيد، وأخرجها الصدوق في كتابه «**التوحيد**» (ص١٥٤، طبع بومبي): «حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال حدثنا محمد بن جعفر الكوفي قال حدثنا موسى بن عمران النخعي الكوفي عن عمه الحسين بن يزيد عن علي بن الحسين عمن حدثه عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي ولسان الله الناطق وعين الله وجنب الله وأنا يد الله!**».

وإننا على يقين لا يخالطه ذرة شك أنه لا يمكن لأمير المؤمنين ومولى الموحدين أن يجري مثل تلك الألفاظ المغالية على لسانه!.

وفي الكتاب ذاته (ص٢٩١) حديث آخر عن نفس ذلك الراوي، تصديقه بمثابة تكذيب نبوة رسول الله لأنه ينسب إلى رسول الله كلاماً عن طلوع الشمس وغروبها يضحك منه كل تلميذ مدرسةٍ في المرحلة الابتدائية!!

إن قراءة مثل هذه الترهات تبين بوضوح أن الغلاة كانوا إما حمقى أو من أسوأ أعداء الإسلام!.

والخلاصة، إن رواة تلك الزيارة إما ضعفاء أو مجهولون أو غير موجودين!! فسندها - خلافاً لدعوى من يصححه - ليس صحيحاً أبداً، وأما قولهم إنها من أصح الزيارات فينطبق عليه مَثَلُ «الأعور بين عميان»!!.

أما من ناحية المعنى فربما تكون هذه الزيارة من وجهة نظر الغلاة قمة في البلاغة، لأن بعض فقراتها تُشتم منه رائحة الشرك والغلو بله الشرك الصريح، ولا يمكن لإمام ولا حتى لفرد عاديٍّ مؤمن بالله واليوم الآخر وشريعة الإسلام الحقّة أن يجري على لسانه مثل تلك الجمل معتقداً بمضمونها. فالله تعالى هو القائل: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (الرعد/ ٤٠) والقائل:

﴿ ..مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ... ﴾ (الأنعام/ ٥٢)، والقائل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ (الغاشية/ ٢٥ - ٢٦)، ولكن تلك الزيارة تقول: «**إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**»!!

والله تعالى يقول: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (الزمر/ ٦٩) ولكن تلك الزيارة تقول: «**أشرقت الأرض بنوركم**»!

فكأن تلك الفقرات من الزيارة تجعل أئمة الهدى عليهم السلام آلهة العالم وأرباب العالمين فهل هناك شركٌ أوضح من ذلك؟!

وقد استشهد آية الله العظمى (!) أبو الفضل النبوي برواية في أصول الكافي/ كتاب التوحيد، باب النوادر، نَقَلَتْ عن حضرة الصادق عليه السلام قوله:

«**إنَّ اللهَ خَلَقَنَا وصَوَّرَنا، وجَعَلَنا عَيْنَهُ في عِبَادِهِ وَلِسَانَهُ الناطِقَ في خَلْقِهِ، ويَدَهُ البَاسِطَةَ عَلَى عِبَادِهِ..!**»

وهذه العبارات تكفي وحدها دليلاً على بطلان هذه الرواية حتى لو فرضنا أن سندها صحيح، لأن هذا المتن مخالفٌ للقرآن والإيمان ومجافٍ للعقل والوجدان، فكيف إذا كان سندها أيضاً ضعيفاً متهافتاً، ومن المعلوم أن مجرّد وجود حديث في كتاب «**الكافي**» لا يدل بالضرورة على صحته، فكما قلنا سابقاً إنه من أصل ١٦ ألف حديثٍ ذكرها الكافي، أقلّ من عُشْرِهَا سَنَدُهُ صحيح.

فلننظر الآن في سند الرواية الأخيرة:

الراوي الأول «**محمد بن إسماعيل**»: أورده المامقاني في تنقيح المقال (ج٢/ ص٨٢) في القسم الثاني واعتبره من المجهولين. وهذا قد روى حديثه عن «**الحسين بن الحسن**» وهو أيضاً طبقاً لما ذكره المامقاني قي تنقيح المقال (ج١/ ص٤٠) **مجهول ومهمل**. ثم هذا الأخير روى حديثه عن «**بكر بن صالح**» الذي قال عنه ابن الغضائري: «**ضعيف جداً كثير التفرد بالغرائب**»!! وقال عنه النجاشي (رجال النجاشي، ص٨٤): «**بكر بن صالح الرازي مولى بني ضُبّة ضعيف**». وقال عنه

العلامة الحلي في الخلاصة(ص٢٠٨): «**ضعيفٌ جداً كثير التفرد بالغرائب**». وأورده ابن داوود في القسم الثاني من رجاله المخصص لطبقة الضعفاء وضعّفه (رجال ابن داوود/ ص٤٣٢). واعتبره في «الوجيزة» ضعيفاً أو مشتركاً بين الضعيف والمجهول، وأما المامقاني فقال عنه في تنقيح المقال: «**يسقط كل رواية لبكر بن صالح**».

والأخير روى الحديث عن «**هيثم بن عبد الله**» وهو مجهول الحال في كتب الرجال، وهو عن «**مروان بن صباح**» الذي لا ذكر له ولا أثر في كتب الرجال، وهو الذي وضع تلك الرواية ولفقها على لسان حضرة الصادق عليه السلام أو أن الرواة الذين قبله هم الذين اختلقوا هذا الراوي من أساسه واختلقوا الرواية التي رووها عنه!!

فهذه الرواية ساقطة من الاعتبار ومفضوحة الكذب إلى درجة أن العلامة المجلسي حكم بضعفها في كتابه «**مرآة العقول**» (ج١/ ص٩٦). ورغم كل ذلك استند إليها آية الله النبوي ليثبت عقيدة باطلة بالاستناد إلى رواية باطلة مكذوبة مُخْتَلَقة بزعم أن عقيدته التي يبشر بها مستندة إلى الحديث الصحيح! والله يقول: ((**وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**)) (الإسراء/ ٨١).

ثم أراد حضرة آية الله (!) أبو الفضل النبوي أن يدعم أقاويله برواية أخرى فتحذلق ونقل حديثاً من كتاب «**الخرائج والجرائح**» **للراوندي** (ج٢/ ص٦٢٢) - وهو كتاب مشحون بأمثال تلك المطالب الباطلة - جاء فيها:

«**ومنها أن داود الرقي قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: ما لي أرى لونك متغيراً؟ قلت: غيّره دَيْنٌ فادحٌ عظيمٌ وقد هممت بركوب البحر إلى السند لإتيان أخي فلان! قال: إذا شئت فافعل. قلت: تروعني عنه أهوال البحر وزلازله. فقال: يا داود! إن الذي يحفظك في البر هو حافظك في البحر، يا داود! لولا اسمي وروحي لما اطردت الأنهار ولا أينعت الثمار ولا اخضرَّت الأشجار!.**».

هذا مع أن «**داود بن كثير الرقي**» هذا قال عنه **المامقاني** في كتابه «**تنقيح المقال**» - الذي يبدو

وكأنه ما أُلف إلا ليكون غُسْل تعميدٍ لتطهير كل الرجال سيئي السمعة! - ومع ذلك قال عنه: «**قال بن الغضائري: داوود بن كثير الرقي مولى بني أسد يروي عن أبي عبد الله عليه السلام، إنه كان فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يُلتفت إليه**».

وقد أيَّد المرحوم النجاشي مقولة المرحوم الغضائري ونقل عن أحمد بن عبد الواحد قوله: «**داوود بن كثير الرقي يُكَنَّى أبا خالد وهو يُكَنَّى أبا سليمان، ضعيف جداً والغلاة يروون عنه**» قلت: ويبدو أن آية الله صاحبنا واحدٌ منهم!

وقال أحمد بن عبد الواحد: «**قَلَّ ما رأيت منه حديثاً سديداً**» (رجال النجاشي/ ص١١٩).

وقال أبو عمرو الكشي: «**ويذكر الغلاة إنه كان من أركانهم، ويُروى عنه المناكير من الغلو وتُنسب إليه أقوالهم**».

وأورده ابن داوود في **رجاله** في القسم الثاني الخاصّ بطبقة الضعفاء والمجهولين (ص٤٥٢) واعتبره فاسد المذهب، وكذلك اعتبره مير مصطفى في «**نقد الرجال**» «**ضعيفاً جداً وأن الغلاة يروون عنه**» و...و...الخ

أجل مثل هؤلاء الغلاة الفاسدين هم مستند غلاة زماننا الذين يستخرجون من جُمَلِهِم المكذوبة المنكرة المغالية مئة شرك صريح ويدعون الناس إليه!.

لنأتِ الآن إلى سائر جمل الزيارة الجامعة التي استند إليها آية الله النبوي في كتابه ليثبت ضلالاته:

أحد فقرات الزيارات التي احتج بها آية الله العظمى (!) هذا هي العبارة التي نقلناها مراراً خطاباً لأمير المؤمنين عليه السلام: «**السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة**»، وهذه الجملة ذكرها العلامة المجلسي في موضعين من «**بحار الأنوار**» في زيارة أمير المؤمنين: الموضع الأول في الزيارة التي نقلها العلامة المجلسي عن المرحوم الشيخ المفيد وتابعه في لفظها قائلاً: «**إنه أسبق وأوثق!**»، فأوردها بدون سند عن الإمام الصادق عليه السلام كما يلي، قال:

«أقول أورد الشيخ المفيد رحمه الله هذه الزيارة بأدنى تغيير مع زيادات فنتبع لفظه لأنه أسبق

وأوثق قال رحمه الله تتمة في ذكر زيارة مولانا أبي الحسن أمير المؤمنين وأبي عبد الله الحسين صلوات الله عليهما جميعاً وهي مروية عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا أردت ذلك فقف متوجهاً إلى قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقل:... السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صاحب السوابق والمناقب والنجدة...

(إلى قوله): السلام عليك يا أمير المؤمنين ويعسوب الدين وقائد الغر المحجلين السلام عليك يا باب الله السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة وأذنه الواعية وحكمته البالغة ونعمته السابغة السلام على قسيم الجنة والنار السلام على نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار... ثم انكبْ على القبر فقبِّلْهُ وقُلْ: سلام الله وسلام ملائكته المقربين والمسلمين لك بقلوبهم يا أمير المؤمنين.... إلى آخر الحديث بطوله..»[1].

والموضع الآخر في الزيارة الخاصة بيوم ١٧ ربيع الأول أي يوم ولادة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والتي نقلها أيضاً عن الشيخ المفيد وآخرين بلا سندٍ أيضاً عن حضرة الصادق عليه السلام كما يلي، قال:

«ومنها زيارة يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول وهو يوم مولد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ).. قال الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاوس في كتاب الإقبال رضي الله عنهم أجمعين رُوِيَ أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام زار أمير المؤمنين صلوات الله عليه في هذا اليوم بهذه الزيارة وعلَّمها لمحمد بن مسلم الثقفي فقال:

إذا أتيتَ مشهدَ أمير المؤمنين صلوات الله عليه فاغتسل للزيارة والبس أنظف ثيابك وشم شيئا من الطيب وعليك السكينة والوقار فإذا وصلت إلى باب السلام فاستقبل القبلة وكبر الله ثلاثين تكبيرة وقل السلام على رسول الله السلام على خيرة الله السلام على البشير النذير السراج المنير ورحمة الله وبركاته السلام على الطهر الطاهر السلام على العلم الزاهر السلام على المنصور المؤيد السلام على أبي القاسم محمد ورحمة الله وبركاته السلام على أنبياء الله المرسلين وعباد الله

(١) انظر الرواية بطولها في «بحار الأنوار» للمجلسي: ج٩٧/ ص٣٠٥ - ٣٠٨، من الطبعة الجديدة.

الصالحين السلام على ملائكة الله الحافين بهذا الحرم وبهذا الضريح اللائذين به.

ثم ادن من القبر وقل: السلام عليك يا وصي الأوصياء السلام عليك يا عماد الأتقياء السلام عليك يا ولي الأولياء... السلام عليك يا صاحب الحوض وحامل اللواء السلام عليك يا قسيم الجنة.....

(حتى يصل بعد زيارة طويلة من عدة صفحات إلى أن يقول):

ثم انكبّ عَلى القَبْر فَقَبِّلْهُ وقُلْ أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي... [إلى آخر الزيارة..].»[(١)]

وهذه الفقرة الأخيرة بالذات من الفقرات التي أكثر آية الله النبوي الاستناد إليها والاستشهاد بها، خاصَّةً أنه قد جاء في بعض النسخ بعد جملة «ثم انكَبْ على القبر فَقَبِّلْهُ» كلمة: «**وَقَالَ**» بدلاً من كلمة «**وَقُلْ**» أي بصيغة فعل الماضي بدلا من فعل الأمر، مما يجعل العبارة السابقة كلها تُقْرَأُ على أنها من فعل الإمام الصادق عليه السلام نفسه أي «**ثم اِنْكَبَّ على القبرِ فَقَبَّلَهُ وقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي!**».

وسواءً كان الإمام الصادق هو الذي أدى الزيارة بالصورة المذكورة أو أنه علّمها لمحمد بن مسلم أو غيره وأمره بأدائها بتلك الصورة، فلا ريب أنها رواية موضوعة افتراها الغلاة الدجّالون ونسبوها إلى حضرة الصادق عليه السلام، هذا رغم أن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وأمثالهما رووها، والدليل على ما نقول ما يلي:

أولاً: كما لاحظنا لا يوجد لتلك الروايات سند إلى الإمام الصادق عليه السلام أصلاً بل نُسِبَتْ إليه بدون سند بعباره (وَرُوِيَ)، فإذا كانت الزيارات التي لها سند ساقطة لأن في معظم أسانيدها ضعفاء وغلاة فما بالك بتلك التي ليس لها سندٌ أصلاً؟

ثانياً: إن قصة مجيء الإمام الصادق عليه السلام لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام ليست مُسَلَّمة تاريخياً كما سيأتي بيانه قريباً.

---

(١) انظر الزيارة بطولها في «بحار الأنوار» للمجلسي: ج٩٧/ ص٣٧٣ - ٣٧٥، من الطبعة الجديدة.

ثالثاً: إن هناك اختلافات كثيرة في قصة مجيء حضرة الصادق عليه السلام إلى الكوفة في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور الدوانيقي لزيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فمرةً تنسب القصة إلى «**صفوان الجمّال**» وأخرى إلى «**يونس بن ظبيان**» وأحياناً تنسب إلى «**المعلّى بن خنيس**» الذي قتل على يد داوود بن علي عام ١٣٢ هـ ق أي قبل أن يصل أبو جعفر المنصور إلى مسند الخلافة**!**.

وبعض هؤلاء الرواة مثل «**يونس بن ظبيان**» و«**المعلّى بن خنيس**» حالهم وخيم إلى درجة أنهم لو شهدوا على أمر واضح وضوح النهار لما أمكن الثقة بشهادتهم، وقد سبق وبينا حال الأول منهما وسيأتي بيان حال الثاني أي «**المعلّى بن خنيس**»[١] إن شاء الله.

رابعاً: إن قصة زيارة الصادق عليه السلام لقبر أمير المؤمنين عليه السلام لا ذكر لها في الكتب الموثوقة والمشهورة، لذا نجد المرحوم المجلسي يرويها في المجلد ٢٢ من بحار الأنوار بالصورة التالية: «[فَرْحَةُ الغَرِيّ[٢]] ذكر الفقيه صفي الدين ابن معدان في مزار فقيهنا محمد بن علي بن الفضل وكان ثقةً عيناً صحيح الاعتقاد قال: أخذتُ هذه الزيارة من كتب عمومتي**!** وكانت بخط عمي الحسين بن الفضل، قال: حدثني الحسين بن محمد بن مصعب وأخبرني زيد بن علي بن محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد بن مصعب عن ابن أبي الخطاب عن صفوان بن يحيى **عن صفوان الجمال أنه قال: خرجت مع الصادق عليه السلام من المدينة أريد الكوفة فلما جزنا بالحيرة قال: يا**

---

(١) لقد نسي المرحوم قلمداران وسقط من قلمه بيان حال «المعلى بن خنيس» هذا لذا نبينه فيما يلي:

قال النجاشي عنه أنه ضعيف لا ثقة فيه وقال الغضائري عنه بعد أن بين أنه كان مدةً من أتباع شخص منحرف كذاب هو «المغيرة بن سعيد»: يروي عنه الغلاة ولا أثق في حديثه.

وجاء في رجال الكشي صفحة ٢١٣ أن «المعلّى» كان يَعتَبِرُ الأوصياء كالأنبياء وأن الإمام الصادق أظهر براءته من أمثال أصحاب هذه الدعاوي. كما ضعّفه العلامة الحليّ.

نعم هناك أفراد غلاة وضعفاء مثل «عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمعي» نقلوا لنا روايات في مدحه والثناء عليه ولكنها لا يُوثق بها خاصة أن جمهور علماء الرجال اتفقوا على أن الجرح مقدّم على التعديل. (البرقعي)

(٢) الغَرِيُّ على وزن الغَنِيّ، اسم موضع في النجف، يُعْتَقَدُ أن قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام يقع فيه، وهو الذي قام عليه الضريح الموجود اليوم. (المترجم)

صفوان! قلت: لبيك يا ابن رسول الله! قال: تخرج المطايا إلى القائم وحد الطريق إلى الغري. قال صفوان: فلما صرنا إلى قائم الغري أخرج رشاء معه دقيقاً قد عمل من الكنبار ثم أبعد من القائم مغرباً خطى كثيرة ثم مد ذلك الرشاء حتى إذا انتهى إلى آخره وقف ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخرج منها كفاً من تراب فشمه ملياً، ثم أقبل يمشي حتى وقف على موضع القبر الآن، ثم ضرب بيده المباركة إلى التربة فقبض منها قبضة ثم شمَّها ثم شهق شهقة حتى ظننت أنه فارق الدنيا، فلما أفاق قال: هاهنا والله مشهد أمير المؤمنين عليه السلام»(١).

فمثل هذه الرواية المنقولة عن كتابٍ مجهول لا يمكن أن تكون موثوقةً معتمدةً لدى العام والخاص!.

وكذلك نجد في كتاب «**كامل الزيارات**» (ص ٣٧) الرواية التالية: «**وعنه عن محمد بن الحسين عن الحجال عن صفوان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: فوصف لي موضعه حيث دكادك الميل، قال: فأتيته فصليت عنده، ثم عدت إلى أبي عبد الله عليه السلام من قابل، فأخبرته بذهابي وصلاتي عنده، فقال: أصبتَ. فَمَكَثْتُ عشرين سنةً أصلِّي عنده!**»

فإذا كان صفوان قد ذهب مع الإمام الصادق إلى النجف ورأى القبر - كما في الرواية قبل الأخيرة - لم يكن هناك داعٍ أن يكتفي مدة عشرين عاماً بتلك العلامة التي أعطاها إياه حضرة الإمام ويعتبرها دليلاً على صحة اكتشافه؟

ولما كان الإمام الصادق عليه السلام - كما هو معروف بالتاريخ - لم يأت إلى بغداد إلا في عهد خلافة أبي جعفر المنصور الذي وَلِيَ الخلافة عام ١٣٦ هـ ق، فإذا فرضنا أن الخليفة أحضر إليه حضرة الصادق في أول سنة من خلافته (مع أن الأمر ليس كذلك، بل الصادق جاء إلى بغداد بعد

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٩٧/ ص٢٣٥ - ٢٣٦. (من الطبعة الجديدة). والرواية موجودة في كتاب «فَرْحَةُ الغَرِيِّ في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ» تأليف السيد عبد الكريم بن طاووس الحسني (ت ٦٩٣ هـ ق)

فترة من خلافة المنصور) ونظراً إلى أن وفاة الإمام كانت عام ١٤٨هـ ق ففي هذه الحال الفاصل الزمني بين قدوم الإمام إلى الكوفة ووفاته أكثر أيضاً من ١٢ سنة، مع أن صفوان كان يزور تلك البقعة التي بينها له الإمام عشرين عاماً أي ثمان سنوات إضافية أيضاً بعد زيارة صفوان لها مع الإمام، فإذن قصة مجيء الإمام الصادق مع صفوان كذبٌ من أساسها.

خامساً: لقد كان موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام حتى زمان الإمام الصادق أمراً مختَلَفاً فيه بين الشيعة، فبعضهم كان يعتقد أن علياً دُفن في مسجد الكوفة، وآخرون أنه دفن في قصر الإمارة، في حين كان فريق ثالثٌ يرى أنه دُفن في بيته، وكان فريقٌ رابعٌ يرى ما تقول به رواية صفوان. وهناك روايات عديدة تبين وجود هذا الاختلاف في موضع قبره عليه السلام بين الشيعة، منها مثلاً الرواية التالية التي رواها «**عبد الله بن جعفر الحِمْيَرِيّ**»[1] في كتابه «**قرب الإسناد**»:

«**عن ابن عيسى عن البزنطي قال سألت الرضا عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين؟ فقال: ما سمعت من أشياخك؟ فقلت له: حدثنا صفوان بن مهران عن جدك أنه دفن بنجف الكوفة، ورواه بعض أصحابنا عن يونس بن ظبيان بمثل هذا. فقال (الإمام الرضا عليه السلام): سمعتُ منه يذكر أنه دفن في مسجدكم بالكوفة. فقلت له: جعلت فداك! أيش لمن صلى فيه من الفضل؟ فقال: كان جعفر**

(١) هو أبو العباس عبد الله بن جعفر بن الحسين الحميري القمي، من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومن الفقهاء ورواة الحديث الكبار عند الشيعة الإمامية في القرن الثالث الهجري، كانت له مكاتبات مع الإمامين الهادي والعسكري، ويتمتع بشخصية رفيعة بين علماء الشيعة وفقهائهم الكبار، فلقد أطراه الشيخ الصدوق في مشيخة «من لا يحضره الفقيه» والنجاشي في «الرجال» فوصفاه بالفقاهة والوثاقة بين الرواة في مدينة قم، ويُعَدُّ من أساتذة الكليني البارزين وقد اعتمد عليه كثيراً في كتابه «الكافي»، كما اعتمد سائر علماء الشيعة الكبار في موسوعاتهم الروائية على مرويَّاته كالصدوق في «الفقيه» و«الخصال» والطوسي في «التهذيب» والطبرسي في «مكارم الأخلاق» والمجلسي في «البحار» والحر العاملي في «وسائل الشيعة»، ولم يُعرف تاريخ ولادته ووفاته والمعروف أنه دخل الكوفة وحدث علماءها حوالي ٢٧٠هـ. (المترجم).

(الصادق) عليه السلام يقول: له من الفضل ثلاث مرار هكذا وهكذا... الحديث»[١].

قلتُ: من هو المراد بالضمير في قول الإمام الرضا «سمعت منه»؟ يرى بعضهم أن الضمير يرجع إلى جدِّه الإمام الصادق، لكن هذا بعيدٌ جداً لأن الإمام الرضا ولد عام ١٤٨ هـ ق أي في السنة التي تُوفي فيها الإمام الصادق عليه السلام أو قبلها بعام، فكيف تسنى له أن يسمع ذلك منه؟!. لذا الاحتمال الأغلب هو عودة الضمير إلى «يونس بن ظبيان» المذكور قبل ذلك.

وإليكم روايةً ثانيةً في هذا الصدد وردت في «**كامل الزيارات**» تقول:

«محمد بن أحمد بن علي بن يعقوب عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن الحسن بن الجهم قال: **ذكرت لأبي الحسن** (أي الإمام الرضا) عليه السلام **يحيى بنَ موسى وتعرُّضه لمن يأتي قبر أمير المؤمنين** عليه السلام **وأنه كان ينزل موضعاً كان يقال له الثوية يتنزه إليه ألا وقبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه فوق ذلك قليلاً وهو الموضع الذي روى صفوان الجمال أن أبا عبد الله** عليه السلام **وصفه له، قال له فيما ذُكِرَ: إذا انتهيت إلى الغري ظهر الكوفة فاجعله خلف ظهرك وتوجه على نحو النجف وتيامن قليلاً فإذا انتهيت إلى الذكوات البيض والثنية أمامه فذلك قبر أمير المؤمنين** عليه السلام**، وأنا آتيه كثيراً. ومن أصحابنا من لا يرى ذلك ويقول هو في المسجد وبعضهم يقول هو في القصر، فأَرُدُّ عليهم بأن الله لم يكن ليجعل قبر أمير المؤمنين** عليه السلام **في القصر في منازل الظالمين ولم يكن يدفن في المسجد وهم يريدون ستره فأينا أَصْوَبُ؟؟ قال: أَنْتَ أَصْوَبُ مِنْهُ أَخَذْتَ بقول جعفر بن محمد (الصادق)** عليه السلام**، قال ثم قال لي: يا أبا محمد! ما أرى أحداً من أصحابنا يقول بقولك ولا يذهب مذهبك! فقلت: له جُعِلْتُ فداك! أما ذلك شيء من الله؟ قال: أجل إن الله يوفق من يشاء ويؤمِّن عليه فقل ذلك بتوفيق الله واحمده عليه.**».

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٧/ ص٢٣٨. وروي مثل هذه الرواية في «كامل الزيارات» ولفظها: «أبي عن سعد عن ابن عيسى عن البزنطي قال سألت الرضا عليه السلام فقلت أين موضع قبر أمير المؤمنين؟ فقال: الغري. فقلت له: **جعلت فداك، إن بعض الناس يقول دفن في الرحبة قال لا ولكن بعض الناس يقول دفن في المسجد**» انظر بحار الأنوار، ج ٩٧/ ص٢٤٥.

وعلى أي حال فمن المسلّم تاريخياً أن قبر أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لم يكن معروفاً على وجه الدقة في زمن الإمام الرضا عليه السلام وبناءً عليه فتحديد موضع القبر في زمن الإمام الصادق عليه السلام لا يمكن أن يكون صحيحاً.

سادساً: تدل كتب التاريخ الموثوقة والمعتبرة على أن أول من اكتشف قبر أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي كان في رحلة صيد فرأى ذلك المحل فسأل الفلاحين وأهل بادية النجف عنه فقالوا لقد سمعنا من أبائنا أن قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام هو في موضع ما من هذه البقعة فأمر هارون عندئذٍ أن يحفروا في ذلك الموضع فاكتشفوا مكان القبر وبنوا عليه ومن الجدير بالذكر أن هارون وَلِيَ الخلافة عام ١٧٠ هـ ق أي بعد حوالي عشرين عاماً من رحلة الإمام الصادق التي كانت عام ١٤٨ هـ ق إضافةً إلى أننا لا نعلم في أي سنة من خلافته اكتشف هارون قبر أمير المؤمنين؟

وأياً كانت الإجابة فالمسلّم أنه في زمن حضرة الصادق لم يكن هناك قبر معروف لعليٍّ عليه السلام فلا مجال لأن يأمر الصادق عليه السلام «محمد بن مسلم الثقفي» بالذهاب إلى زيارة قبره وأن يعلّمه آداب الدخول إلى حرمه من باب السلام، هذا مع أن قصة الزيارة التي رواها المرحوم الشيخ المفيد والآخرون تدل على أن القبر كان له في ذلك الحين عدة أبواب وأروقة، كما أنه جاء في تلك الروايات أنه أمر مرافقه بالانحناء لتقبيل القبر أو أنه هو نفسه انحنى وقبله هذا في حين أنه في زمن حضرة الصادق لم يكن هناك قبر أصلاً ولا دربٌ!! ولأن حبل الكذب قصير فإن رواة قصة تلك الزيارة المزعومة غاب عن ذهنهم أنه في زمن حضرة الصادق لم يكن هناك لقبر عليٍّ أبوابٌ وفناءٌ وضريحٌ لكي يفعلوا فيه كذا وكذا!!

والخلاصة، إن هناك اختلافاً كبيراً في كتب التاريخ حول محل قبر عليٍّ عليه السلام وكيفية دفنه إلى درجة لا يمكن لأحدٍ أن يجزم على وجه اليقين بأن المرقد الكائن حالياً في النجف هو قبره حقيقةً.

يقول الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير في تاريخه «**البداية والنهاية**» (ج٧/ ص٣٣٠): «**وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له،**

ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي، عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، عن مطر أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثاً وستين سنة.

قلت: أين دفن؟ قال: دفن بالكوفة ليلا وقد غبي عن دفنه، وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمان وخمسين سنة، وقد قيل إن علياً دُفِنَ قبلي المسجد الجامع من الكوفة. قاله الواقدي، والمشهور بدار الإمارة.

وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين، أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر فاطمة، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طَيْء يظنُّونه مالاً فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميتٌ ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحدٌ أين قبره، حكاه الخطيب أيضاً.

وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال: دفنت علياً في حُجْرَةٍ من دور آل جعدة.

وعن عبد الملك بن عمير قال: لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس، فَهَمَّ بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك، فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه.

قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه.

وعن جعفر بن محمد الصادق: قال: صُلِّيَ على عليٍّ ليلاً ودُفِنَ بالكوفة وعُمِّيَ موضع قبره ولكنه عند قصر الإمارة.» اهـ.

وجاء في تاريخ «مروج الذهب» للمسعودي (الشيعي) (ج٢/ ص٢): «وقد تنوزع في موضع قبره؛فمنهم من قال: إنه دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال: به حمل إلى المدينة فدفن عند قبر

فاطمة، ومنهم من قال: إنه حمل في تابوت على جَمَلٍ، وإن الجملَ تاه ووقع إلى وادي بطيء، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا..».

وفي «**تاريخ بغداد**» للخطيب البغدادي (ج١/ ص ١٣٤ - ١٣٥):

«**عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال سألتُ أبا جعفر محمد بن علي (الباقر): كم كان سِنُّ عليٍّ يوم قُتِلَ؟ قال: ثلاثاً وستين سنة. قلت: ما كانت صفته؟ قال: رجلٌ آدمُ شديدُ الأدمةِ، ثقيل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، هو إلى القصر أقرب. قلتُ: أين دفن؟؟ فقال: بالكوفة ليلاً، وَقَدْ عُمِّيَ عَنِّي دَفْنُهُ.**»[١].

ثم في (ج١/ ص١٣٦) من «**تاريخ بغداد**»: بسنده عن أحمد بن عيسى العلوي قال حدثني أبي عن أبيه عن جده «**عن الحسن بن علي قال: دفنتُ أبي عليَّ بن أبي طالب في حجلة أو قال في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة**».

ثم في (ج١/ ص١٣٧) منه أيضاً: «**...عن أبي قلابة الرقاشي قال نبأنا الحسن بن محمد النخعي قال جاء رجل إلى شريك فقال: أين قبر علي بن أبي طالب؟؟ فأعرض عنه حتى سأله ثلاث مرات! فقال له في الرابعة: نقله والله الحسن بن علي إلى المدينة!. هذا لفظ حديث البغوي قال وقال عبد الملك: وكنت عند أبي نعيم فمرَّ قوم على حمير، قلت: أين يذهب هؤلاء؟ قال: يأتون إلى قبر علي بن أبي طالب، فالتفت إليَّ أبو نعيم فقال: كذبوا! نَقَلَهُ الحسنُ ابنُهُ إلى المدينة!**».

وقال الخطيب البغدادي بعد ذلك أيضاً (في الصفحة ١٣٨): «**حكى لنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر الطلحي يذكر أن أبا جعفر الحضرمي مطينا كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة عبر علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يقول: لو عَلِمَتِ الرافضةُ قبرَ مَنْ هذا لَرَجَمَتْهُ بالحِجَارَةِ، هذا قَبْرُ المغيرةِ بن شُعْبَةَ!**».

وفي طبقات ابن سعد (ج٣/ ٣٨): «**دُفن عليٌّ بالكوفة عند مسجد الجماعة**».

ليس قصدنا هنا أن نؤيد هذه الرواية أو تلك أو ندحض هذا الخبر أو ذاك، وإنما عرضنا ذلك

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١/ ص ١٣٤ - ١٣٥.

لبيان بطلان بعض عبارات وفقرات «**الزيارة الجامعة الكبيرة**»، ففي الوقت الذي لم يكن فيه قبر أمير المؤمنين عليه السلام معلوماً على وجه التحديد بل كان موضع اختلاف شديد، كيف جاءت تلك الفقرات على لسان الإمام؟ ومن الطريف أنه في كتاب «**فَرْحَةُ الغَرِيّ**» **لابن طاووس**(١) خلاف ذلك عن محمد بن مسلم الثقفي حيث جاء أنه دخل على الصادق عليه السلام هو وسليمان بن خالد وسألاه عن قبر أمير المؤمنين فأعطاهما الإمام علاماتٍ فذهبا وتوصَّلا إلى الأثر بواسطة تلك العلامات!.

إذن كل تلك الفقرات الواردة في الزيارات موضوعة ولا يمكن لإمامٍ أن يخاطب علياً فيقول له (يا عين الله النظرة) لكي يقدم مستمسكاً للغلاة وعقائدهم.

يُضَاف إلى ما ذكر أن في تلك الزيارات، خاصَّةً «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» فقراتٌ يشهد العقل والوجدان ببطلانها وتدل السيرة والتاريخ على كذبها مثل: «**السلام عليك يا من خاطب الثعبان وذئب الفلاة**» أو جملة «**السلام عليك يا من رُدت له الشمس حامي شمعون الصفا**».

قلت: لعلّ الجملة الأولى إشارة إلى قصة وردت في كتاب «**مدينة المعاجز**» للسيد هاشم البحراني (توفي ١١٠٧ هـ ق) - وهو من الكتب المحشوة بالخرافات - تفيد أن ثعباناً عظيماً مخيفاً دخل الكوفة زمن خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام وكلم أمير المؤمنين وتكرر هذا الدخول والخروج والكلام أمام الناس خمس مرات... الخ.

وأقول فيها الصدد: أليس من الغريب أن ثعبانَ موسى الذي لم يظهر إلا ثلاث مرات كما يَنُصُّ عليه صريح القرآن (حيث ظهر أول مرة لسيدنا موسى عليه السلام وحده في الطور، ثم ظهر

---

(١) هو السيد عبد الكريم ابن السيد أحمد بن طاوس وهو ابن أخ السيد علي بن طاوس صاحب كتاب «إقبال الأعمال»، كان شاعراً ونسابةً وأديباً علاوة على كونه فقيهاً، تتلمذ على أساتذة كبار في عصره منهم عمه الكبير علي بن موسى بن طاوس ومنهم المحقق الحلي والخواجة نصير الدين الطوسي وغيرهم، توفي السيد عبد الكريم سنة ٦٩٣ هـ ق، ولم يبق من تأليفاته إلا كتابان هما: «فرحة الغري بصرحة القرى» و«الشمل المنظوم في مصنفي العلوم». (المترجم)

أخرى أمام فرعون وملئه لإثبات نبوة موسى عليه السلام، وأخيراً ظهر أمام فرعون والسحرة والناس) ومع ذلك أحدث كل تلك الضجة في الدنيا وأقام عرش فرعون وأقعده، حتى آل ذلك في النهاية إلى غرق فرعون وزوال ملكه، ولكن ثعبان الكوفة الذي تكلم كل ذلك الكلام بالإضافة إلى ظهوره خمس مرات أمام الناس، لم يخبر بقصته أحد سوى فردٍ واحد من الغلاة الوضَّاعين للحديث، حقاً إنها لمعجزة طريفة!!.

ومن فقرات تلك الزيارة: «**السلام عليك يا من رُدَّت له الشمس!!**»

وفيها إشارة إلى قصة استدلَّ بها الغلاة على تصرف أمير المؤمنين عليه السلام في الكون والمكان وأطنبوا في نقلها ودندنوا فيها في مجالسهم ومحافلهم، مع أن العلم والحس والعقل والتاريخ كلها تشهد باستحالتها وكذبها.

إن الإيمان بمثل تلك الأساطير في زماننا يؤدي إلى السخرية من عقول المؤمنين والاستهزاء بالدين المبين، وربما أدى لدى البعض إلى إنكار سائر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقية الواقعية، ورغم تلك المخاطر من النادر أن نجد شاعراً من المداحين الجاهلين - الذين كثيراً ما يختلقون مناقب لحضرة أمير المؤمنين من عند أنفسهم - لا يشير إلى منقبة ردّ الشمس في شعره أو نثره!.

لذا من الجدير أن ننقل تلك القصة من أفضل صحاح الشيعة وأكثرها ثقةً لنمحِّصها ونحقِّقها:

يروي الكليني في الكافي فيقول: «**عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الكافي َعِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ مُوسَى قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وأَبُو عَبْدِ الله عليه السلام مَسْجِدَ الْفَضِيخِ فَقَالَ يَا عَمَّارُ تَرَى هَذِهِ الْوَهْدَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ كَانَتِ امْرَأَةُ جَعْفَرٍ التي خَلَفَ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَاعِدَةً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ومَعَهَا ابْنَاهَا مِنْ جَعْفَرٍ فَبَكَتْ فَقَالَ لَهَا ابْنَاهَا مَا يُبْكِيكِ يَا أُمَّهْ قَالَتْ بَكَيْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَا لَهَا تَبْكِينَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ولَا تَبْكِينَ لِأَبِينَا قَالَتْ لَيْسَ هَذَا هَكَذَا ولَكِنْ ذَكَرْتُ حَدِيثاً حَدَّثَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَأَبْكَانِي قَالَا ومَا هُوَ قَالَتْ كُنْتُ أَنَا وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ لِي: تَرَيْنَ هَذِهِ الْوَهْدَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ**

كُنْتُ أَنَا ورَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ قَاعِدَيْنِ فِيهَا إِذْ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِي ثُمَّ خَفَقَ حَتَّى غَطَّ وحَضَرَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُحَرِّكَ رَأْسَهُ عَنْ فَخِذِي فَأَكُونَ قَدْ آذَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ حَتَّى ذَهَبَ الْوَقْتُ وفَاتَتْ فَانْتَبَهَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ صَلَّيْتَ قُلْتُ: لَا قَالَ؛: ولِمَ ذَلِكَ قُلْتُ: كَرِهْتُ أَنْ أُوذِيَكَ قَالَ: فَقَامَ واسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ومَدَّ يَدَيْهِ كِلْتَيْهِمَا وقَالَ: اللهمَّ رُدَّ الشَّمْسَ إِلَى وَقْتِهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلِيٌّ فَرَجَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ حَتَّى صَلَّيْتُ الْعَصْرَ ثُمَّ انْقَضَّتْ انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ»(١).

فأقول: إن هذه الرواية مخدوشة سنداً لما يلي:

أ) راويها الأول «**سهل بن زياد**» أورده الشيخ الطوسي في كتابه «**الفهرست**» وقال عنه في كتابه «**الاستبصار**»: «**ضعيف جداً عند نقّاد الأخبار**». كما اعتبره النجاشي في رجاله ضعيفاً وغير ثقة، وقال إن محمد بن عيسى عليه الرحمة شهد عليه بالغلو واعتبره كذاباً وأخرجه من قم وأظهر البراءة منه ونهى الناس عن سماع حديثه أو الرواية عنه.

وقال عنه الغضائري: «**سهل بن زياد أبو سعيد الأدمي الرازي كان ضعيفاً جداً فاسد الرواية والدين**»، وقال كذلك: «**يروي المراسيل ويعتمد المجاهيل**».

واعتبره الفضل بن شاذان أحمقاً، وهكذا جرحه كل علماء الرجال.

فإذا عرفنا حال هذا الراوي الأول لهذا الحديث أصبحنا في غنى عن معرفة حال سائر رواة سنده، إلا أن الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ((**وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**)) (البقرة/ ٩٣) ليس من السهل عليهم أن ينفكوا عن الإيمان بخرافة طالما اعتقدوا صحتها، لذا إكمالاً للحجة سنبين

(١) الفروع من الكافي، (ج١/ ص٣١٩)، وحديث ردت الشمس على علي بن أبي طالب رواه بعض أهل السنة أيضاً ولخص العجلوني ما جاء في ذلك في كتابه «كشف الخفاء» فقال: «قال الإمام أحمد لا أصل له وقال ابن الجوزي موضوع، لكن خطؤوه، ومن ثم قال السيوطي: أخرجه ابن مندة وابن شاهين عن أسماء بنت عميس وابن مردويه عن أبى هريرة وإسنادهما حسن، وصححه الطحاوي والقاضي عياض...

وأقول في عمدة القاري للعيني، كفتح الباري للحافظ ابن حجر، أن الطبراني والحاكم والبيهقي في الدلائل أخرجوه عن أسماء بنت عميس» انتهى باختصار من كشف الخفاء. (المترجم)

حال سائر رفاق وأساتيذ ذلك الراوي الأول ليظهر أمامنا جلياً صدق قول الله تعالى: ((**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**)) (الجاثية/ ١٩)، فنقول:

ب) الراوي الذي نقل عنه سهل بن زياد هو **مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ** الذي قال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج٣/ ص٢٥٤): **إنه مجهول وضعيف**.

ج) والراوي الآخر في السند «**عمّار بن موسى الساباطي**» وصفه المامقاني في تنقيح المقال (ج٢/ ص٣١٨) بأنه **فطحيّ المذهب**.

وقال كاشف الرموز: (عمار فطحي لا أعمل على روايته) وقال الشيخ الطوسي بشأنه: «**إن عمار الساباطي ضعيف فاسد المذهب لا يُعمل على ما يُختص بروايته**».

واعتبره صاحب التكملة فطحياً ملعوناً ومن الكلاب الممطورة!.

نعم! هؤلاء هم رواة حديث ردّ الشمس!

فليت شعري أي سياسة اختلقت تلك الفقرات وأدرجتها ضمن زيارةٍ نسبتها إلى حضرة الإمام الصادق عليه السلام ؟ وحثت الناس على قراءتها صباح مساء أمام القبور المطهرة للأئمة سلام الله عليهم؟، الله وحده العالم!

أما ما نعلمه نحن فهو أن نتيجة مثل هذه الأوهام والخرافات والأكاذيب الموضوعة التي شاعت بين الناس هي انصراف الناس عن الخالق إلى الخلق وعن التوحيد إلى الشرك، وإعطاء مبررٍ لأعداء الدين للسخرية منه والاستخفاف بدين الإسلام المبين وأحكامه، وفي النهاية بثّ بذور الشك في أذهان العقلاء الأذكياء تجاه حقائق الدين.

ولا شك أنه إذا لم يكن أعداء الإسلام وراء بثّ مثل تلك الخرافات فإنهم كانوا مسرورين من انتشارها لأن معظم أهدافهم يتحقق بانتشار مثل تلك الأوهام لأنها تشوه صورة الإسلام وتضعفها أمام أنظار العقلاء إضافة إلى زرعها الغرور في نفوس الجاهلين وتجرئتهم على مقررات الشرع والفساد، فيفعلون في الإسلام - دون أن يشعروا - ما يفعله أعداء الدين فيه.

١٠- منشأ تعظيم القبور والغلوّ في الأموات وآثارها السيئة

إن الاعتقاد ببقاء الأموات وحياتهم بعد موتهم، بغض النظر عن أن هذا البقاء هو للروح فقط أم للجسم والروح، اعتقادٌ عريقٌ لدى أغلب - إن لم يكن جميع - الأمم السالفة والقرون الماضية، ومن هنا كانت الشعوب القديمة تمارس طقوساً خاصةً عند دفن موتاها تتصل بهذا الاعتقاد، ومن جملة ذلك أن بعض الشعوب كانت تضع إلى جانب الميت في حفرته تحت الأرض بعض الأطعمة الضرورية ومصباحاً والأشياء التي كان يحبُّها الميِّتُ حالَ حياته! [(١)].

يقول «**جان ناس**» في كتابه «**تاريخ جامع اَديان**» (أي التاريخ الجامع للأديان): «يعتقد الأقوام البدائيّون أن السماء عالَـمٌ حيٌّ مثل عالم الأرض فيها الأشجار والأنهار وهناك تعيش أرواح البشر...... (إلى قوله): ويستطيع الأموات في أغلب الأوقات أن يأتوا إلى الأرض ويتجولوا فيها ويلتقوا أثناء النوم بالبشر، ولما كان الأمر كذلك فلا بد من إعداد الطعام لذلك الميت الزائر ووضعه على مزاره وإشعال الشموع ولو لم يفعلوا ذلك له فإن روح ذلك الميت ستغضب وقد تؤذي الأحياء!» (تاريخ جامع اَديان، ص٢٢).

ويقول في الصفحة ٢٦ من هذا الكتاب: «وكان الرومان القدماء يعتقدون بعبادة أرواح الأسلاف العظماء».

ويقول في الصفحة ٩٥: «وكان الآريون القدماء يجلّون أرواح الأجداد إلى حد الحمد والثناء».

---

(١) في الأديان الوضعية المنسوخة مثل الديانة البوذية يعتقد الناس أن تمثال بوذا تجسيد لوجوده الحي العليم وأن بوذا كان شخصية فوق طبيعية لذا كانوا يقفون أمام تماثيله ويدعون ويتضرعون فيسمعهم بوذا ويستجيب لدعائهم ويعتقدون أن تكرار الأدعية يزيد من أجر وثواب الزائر (من كتاب «تاريخ جامع أديان» تأليف «جان ناس» ص١٤٦).

ويكتب في الصفحة ١٥٠: «كان هناك اعتقاد بأرواح الأسلاف واحترام شديد لأرواح الآباء والأجداد لدى عامة الشعوب الطورانية. كما أن بعض الأديان كالبرهمية في الهند والبوذية في الصين واليابان كانت تمارس طقوساً أكثر تجاه أرواح الأسلاف الراحلين، إلى حد أنه كانت هناك فرقةٌ في الهند تحمل أرملة الميت بزينتها إلى جانب جثمان زوجها وتحرقهما سوية!! كما كانت بعض الشعوب تقطع رقاب إماء وعبيد الميت بعد وفاته! لكي ينتقلوا معه إلى تلك الدار فيساعدوه ويخدموه.».

ومن أراد تفصيل هذه العقائد فليرجع إلى كتب الملل والنحل.

وفي عصر الجاهلية قبل الإسلام كان لدى العرب اعتقادات عجيبة بالأرواح، فكانوا يعتبرون إقبالها على الأحياء أو إعراضها عنهم ودعائها لهم أو لعنها لهم مؤثر في الأحياء لذا كانوا يخشونها ويهابونها دائماً.

وقد ظهر دين الإسلام، آخرُ الأديان الإلهية وأكملُها، في زمنٍ كان العالم غارقاً فيه في الشرك والوثنية والجهل والخرافات، لذا نبذ منذ يومه الأول كل السنن والأعمال التي فيها رائحة شرك أي التي تصرف انتباه الناس عن الله وتلفتهم نحو الانشغال بغيره، حفاظاً من الإسلام على صفاء التوحيد ونقائه، لكي لا يمارس الناس أي خضوعٍ ولا يظهرون أي حاجةٍ لأي مخلوقٍ، بل يكون خضوعهم وفقرهم خالصاً لله وحده، ولا يرون لأي كائنٍ سوى الله عز وجل أي تأثير في تدبير أمور العالم وتقدير مصائرهم، وبالتالي لا يرون أحداً في الوجود يستحق العبادة سوى الله وحده، وهذا هو مفاد شعار الإسلام الأول، والكلمة الطيبة التي بعث بها جميع الأنبياء: (لا إله إلا الله).

ومن جملة ذلك أنه نهى في بداية الدعوة عن زيارة الأموات رغم أن زيارتهم لا تخلو من حكم وفوائد لكنه منع منها حفاظاً على حريم التوحيد وترسيخاً له فقال رسول الله ﷺ: «**إني نهيتكم عن زيارة القبور**» وذلك لأنه لو سمح بها في بداية الدعوة لاستمرت عادات وسنن الجاهلية ولكان تقدّم عقيدة التوحيد في قلوبٍ مشوبةٍ بتعظيم الأموات أمراً في غاية الصعوبة.

ولكن بعد أن ضربت شجرة التوحيد أطنابها في النفوس ببركة تعاليم الإسلام المتواصلة حول التوحيد وبيانات القرآن وآياته المتنوعة حوله،وأصبحت شجرة التوحيد وعقيدته في مأمن من آفات الشرك عند ذلك قال (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): «**ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**» وفي رواية «**فإنها تذكّركم الموت**» والأمر بعد النهي يدل على الإباحة كما يقول علماء أصول الفقه.

وقد روى المرحوم الشهيد الأول في كتاب الذكرى روايةً تقول: «**إن عائشة زارت قبر أخيها عبد الرحمن فقيل لها قد نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، فقالت: نهى ثم أمر بزيارتها**».

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن نهي رسول الله الابتدائي عن زيارة القبور بقي شائعاً مدة أربعين عاماً ونيِّف جعلت بعض الناس يستنكر عمل عائشة رغم مشروعيته.

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه «ابن بطّال» عن «الشعبيّ» من قوله: «**لولا أن رسول الله نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبي (أو قبر ابنتي)**»[(١)]

وكذلك ما رواه عبد الرزاق الصنعاني الشيعي في كتابه «**المصنف**» (ج٣/ ص٥٦٩) الذي يعد من أقدم كتب الحديث: إن رسول الله ﷺ قال: «**من زار القبور فليس منّا**» ويدل عليه كذلك ما سبق وأوردناه في المبحث الثاني من هذا الكتاب من نهي الحسن المثنى بن الحسن المجتبى، ونهي حضرة زين العابدين - عليهما السلام - الناسَ من القدوم خصيصاً إلى حجرة قبر النبيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) للسلام عليه، بالإضافة إلى ما يدل عليه بقاء قبره الشريف متروكاً على حاله مدة قرنٍ كامل دون أن يتحول إلى مزارٍ يتردَّد الناس إليه.

ولكن يبدو أن روح الوثنية ومن جملتها عبادة الأموات ممزوجة في طبيعة الإنسان على نحو يصعب معه إزالتها كلياً إلا بالرياضة المستمرة والتهذيب المتواصل حتى ترسخ في الإنسان روح التوحيد الخالص، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف/ ١٠٦) أي حتى المؤمنين بالله أكثرهم يخلط إيمانه بالشرك، ولهذا نرى أنه بعد رحلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه

(١) مر تخريجه في الصفحة ٢٤ من هذا الكتاب.

وَآلِهِ واختلاط المسلمين بالشعوب المجاورة في مصر وإيران حيث كان أهالي تلك البلاد يعظمون أمواتهم ويبنون على قبورهم الأضرحة والأبنية والقباب، سرت روح عبادة الأموات تدريجياً إلى المسلمين وفي أقل من مئة عام بدأت تعود بعض العقائد الجاهلية الخرافية وتختلط مع عقائد عبادة الأموات لدى الأمم الأخرى وبدأ سوق عبادة الأموات يروج.

ورغم عشرات الأحاديث والروايات عن النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام في النهي عن تعمير القبور وتجصيصها وتجديدها والبناء عليها - التي ذكرناها بالتفصيل في كتابنا «**ارمغان آسمان**» (٢٨٥ فما بعد) - والتي تدل على مدى نفور الشارع المقدس من موضوع تعظيم القبور وخشيته على المسلمين من انجرارهم نحو الشرك بسببها حتى قال صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ مقولته الشهيرة: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد**»، ورغم قيام أمير المؤمنين علي عليه السلام بإخفاء قبر زوجته فاطمة - سلام الله عليها - ووصيته عند وفاته بإخفاء موضع قبره، رغم كل ذلك لم يمضِ قرنٌ من الزمن إلا وانتشرت مئات القباب والأضرحة ذات الزينات العجيبة في أطراف وأكناف البلدان الإسلامية على قبور الأئمة والصالحين وصُرفت لتشييدها والحفاظ عليها أوقافٌ ونذوراتٌ لا حصر لها، إلى الحد الذي ادّعى فيه أحد المتصدِّين لأمور الأوقاف في بلدنا اليوم أن ما يزيد على ربع الأملاك الوقفية يُصرف على العتبات والمراقد أي على قبور الأموات![1]

---

(١) من المناسب أن ننقل هنا مطلباً عن الزعيم الهندي «**المهاتما غاندي**» آملين أن يدفع كلامه طلاب الحقيقة والمنصفين إلى التفكير ملياً والعودة إلى أنفسهم. يقول: «قرأتُ خبراً في قصاصة صحيفة يومية أرسلها لي أحد محرري الصحف يقول إنه في إحدى القُرَى بَنَوْا معبداً ووضعوا فيه تمثالاً لي، وأخذوا يتضرعون أمامه ويحمدون. إنني أعتبر هذا العمل من أسوأ صور عبادة الأصنام! إن الذي بنى ذلك المعبد أهدر ثروته وأنفقها في عمل غير صحيح ولا مفيد وأضل القرويين الذين أخذوا يترددون إلى هذا المعبد، وأهانني أنا أيضاً بهذا الأمر لأن كل حياتي انعكست في هذا المعبد بصورة كاريكاتورية مثيرة للسخرية. لقد قلب رأساً على عقب - بذلك العمل - معنى العبادة والتضرع الذي أمضيت عمري في إيضاحه.... إن تكرار جمل من كتاب «الغيتا» كالببغاء (أحد الكتب المقدسة لدى الهندوس) لا يعتبر عبادةً ولا تمجيداً. إن العبادة والتمجيد الحقيقيين هي اتباع تعاليم ذلك الكتاب. إن الثناء الحقيقي على الشخص ومديحه إنما يكونان باتخاذه مثالاً

وقد وصل الإسراف والتبذير في هذا المجال إلى درجة أن صحيفة «كيهان» اليومية ذكرت في عددها رقم ٨٢٧١ الصادر بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٣٤٩ هـ ش[١] أن أحد الثُّرَيَّات التي نُصبت في سقف أحد المراقد في إيران يبلغ ثمنها ٢٠ مليون تومان[٢]، ومن بين الثريات العديدة التي اشتريت لذلك الضريح هناك ثريا ضخمة لها ٨٠٠ غصن!.

و يتم شراء هذه الثريات من الخارج على شكل قطع مستقلة ثم يقوم أشخاصٌ محترفون بتجميعها وإعادة إنتاجها من جديد لتصبح ثريا ضخمة تُعلّق في ذلك الضريح. وقد تم نصب

يُحْتَذى فيهتدي الناس بسيرته في حياتهم. لذلك منذ أن انحدرت الديانة الهندوسية إلى عبادة الصور والتماثيل أصبحت ديانة منحطة......... في الحقيقة إن الله وحده هو العليم بما في صدور الخَلْق، لذا فأكثر الأعمال اطمئناناً هي أن لا يقوم الإنسان بعبادة وتسبيح أي كائن حي أو ميت بل يقدم التضرع والثناء للكمال الإلهي المطلق وحده.......... لقد كان يسرني ويسعدني أن يقوم صاحب ذلك المعبد بإزالة تمثالي منه، وتحويل بناء المعبد إلى مركز تعليم فن الحياكة وغزل النسيج لكي يتمكن الفقراء من الحصول على قوت عيشهم بفضل تعلم الحياكة، وأن يقدم أشخاص محسنون خدمة التعليم مجاناً لهم هناك.... مثل هذا العمل يكون اتباعاً حقيقياً لتعاليم «الغيتا» ويكون احتراماً حقيقياً لي. (نقلاً عن كتاب: «كل الناس إخوة» تأليف المهاتما غاندي، ترجمة محمود تفضلي، انتشارات أمير كبير: ص ٨٥، ٨٦).

وأقول: عندما يكون أحد الزعماء الدينيين - رغم كونه لا يتبع ديناً سماوياً توحيدياً - مستغرقاً في هدفه السامي إلى ذلك الحد فماذا يقول مدَّعو حبِّ النبيِّ وآله حول النبي والأئمة الهداة من آل بيته عليهم السلام الذين أفنوا أعمارهم في الدعوة إلى الله والسعي إلى كسب رضوانه؟! ألم يكونوا ذائبين في هدفهم السامي ومستغرقين فيه مثل غاندي؟؟ فإذا كان «غاندي» لا يُسَرُّ من خضوع الناس أمام تمثاله وكيل المدائح والإطراء له بهذه الطريقة، فكيف يمكن لمعلمي «**التوحيد**» الكبار أن يُسَرُّوا من قيام الناس بمثل ذلك تجاه قبورهم ويرضوا به؟! **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**؟؟ لا شك أنهم يتمنَّون أكثر من أي زعيم ديني آخر أن يقوم الناس بدلاً من الحضور إلى مراقدهم والتلفظ بعبارات الثناء عليهم، أن يقوموا بالعمل بالأحكام الإلهية ومطابقة عقيدتهم على كتاب الله تعالى ونشر تعاليمه والعمل بها.

(١) يطابق عام ١٩٦٨ ميلادية. (المترجم)

(٢) وحدة العملة الإيرانية، وكانت قيمتها كبيرة قديماً وتعادل في ذلك الزمن الذي ألف فيه المرحوم قلمداران كتابه حوالي ثلث دولار أمريكي أو حوالي ١،٥ ريال سعودي. (المترجم)

عدد كبير من تلك الثريات حتى الآن، ويتم حاليّاً تركيب البقيَّة، إذْ يبلغ مجموعها ٩٥ ثريا ويستغرق تركيبها عدة أشهر! وقال أحد المسؤولين عن ذلك الضريح لمراسل صحيفة «كيهان»: «بعد تركيب الثريات الجديدة سيتم الاحتفاظ بالثريات القديمة في متحف خاص نظراً إلى قيمتها الفنيّة والتاريخية إذ يوجد من بينها ثريات رائعة الجمال وباهظة الثمن قل نظيرها في إيران».

قلت: فهذا نموذج بسيط عن الزخارف والزينات وأنواع التبذير والبذخ التي تتم في المراقد والمزارات.

وكل يوم يتم إنفاق أموال كثيرة ووَقْفُ أوقاف لا حصر لها لتُصْرَفَ على قبور الأموات، ومن جملة ذلك الخبر الذي ورد في صحيفة «كيهان» العدد ٨٦٤٢ بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٣٥١ هـ ش: «قام الحاج «آقا حسين ملك» الذي وصلت قيمة أمواله الموقوفة مؤخراً إلى ثلاثة مليارات تومان، قام في شهر «بهمن»[١] من العام الماضي بوقف أربعمئة مليون تومان من أمواله الباقية والموجودة في متحف ملك على شكل لوحات فنيّة وسجاد ووثائق خطيّة للملوك وتحف عتيقة وغيرها، للعتبة الرضوية المقدسة (أي مرقد الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد)».

يا ترى هل هذه الصورة من إنفاق ووقف كل هذه الأموال والأملاك وهدرها في تلك الغاية تحقيقٌ لرضا وهدف المشرِّع المقدّس؟ ألم يكن الأولى والأكثر تحقيقاً لمراد الله عز وجل أن تُنْفَقَ هذه الأموال على أمور تعليم معالم الدين، وعلى مساعدة الفقراء والضعفاء والمحرومين والأخذ بيد ذوي العاهات والمعلولين وأداء ديون الغارمين (الذين أثقلتهم الديون وعجزوا عن وفائها) الذين دخلوا السجون بسبب دُيُونهم، ومساعدة الشباب العزاب والشابات العازبات على الزواج، وشراء الدواء والعلاج للمرضى ونشر وترويج وتأليف وطبع الكتب التي تتضمن حقائق الدين؟!.

إننا نجد في كتاب «**أنساب الأشراف**» **للبلاذري** (ج٢/ ص٥٠٤) صورةً للوقف الذي أوقفه أمير المؤمنين علي عليه السلام كما يلي: «حدثني الحسين بن الأسود، عن يحيى بن آدم، عن شريك

---

(١) الشهر ١١ من السنة الإيرانية، يقابله الفترة من ٢١ يناير/ كانون الثاني إلى ١٩فبراير/ شباط. (المترجم)

وغيره، قال: **أوصى علي: هذا ما وقف علي بن أبي طالب أوصى به أنه وقف أرضه التي بين الجبل والبحر أن يُنْكَحَ منها الأَيِّمُ، ويُفَكَّ الغارم، فلا تُباع ولا تُشترى ولا تُوهب حتى يرثها الله الذي يرث الأرض ومن عليها**».

هذا ما وقف عليٌّ بن أبي طالب أمواله لأجله، أما قومنا اليوم الذين يفخرون بأنهم من شيعة ذلك الإمام ومحبِّيه فإنهم يَقِفُون أموالهم على تعمير قبور الأموات وعلى مجموعة من الطفيليين من سدنة المقابر الذين يعتاشون على زوّارها!. الله يشهد أن أكثر تلك الأموال التي تُوقف على المراقد تُنفق فيما لا يُرضي اللهَ سبحانه وفيما نهى الله عنه.

وكل هذا الإنفاق يتم رغم أنف عشرات الأحاديث لدى الفريقين في حرمة البناء على القبور وتجصيصها ورفعها واتخاذها مساجد والاعتكاف فيها.

قال أحد فقهاء الشيعة الإمامية الكبار المرحوم «**محمد بن مكيّ العاملي**» المعروف بالشهيد الأوّل في كتابه الفقهي القيِّم «**الذكرى**» ضمن بيانه لآداب دفن الأموات: «**أما وضع الفراش عليه، والملحفة فلا نص فيه، نعم روى ابن عباسٍ من طريقهم أنه جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء.. والتَّرْكُ أولى لأنه إتلاف للمال فيتوقف على إذن الشارع ولم يثبت**».

فيا سبحان الله! ينصّ فقيهنا الكبير على أن وضع قطيفة على قبر الميّت إتلافٌ للمال لا يجوز! ولكن معظم فقهائنا المعاصرين يجيزون صرف ملايين التومانات على القباب الذهبية والأضرحة المسيّجة بالفضّة وإتلاف الأموال على الزينات والزخارف على تلك القبور! فيا ربِّ أيُّ تَدَيُّنٍ هذا الذي لا يقيم وزناً لأحكام الشرع؟!.

أجل! عندما انتعشت من جديد نزعة عبادة الأموات بين كثير من المسلمين ودَفَعَهُم أعداء الإسلام بطرقهم الخفيَّة دون أن يشعروا إلى ممارسة الأعمال والسنن الوثنية الجاهلية التي كانت قبل الإسلام انطلقوا يبنون الأبنية العظيمة على المقابر ويحثون الناس على زيارتها بما يعدونهم به عليها من أنواع الثواب العظيم الذي لا حد له ولا حساب ويضعون لهم نصوصَ الزيارات التي يملؤونها بعبارات المغالاة في التمجيد والثناء المشوب بالغلوّ المفرط المخالف للتوحيد الناصع

الذي علَّمه الإسلام وقرَّره القرآن. كما نشاهد ذلك بوضوح في كثيرٍ من مضامين تلك الزيارات الذي لا يتلاءم مع تعاليم السنة والقرآن ويجافي العقل والوجدان، ثم إذا قام بعض العلماء والفضلاء يردُّ على تلك المطالب ويثبت بطلانها بالدلائل العقلية والنقلية كصاحب كتاب «**توحيد عبادت**» (أي توحيد العبادة)(١) ومؤلِّف كتاب «**شهيد جاويد**» (أي: **الشهيد الخالد**)(٢) وصاحب كتاب «**درسي از ولايت**» (أي: **درس من الولاية**)(٣) وغيرها انتدب إليه حراس

---

(١) يقصد به المرحوم **آية الله الشيخ محمد حسن شريعت سنگِلَجي** (١٨٩٠م - ١٩٤٣م) الذي كان من علماء الشيعة المصلحين في إيران في عهد الشاه رضا خان البهلوي، وكان من الداعين إلى تصحيح العقائد وإصلاح المسار ونبذ الغلوّ والأعمال البدعية المشوبة بالشرك والرائجة بين العوام في عصره، والعودة إلى نهج القرآن وتوحيده الناصع، وألف في ذلك كتابه «**توحيد عبادت**» (أي **توحيد العبادة**) الذي يكاد يكون متطابقاً في هذا الصدد مع كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجديّ (رح)، كما ألف كتاب «**كليد فهم قرآن**» (أي مفتاح فهم القرآن) وغيرها وقد طبعت كتبه عدّة مرات. (المترجم)

(٢) يقصد الشيخ المحقق الفاضل آية الله نعمت الله صالحي نجف آبادي (رح) من علماء الإمامية المصلحين المعاصرين في إيران، ولد في نجف آباد من قرى مدينة أصفهان حوالي ١٩٢٣م، ودرس العلوم الدينية (السطح) في أصفهان ثم انتقل إلى قم وأكمل دراساته العليا (بحث الخارج) على أيدي علمائها البارزين، وصار من أساتذة الحوزة العلمية ثم ألف عدداً من الكتب القيِّمة أشهرها «**شهيد جاويد**» أي (الشهيد الخالد) ويقصد به الإمام الحسين عليه السلام، الذي نشره قبل حوالي أربعين عاماً وأثار ضجَّةً ومعركةً من الآراء بين موافق ومخالف كونه ينفي عن الإمام الحسين عليه السلام علم الغيب ويجعله مجتهداً ثائراً قام لأجل إقامة الحكومة الإسلامية واستشهد في هذا المسعى. وقد رد عليه جمعٌ من كبار علماء الإماميّة، فألف كتابه «**عصاي موسى**» وفنَّد فيه جميع ردودهم. هذا وقد انتقل الشيخ صالحي نجف آبادي إلى جوار ربِّه في العام الماضي أي ٢٠٠٦م، دون أن يلقى الاهتمام الذي يستحقه عالم فاضل مثله، إلا من قلة من الناس. (المترجم)

(٣) يقصد المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي، ولد في قم سنة ١٣٢٩ أو ١٣٣٠ هـ ق/ ١٩١١م، وطلب فيها العلوم الدينية حتى بلغ درجة الاجتهاد والمرجعية، وانتقل إلى طهران فكان إماماً وداعيةً في أحد مساجدها العريقة وألف عدداً كبيراً من الكتب والرسائل ثم بدأ من منتصف عمره يتجه اتجاهاً إصلاحياً جذرياً حتى صار من أبرز دعاة التصحيح وتجديد الدين وإعادة النظر في عديد من العقائد والأعمال الشيعية الإمامية حتى الأساسية منها فكتب في رد فكرة الغيبة ووجود المهدي المنتظر كتابه (**بحث**

الخرافات فاتهموه بالفسق وأسقطوه من أعين الناس معتبرين إياه ضالاً منحرفاً، حتى صارت مجاهدة تلك البدع أصعب من مجاهدة الشرك باللات والمناة وثوابها أعظم. لذا شدَدْنا العزيمة على ردّ تلك العقائد التي عمّت بها البلوى بين العوام وأثبتنا تهافتها وبطلانها.

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من نصوص تلك الزيارات لا سند له، فهي روايات غير مأثورة وضَعَهَا أشخاصٌ حسب هواهم، وأوردها المجلسيّ بعباراتٍ تشي بذلك، فمن ذلك قوله في «**بحار الأنوار**» (ج٩٩/ ص١٤٣، باب ٨ - الزيارات الجامعة التي يزار بها): «**رأيت من بعض تأليفات أصحابنا نسخة قديمة ذكر فيها هذه الزيارة وقدَّم قبلها دعاء الإذن فقال**... الخ». وقوله في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (البحار: ج٩٩/ ص١٩٧): «**الزيارة الحادية عشرة زيارة المصافقة وجدت في نسخة قديمة من تأليفات أصحابنا ما هذا لفظه**...»، وقوله في زيارة أئمة البقيع عليهم السلام: (البحار: ج٩٩/ ص ٢٤٧) «**أقول وجدت في نسخة قديمة من مؤلفات بعض أصحابنا رضي الله عنهم ما هذا لفظه**...». وفي آداب مسجد الكوفة يقول: «**وجدت الرواية بخط الأفاضل منقولاً من خط علي بن السكون رحمه الله**».

فأي حجة تقوم بنصوص زياراتٍ تُنقل إلينا بعبارات مثل «وجدتُ» و«رأيتُ في نسخة قديمة» و«رأيت في بعض تأليفات أصحابنا» و...، ونحوها مما لا يُعلم منه هوية راوي الزيارة ولا من هو كاتبها أو واضعها ومختلقها؟!

والواقع أن كثيراً من الزيارات المدرجة في ذلك الكتاب (أي بحار الأنوار) ليس لها أي سند بل نُقلت من كتب مثل «**مزار كبير**» و«**مصباح الأنوار**» ونظائرها، وكثيرٌ منها يرويه رواةٌ غلاةٌ

علمي في أحاديث المهدي)، وكتب في رد فضائل زيارة العتبات (**خرافات وفور در زيارات قبور**) (أي الخرافات الكثيرة في زيارات القبور)، وَكَتَبَ ردّاً على القول بالولاية التكوينية كتابه: (**درسى از ولايت**) (أي درس من الولاية) الذي أشار إليه المصنف في المتن، وكَتَبَ في تحريم المتعة، وفي نقد أحاديث كتاب «أصول الكافي» للكليني، وغيرها من الكتب. وتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة من بعض المتعصّبين، كما سجن فترةً، وتوفي في طهران عام ١٤١٢ هـ ق/ ١٩٩٢م. وبالمناسبة له تعليقات على هذا الكتاب الحالي هي المذيّلة بعبارة (برقعي). (المترجم)

وضعفاءٌ من أمثال «**علي بن أبي حمزة البطائني**» الواقفي الملعون و«**محمد بن سنان**» الغالي المشرك و«**عبد الله بن مسعود**» المجروح المذموم و«**بكر بن صالح**» المطعون المشؤوم و«**عمار بن موسى**» الفطحي و«**يونس بن ظبيان**» الغالي الكذاب و«**أحمد بن هلال**» الغالي المطعون و«**سيف بن عميرة**» المطعون الملعون و«**علي بن الحسن الفضّال**» الفطحي الملعون و«**علي بن حسّان**» الكذاب و... و...، الذين مرّ شرح أحوالهم وسنذكر حال من تبقى منهم، ولعل بعض القرّاء يتعجب من كلمة «**الملعون**» التي ذكرناها عقب اسم بعض رواة الزيارات ويظن أنها من جانب كاتب هذه السطور مع أن الوقع أن تلك اللعنات مذكورة بحروفها في كتب الرجال، وإليكم نموذجين من رواة الزيارات الذين لُعِنوا في كتب الرجال وبعضهم نال اللعنة حتى من الأئمة أنفسهم:

الأوّل هو «**أحمد بن هلال عبرتائي**» الذي قال عنه **الشيخ الطوسي** في رجاله «**بغداديٌّ غال**»، وقال في كتابه «**تهذيب الأحكام**»/ باب الوصية إلى أهل الضلال: «**إن أحمد بن هلال مشهورٌ باللعنة والغلوّ**»، وقد أصدر حضرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام توقيعات في **(لعنه)** (تنقيح المقال: ج١/ ص٩٩).

والثاني هو «**يونس بن ظبيان**» الذي روى قصة اكتشاف قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما كان بمعية حضرة الإمام الصادق عليه السلام، وروى صاحب بحار الأنوار عنه عدداً من الزيارات، مع أن الغضائري قال عنه: «**يونس بن ظبيان كوفي غال وضّاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه**».

وقال عنه الإمام الرضا عليه السلام: «**لعن الله يونس بن ظبيان ألف لعنة، تتبعها ألف لعنة، كل لعنة تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلا الشيطان، أما إن يونس مع أبي الخطّاب في أشد العذاب مقرونان**»[1].

وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٦٦): «**قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه: الكذابون المشهورون: أبو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصائغ ومحمد بن سنان وأبو سمينة**

(١) رجال الكشي، ص٣٠٩.

أشهرهم. وقال النجاشي إنه مولى ضعيفٌ جداً لا يُلْتَفَتُ إلى ما رواه، كلُّ كُتُبِهِ تخليطٌ. قال ابن الغضائري: يونس بن ظبيان كوفيٌّ غالٍ كذَّابٌ وضَّاعٌ للحديث روى عن أبي عبد الله عليه السلام لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه، فأنا لا أعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظماء فيه».

هؤلاء نموذج من الرواة الذين أتحفونا بتلك الزيارات التي استند إليها آية الله أبو الفضل النبوي واعتبرها حجة قاطعة على تصرُّف وتدبير الأئمة في الكون والمكان!!. متناسياً أن مثل تلك الأقاويل إنما رواها أشخاص ضالون وشياطين مضلون لا يجوز لمسلم أن يقبل كلامهم. بل حتى لو قال الأئمة أنفسهم مباشرة مثل تلك الكلمات الكفرية والعياذ بالله - وحاشاهم ذلك فهم لا ينطقون بمثلها بكل قطع ويقين - فعلينا أن نرفض تلك الأقاويل اتباعاً لأمر الله تعالى وآيات القرآن المحكمة، ولتعاليم الأئمة - عليهم السلام - أنفسهم الذين علَّمونا فقالوا أننا إذا سمعنا عبارات كفرية مغالية فلا يجوز علينا أن نقبلها أياً كان قائلها حتى لو كانوا هم أنفسهم! كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «.. **وإن قوماً كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حر الحديد! فو الله ما نحن إلا عبيدُ الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرٍّ ولا نَفْعٍ، إن رَحِمَنَا فبرحمته وإن عذَّبَنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون. ويلهم! ما لهم لعنهم الله! فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم)، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع وينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال فيَّ الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتُلُوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً أستعدي الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم، أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً أو أشد عذابه»**[1].

(١) رجال الكشي، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

وقد قلنا إن أحد الكتب التي أُلِّفَتْ في موضوع الزيارات ومُلئت بمطالب مخالفة للقرآن الكريم كتاب «**كامل الزيارات**» لـ «**جعفر بن محمد بن قولويه القمي**» الذي اشتهر وأصبح كتاباً مقبولاً لدى عامَّة الناس رغم اشتماله على مطالب من الغلوّ لا يمكن قبولها - كما رأينا في أمثلة عديدة -، ورغم اشتماله أيضاً على عبارات فيها تشبيهٌ صريحٌ للذات الإلـهية ينافي التنزيه الذي هو من أسس الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، والذي لا يمكن لمن يؤمن بالله الواحد المنزّه عن المكان والزمان والمحيط بالكون والمكان المهيمن على الأرض والسماء أن يقبل به، وسنذكر فيما يلي نموذجين عن ذلك:

١) جاء في الصفحة ١١٣ من «**كامل الزيارات**» قول ابن قولويه:

«مشايخي عن محمد بن يحيى وأحمد بن إدريس عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن عبد الله بن محمد اليماني عن منيع بن حجاج عن يونس عن صفوان الجمال قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: **هل لك في قبر الحسين** عليه السلام؟ **قلت: وتزوره جعلت فداك**؟؟ **قال** عليه السلام: **وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جمعة! يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء. فقال صفوان: جُعِلْتُ فداك! فتزوره في كل جمعة حتى تدرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان اِلْزَمْ ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين** عليه السلام».

أقول: رغم أن رواة هذا الحديث مجاهيل وغلاة ويكفي أن أحدهم «**يونس بن ظبيان**» الذي مرت ترجمته، إلا أن ما يحيِّرنا أن تُدْرَجَ تلك الرواية وما فيها من عبارات تجسيمية لا تليق بمقام التنزيه المطلق للذات الإلهية في كتاب ألّفه عالم محترم في أوساط الشيعة يقبله عامة الناس إجلالاً لمقامه.

إنها مطالب يعلم كل من له أدنى شعور بأنها لا تليق بالله تعالى، هذا عدا عن الضرر الذي تحدثه أمثال هذه الروايات بسبب ما توجِدُهُ من غرورٍ لدى أكثر الناس الذين يظنون أنهم بقيامهم بتلك الزيارة يلتقون بالله ولا ندري لعلهم يصافحونه!! ويلتقون بالأنبياء وعندئذٍ يصبحون أبراراً أعزّاءَ في نظر الله يستحقون عفوه الكبير! لذا نرى ونشهد كيف أن كثيراً من الفسّاق

والفجّار الذين يغرُّهم الشيطان ويطمّعهم بالشفاعة وثواب الزيارة يقومون بأعمالٍ يربأ عنها حتى الملحدون والماديّون!!.

٢) ويروي ابن قولويه أيضاً في الصفحة ٦٧ فما بعد (الباب٢١ و٢٢) من كتابه هذا، رواية أخرى عن الصادق عليه السلام تقول: «حدثني أبي رحمه الله عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القماط عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **بينما رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخر ساجداً ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد! إن العلي الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة وقال لي: يا محمد! أتحب الحسين عليه السلام؟ فقلتُ: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني. فقال لي: يا محمد! ووضع يده (!!) على رأس الحسين عليه السلام: بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناوأه ونازعه... وذكر الحديث**».

إن كتب الشيعة الإمامية مليئة للأسف بمثل هذه الأحاديث، مع أنها تخالف أُسُس المذهب المعروفة والقطعيَّة في التوحيد وتنزيه الله عزَّ وجلَّ، بل تخالف ضروريات الإسلام، ومع أن الزيارة أقصى ما فيها أنها مباحةٌ ولا نجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنها عبادةٌ مأمُورٌ بها لها كل تلك الأهمية البالغة والأجر الخطير والثواب العظيم المزعوم.

هذا ومن جملة ما يبين تهافت روايات الزيارة وعدم صحتها ما نجده فيها من التناقض، فكثيرٌ من الأحاديث التي جُمعت حول موضوع فضائل الزيارة وأدعيتها يناقضُ بعضُها بعضاً، فمثلاً في الوقت الذي نرى حديثاً يجعل ثواب زيارة حضرة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام معادلاً لتسعين حجة مع رسول الله وحديثاً آخر يذكر أن ثواب ذلك يصل إلى مليوني حجة!!؟ نجد حديثاً يناقض ذلك كله ويستبعد أن يكون لزيارة قبر الحسين عليه السلام ثواب حتى حجة واحدة! وإليكم الحديث: روى **الحِمْيَرِيُّ** في «**قُرْب الإسناد**» (ص ٤٨): «**وعنهما عن حنان بن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر الحسين عليه السلام فإنه بلغنا عن بعضكم أنه**

قال تعدل حجة وعمرة؟ قال فقال: ما أصعب هذا الحديث! ما تعدل هذا كله، لكن زوروه ولا تجفوه وإنه سيد شباب الشهداء وسيد شباب أهل الجنة وشبيه يحيى بن زكريا وعليهما بكت السماء والأرض».

فهذا الحديث يناقض كل الأحاديث السابقة التي تجعل لزيارة قبر الحسين مقادير من الثواب لا حصر لها!.

والمشكل الآخر الذي يضع علامات استفهام كبيرة حول أحاديث فضائل الزيارة هو أنه رغم كل فضائل وثواب الزيارات المرويَّة عن الأئمة، لم يقم الأئمة أنفسهم بمثل هذا العمل الذي حثوا الناس عليه وقد سبق بيان ذلك فلا نعيده.

تلك كانت مطالب ومباحث نضعها أمام أنظار طلاب الحقيقة ليدققوا فيها ويتأملوها بتجرد وإنصاف.

ونسأل في الختام هل هناك بعد ما أوضحناه حجةٌ من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة على تلك الأعمال؟! ألن يؤاخذنا الله تعالى على صرف الأموال والأوقات على أعمال لم يأمرنا بها الله تعالى ولا دعانا إليها رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) فضلاً عما في نصوص بعض تلك الزيارات من عبارات شركية مغالية! هل الأعمال التي لا يمكننا أن نجد سنداً صحيحاً لها والأقوال الصادرة عن حفنة من الكذابين والغلاة تعتبر سنداً يمكننا أن نؤسس عليه أفكاراً وأعمالاً تخالف القرآن وتعادي تعاليمه؟!

إنها أسئلةٌ يحقُّ لكل عاقلٍ أن يسألها ويعرف إجابتها. هل أمر الآخرة سهل وقليل الأهمية إلى هذا الحد الذي يسمح لنا بالاعتماد على تلك الأعمال التي لا سند لها؟ إنك لو وجدت في ورقة بنكنوت شيئاً جعلك تشكّ بصحتها فإنّك تضعها جانباً فوراً حتى قبل أن تتثبت من تزويرها ولا تجرؤ أن تأخذها إلى السوق وتشتري بها شيئاً خوفاً من أن تكون مزوّرةً، فكيف نُعِدّ لزاد الآخرة حفنةً من الموهومات والخرافات نريد أن تكون زادنا في يوم عسير لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ولا

نتأكد ونتحقق من صحة ما نتقرب به إلى الله؟؟! حقاً إن هذا لأمر عجيب. **أسأل الله تعالى لجميع المسلمين التوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم. إنه قريب مجيب وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.**

حيدر علي قلمداران

ملتمساً الدعاء من القراء الكرام

ملحق[1]: البناء على القبور في بلادنا وحكمه في ديننا!

لمّا أشرتُ في مقال «**علل انحطاط المسلمين**» الذي نشرتُهُ في صحيفة «**وظيفة**» إلى الوضع المؤسف للأوقاف في بلادنا (إيران) الذي تُصرف فيه أغلب الموقوفات - نتيجةً لجهل وأمّيّة الواقفين - على المراقد والعتبات والأضرحة الوهمية لذراري الأئمة وخدّامها وسدنتها وقرّاء المآتم فيها مما هو غير مطلوب في الشرع، وذكرْتُ أن نتيجة ذلك ما نشاهده من خراب البلاد وبطالة الناس وجوعهم، انتقد مقالتي هذه عديدٌ من الناس، أما الذين ليس لهم اطلاع على تاريخ صدر الإسلام ومبادئ الدين الحنيف وأصول الشريعة فلا عتب عليهم، ولكن العتب على أحد الشيوخ المعممين في «قم» المعروف بالفضل والعلم الذي قام بالرد على مقالتي في العدد ١٣٧ من جريدة «وظيفة» وقال بعد أن كال لي التهم والسباب: إن هناك حديثٌ مُسْنَدٌ يُرَغِّبُ بالبناء على القبور ويشَجِّعُ عليه، وادعى أنَّ هناك رواياتٌ عديدةٌ أخرى عن الأئمة المعصومين تدل على ذلك!!

لذا وجدت لزاماً عليّ أن أذكِّرَ بهذه الحقيقة وهي أنه لا يوجد في كتب الشيعة في باب البناء على القبور وتشييدها وتعاهدها سوى حديثٌ واحدٌ وعلى المدّعي لأكثر من ذلك أن يُثبت كلامه، وهذا الحديث الواحد سأضعه أمام أنظار القرّاء الكرام وأقوم بتحقيقه سنداً ومتناً واترك الحكم عليه لأرباب الفضل وأولي العقل والإنصاف، ومن الله التوفيق.

وقبل الورود إلى البحث من اللازم أن أذكِّر بأن تشييد الأبنية وتخصيصها للأموات وعبادتهم تمثل أحد الآداب والسنن التي كانت رائجة في الأديان الخرافية والباطلة قبل الإسلام، وصفحات التاريخ مشحونة بذلك خاصة في إيران التي كان يروج فيها البناء على قبور الأموات

---

(١) هذا المقال أو المبحث نشره المؤلف قلمداران في الأصل ضمن كتاب له (باللغة الفارسية طبعاً) عنوانه «**ارمغان آسمان**» أي «**تحفة السماء**» في الصفحات ٢٧٣ فما بعد، وقد أضافه أصدقاء المؤلف وناشرو كتبه إلى كتابه الحالي بشيء من التصرف اليسير نظراً إلى تناسب مضمونه مع مضمون فكرة هذا الكتاب الحالي.

من الملوك والأمراء، وضرب القباب على أضرحتهم وجعلها مزارات ومشاهد فخمة تُزار وتُعظَّم، ومن جملة ذلك قبر «كورش الأوّل» المعروف بـ «گور دختر» الذي اكتشفه عالم الآثار البلجيكي «وندربرج»، وقبر «جه إيش بيش» وقبر «راه دختر» في مرقد «پازار گاد» الذي اكتشفه عالم الآثار «هارسفيلد»، وحسب رأي علماء الآثار يعود تاريخ تلك الأبنية إلى القرن السابع قبل الميلاد. ولا يزال قبر كورش الكبير في «مشهد مرغاب» وقبر «داريوش الأول» في «نقش رستم» وعرش أم سليمان قائمة شامخة إلى يومنا هذا في إيران، إضافة إلى أهرامات الفراعنة في مصر ووادي مقابر الملوك على الساحل الغربي للنيل وخلفاء «ششتسوت» في مقابر ملوك مصر الجبارين مدعي الألوهية فيها (طبقاً لعالم الآثار «وندربرج» حسب ما نقلته صحيفة كيهان بتاريخ ٣/ بهمن/ ١٣٣٩هـ ش)، والتي يعود تاريخها - طبقاً لتحقيق المؤرخين مثل «ويل ديورانت» - إلى حوالي خمسين قرن مضت. وكل يوم يكتشف علماء التنقيب عن الآثار في إيران ومصر قبراً جديداً لأحد الملوك أو القادة والوزراء من حاشيتهم ويستخرجون مرقداً أو ضريحاً من تحت الأرض كما حصل هذا العام من اكتشاف قبر «گور دختر» بين كازرون وبرازجان.

أما في الإسلام وكما يدل عليه تاريخه المشرق فلم يكن هناك أي أثر لا في زمان الرسول الأكرم ﷺ ولا في زمان الخلفاء الراشدين ولا في زمان مسلمي الصدر الأول لبناء الأضرحة وتشييد الأبنية وضرب القباب على قبور الصالحين وتعيين خدّام وسدنة لقبورهم. ورغم أن رسول الله ﷺ كان يذهب إلى زيارة شهداء أُحد ومقبرة البقيع، وأن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر حمزة سيد الشهداء عليه السلام وأن أمير المؤمنين كان يزور قبور البقيع وغيرهم من الشهداء والصحابة، ورغم أنه في زمان رسول الله وزمان عليّ تُوفي مئات بل آلاف من أصحاب رسول الله الأجلّاء وشخصيات بارزة من شيعة علي وأنصاره، إما شهداءً في أرض المعركة أو على فراشهم؛ لم يكن هناك أي بناء على قبر أي أحد منهم ولا كانت هناك قبة ولا ضريح لأيٍّ من قبورهم، واستمرَّ الأمر كذلك قرناً أو قرنين حتى دخلت في الإسلام شعوبٌ كثيرةٌ مثل شعوب بلاد فارس (إيران) وما وراءها وأقباط مصر والحبشة وأهالي الروم بفضل

جهاد جنود الإسلام، وحتى أحرز أشخاصٌ كبارٌ من تلك البلدان مقامات ومناصب في بلاط الخلفاء؛ عند ذلك بدؤوا بإدخال عاداتهم وتقاليدهم القديمة بطرق خفيَّة في دين الإسلام خاصة الإيرانيين منهم الذين أدخلوا عديداً من آدابهم وسننهم المجوسية الماضية في الإسلام تحت عناوين مختلفة مثل الاحتفال بعيد النيروز، وآداب دفن الأموات التي نجدها اليوم مشوبةً بالعادات القديمة ومن جملة ذلك بناء ضريح وسياج مفضَّض وغرفة مزينة بالنقوش وقبة على الأموات وإشعال الشموع والسُرج فيها ووضع الحلوى والفاكهة على القبر ونحو ذلك! ومن أراد التحقيق في هذه الأمور على نحو مفصَّل فليرجع إلى كتب مثل «سير تمدّن وتطور ملل» (أي مسيرة الحضارة وتطور الشعوب) و«مشرق زمين گهواره تمدّن» (أي مشرق الأرض مهد الحضارة) و«ميراث إسلام» (أي ميراث الإسلام) وغيرها من مؤلفات المحققين الإيرانيين والأجانب.

بعد هذه المقدمة لنأتِ إلى الحديث الذي يستند إليه القائلون باستحباب تعمير وبناء قبور الأئمة وذراريهم: هناك حديثٌ في جميع كتب الشيعة مرويٌّ بألفاظ مختلفة حول استحباب عمارة القبور[1] هو التالي: «**وعَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَضْلِ قَالَ أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَزْدَقِ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ الْأَحْوَلِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ إِمْلَاءً قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَامِرٍ السَّاجِيِّ وَاعِظِ أَهْلِ الْحِجَازِ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ الله مَا لِمَنْ زَارَ قَبْرَهُ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وعَمَرَ تُرْبَتَهُ؟**

(١) إن عبارة عمارة التربة أو عمارة القبر وتعاهده، التي تكررت في هذه الرواية الموضوعة، لا تدل بالضرورة على معنى البناء والتشييد، لأن لفظ عَمَرَ المكان يأتي بمعنى زاره وتواجد فيه وأقام فيه، من العمرة التي هي الزيارة، ومنه قولهم: عمرت بمكان كذا أي أقمت به، وكذلك تعاهدت المكان معناه أن لا أخليه من الزيارة ولا أترك التردد إليه. ومن هذا قوله تعالى ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ)) التوبة/ ١٨، أي يتردد إليها دائماً ويعمرها بالزيارة والعبادة فيها. فحتى هذه الرواية الوحيدة - رغم أنها موضوعة ومكذوبة - لا تفيد دعوى القائلين بتشييد الأضرحة والبناء على المراقد! (المترجم)

قَالَ: يَا أَبَا عَامِرٍ! حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّ النَّبِيَّ(صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قَالَ لَهُ: واللهِ لَتُقْتَلَنَّ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وتُدْفَنُ بِهَا! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لِمَنْ زَارَ قُبُورَنَا وعَمَرَهَا وتَعَاهَدَهَا؟ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الْحَسَنِ إِنَّ اللهَ جَعَلَ قَبْرَكَ وقَبْرَ وُلْدِكَ بِقَاعاً مِنْ بِقَاعِ الْجَنَّةِ وعَرْصَةً مِنْ عَرَصَاتِهَا وإِنَّ اللهَ جَعَلَ قُلُوبَ نُجَبَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وصَفْوَتِهِ مِنْ عِبَادِهِ تَحِنُّ إِلَيْكُمْ وتَحْتَمِلُ الْمَذَلَّةَ والْأَذَى فِيكُمْ فَيَعْمُرُونَ قُبُورَكُمْ ويُكْثِرُونَ زِيَارَتَهَا تَقَرُّباً مِنْهُمْ إِلَى اللهِ مَوَدَّةً مِنْهُمْ لِرَسُولِهِ، أُولَئِكَ يَا عَلِيُّ الْمَخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي والْوَارِدُونَ حَوْضِي وهُمْ زُوَّارِي غَداً فِي الْجَنَّةِ! يَا عَلِيُّ! مَنْ عَمَرَ قُبُورَكُمْ وتَعَاهَدَهَا فَكَأَنَّمَا أَعَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَى بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ومَنْ زَارَ قُبُورَكُمْ عَدَلَ ذَلِكَ لَهُ ثَوَابَ سَبْعِينَ حَجَّةً بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ وخَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ زِيَارَتِكُمْ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ فَأَبْشِرْ وبَشِّرْ أَوْلِيَاءَكَ ومُحِبِّيكَ مِنَ النَّعِيمِ وقُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ولَكِنَّ حُثَالَةً مِنَ النَّاسِ يُعَيِّرُونَ زُوَّارَ قُبُورِكُمْ بِزِيَارَتِكُمْ كَمَا تُعَيَّرُ الزَّانِيَةُ بِزِنَاهَا أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي لَا نَالَتْهُمْ شَفَاعَتِي ولَا يَرِدُونَ حَوْضِي.»[1].

فَلِنرَ الآن سند هذا الحديث على ضوء علم الرجال أي استناداً إلى كتب الرجال المقبولة لدى فقهاء وعلماء الشيعة الإمامية، ثم نعرّج بعدها على تمحيص مضمونه.

الطريق الأول للحديث جاء في كتاب «تهذيب الأحكام» للشيخ الطوسي، وكتاب «فرحة الغَرِيّ» للسيد عبد الكريم بن طاووس، وأول راوٍ في هذا الطريق هو «**عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ**» الذي قال عنه علماء الرجال ما يلي:

- قال العلامة الحلي في الخلاصة (ص٢٣٧): «قال الشيخ الطوسي رحمه الله وقال غيره بَلَى قبيلة من قضاعه النسبة إليها بَلَوِيّ، وقال الشيخ الطوسي كان واعظاً فقيهاً ولم يُنَصّ على تعديله ولا على جرحه، **وقال النجاشي: إنه ضعيفٌ. وقال ابن الغضائري: عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ بن عُمَيْرِ بنِ مَحْفُوْظِ الْبَلَوِيُّ أبو محمَّدٍ المصرِيُّ كذَّابٌ وضَّاعٌ للحديث لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه ولا يُعْبَأُ به**».

والآن لنرَ أن هذا الشخص المحترم!! عمن روى حديثه؟ كما نلاحظ في السند لقد رواه عن

(١) الشيخ الطوسي، «تهذيب الأحكام»، ج٦/ ص ٢٢٧.

راوٍ اسمه «**عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ**» وفيما يلي ترجمته:

- قال النجاشي في رجاله: «**عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ الخَولانيُّ الهمدانيُّ لا يُعرف من أمْرِهِ غَيْرُ هذا**».
- وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٤): «**عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ أبو زيد الخيراني الهمداني المدني: كان حليف الأنصار هذا نسبه على ما يزعمه عبد الله بن محمد البلوي المصري، فإنه لا يُعْرَفُ إلا من جِهَتِهِ، وقد سُئِلَ عبد الله عنه فقيل له: من عمارة هذا الذي تروي عنه؟ فقال: رجلٌ نزلَ من السماء فحدَّثني ثم عَرَجَ!! وأصحابُنا يقولون: إنه اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ ما يرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ.**».
- واعتبره أبو داوود في رجاله أيضاً ضعيفاً أو أنه اسم دون مسمى.

كان ذلك حال رجال الحديث حسب السند الأول، وهناك طريق ثان للحديث ذكره أيضاً السيد عبد الكريم بن طاووس في كتابه «**فَرْحَةُ الغَرِيّ**» (ص ٧٦ - ٧٧) (إذْ روى الحديث بعدة أسانيد) فقال:

«محمد بن أحمد بن داود القمي وقد تقدم الإسناد إليه قال حدثنا **إسحاق بن محمد قال حدثني أحمد بن زكريا بن طهمان قال حدثنا إسحاق بن عبد الله بن المغيرة قال حدثنا علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وذكر نحو المتن.**

و قال أيضاً أخبرنا محمد بن علي بن الفضل قال حدثنا أبو أحمد إسحاق بن محمد المقري مولى المنصور قراءة عليه قال حدثني أحمد بن زكريا بن طهمان قال حدثني الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت فداك أبي وأمي فذكر مثله».

فنقول: في سند هذا الحديث «**اسحق بن محمد**» قالت عنه كتب الرجال مثل خلاصة الرجال للعلامة وجامع الرواة للأردبيلي ورجال طه نجف ورجال الغضائري: «**اسحق بن محمد بن أحمد إنه كان فاسدَ المذهب كذّاباً في الرواية وضّاعاً للحديث لا يُلْتَفَتُ إليه**».

وأحد الرواة الآخرين لذلك السند «**أحمد بن زكريا**»: قال عنه العلامة الحلي في رجاله: «**أحمد بن زكريا القميّ من الكذّابين**».

وهذا الشقيّ روى عن «**علي بن حسان**»: جاء في رجال الكشيّ عنه (ص٤٥١ - ٤٥٢): «**قال محمد بن مسعود سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن حسان قال عن أيهما سألت أما الواسطي فهو ثقة وأما الذي عندنا (يشير إلى علي بن حسان الهاشميّ) يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير، فهو كذاب وهو واقفي أيضا لم يدرك أبا الحسن موسى عليه السلام**».

وجاء في رجال العلامة الحلي (ص٢٣٤): «.. **وقال ابن الغضائري علي بن حسان بن كثير مولى أبي جعفر الباقر عليه السلام أبو الحسن يروي عن عمه عبد الرحمن غال ضعيف رأيت له كتاباً سماه تفسير الباطن لا يتعلق من الإسلام بسبب، ولا يروي إلا عن عمه. وقال ابن الغضائري ومن أصحابنا علي بن حسان الواسطي ثقة ثقة وقال النجاشي علي بن حسان بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ضعيف جداً ذكره بعض أصحابنا في الغلاة فاسد الاعتقاد.**».

يتبين مما تقدم أن ذلك الشخص غال وضعيف وأنه كتب تفسيراً لا علاقة له بالإسلام أي مليء بالأباطيل وأنه فاسد الاعتقاد.

فإذا عرفنا حال «علي بن حسان» هذا فلنرَ حال عمه «**عبد الرحمن بن كثير**»: جاء في رجال النجاشي (ص١٧٥ من الطبعة الجديدة في طهران): «**عبد الرحمن بن كثير الهاشمي مولى... كان ضعيفاً، غمز أصحابنا عليه وقالوا كان يضع الحديث!**».

قلتُ: ولعل هذا الحديث أحد موضوعاته!.

ثم أضاف العلامة الحلي: «**ليس بشيء!**».

كل أولئك ينقلون الحديث عن «**أبي عامر واعظ الحجاز**» الذي ليس له ذكر ولا اسمٌ في كتب الرجال. ولا يضر الجهل به فحتى لو كان هذا المجهول - أي أبي عامر - من أكبر العبّاد والزهّاد وكان نظيراً للإمام جعفر الصادق فإن سند الحديث - بسبب حال رواته الآخرين الذي عرفناه - لا قيمة له وساقطٌ من الاعتبار كلياً.

أجل ببركة هذا الحديث الذي رواه أولئك الرواة الصادقون جداً!! امتلأت البلدان

الإسلامية بالأضرحة والمزارات والقباب والمشاهد الحقيقية أو الوهمية لأولاد الأئمة حتى لم تبق قرية ولا بلدة إلا وفيها قبر أو أكثر لأولاد الأئمة التي يطلقون عليها لقب الأمراء مما يذكرنا بالتقاليد والسنن الإيرانية المجوسية القديمة كقولهم شاهزاده حمزة! (أي ابن الشاه أو الأمير حمزة) وشاهزاده جعفر! وشاهزاده أحمد! وقس على ذلك.. وذلك لأن الإيرانيين القدماء كانوا يجلُّون ملوكَهُم وكان لديهم قبل الإسلام مئات الأضرحة الخاصة بأولاد الملوك، فكأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا ويبقوا دون تلك المشاهد، فأدخلوها في الإسلام، وصاروا يقفون أكثر من ربع ممتلكات هذا البلد من الأراضي الزراعية والبيوت والدكاكين على تعمير تلك المشاهد والمراقد لأولاد الأئمة، الأمر الذي أحدث أضراراً وخسائر كبيرة باسم الدين وشوّه الوجه النوراني للإسلام في نظر العقلاء وجعلهم ينفرون منه، في حين أنَّ دين الله بريء من كل تلك الأعمال بحمد الله.

والآن لنأت لمتن ذلك الحديث:

أولاً - أصل البناء على القبور ورفعها وتشييدها محرم في الإسلام كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة التي رواها الفريقان عن النبي والأئمة عليهم السلام، وسنذكر نماذج عن تلك الأحاديث بعد قليل، وبالتالي كيف يمكن لشخص من أصحاب الإمام أن يسأله عن ثواب عملٍ هو في أصله محرّم؟!.

ثانياً - لم يكن قبر أمير المؤمنين معروفاً ولا واضحاً زمن الإمام الصادق فلا مجال أن يأتي شخص لعمارته وتعاهده ويسأل عن الثواب الذي سيناله على ذلك؟ فطبقاً للتواريخ الموثَّقَة تم اكتشاف قبر أمير المؤمنين استناداً إلى بعض العلامات والقرائن زمن هارون الرشيد - أي بعد مدة من حياة الإمام الصادق - وبالتالي فمن البعيد جداً ومن غير المعقول أن يسأل شخصٌ الإمامَ الصادقَ عن تعمير قبرٍ لا يُعرف مكانه بالتحديد وتعاهده!!، وإذا رأينا في بعض الأحاديث أن حضرة الصادق قَدِمَ إلى النجف أحياناً وأشرف على النقاط التي يُحْتَمَل أن تضم قبر أمير المؤمنين فإن تلك النقاط غامضة إلى درجة لا يمكن الجزم معها بالمكان الدقيق للقبر، ويدل

على ذلك أنه لمّا كان الإمام الصادق يُسأل أحياناً أين قبر أمير المؤمنين؟ كان يذكر علامات وإشارات لا تدل على نقطة محددة، فمثلاً جاء في «**كامل الزيارات**» بسنده عن سعد عن ابن عيسى عن علي بن الحكم عن صفوان بن الجمال قال: «**كنت وعامر بن عبد الله بن جذاعة الأزدي فقال له عامر (أي للإمام الصادق عليه السلام): جعلت فداك! إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام دفن بالرحبة! فقال: لا. قال: فأين دفن؟ قال: إنه لما مات احتمله الحسن فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف، يسرةً من الغَرِيّ، يَمْنَةً عن الحِيْرَة، فدفنه بين ذكوات بيض. قال: فلما كان بعدُ، ذهبتُ إلى الموضع فتوهَّمْتُ موضعاً منه ثم أتيتُهُ فأخبرتُهُ. فقال لي: أصبتَ رحمَكَ اللهُ ثلاثَ مرَّاتٍ**»(١).

ثالثاً - تم تعليق ثواب تعمير القبر، في ذلك الحديث على أمر مجهول لأن بناء بيت المقدس لم يكن عملاً مأموراً به في الإسلام حتى يُحدَّد له ثواب معين يمكن قياس ثواب الأعمال الأخرى عليه، فمن المفهوم أن يُقال إن ثواب العمل الفلاني يُعادل حجة أو عدد من الحجات أو الغزوات أو يُعادل كذا ركعة من الصلاة ونحو ذلك لأنها أمور أمر بها الشارع في الإسلام وثوابها معروف، أما بناء بيت المقدس الذي تم في زمن داوود وسليمان عليهما السلام فماذا كان ثوابه حتى تُقاس الأعمال الحسنة الأخرى عليه؟.

رابعاً - إن الذين أعانوا سليمان بن داوود على بناء بيت المقدس، كما جاء في نص القرآن الكريم، هم الجنّ والشياطين، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٢-١٣].

يقول **الشيخ الطَّبْرِسيّ** في تفسيره لهذه لآية الكريمة في تفسيره القيّم «**مجمع البيان**» (ج٨/ ص٣٨٢ الطبعة الجديدة في طهران): «**قال: وكان مما عملوه بيت المقدس**.... (إلى قوله):

(١) بحار الأنوار (ج٩٧/ ص٢٤٠).

فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقَسَّمَ عليهم الأعمال يخص كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام.... الخ».

أي أن إتمام بناء المسجد إنما تمَّ على يد الجن والشياطين بأمر سليمان عليه السلام وإخضاعه لهم، ومن الطريف أن الله تعالى اعتبر هذا العمل نوعاً من العذاب لهم الذي ظلوا خاضعين فيه رغم موت سليمان عليه السلام الذي لم يشعروا به، كما تفيده الآية التي تلت الآيتين السابقتين أي قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سبأ/ ١٤).

وجاء في تفسير «منهج الصادقين» (ج٧/ ص٣٥٣ - ٣٥٤، طبعة طهران) شَرْحُ بناءِ بيت المقدس بواسطة الجنّ على نحو مفصل يبدو منه أنه لم يشارك في بناء ذلك البناء أي إنسيّ، إذْ يقول في تفسير الآية الأخيرة ﴿ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾:

«قيل إنه لم يمض على توظيفهم في العمل ببناء بيت المقدس عامٌ إلا وجاء داعي الأجل لقبض روح سليمان عليه السلام فأوصى سليمان حاشيته ألّا يفشوا موته وأن يجعلوه متكئاً على عصاه كي لا يتوقف الجن عن العمل ويكملوا بناء المسجد!». وقد جاء المضمون ذاته في بحار الأنوار (الطبعة الحجرية:ج٥/ ص٣٥٠ - ٣٥١).

فكيف يمكن مقايسة تعمير مزار أمير المؤمنين بعمل الجن والشياطين؟! نعم لو قايسنا بعض البانين لذلك المزار الشريف الذين كانوا ملوكاً جبارين وظَلَمَةً سفّاكين مثل «هارون الرشيد» و«نادر شاه أفشار» الذي كان أولهما بانياً والثاني آمراً بتعمير ذلك المزار، بالشياطين لكان قياساً صحيحاً غير بعيد عن الحقيقة!!

خامساً - لو كان لبناء وتشييد قبر أمير المؤمنين كل ذلك الأجر والثواب فلماذا لم يقُمْ به حضرة الإمام الصادق عليه السلام الذي كان أعلم الناس به، وكان يمتلك القدرة المالية عليه (كما رُوي عنه عليه السلام قوله: «أنا أغنى أهل المدينة»)؟؟

فإن قيل: إن الإمام الصادق لم يكن يمتلك نفوذاً معنوياً للقيام بذلك، قلنا: إن الأمر ليس كذلك لأنه في أوج سلطة وقوة خلفاء الجور قام ابنه إسماعيل بقتل رئيس الشرطة وحاكم المدينة «داوود بن علي» الذي كان قد قتل «المعلّى بن خُنيس»، ولم يتعرَّض له أحد. فتعمير قبر أمير المؤمنين أمر أسهل من ذلك بكثير ولا خشية فيه. فليت شعري لو كان تعمير وتعهد قبر علي وأولاده عليهم السلام عملاً ذا ثوابٍ عظيمٍ إلى ذلك الحد المذكور، فلماذا لم يقم الإمام الصادق عليه السلام ببناء قبر أحد العلويين أو على الأقل ابنه إسماعيل ويقيم عليه قبة وضريحاً؟ أولاً لِيُعَلِّمَ شيعتَهُ القيامَ بهذا العمل ذي الثواب الكبير. وثانياً: لِكَيْ يقضي على ما كان شائعاً مشتهراً في أوساط فريقٍ من أتباعه بان إسماعيل كان لا يزال حياً، ومن ذلك نشأت الفرقة الإسماعيلية التي نبع منها فساد كثير فيما بعد.

وعلى أي حال فمن الواضح أنه كان بإمكان أحد الأئمة المعصومين أو المؤمنين الصالحين من أتباعهم أن يؤدي تلك السنَّة السنيّة (!) لتصبح مستنداً للآخرين من بعده ولكنَّ شيئاً من ذلك لم يحصل.

سادساً - لنفرض أن تعمير قبور أمير المؤمنين وأولاده المعصومين سلام الله عليهم أجمعين عملٌ ذو ثواب عظيم فما دخل أولاد وذرارِيُّ الأئمة في هذا الأمر وما الدليل الشرعي على بناء الأضرحة والمراقد على كل ولدٍ أو حفيدٍ من أولاد الأئمة التي أغلبُها قبورٌ وهميَّة؟ اللهم إلا أن يُقال إنهم لما كانوا من أولاد الأئمة فإنهم أشراف فيشملهم الحديث الذي مرّ! ولكن مثل هذا القول مؤداه أن نبني أضرحة ومزارات على كل شريف النسب وهم بمئات الألوف وليت شعري ماذا سيكون حال بلدنا عندئذٍ؟!

سابعاً - إن فساد هذا العمل لم ينحصر بقبور ومراقد أحفاد وذرارِيّ الأئمة بل سرى إلى طبقة المترفين والأثرياء في البلد، فأصبحنا نجد في مدينة قم قبوراً عجيبة وغريبة ذات غرف مزخرفة ومزينة فوقها قباب جميلة بُنيت على الجيفة النتنة لبعض الأثرياء الفاسدين من سارقي أموال الشعب وقوته، يقوم على خدمتها خدّام وقرّاء وتُفرش بالسجاد الفاخر وتوضع فيها

المصابيح المضيئة، بل لقد تحوّل الأمر إلى تجارة رابحة حيث قام أحد الأثرياء غلاظ الرقبة (المترفين القُسَاة) من أهل طهران بشراء بقعة من الأرض حوَّلها إلى مقبرة مجلَّلة جداً وأخذ يبيع أثرياء طهران وسائر المدن القبرَ فيها بثلاثين أو أربعين ألف تومان!.

أجل هذه هي نتيجة ما يدافع عنه بعض حماة الدين، ممن يصور مثل هذه الأعمال الجاهلية على أنها من أركان دين خاتم النبيين، فإذا قام أحد ينتقد هذه الأمور رشقوه بأنواع التُهم بلا حياء من الله ورسوله ولا حساب ليوم الدين!.

الأحاديث الواردة في النهي عن تعمير القبور والنهي عن الغلو

لنَذْهَبْ الآن نحو الأحاديث المرويَّة عن النبيّ والأئمّة - عليهم السلام - في النهي عن تعمير القبور وتشييدها والبناء عليها، والتي تتفق في مضمونها مع كتاب الله وسنّة نبيّه ونقارنها بالأحاديث المزورة والملفقة التي مرت:

١- في الكتاب الشريف الموسوم بـ«**المحاسن**» تأليف **البرقيّ**، وفي كتاب «**وسائل الشيعة**»/ باب ٤٣ من أبواب دفن الموتى عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**مَنْ جَدَّدَ قبراً أو مَثَّلَ مثالاً، فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الإِسْلامِ**».

٢- وفي كتاب «**الكافي**» للكُلَيْنِيّ (ج٦/ ص٥٢٨) عن أبي القدّاح يروي عن حضرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «**بعثني رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إلى المدينة في هَدْمِ القبور وَكَسْرِ الصُّوَر فقال: لا تَدَعْ صُورَةً إلّا مَحَوْتَهَا ولا قَبْراً إلا سَوَّيْتَه**».

٣- وأورد **الشهيد الأول** في كتابه الفقهيّ «**الذكرى**» روايةً عن أبي الهياج الأسديّ أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: «**أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ**»

٤- وجاء في كتاب «**تهذيب الأحكام**» للشيخ **الطوسي** (ج١/ ص٤٦١، ح ١٤٨) وذكره **الحر العاملي** في «**وسائل الشيعة**»/ باب ٤٤ من أبواب الدفن:

«**عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام عَنِ الْبِنَاءِ عَلَى الْقَبْرِ وَالْجُلُوسِ عَلَيْهِ**

هَلْ يَصْلُحُ؟ قَالَ: لا يَصْلُحُ الْبِنَاءُ عَلَيْهِ وَلا الْجُلُوسُ وَلَا تَجْصِيصُهُ وَلَا تَطْيِينُهُ.».

٥- وروى الشيخ الصدوق في مجالسه بسنده عن حضرة الصادق عليه السلام عن آبائه أن **رسول الله** صلى الله عليه وآله **نهى عن تجصيص القبور والصلاة فيها.**

٦- وروى البرقيّ في «المحاسن» والشيخ الطوسي في «تهذيب الأحكام» (ج١/ ص٤٦٢، ح ١٥٠): «**عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ جَرَّاحٍ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (الإمام الصادق)** عليه السلام **قَالَ: لَا تَبْنُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَوِّرُوا سُقُوفَ الْبُيُوتِ فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ كَرِهَ ذَلِكَ**».

٧- وأورد الحرّ العامليّ في «وسائل الشيعة»/ الباب ٤٤ من أبواب الدفن عن حضرة الصادق عليه السلام أنه قال: «**نَهَى رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ - أَنْ يُصَلَّى عَلَى قَبْرٍ أَوْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهِ**».

٨- وروى **الشيخ الصدوق** في كتابه «**معاني الأخبار**»: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الزَّنْجَانِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدٍ (رَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) **أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَقْصِيصِ الْقُبُورِ قَالَ وهُوَ التَّجْصِيصُ**».

٩- وروى الشيخ الصدوق في كتابه «فقه الرضا» (ص١٨٨ - ١٨٩) ضمن ذكره تجهيز جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله: «...**فلما أن فرغ من غسله وكفنه أتاه العباس فقال يا علي إن الناس قد اجتمعوا على أن يدفنوا النبي** صلى الله عليه وآله **في بقيع المصلى وأن يؤمهم رجل منهم فخرج عليٌّ** عليه السلام **إلى الناس فقال: يا أيها الناس أ ما تعلمون أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) إمامنا حيا وميتا وهل تعلمون أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لعن من جعل القبور مصلًّى ولعن من يجعل مع الله إلهاً؟!**».

١٠ - وروى الشيخ الصدوق أيضاً في كتابه «من لا يحضره الفقيه» (ج١/ ص١٨٠، ح ٥٣٩) عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه قال: «**إِذَا دَخَلْتَ الْمَقَابِرَ فَطَأِ الْقُبُورَ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً اسْتَرْوَحَ إِلَى ذَلِكَ وَمَنْ كَانَ مُنَافِقاً وَجَدَ أَلَمَهُ**».

فهذه عشرة أحاديث شريفة نكتفي بذكرها طلباً للاختصار ولو أردنا أن نذكر كل الأحاديث في هذا الصدد لطال بنا الكلام!.

فإن قيل إن كل تلك الأحاديث المذكورة إنما هي في شأن قبور الناس العاديين، أما النبي والأئمة فوضعهم مختلف، قلنا: إليكم هذه الأحاديث التي تُثبت أنه لا فرق في هذا الحكم بين قبور النبي والأئمة – عليهم السلام – وقبور سائر الناس:

١- روى الشيخ الصدوق في كتابه «علل الشرائع» (ج١/ ص٣٠٧/ ٢٥٥ - باب العلة التي من أجلها يرش الماء على القبر) بسنده عن حضرة جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما السلام أنه قال: «**إن قبرَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ رُفع شبراً من الأرض، وإن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ أمر برشِّ القُبُور**».

٢- روى الشيخ الصدوق في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**» (ج١/ ص١٧٨، ح ٥٣٢) والحر العاملي في «**وسائل الشيعة**» (ج٥/ ص١٦١، ح٦٢٢٢): «**مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِه): لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي قِبْلَةً وَلَا مَسْجِداً فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَعَنَ الْيَهُودَ حَيْثُ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

إن جميع تلك الأحاديث التي مرت مدوَّنَةٌ مسطورةٌ في كتب حديث الشيعة الإمامية الموثَّقَة ولم نأتِ بها لا من كتاب **ابن تيمية** ولا من تأليفات **محمد بن عبد الوهاب** ولا حتى من كتب حديث أهل السنة حتى يُشْكِلَ بعضُ الناسِ عليها!

وبالطبع هناك في كتب العامة أحاديث كثيرة بذلك المضمون منها ما رُوي: «**عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله!**»(١).

إن الدين في العرف والعقل والشرع عبارة عن أمر الله ونهيه والأحكام التي شرعها الله تعالى لخير الإنسان وسعادة العباد في الدارين، أما الدين في عرف الضّالين فعبارة عن تعظيم الأفراد

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحهما والنسائي وابن ماجه في سننهما، وانظره في التاج الجامع للأصول، ج١/ ص٢٤٣ - ٢٤٤. (المترجم)

وذكر الأشخاص والتضرع إليهم في قبورهم دون الالتفات إلى ما جاء عن النبي وما أراده الله من بعثة رسوله بل يقدمون الأعذار قدر استطاعتهم لتعطيل تلك الأحكام حتى أصبح دين الله الأبدي مهجوراً وتعاليمه منسوخةً غير مكترثين بهذا الوضع! فكل ما يهمهم هو تشييد القبور وإقامة المآتم وغير ذلك من الأمور في حين لا يُولون الأمور المهمة والأساسية في الدين إلا اهتماماً ضعيفاً.

وإذا أعيت أولئك المدافعين عن البناء على القبور الحيل لم يجدوا في جعبتهم إلا أن يقولوا إن ما أقوله أنا وأمثالي في هذا الشأن هو عين ما قاله «**كَسْرَوِيّ**»(١) ومشابهٌ لما قاله فلان وفلان، وأن العلماء قد ردُّوا عليهم وفنّدوا أقوالهم فاقرؤوا كتاب العالِم الفلاني أو آية الله الفلاني لتجدوا فيه الإجابة عن كل تلك الإشكالات!

وأقول في الإجابة عن ذلك: وهل كل ما قاله «**كَسْرَوِيّ**» - حتى ولو كان صاحب غاية خبيثة في كلامه - باطلٌ وخاطئٌ؟!. لا شك أن ذلك الرجل المحشِّش (كسروي) كانت له أغراض لا دينية وقد خلط في كلامه الباطلَ ببعض الحق وبالتالي فلا يعني ذلك أن كل كلمة قالها خطأ.

وعلى كل حال، إن كذب ذلك الحديث الذي يستند إليه القائلون ببناء المراقد والقباب على

---

(١) يقصد به الكاتب الإيراني «أحمد الكسروي» الذي ولد في تبريز عام ١٢٦٧هـ ق، وصار أستاذاً في جامعة طهران واشتهر لنشره عدة كتبٍ وجَّه فيها انتقادات لأفكار وممارسات المسلمين في عصره، مثل «صوفيگري» أي الصوفية و«اشعريگري» أي الأشعرية و«شيعيگري» أي الشيعية الذي نقد فيه أصول وممارسات الشيعة الإمامية نقداً لاذعاً وجارحاً لم يسلم منه حتى الإمام الحسن بن علي والإمام جعفر الصادق عليهم السلام الذي اتهمه - والعياذ بالله - بأنه كان ذا وجهين.. الخ، ويظهر من بعض عبارات الكسروي أنه كان ملحداً إذْ أنكر معجزات موسى وعيسى عليهما السلام واعتبرها من الخرافات، ودعا إلى دين جديد هو دين العقل ودعا إلى إحراق كتب التراث ومارس ذلك سنوياً. اغتيل عام ١٩٤٦م/ ١٣٢٤ هـ ق. (المترجم)

القبور ليس أمراً يمكن كتمانه، كما لا يمكن إنكار كون القبور المشيّدة ذات الأبنية العالية تذكرنا بالفراعنة والأكاسرة! ولا يمكن لأحد أن يزيل كل تلك الأحاديث المروية عن النبي والأئمة عليهم السلام في مذمة البناء على القبور وتحديثها وتجصيصها ورفعها من كتب الحديث، خاصة أن سيرة مسلمي الصدر الأول تبين بكل وضوح أن مثل تلك الأعمال لم تكن رائجة ولا كانت في نظرهم مشروعة.

فكل من يؤلف كتباً ويقول كلاماً في مواجهة كتاب الله وسنة رسوله وأحاديثه الشريفة الصحيحة فقد قال زُخْرُفاً من القول حتى لو كان لقبه آية الله وكان حجم عمامته بحجم قبة المسجد الأعظم! وحتى لو ادّعى الاتصال باللاهوت وكان ضليعاً بالفلسفة والتصوف وملأ كتابه بسباب مخالفيه وتنقيصهم!.

في المقالات التي نشرناها في صحيفة «وظيفة» أوضحنا أنه رغم أن أساس الأديان الحقّة وبعثة الأنبياء الإلهيين هو اجتثاث جذور الشرك والوثنية واستبدالها بروح التوحيد، إلا أنه لما كان البشر قد عاشوا أزمنة مديدة في ظلمات الجهل والوثنية وعبادة الأرواح والأشخاص فإنهم لم يكونوا مستعدين كل الاستعداد لإدراك تعاليم الأنبياء وأخذ معارفهم الحقّة لذا نجد في كل دين وملة بقايا وآثار من العقائد الشركية القديمة! كما هو الحال في دين اليهود والنصارى الذي كان أساسه ديناً حقاً.

ولكن بسبب التعوُّد على تلك الخرافات الخاصة بعهد الظلام والشرك لم يستطيعوا التخلي بشكل كامل عن العقائد الموهومة والباطلة بل عادت إلى دينهم بثوب جديد وأصبحوا يعتقدون بألوهية أشخاص معينين ويتخذونهم آلهة وأرباباً مع الله!

ودين الإسلام المقدّس المعروف بأنه دين التوحيد والوحدانية وكتابه السماوي حافظٌ لهذه العقيدة وملقِّنٌ لها وآياته الصريحة تمنع بشكل قاطع كل تذلل وخضوع وعبادة لغير الله وتأمر بتقديم الحمد والثناء للذات الأحدية وحدها كما يقول تعالى: ((**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**)) (الجن/ ١٨)، ولا تسمح بإعطاء أي صفات ربوبية لأيٍّ من مخلوقات الله أياً كانت ومهما

كان مقامها أو تقديسها وتسبيحها من دون الله.

وكان أئمة دين الإسلام المبين بدءاً من النبيّ الأكرم ﷺ والأئمّة الكرام - عليهم السلام - وصحابة رسول الله مراقبين دائماً ومنتبهين ألا تصدر عن المسلمين أي حركة منشؤها الغلو بحقهم إلى الحد الذي كان رسول الله يمنع الناس أن يقفوا لديه وهو جالس[١] وكان يركب الحمار والبغل تواضعاً وانكساراً لله وكان يحلب الشاة بيديه ويجمع الحطب في السفر بنفسه لطبخ الطعام ولم يكن يقبل من أي أحد أن يتملّقه بالمدائح والثناء المشوب بالمبالغات والغلو ولم يكن يسمح لأحد أن يخاطبه بالألقاب والعناوين التي تخصّ النبلاء والملوك المستكبرين ويمدحه بمثلها ويمتنع عن بيان كثيرٍ من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لكي لا يقع الجهلاء في الغلو به وينسبون إليه ما لا يجوز.

ورغم كل ذلك فإن الأشخاص الذين اعتادوا ردحاً طويلاً من الزمن على عبادة الأوثان والأصنام وتشبّعت روحهم بتعظيم الأشخاص وعبادة الأرواح والملائكة لم يستطيعوا أن يستوعبوا حقيقة تعاليم الإسلام التي تُؤكد أنه لا يوجد في عالم الوجود والغيب والشهادة معبودٌ سوى الله وحده ولا توجد قدرةٌ ولا قوةٌ ولا مشيئةٌ مؤثرةٌ في الخلق والكون سوى ذات الله واجب الوجود.

فيا حسرة على العباد الذين لا يمكنهم التخلي عن روح الوثنية وتعظيم الأشخاص والغلو فيهم، هذا رغم كل ذلك التواضع الذي كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ الذي كان يكرر: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**»[٢]، ويقول

---

(١) يبدو أن المؤلف يشير إلى الحديث النبوي: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**» رواه الترمذي في سننه (باب الأدب عن رسول الله) وأبو داود في سننه، وأحمد في مسنده. (المترجم)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل/ باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا. وصححه السيوطي والألباني. (المترجم)

لأصحابه «**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ**»[١] وذلك عندما استشاروه في تأبير النخل فقال لهم لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا فَتَرَكُوهُ فَنَقَصَتْ فقال لهم مقولته تلك، وكذلك الأئمة - عليهم السلام - لم يدّعوا لأنفسهم مقاماً سوى بيان الحلال والحرام والرواية عن جدّهم حضرة خير الأنام.

روى **محمد بن الحسن الصفّار** في كتابه «**بصائر الدرجات**» عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم قال دخلت عليه (أي على الإمام جعفر الصدق عليه السلام) بعد ما قُتِلَ أبو الخطاب، قال فذكرتُ له ما كان يَرْوِي من أحاديثه تلك العظام قبل أن يُحْدِثَ ما أَحْدَثَ فقال (الصادق عليه السلام):

«**بحسبك والله يا محمد أن تقول فينا: يعلمون الحلال والحرام وعلم القرآن وفصل ما بين الناس**. فلما أردتُ أن أقومَ أخذ بثوبي فقال: **يا محمد! وأي شيء الحلال والحرام في جنب العلم؟ إنما الحلال والحرام في شيء يسير من القرآن**»[٢].

وروى السيد «**هاشم البحراني**» في تفسيره «**البرهان**» عن أيوب بن الحرّ عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لمن سأله: الأئمة بعضهم أعلم من بعض؟ فقال: «**نعم! وعلمهم بالحلال والحرام وتفسير القرآن واحد**»[٣].

وكان الأئمة عليهم السلام يتبرؤون كل التبرؤ وترتعد أبدانهم ممّا يَنْسِبُهُ إليهم بعض الغلاة - لعنهم الله - من علمهم المطلق بالغيب، كما روى المجلسي نقلاً عن كتاب «رجال الكشي» بسنده عن عن عنبسة بن مصعب قال قال لي أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام:

«أيُّ شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعتُه يقول إنكَ وضعتَ يدكَ على صدره وقلتَ لهُ عِه ولا تنسَ! وأنكَ تعلمُ الغيبَ وأنك قلتَ له عيبةُ علمنا وموضعُ سرِّنا أمينٌ على أحيائنا وأمواتنا! قال (الإمام الصادق): لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده، **وأما قوله إني**

---

(١) المصدر السابق، عن عائشة وعن أنس كلاهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (المترجم)

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٢٣/ ص١٩٥ من الطبعة الجديدة.

(٣) ورواه محمد بن الحسن الصفّار في كتابه «بصائر الدرجات» من عدة طرق، ص ٤٧٩.

قلتُ أعلمُ الغيبَ فو اللهِ الذي لا إله إلا هو ما أعلم، فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنتُ قلتُ له. قال: وقدامه جويرية سوداء تدرج فقال: **لقد كان مني إلى أم هذه أو إلى هذه كخطة القلم فأتتني هذه فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني ولقد قاسمتُ مع عبد الله بن الحسن حائطا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل..**»[١].

إن عدم معرفة الغيب لا تُنقص من شأن الأئمة ولا تُنزّل من مقام إمامتهم، بل حتى رسول الله ﷺ المُؤيَد بالتأييدات الإلهية، ومهبط الوحي الإلهي نفى علم الغيب[٢] عن نفسه وذلك طبقاً للآية الكريمة: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف/ ١٨٨).

ولا يقتصر الأمر على عدم علم الغيب بل إن كثيراً من العوارض البشرية التي تعرض لكل فرد عادي كانت تعرض لهم - عليهم السلام - أيضاً، كما روى **الشيخ الصدوق** في كتابه الشريف «**عيون أخبار الرضا**» (ج٢/ ص٢٠٣) قال:

«حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال حدثني أبي عن أحمد بن علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي قال قلت للرضا عليه السلام: **يا ابن رسول الله! إن في سواد الكوفة قوماً يزعُمُون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ لم يقع عليه السهو في صلاته! فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو**... الحديث».

وروى المجلسي في «بحار الأنوار» نقلا عن كتاب «السرائر» بسنده عن الفضيل قال: «**ذكرتُ لأبي عبد الله عليه السلام السهوَ فقال: وينفلت من ذلك أحد؟! ربما أقعدت الخادمَ خلفي يحفظ عليَّ**

---

(١) المجلسي في بحار الأنوار ج ٢٥/ ص ٣٢٢، من الطبعة الجديدة.

(٢) مما يجدر ذكره أن الآية نفت علم الغيب المطلق عن النبي ﷺ سواء كان علماً ذاتياً أو علماً موهوباً من الله وذلك لأنها نفت نتائج علم الغيب وانتفاء النتائج يستوي فيه أن يكون ذلك العلم بالغيب موهوباً أو ذاتياً، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ لا يملك القدرة المطلقة على اختراق حُجُب الغيب متى شاء، بل لا يعلم الغيب إلا ضمن حدود ما يطلعه الله سبحانه عليه بمشيئته. فتأمل (المترجم)

صلاتي. إياكم والغلو فينا! قولوا إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم. من أحبنا فليعمل بعملنا وليستعن بالورع فإنه أفضل ما يستعان به في أمر الدنيا والآخرة...»[١].

وكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام رسالةً إلى «المنذر بن الجارود العبدي» قال له فيها: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ...**» (نهج البلاغة/ الرسالة ٧١ ص٤٦٢).

وأورد السيد «**هاشم البحراني**» في مقدمة تفسيره «**البرهان**»، في الباب العاشر منها: أن بعض الناس زعموا أن المقصود من آيات القرآن هم الأئمة وأن «**المفضل بن عمر**» نقل ذلك إلى الإمام الصادق عليه السلام فأنكره بشدة وقال:

«و بلغكَ أنهم يزعمون أن الدين إنما هو معرفة الرجال ثم بعد ذلك إذا عرفتهم فاعمل ما شئت!.... وذكرتَ أنكَ قد عرفت أن أصل الدين معرفة الرجال وذكرت أنه بلغك أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هو رجل، وأن الطهر والاغتسال من الجنابة هو رجل، وكل فريضة افترضها الله على عباده هو رجل، وأنهم ذكروا ذلك بزعمهم أن من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل..... (إلى قوله عليه السلام):

أُخْبِرُكَ أنه من كان يدين بهذه الصفة التي كتبتَ تسألُني عنها فهو عندي مشركٌ بالله تبارك وتعالى بيِّنُ الشرك لا شكَّ فيه.»[٢].

وقد أكد أمير المؤمنين والأئمة - عليهم السلام - على التحذير من الغلو والغلاة وقال عليه السلام

(١) المجلسي في بحار الأنوار ج ١٠/ ص ٩٢، من الطبعة الجديدة.

(٢) انظر بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفّار: ص٥٢٦ - ٥٢٧. وبحار الأنوار للمجلسي: ج٢٤/ ص ٢٨٦ - ٢٨٩، الطبعة الجديدة.

في هذا الصدد قولته الشهيرة: «**هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ**»[(١)] (نهج البلاغة/ الحكمة رقم ١١٧).

لذا نجد أن صاحب «تُحف العقول» يذكر ضمن وصايا أمير المؤمنين: «**إياكم والغلو فينا! قولوا إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم. مَنْ أحبَّنا فليعمل بعملنا وليستعن بالورع**».

وأنه كان يكرر وصيته: «**لا تفضحوا أنفسكم عند عدوكم في القيامة! ولا تكذِّبوا أنفسكم عندهم..**» [(٢)] أي لا تُسقطوا أنفسكم من أعين مخالفيكم وأعدائكم بإيمانكم بالعقائد المغالية السخيفة التي تفضحكم أمام الناس يوم القيامة.

ولكن للأسف مع كل هذه الوصايا والتعاليم وضع الأعداء الخبثاء أو الأصدقاء الحمقى أحاديث كثيرة عن الأئمة - عليهم السلام - تُثبت لهم العلم بالغيب وإحياء الموتى وشفاء المرضى وتقسيم أرزاق العباد وأن لا شيء يتم في العالم ولا يتحرك إلا بإذنهم، وأنه عندما قام أمير المؤمنين بضرب «مرحب» نزل جبرائيل وإسرافيل وميكائيل من السماء خشية من أن تصل ضربة أمير المؤمنين إلى الثور والحوت الحاملين للأرض!! وأن الأئمة كانوا يقضون على الثعابين وهم لا يزالون في المهد ويقفزون إلى السماء وهم في المهد، وأنه قبل نزول القرآن وبعثة نبي آخر الزمان قرأ عليٌّ على رسول الله سوراً من القرآن وهو لا يزال حديث الولادة ملفوفاً في قماش مهده!! وأمثال تلك الخرافات والأساطير التي يردّها العقل والشرع والتي لعن الأئمة - عليهم السلام - واضعيها واظهروا البراءة منهم مراراً كما روى الشيخ الصدوق في كتابه الشريف «**عيون أخبار الرضا**»عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**...يا ابن خالد! إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى فمن أحبهم فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا ومن**

---

(١) وجاءت هذه العبارة عنه - عليه السلام - أيضاً بلفظ آخر هو: «**يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ**» (الحكمة رقم ٤٦٩، من نهج البلاغة)، (المترجم)

(٢) المجلسي في بحار الأنوار: ج١٠/ ص٩٣ من الطبعة الجديدة.

والاهم فقد عادانا ومن عاداهم فقد والانا... الحديث»[(١)]

وروى الصدوق في كتابه المذكور أيضاً بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«**يا ابن أبي محمود! إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**»[(٢)].

حيدر علي قلمداران

(١) الشيخ الصدوق في «**عيون أخبار الرضا**»: ج١/ ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ج١/ ص ٣٠٤.

مصادر ومراجع الكتاب والتحقيق

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥ هـ)، «الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار»، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٣. ابن الأثير الجزري، «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول».

٤. ابن الغضائري، رجال ابن الغضائري، قم: مؤسسة إسماعيليان، ط٢، ١٣٦٤ هـ

٥. ابن داود الحلي (توفي في القرن ٨ هجري؟)، «رجال ابن داود»، نشر مؤسسة النشر في جامعة طهران، ١٣٨٣ هـ

٦. ابن سعد،محمد بن سعد كاتب الواقدي (٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، ليدن، هولندا.

٧. ابن شعبة الحراني، الشيخ الحسن بن شعبة، تحف العقول، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٤ هـ

٨. ابن طاوس، السيد علي بن طاوس الحلي (٦٦٤ هـ)، «مهج الدعوات»، قم: دار الذخائر، ١٤١١ هـ

٩. ابن طاووس الحسني، السيد عبد الكريم بن طاووس الحسني (٦٩٣ هـ)، «فَرْحَةُ الغَرِيِّ في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ»، قم: دار الشريف الرضي للنشر.

١٠. ابن قولويه، الشيخ أبو القاسم، جعفر بن محمد بن جعفر بن قولويه القمي (٣٦٧ هـ)، «كامل الزيارات»، النجف الأشرف: دار المرتضوية، ١٣٩٨ هـ

١١. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

١٢. ابن ماجه، الحافظ محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه.

١٣. ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (٢١٣هـ) السيرة النبوية، القاهرة، بتحقيق السقا والأبياري والشلبي.

١٤. أبو داود، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، سنن أبو داود.

١٥. أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة أبو عبدالله الشيباني (٢٤١ هـ)، مسند أحمد.

١٦. الأردبيلي (الفاضل محمد بن علي الغروي الحائري)، جامع الرواة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٧. الاسترآبادي، الميرزا محمد الاسترآبادي، منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال.

١٨. الإمام زيد بن علي، مسند الإمام زيد، بيروت: دار مكتبة الحياة.

١٩. البخاري، الإمام الحافظ (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري.

٢٠. البرقي، المحاسن.

٢١. البلاذري (أحمد بن يحيى) (٢٧٩ هـ)، أنساب الأشراف، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢. البيهقي، الإمام الحافظ أحمد بن الحسين بن علي، (٤٥٨هـ)، «السنن الكبرى».

٢٣. الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى أبو عيسى (٢٧٩هـ)، سنن الترمذي.

٢٤. التستري، العلامة الشيخ محمد تقي التستري، قاموس الرجال، طبع طهران.

٢٥. التفرشي، السيد مير مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي، «نقد الرجال».

٢٦. الجوهري، «الصحاح في اللغة».

٢٧. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (٢٧٥هـ)، المستدرك على الصحيحين.

٢٨. الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤ هـ) وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة، ط١، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٩ هـ

٢٩. الحلي، العلامة الفقيه الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦ هـ)، «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال»، الطبعة القديمة.

٣٠. الحلي، العلامة، رجال العلامة الحلي، قم: دار الذخائر، ١٤١١ هـ

٣١. الحميري، عبد الله بن جعفر الحميري (توفى في القرن الثالث الهجري)، «قرب الإسناد»، طُبع هذا الكتاب مع كتاب الأشعثيات في مجلد واحد بطبعة حجرية، طهران: مكتبة نينوى.

٣٢. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، بيروت.

٣٣. الزركلي، الأعلام.

٣٤. سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي (٣٠١ هـ)، «المقالات والفرق»، صححه وعلق عليه د. محمد جواد مشكور:طهران، ١٩٦٣ م.

٣٥. السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (٩١١ هـ)، «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى».

٣٦. السيوطي، الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي (٩١١ هـ)، "تذكرة الحفاظ".

٣٧. الشريف الرضي، نهج البلاغة، قم: دار الهجرة للنشر.

٣٨. الشهيد الأول، الفقيه الإمامى محمد بن مكى العاملي النبطي الجزينى، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول (٧٨٦ هـ)، «الذكرى».

٣٩. الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، كتاب التوحيد، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٣٩٨ هـ

٤٠. الصدوق، كتاب الخصال، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ

٤١. الصدوق، الأمالي، طهران: المكتبة الإسلامية، ط٤، ١٤٠٤ هـ

٤٢. الصدوق، علل الشرائع، قم: مكتبة الداوري.

٤٣. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه‌السلام، الناشر: دار العالم للنشر (جهان)، ١٣٧٨ هـ

٤٤. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ط٢، قم: دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٥هـ

٤٥. الصدوق، معاني الأخبار، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٣ هـ.

٤٦. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ط٣، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.

٤٧. الصفّار، محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠ هـ)، «بصائر الدرجات»، ط٢، قم: مكتبة آية الله النجفي المرعشي، ١٤٠٤ هـ

٤٨. الطبراني، الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير.

٤٩. طه نجف، آية الله الشيخ محمد طه نجف، إتقان المقال في أحوال الرجال.

٥٠. الطوسي، الشَّيْخُ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (٤٦٠ هـ)، «تهذيب الأحكام»، طهران: دار الكتب الإسلامية، ط٤، ١٣٦٥ هجرية شمسية.

٥١. الطُّوسِيُّ، رجال الشيخ الطوسي (الأبواب)، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٥ هـ

٥٢. الطوسي، الفهرست، النجف الأشرف: المكتبة الرضوية.

٥٣. الطوسي، كتاب الأَمَالِي (أو المجالس)، ط١، قم: دار الثقافة للنشر، ١٤١٤ هـ

٥٤. عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، «المصنف»، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، تحقيق وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي، ١٤٠٣هـ

٥٥. قطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، ط١، قم: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩ هـ

٥٦. القهپائي، الشيخ العلامة الملاعناية الله (زكي الدين) بن علي (شرف الدين) بن محمود بن علي القهبائي النجفي (توفي بعد ١٠١٩ هـ)، «مجمع الرجال».

٥٧. الكشي، (محمد بن عمر بن عبد العزيز)، رجال الكشي، طبع كربلاء، أو تحقيق حسن المصطفوي، طبع مشهد: مؤسسة النشر في جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ

٥٨. الكُلَيْنِي، ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكُلَيْنِي الرازي (٣٢٩هـ)، «الكافي» (الأصول والفروع والروضة)، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هجرية شمسية.

٥٩. المامقاني (أو الممقاني)، آية الله الشيخ عبد الله الممقاني، تنقيح المقال في أحوال الرجال.

٦٠. متى، إنجيل متى.

٦١. المجلسي، العلامة المنلا محمد باقر (١١١٠هـ)، «بحار الأنوار»، ط. الجديدة في ١١٠ أجزاء، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٤٠٤ هـ، أو ط. الحجرية القديمة.

٦٢. المجلسي، «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول»، طهران، ١٤٠٧هـ.

٦٣. مسلم بن الحجاج النيشابوري، صحيحه مسلم

٦٤. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المشهور بالمفيد (٤١٣ هـ)، «الإختصاص»، الناشر: قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ..

٦٥. المفيد، «الإرشاد»، ط١، الناشر: قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.

٦٦. النجاشي (الشيخ أحمد بن علي)، «الرجال»، طهران. أو بيروت، ١٤٠٨ هـ. بتحقيق محمد جواد النائيني.

٦٧. النسائي، الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (٣٠٣هـ)، سنن النسائي.

٦٨. النوبختي (أبو محمد الحسن بن موسى) (٣٠٠ أو ٣١٠هـ)، «فرق الشيعة»، صححه وعلق عليه: السيد محمد صادق آل بحر العلوم: النجف ١٣٥٥هـ.

٦٩. النوري الطبرسي (١٣٢٠ هـ)، «مستدرك الوسائل»، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ

٧٠. الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، القاهرة، بيروت: دار الريان للتراث،دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ

٧١. الواقدي، «مغازي الواقدي».

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

٥

بحث حول الغـــلو والغـــلاة

«اِحْذَرُوا على شَبَابِكُمُ الغُلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ الله، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ الله، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ الله، وَالله إنَّ الغلاةَ شرٌّ من اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أشْرَكُوا...»

الإمام الصادق عليه السلام - أمالي الشيخ الطوسي (ص ٦٥٠).

بسم العليّ الأعلى

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

[المائدة: ٧٧]

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾

[النساء: ١٧١]

تمهيد في علل نشأة الغُلُوّ في الأديان

إن مطالعةً مختصرةً لتاريخ الأديان تُبَيِّنُ بوضوح أن أسوأ آفةٍ هدَّدت حقائق كلِّ دينٍ في كل زمنٍ كانت آفة الغُلُوّ والخرافات، وهذه الآفة تَعْرِضُ لِكُلِّ دينٍ حقٍّ من عدّة جهات ولعدّة أسباب:

أوّل علّة هي أن الاهتمام الشديد الذي يبديه الأتباع الصادقون لكلِّ دين فيتَّجهون نحوه بكلِّ إخلاص وصفاء وبكلِّ قواهم وبالمآل تبرز منهم قوى عجيبة تصنع المعجزات وفي النهاية وكما يقول الفيلسوف والشاعر الإنكليزي «برنارد شو» يشكِّل أتباع كل دين جديد أكبر طاقة خلاقة، وهذا الأمر يجعل الدين عرضةً لهجوم الغُلُوّ والخرافات عليه من جهتين:

الجهة الأولى من ناحية أتباعه وأصدقائه الذين لما كانوا يضيفون إلى ذلك الدين أقوالهم وأفكارهم رغبةً منهم في زيادة عزّة ذلك الدين وعظمته فإنهم ينسبون إلى ذلك الدين وأوليائه زخارف من الأساطير والخرافات كي يباهوا بعظمة ورفعة ذلك الدين التي ستؤول بالمآل إلى عظمتهم ورفعة أنفسهم وَتَفَوُّقِهِم على سائر الناس والمخالفين.

الجهة الثانية من ناحية أعداء ذلك الدين الذين يسعون من خلال نشر الخرافات والغلو فيه وتوسعتها إلى منع الأتباع الصادقين والمخلصين والمضَحِّين لذلك الدِّين من النشاط وبذل التضحيات، ويدفعوا سائر الأتباع نحو أعمال وأفعال تخالف ذلك الدِّين وتضرّ به، وبهذا يُضْعِفُون الحميَّةَ والجدِّيّة الدينية بين أتباعه ومن الجهة الأخرى يجرّئون أتباع ذلك الدين، الذي عادةً ما تكون أحكامه وقواعده مخالفةً لمشتهيات النفس وأهوائها الشيطانية، على المعصية والفسق والفجور التي تؤدِّي إلى هلاك كلِّ ملّة وفناء كل أمّة.

والعلة الثانية لابتلاء الأديان الحقّة بالغلوّ والخرافات: هو أن الجهل وقصور الفكر هو الذي يغلب على أكثر الناس، فالأكثرية في كل مجتمع هي طبقة الجهلاء والسطحيين، ولمَّا كانت حقائق الدين متوافقة ومتجانسة مع حقائق عالم الوجود ونظام الخليقة وقوانينها التي لا تتخلَّف، وكان

إدراك هذه الحقيقة عسيرٌ على أذهان أكثرية الناس، ولا يستقر فيها إلا من خلال الممارسة التدريجية والتدريب المستمر، ولما كان أكثر الناس فاقدين للصبر وللقدرة على الانتظار لطيِّ مراحل الكمال درجة درجة للوصول إلى درجات الحقائق العالية لأنهم يريدون الوصول إلى مطلوبهم ومقصودهم بأسرع وقت، إلى درجة أن معبودهم لو جُسِّمَ أمامهم بصورة عجل لأسرعوا إلى عبادته! لذلك كلِّه نرى في تاريخ الأديان أن الدِّين الذي نجح في جلب أكثرية الناس هو ذلك الذي طرح معبوداً بصورة محسوسة وملموسة كما فعل السامريّ عندما صنع عجلاً ذهبياً له خُوَارٌ فخطف بهذا العمل النجاحَ من موسى كليم الله وتمكَّن من جذب أتباع موسى إلى عبادة العِجْل. ولهذا السبب بالذات يسعى بعض الأفراد إلى الاستغلال السيئ للطاقة القوية لاعتقادات أكثرية الناس والاستفادة منها على نحو غير مشروع، فيصنعون معبودات وينجحون في هذا الطريق! أما الأنبياء العظام والأولياء الكرام دُعاة التوحيد الخالص الذين يسعون في خلاص الناس وتكميل نفوسهم ونجاتهم فإنهم غالباً ما يُغلَبُون، لأن الأكثرية تعجز عن تلقي حقائق الدين العالية وتوحيده الخالص التامّ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

والعلّة الثالثة لظهور الغُلُوّ وانتشار الخرافات أن الأنبياء المختارين الذين يصطفيهم الله من بين جميع بني آدم ويبعثهم لهداية البشر، يتميزون عادةً بقدرات فكرية وقِوَى علميّة وشمائل أخلاقية عالية يفوقون فيها سائر أفراد البشر، كما أن الله يمنحهم -لأجل تأييد نبوتهم- تصرفات في الممكنات من خرق العادات وإظهار المعجزات، مما يجعل الناس، الذين غالبيتهم بضاعتهم مزجاة في معرفة عالَمَ الكون، لا يتحمّلون رؤية تلك الآيات، وَبدلاً من أن يؤمنوا بصاحب القدرة والنعم الذي أظهر تلك المعجزات على أيدي الأنبياء ويسلِّموا بأن الأنبياء والأولياء عبادٌ لِلَّهِ بشرٌ كسائر البشر ارتقوا إلى تلك المقامات والرتب بفضل طاعتهم لِلَّهِ وإخلاصهم في عبوديته، وأن الله تعالى يمنح المطيعين ثواباً لا حدَّ له ويُنْزِل بالعاصين المجرمين عذابه، وأنه أراد إظهار تلك المعجزات على أيديهم إلزاماً للحجة وإتماماً للنعمة، أقول بدلاً من ذلك تُدْهِشُهُم

تلك القوى والدرجات العالية والمعجزات الباهرة فيُسْحَرُون بها ويستنتجون منها خطأً أن أصحابها ذوي صفات إلهية فيقعون في الغُلُوّ والانحراف وتدخل من هذا السبيل كثير من الخرافات.

ولعل هذا السبب يوضح لماذا اختار ربّ العالمين عموم أهل الكتاب المتدينين بدين سماوي وشرعة إلهية والمؤمنين بوحيٍ ورسالة، من بين جميع أمم بني آدم، ليعاتبهم ويجعلهم مستحقين لخطابه فيقول لهم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء:١٧١].

وإذا راجعنا تاريخ الأديان السابقة وطالعنا كتبهم السماوية لرأينا أن كثيراً منهم وقعوا في الغُلُوّ والخرافات فغلوا في أولياء دينهم وبدلاً من اتّباعهم والعمل بتعاليمهم هاموا عشقاً بهم وتصوروهم أبناءً لِلَّهِ ومتصرفين في عالم الخليقة، وبهذا الغُلُوّ رأوا أنفسهم أعلى من غيرهم ورفعوا ذاتهم كل يوم درجة أخرى وصاروا يرون أنفسهم ودينهم، تبعاً لذلك، في مقام أعلى من سائر الأمم حتى وصل بهم الأمر أن يروا أنفسهم أبناءَ الله وأحبّاءَه وربّما وضعوا أولياء دينهم موضع الله!!

مثل هذا الغُلُوّ وُجِدَ بين اليهود كما تشهد به التوراة والتلمود، فقد جاء في «سفر التكوين/ الإصحاح السادس»: «وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢انْجَذَبَتْ أَنْظَارُ أَبْنَاءِ الله إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلاتٌ فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْهُنَّ زَوْجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. ٣فَقَالَ الرَّبُّ: «لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِداً فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِيٌّ زَائِغٌ، لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ». ٤وَفِي تِلْكَ الحِقَبِ، كَانَ فِي الأَرْضِ جَبَابِرَةٌ، وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ أَبْنَاءُ الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَلَدْنَ لَهُمْ أَبْنَاءً، صَارَ هَؤُلاَءِ الأَبْنَاءُ أَنْفُسُهُمُ الجَبَابِرَةَ المَشْهُورِينَ مُنْذُ القِدَمِ».

فنلاحظ أن في هذه الآيات من التوراة اعتُبر المؤمنون أبناء الله وأنهم غير سائر الآدميين.

وفي الإصحاح الرابع من سفر الخروج/ فقرة ٢٢: «فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ:

إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ.».

وفي الإصحاح الأول من سفر أيوب: «٦وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ.»، وفي الإصحاح ٣٨ من السفر ذاته جاء: «٧عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعاً وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ!».

وفي مزامير داوود/ المزمور الثاني: «٧إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. ٨اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ».

فكما قلنا رغم أن اليهود قالوا في بداية الأمر أن عزيراً ابن الله إلا أن هذه العقيدة توسعت تدريجياً حتى اعتبر مبتدعو عقيدة العزير ابن الله أنفسهم أيضاً أبناءً لِـلَّهِ، وكما سنرى إن هدف كثير من الغلاة في كل دين من غلوّهم بحقِّ نبيٍّ ذلك الدين أو أوليائه الصالحين أن يلصقوا أنفسهم بمقام ذلك النبيِّ والأولياء ويرفعوها تدريجياً إلى أعلى درجة بحيث يتحررون من قيود العبودية وتسقط عنهم التكاليف.

وبعد الديانة اليهودية نشاهد انتشار آفة الغُلُوّ ذاتها في كل جانب من جوانب النصرانية، خاصة نسبتهم الابن لِـلَّهِ تعالى واعتبارهم الناس أبناء الله. ورغم أن فريقاً من النصارى أعطى مقام البُنُوَّة لِـلَّهِ في بدء الأمر للمسيح عليه السلام فقط، وذلك لِما رأوا فيه من ميّزات وخصائص تفوق سائر البشر، ولكنهم ما لبثوا أن أعطوا ذلك المقام تدريجياً لكل من يتبع ذلك الدين أيضاً! كما تشهد لذلك آيات الأناجيل الحالية:

ففي إنجيل متّى (الإصحاح٥/ آية٩): «٩طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ يُدْعَوْنَ.». ثم في الآية ١٦ من الإصحاح ذاته: «١٦فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.»، ثم في الآية٤٤: «٤٤وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ ٤٥لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

وفي الإصحاح السادس من إنجيل متّى أيضاً:

«٩ فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ.»

«١٤ فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. ١٥ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلاتِكُمْ.».

وفي رِسَالَةُ يُوحَنَّا الأُولَى/ الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ جاء:

«١ أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ الله! مِنْ أَجْلِ هَذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ. ٢ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ الله، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ.»

«٩ كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ الله لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ الله. ١٠ بِهَذَا أَوْلاَدُ الله ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ.»

وبالتالي يتضح أن عقيدة بُنُوَّةِ المسيح لِـلَّهِ في النصرانية وإن ابتدأت من باب الغُلُوّ في المسيح لما كان فيه من الخصائص والميزات الفائقة إلا أن العلة الأصلية لذلك الغُلُوّ به وابتداع تلك الخرافة هي أن يُوجِدَ مخترعو تلك العقيدة لأنفسهم مقاماً متميزاً ومتفوّقاً على سائر الأمم الأخرى إلى حدِّ أنهم أصبحوا يعتبرون أنفسهم أبناءَ الله وأحباءَه.

وقد ردَّ اللهُ تعالى ادعاء اليهود والنصارى هذا وذمهم عليه فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨].

أما دين الإسلام فقد نفى بكل صراحة وقطع بُنُوَّةَ أيِّ كائنٍ لِـلَّهِ تعالى، كما نقرأ ذلك في عديد من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة مريم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٨٨-٩٣]. وقوله في ذات السورة: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:٣٥].

ويكفي في ذلك سورة الإخلاص التي يقرؤها كل مسلم عشر مرات في صلواته المفروضة. فلا مجال في هذا الدين المقدّس أن يُنسب الأنبياء والأولياء إلى بنوة الله. ولكن الغلاة في هذا الدين أدخلوا مثل هذه العقيدة التي استقوها حتماً من اليهودية أو النصرانية أو ربما كانوا أنفسهم يهوداً أو نصارى أسلموا وبقوا متأثرين بعقائدهم السابقة، أقوال أدخلوها في دين الإسلام، بأسلوب جديد، هادفين من وراء ذلك إلى أن يوجدوا لأنفسهم من خلال غلوهم بنبيهم وأئمتهم في الدين مقاماً متميزاً على سائر الناس، فخاطب الله تعالى المسلمين جنباً إلى جنب مخاطبة أهل الكتاب محذراً إياهم من الغُلُوّ الذي وقع فيه أهل الكتاب فقال: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِى دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء:١٧١]، وقال: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِى دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٍ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧].

مبدأ نشأة الغُلُوّ في الإسلام وبين الشيعة

إن وقوع الغُلُوّ وشيوعه في الإسلام يعود في مصدره - باحتمال قوي بل يقيناً- إلى اليهود والنصارى، كما تدلّ على ذلك كتب التاريخ وكتب الملل والنحل مثل كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني (المتوفى ٥٤٨هـ)، وكتاب «المقالات والفرق» لسعد بن عبد الله الأشعري (٣٠١هـ)، وكتاب «فرق الشيعة» لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي (٣١٠هـ)، وكتاب «التبصير في الدين» لأبي المظفر الإسفراييني (٤٧١هـ)، وكتاب «الفَرْقُ بين الفِرَق» لعبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ)، والتي تبين جميعها أن أول وقوع للغلو في الإسلام كان من ناحية «عبد الله بن سبأ» اليهودي الذي غلا في علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا رغم أنه يوجد في زماننا علماء يسعون إلى إنكار وجود «عبد الله بن سبأ» من الأساس مدعين أنه من اختراع «سيف بن عمر» الذي هو أحد رواة تاريخ الطبري، هذا مع أن تاريخ الطبري أُلِّف في القرن الرابع الهجري، في حين أن قصة «ابن سبأ» موجودة في كتبٍ أُلِّفَت قبل قرون من تاريخ الطبري، وفيما يلي توصيف للغلاة كما جاء في كتاب «المقالات والفرق» (ص٢٠) لسعد بن عبد الله الأشعري «رحمه الله» الذي كان من أكابر علماء الشيعة الاثني عشرية وأعلامهم: «فرقةٌ منها قالت أن علياً لم يُقْتَل ولم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أوّل فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبيِّ من هذه الأمة، وأوّل من قال منها بالغلوّ، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني وساعده على ذلك عبد الله بن حرس وابن أسود، وهما من أجلة أصحابه، وكان أوَّلَ من أظهَرَ الطَّعْنَ على أبي بكر وعمر وعثمان من الصحابة وتبرأ منهم، وادَّعى أن علياً عليه السلام أمره بذلك، وأن التقيَّة لا تجوز ولا تحل، فأخذه عليٌّ فسأله عن ذلك؟ فأقرَّ به، وأمر بقتله، فصاح إليه الناس من كل ناحية يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟! فسيَّرَهُ عليٌّ إلى المدائن، وحكى جماعةٌ من أهل العلم: أن عبد الله

بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في عليٍّ بمثل ذلك، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمِنْ ها هنا قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذٌ من اليهودية، ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعيَ عليٍّ وهو بالمدائن وقَدِمَ عليهم راكبٌ فسأله الناس، فقال: ما خبر أمير المؤمنين؟ قال: ضربه أشقاها ضربةً قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها، ثم اتصل خبر موته فقالوا للذي نعاه: كذبتَ يا عدو الله! لو جئتنا والله بدماغه ضربة، فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدَّقْناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يُقْتَل، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض!».

ثم أخذ سعد بن عبد الله الأشعري يفصّل الكلام في فرق الغلاة ويبين عقائدهم إلى قوله في الصفحة ٤١: «فكان أول ما شرع لهم تحريم الختان!» إلى قوله: «وزعموا أنه أحل لهم الميتة ولحم الخنزير!».

ويشرح تلك الطوائف المغالية التي تفرّقت من الشيعة وقالت بعقائد عجيبة غالية، إضافةً إلى إضعافها للاعتقادات الإسلامية وتضييعها لأحكام الحلال والحرام، حتى يصل إلى ذكر طائفة «المنصورية» من غلاة الشيعة التي اعتقد أتباعها بأن آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض وأول خلق الله هو عيسى ثم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذه العقيدة تبيّن بوضوح أن مخترعها كان مسيحياً، إلى أن يصل إلى قوله: «واستحلَّت جميع ما حرّم الله، وقالوا لم يحرّم الله علينا شيئاً تطيب به أنفسنا وتقوى به أجسادنا...»!!

وحتى يصل إلى وصف فرقة «الخطّابية» المفرطين في الغُلُوّ ويكتب عنهم: «فرقةٌ منهم قالت أن جعفر بن محمد هو الله وأن أبا الخطاب نبيٌّ مرسلٌ أرسله جعفر وأمر بطاعته! وأباحوا المحارم كلها من الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمور... ومن أتباع أبي الخطاب سُمُّوا المخمِّسَة لأنهم زعموا أن الله عز وجل هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة أي ظهر في صورة

محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن أربعة من هذه الخمسة تلتبس لا حقيقة لها والمعنى شخص محمد وصورته لأنه أول شخص ظهر وأول ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجوداً بذاته يتكوّن في أي صورة شاء، يظهر لخلقه في صور شتى من صورة الذكران والإناث والشيوخ والشباب إلخ... وزعموا أن محمداً (أي تلك الحقيقة المحمدية الإلهية التي كانت أول شخص ظهر وأول ناطق نطق!) كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، لم يزل ظاهراً في العرب والعجم، وكما أنه في العرب ظهر، كذلك هو في العجم ظاهرٌ في صورة غير صورته في العرب، في صورة الأكاسرة والملوك الذين ملكوا الدنيا، وإنما معناهم محمد لا غيره، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وأنه كان يُظْهِرُ نفسَه لخَلْقِهِ في كلِّ الأدوار والدهور، وأنه تراءى لهم بالنورانية فدعاهم إلى الإقرار بوحدانيته، فأنكروه، فتراءى لهم من باب النبوة والرسالة فأنكروه، فتراءى لهم من باب الإمامة فقبلوه، فظاهر الله عز وجل عندهم الإمامة وباطنه الله الذي معناه محمد... وله باب هو سلمان... الخ»[1].

ويشرح المرحوم سعد بن عبد الله الأشعري (وكذلك المرحوم النوبختي) -ونذكّر ثانية أنهما من كبار أعلام علماء الشيعة الإماميّة - عقائد فرقة «الخطّابية» من غلاة الشيعة حتى الصفحة ٥٣ ثم يبدأ في شرح عقائد طائفة «المعمّريين» الذين يقولون أن معمّر هو الله وأن معمّر أحلّ كل الشهوات وليس لديه شيء محرّم وأنه كان يقول أن هذا الشيء خُلق لذلك الشيء فلماذا هو حرام!؟ ثم يشرح في الصفحة ٥٩ فرقة «العليائية» وهم أتباع «بشار الشعيري» الذين كانوا من غلاة الشيعة أيضاً وكانوا يقفون على أربعة أشخاص علي وفاطمة والحسن والحسين وكانوا أيضاً كسائر الغلاة يبيحون المحرمات ويعطلون الأحكام ويقولون بالتناسخ.

ثم يشرع في الصفحة ٨١ ببيان عقائد الإسماعيلية الخالصة الذين كانوا من غلاة الخطابية ويبين أنهم أظهروا الإباحة وجعلوا كل شيء مباحاً لهم، ويشرح في الصفحة ٨٥ عقيدة عموم أصحاب أبي الخطاب وأنهم: «استحلوا مع ذلك استعراض الناس بالسيف وسفك دمائهم

(١) المقالات والفرق: ص ٢٧ إلى ٥٧.

وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك على مذهب البيهسية والأزارقة في الخوارج..».

وفي الصفحة ١٠٠ يحكي عن فرقة النميرية أتباع محمد بن نُصير النميري الذي ادعى أنه باب لحضرة الإمام علي النقي عليه السلام (الهادي)، وكان «يدّعي أنه نبيٌّ رسولٌ، وأنَّ عليَّ بنَ محمد العسكري (الهادي) أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن (أي الإمام العاشر علي بن محمد الهادي) ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به!..».

وكل طوائف الغلاة أو أكثرها كان لها مثل تلك العقائد وكما قلنا مراراً كان هدفهم من نشر تلك الاعتقادات تخريب أساس الإسلام وتحليل كل فعل حرام.

تسرب بعض عقائد الغلاة القدماء إلى المتأخرين

رغم اندثار وانقراض كل تلك الفِرَق الغالية في زماننا، ورغم أننا معشر الشيعة الإمامية نقول بكفر ونجاسة كل أولئك الغلاة ونتبرأ من عقائدهم الفاسدة، إلا أن بعض أولئك الغلاة وردوا من طُرُقٍ أخرى وفتحوا لأنفسهم أبواباً تحقق أهدافهم مثل القول بشفاعة مطلقة واسعة سعة السماء والأرض تنال من يتوسّل إلى الأئمة ويزور قبورهم ويشارك في مآتمهم وينذر النذور والأوقاف باسمهم وباسم سائر الأموات من صالحي ذراريهم -ولو كانت ذنوب المتوسِّل والزائر مثل الجبال الرواسي- فأوجدوا بذلك بين الشيعة بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان، واتخذ اللاحقون بذلك كتاب الله مهجوراً واتبعوا أهواء من قبلهم من الغلاة واستمرؤوا عقائدهم واطمأنوا بها لأنها وافقت هواهم.

إن شيعة زماننا رغم أنهم يميزون أنفسهم عن طوائف الشيعة الغلاة القديمة، ويتبرؤون بألسنتهم من عقائدهم إلا أن بعض تلك العقائد الغالية سرت -مع الأسف الشديد- إليهم بصور جديدة وانتشرت فيما بينهم.

وتكمن خطورة هذه الخرافات بشكل خاص في زماننا وذلك بسبب ظهور التيارات والأنظمة المخالفة للدين كالشيوعية والوجودية وانتشار الإلحاد بين كثير من سكان الأرض والذي أحد علله اختلاط الأديان بالأفكار البشرية والخرافات وما يرشح من أذهان الغلاة من المتدينين من أفكارٍ مغالية، فإذا لم يتم علاجها فإن أساس الأديان بأسره سيكون في خطر الانهدام الكلي. ومع ذلك لا نزال نجد بعض العلماء من أولئك الذين يعتبرون أنفسهم حرّاس الدين يقومون بنشر تلك الخرافات والعقائد الغالية التي تنتشر للأسف في أكثر كتبنا الدينية في هذا الزمن، وذلك مثل كتاب «أمراءِ هستي وتجلي ولايت» (أي أمراء الكون وتجلي الولاية) بالفارسية، وعددٍ آخر من الكتب بالعربية، تُروّج في المجالس والمنابر وتُنشَر من خلالها

الخرافات.

أحد علماء زماننا(١) ألّف كتاباً عنوانه «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب»، أراد من خلال موضوعات كتابه أن يثبت مسألة «الغيبة» أي بقاء الإمام الثاني عشر الغائب، وكما ادّعى ناشر الكتاب قام كبار علماء العصر بمساعدته على طبعه ونشره ولو ذكرنا أسماء أولئك العلماء الكبار هنا لاستغرب القرّاء واستنكروا ذلك!.

وفي ذلك الكتاب وبهدف إثبات مدَّعاه أورد المؤلف مطالب يبرأ منها حتى غلاة علماء الشيعة زمن الصفوية! فمثلاً كان من مستمسكات ذلك المؤلف «خطبةُ البيان» و«الخطبةُ التَّطْنَجِيَّة(٢)» المنسوبتان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والمرفوضتان من جُلّ علماء الشيعة، والتي رفضها المرحوم العلامة المجلسي كما في بحار الأنوار (ج٧/ ص٢٦٤، من طبعة كمباني الحجرية القديمة) وقال: «ما ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبة البيان وأمثالها فلم يوجد إلا في كتب الغلاة وأشباههم».

وسنورد فيما يلي بعض الفقرات من «خطبة البيان» و«الخطبة التَّطْنَجِيَّة» التي وردت في ذلك الكتاب الذي يهدف إلى إثبات حياة إمام الشيعة الغائب والذي ساعد بعض علماء زماننا الكبار على نشره، لكي يرى القرّاء الكرام أن غلاة عصرنا لا يقلُّون في خرافاتهم وغلُوِّهم عن الغلاة القدماء الذين كان الأئمة يحذِّرُون منهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم.

جاء في تلك الخطبة التي يدّعي مفتريها وواضعها أن حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وقف يخطب بها في البصرة فقال: «أنا المُخْبِر عن الكائنات...أنا سرّ الخفيات... أنا مفيض الفرات... أنا

(١) هو الشيخ علي اليزدي الحائري المتوفى سنة ١٣٣٣هـ في كربلاء، والذي جاء وصفه في مقدمة كتابه المشار إليه بأنه شيخ الفقهاء والمجتهدين حجة الإسلام والمسلمين آية الله الكبرى في الأرضين! (المترجم).

(٢) الخطبة التَّطْنَجِيَّة خطبة موضوعة طويلة رواها ونسبها إلى أمير المؤمنين، الشيخُ حافظ رجب البرسي (كان حيّاً ٨١٣ هـ) في كتابه «مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين»، وجاء اسمها من عبارة (أنا الواقفُ على التَّطْنَجَيْن) وهما – كما يزعم البرسي– خليجان من ماء!. (المترجم).

مظهر المعجزات، أنا مكلّم الأموات، أنا مفرّج الكربات، أنا محلل المشكلات... أنا رافع إدريس مكانا عليّاً، أنا مُنطِق عيسى في المهد صبيّاً، أنا مدين الميادين وواضع الأرض، أنا قاسمها أخماساً، فجعلت خمساً براً، وخمساً بحراً، وخمساً جبالاً، وخمساً عماراً، وخمسا خراباً. أنا خرقت القلزم من الترجيم، وخرقت العقيم من الحيم، وخرقت كلا من كل، وخرقت بعضاً في بعض، أنا طيرثا، أنا جانبوثا، أنا البارحلون...!!»،

ويستمر في نسبة أفعال الله وصفاته تعالى - المفهومة وغير المفهومة - إلى نفسه حتى يصل إلى قوله: «أنا أبو المهدي القائم في آخر الزمان»، وبعد هذه الجملة يسأل مالك الأشتر أمير المؤمنين: هذا القائم من وُلْدِكَ متى يكون ظهوره؟ فيجيب: «فقال: إذا زهق الزاهق وحقت الحقائق ولحق اللاحق.. وذرفت العيون وأغبن المغبون وشاط النشاط وحاط الهباط وعجز المطاع وأظلم الشعاع وصمت الأسماع وذهب العفاف وسجسج الإنصاف واستحوذ الشيطان وعظم العصيان وحكمت النسوان وفدحت الحوادث ونفثت النوافث وهجم الواثب واختلفت الأهواء وعظمت البلوى واشتدت الشكوى واستمرت الدعوى وقرض القارض ولمض اللامض وتلاحم الشداد ونقل الملحاد..... (ويستمر أسطراً في سرد مثل هذه العبارات التي لا معنى لها حتى يصل إلى قوله)...وساهم المستحيح ومنع الفليج وكفكف الترويج وخدخد البلوع وتكلكل الهلوع وفدفد المذعور وندند الديجور ونكس المنشور وعبس العبوس وكسكس الهموس وأجلب الناموس ودعدع الشقيق وجرثم الأنيق...! الخ»،

فبالله عليك أيها القارئ الكريم هل هذه الكلمات والعبارت يمكن أن تصدر عن خطيب نهج البلاغة وإمام البيان الفصاحة؟؟ لعمري إنها أقرب إلى هذيان شخص ثَمِلٍ أفقده السُّكْر وَعْيَهُ فأخذ يهلوس بكلمات مهملة لا معنى لها!

وأعجب العجب أنه جاء في بداية هذه الرواية أن راويها «عبد الله بن مسعود» ﷺ الذي كان من كبار صحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) رواها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأن الإمام ألقاها في مسجد البصرة بعد انتهاء حرب الجمل، هذا في حين أن عبد الله بن مسعود تُوفي سنة

٣٣ هجرية زمن خلافة عثمان ودُفن في المدينة، أما أمير المؤمنين فقد ولي الخلافة سنة ٣٥ للهجرة، ووقعت واقعة الجمل ودخوله عليه السلام إلى البصرة بعد ذلك، فكيف تسنَّى لعبد الله بن مسعود أن يخرج من قبره ويحضر إلى البصرة ليسمع تلك الخطبة المليئة بالترّهات ويرويها والعياذ بالله عن علي بن أبي طالب؟!؟! وأكذب الكذب ما كذّبه التاريخ.

كما أنه كيف يمكن لأمير المؤمنين عليه السلام أن يلقي مثل هذا الكلام على أهل البصرة الذين خرجوا عليه بعد مقتل عثمان -إذ كانوا يعتبرون علياً شريكاً في دم عثمان أو على الأقل ممالئاً لِقَتَلَتِهِ لذا فهو في نظرهم يستحق القتل- فيأتي عليٌّ ويلقي على مثل هؤلاء الناس مثل تلك العبارات؟!! إلى الحد الذي جاء في الخطبة المدعوة بالخطبة «التَّطْنْجِيَّة»: «أنا مدبرها، أنا بانيها، أنا داحيها، أنا مميتها، أنا محييها، أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، أنا مع الكور قبل الكور... أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية... أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم... فإليَّ يُرَدُّ أمرُ الخلقِ غداً بأمرِ رَبِّي.... أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت... أنا... أنا...الخ»، وليت شعري إذا لم يكن هذا إدّعاءٌ للإلـهية فما هو إذن؟! ألم يبقَ هناك عقلٌ -فكرٌ -تفكيرٌ -شعورٌ -وجدانٌ -إنصافٌ -حياءٌ في هذه الدنيا؟!!

وهكذا يواصل كلماته المسجّعة في تلك الخطبة حتى يصل إلى قوله: «...أنا مبرجُ الأبراج وعاقد الرياح، ومفتِّحُ الأفراج وباسط العجاج...!!»، نعم عندما لا يبقى هناك دينٌ ولا حياءٌ فلا غرابة في أن تُنْسَبَ مثل تلك الكلمات التي هي من أقذع وأفسد العبارات إلى لسان أفصح بلغاء العالم ومفخرة أولاد آدم، لكي يتخذ الكاتب منها حجة على ادّعائه وحلاً لمشكلته!

إننا لا نتعجب من واضعي تلك الخطب ومختلقيها الذين لا ريب أنهم كانوا زنادقةً عديمي الدين أو على الأقل لا يهتمّون بالدين أساساً لأنهم أيّاً كانوا فهم على أيِّ حال أعداءٌ للإسلام ولا يُنتظر من العدوّ غير ذلك! ولكن تعجبنا من الأشخاص الذين يتلبَّسون بلباس علماء الدين ويطرحون أنفسهم في المجتمع بوصفهم حفّاظ شريعته كيف يسمحون لأنفسهم بنشر تلك الأباطيل! والأعجب أيضاً من الأشخاص الذين يعرّفون أنفسهم في زماننا بوصفهم مراجع

الشيعة ويشتهرون بهذا المقام ومع ذلك يساعدون على نشر هذه الخرافات التي يعرفون قبل أي احد آخر أنها تلفيقات مكذوبة من نسج خيال حفنة من المرضى المهووسين.

إن تلك الأباطيل والترّهات لا تختلف عن تلك الأباطيل التي نجدها لدى اليهود الذين يصفون الله بما يصغّر شأنه من أنه كان يتمشّى في الجنة ويبحث عن آدم الذي كان مختبئاً تحت إحدى شجراتها!! أو أنه يدخل في مصارعة مع يعقوب، أو يأكل العجلَ المشويَّ الذي هيّأه إبراهيم، مع اثنان من الملائكة! أو أباطيل النصارى التي نقرؤها في سفر الرؤية: «٤وَقَدْ أَحَاطَ بِالْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشاً يَجْلِسُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَيْخاً يَلْبَسُونَ ثِيَاباً بَيْضَاءَ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ. ٥وَكَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْعَرْشِ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ، وَأَمَامَهُ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُضَاءَةٍ، هِيَ أَرْوَاحُ الله السَّبْعَةُ. ٦وَكَانَ يَبْدُو كَأَنَّ بَحْراً شَفَّافاً مِثْلَ الْبِلَّوْرِ يَمْتَدُّ أَمَامَ الْعَرْشِ، وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ أَرْبَعَةُ كَائِنَاتٍ تَكْسُوهَا عُيُونٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الأَمَامِ وَمِنَ الْخَلْفِ: ٧الْكَائِنُ الأَوَّلُ يُشْبِهُ الأَسَدَ، وَالثَّانِي يُشْبِهُ الْعِجْلَ، وَالثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ....الخ».

ولا عجب من مثل أولئك الذين يؤمنون بتلك الأحلام والترّهات أن ينسبوا لِـلَّهِ الابنَ فلا نتوقع منهم أفضل من ذلك، ولكن العجب ممن ينتسب إلى الإسلام وكتابه السماوي هو القرآن الذي يصف الله بمنتهى العظمة فيبين أن إدراك ذاته من المحالات وأنه محيط بكل شيء كما قال سبحانه: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ:٣] وقال: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال كذلك: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴾ [النساء:١٢٦]، ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة:٦].

ويصف النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عظمة الله تعالى فيقول إن هذا العالم بكل وسعته وعظمته

وسمواته وأراضيه بالنسبة إلى الكرسي مثل حلقة في فلاة[١] والكرسي بكل عظمته بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة[٢].

وقد ثبت في علم الفلك اليوم أن هذا الكون عظيم وواسع إلى درجة يعجز العقل عن استيعابها، فبعد اختراع التلسكوب وبناء مرصد «أرسي بوير» في «بورتوريكو» الذي يبلغ قطر عدسته ٣٠٠ م لتأمّل النيازك والشهب في الليل، أصبح العلماء يمسكون برؤوسهم خوفاً من أن تطير منها عقولهم ويصابون بالجنون لهول ما يرونه! إذ يرون أن المسافة بين النيازك البعيدة والأرض تصل إلى تسعة مليارات سنة ضوئية (علماً أن السنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء - الذي تبلغ سرعته ٣٠٠ ألف كم/ بالثانية الواحدة - خلال سنة من الزمن!)، ويرون ملايين المجرّات التي تملك كل واحدة منها ملايين الشموس والكواكب التي لا تشكّل شمسنا بالنسبة إليها أكثر من شمعة مقابل الشمس، ومسافة المجرّة التي تُشكِّل شمسنا جزءاً منها تصل إلى درجة أن الشمس التي تنتقل بتلك السرعة الهائلة تحتاج إلى أكثر من ٥٠٠ مليون سنة لتدور ضمن تلك المجرّة.

أجل نحن نعيش في مثل ذلك الزمان وفي مثل هذه الدنيا، أفليس من العار أن يوجد في زماننا مسلمين يعتقدون أن هناك أفراد من البشر يقولون: «أنا مُبَرِّجُ الأبراج... ومفتِّح الأفراج»!!، أو أن هناك بشرٌ يدّعي أنه: «أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم... فإليَّ يُرَدُّ أمرُ الخلقِ غداً بأمرِ رَبِّي... أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت... أنا...

---

(١) الفلاة: الصحراء والأرض الواسعة التي لا ماء فيها. (المترجم)

(٢) يشير إلى حديث موعظة النبيِّ لأبي ذر الغفاري التي رواها الشيخ الصدوق في كتابيه: «الخصال»، و«معاني الأخبار»، كما ذكرها المجلسي في «بحار الأنوار» (ج ٥٥/ ص٥) وعبارته: (في حديث أبي ذر عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: (يا أبا ذرّ! ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة . ومن أهل السنة روى الحديث بطوله: ابن حِبَّان في صحيحه/ باب ما جاء في الطاعات وثوابها، وأبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء»/ باب أبي ذر، وانظر «كنز العمال»، ج ١٦/ ص ١٣٢. (المترجم)

أنا...الخ»، هذا في حين أن كل الناس كانوا يرون ذلك الشخص الذي تُنْسَبُ إليه تلك الكلمات إنساناً كسائر البشر لا يختلف عنهم من حيث حاجاته وبشريته، فهو قد وُلد كما ولدوا وكان طفلاً رضيعاً وكانت تعرض له كل عوارض الحياة من الجوع والعطش والمرض والنوم والحاجة إلى المرأة والولد، مهما كان مقامه عالياً من ناحية الفضل والعلم والتقوى، ولكنه لم يكن كائناً لا نظير له من ناحية البشرية بل كان بشراً كما أمر الله تعالى من هو أفضل منه أن يقول ويبلغ الناس: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، و﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩].

وأساساً أيُّ حماقةٍ تلك أن نقوم بدلاً من اتِّباع عباد الله المصطَفَيْن الذين اختارهم الله لهدايتنا وليرشدونا إلى طريق الصواب والخطأ حتى لا نكون مسؤولين ومعاقبين أمام الله تعالى الذي أرسلهم، أن نقوم بدلاً من ذلك بتعظيم أولئك الهداة إلى حدّ إخراجهم عن البشرية والغلوّ بهم والوقوع في مستنقع الكفر والشرك؟!

لو كان لأولئك العباد مثل تلك القدرة والقوة لكان أمرُ الله لنا باتِّباعهم والتأسِّي بهم ظلمٌ كبيرٌ وعملٌ قبيحٌ لأنه يكون بذلك كمن يأمر طفلاً أن يمشي بسرعة سيارة أو طيارة! فهل يمكن لأحد أن يتصور أن ربّ العالمين الحكيم والعادل يأمرنا بتقليد شخص يقول عن نفسه أنا مدبّر العالم حين لا سماءكم ولا أرضكم..، واتِّباعه؟! كلا وألف كلا ومعاذ الله، وتعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وكما ذكرنا فيما سبق إن مثل تلك الأفكار والعقائد إنما يخترعها أشخاص متكبرون جاهلون يتعيّرون من أن يكون نبيهم وإمامهم من البشر يأكل ويشرب وينام ويجامع ويمرض ويموت، لذا يدّعون أن أئمتهم في الدين يسمعون الأصوات ويقضون الحاجات ويشفون العاهات ويحيون الأموات ونحو ذلك من الأباطيل والترّهات، ويحوّلون أئمتهم في الدين إلى معشوقين خياليين ومعبودين مثاليين.

إن كثيراً من شيعة اليوم الذين يقولون إنهم ليسوا من الغلاة ولا من البنانيّة أو الخطّابية أو المغيريّة أو البشيريّة أو الإسماعيلية أو القرامطة ويبرؤون من الكل بل حتى يبرؤون من الشيخيّة والصوفيّة، يؤمنون -ظاهراً أو باطناً- بعقائد وأفكار تتطابق مع الأسف مع عقائد أولـئك الغلاة الذين كان الأئمة يلعنونهم ويتبرؤون من عقائدهم.

إلى درجة وصل معها الأمر إلى نشر وإشاعة مثل هذه العقائد الموجودة في خطبٍ كان يرفضها حتى علماء الشيعة الصفويين (رغم غلوّهم)، مثل «خطبة البيان» و«الخطبة التَّطْنَجِيَّة»، فينشرونها في القرن العشرين، أي هذا الزمن الذي أصبحت فيه حتى عقائد الدين الصحيحة موضوعاً لطعن وهجوم كثير من الناس الذين انتشرت بينهم الأفكار الإلحادية. ويفعل أولئك العلماء ذلك تحت عنوان إلزام الخصم وإثبات الحجة فيسمحون بنشرها وطباعتها مخالفين بذلك علماء الصدر الأول من كبار وأعلام الشيعة في القرنين الثاني والثالث (الذي كانوا يرفضون مثل تلك العقائد الغالية جملة وتفصيلاً، ويلعنون أصحابها ويبرؤون منهم ويكذِّبون أقوالهم ويطردونهم من صفوفهم).

إن علماءَنا الكرام الذين كانوا معاصرين للأئمة عليهم السلام ورأوهم وعاشروهم وتتلمذوا على أيديهم كانوا أعلم بحقيقة الأئمة ممن جاء بعدهم، وكانوا يطردون من صفوفهم كل من يجدون فيه شائبة غلوٍّ مهما كانت صغيرة، أما المتأخرون فلم يحظَ اعتقاد القدماء بالأئمة بقبولهم بل اعتبر أولـئك المتأخرون أن تلاميذ الأئمة القدماء كانوا من المقصِّرين بحق الأئمة حتى قال قائل أحد المتأخرين، وهو آية الله عبد الله المامقاني (١٣٥٠هـ) في مقدمته على كتابه الرجاليّ «تنقيح المقال في أحوال الرجال» (ص٢١٢):

«...وتلخيص المقال أن المتتبع النيقد يجد أن أكثر من رُمِيَ بالغلوّ بريء من الغلو في الحقيقة(!!)، وأن أكثر ما يُعدّ اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمة عليهم السلام كان القول به معدوداً في العهد السابق من الغلو، وذلك نشأ من أئمتنا عليهم السلام حيث أنهم لما وجدوا أن الشيطان دخل مع شيعتهم من هذا السبيل لإضلالهم وفاءاً لما حلف به من إغواء عباد

الله أجمعين، حذروهم من القول في حقّهم بجملة من مراتبهم، إبعاداً لهم عمّا هو غلوٌ حقيقة، فهم منعوا الشيعة من القول بجملة من شؤونهم حفظاً لشؤون الله جلّت عظمته حيث كان أهم من حفظ شؤونهم، لأنه الأصل وشؤونهم فرع نشأت من قربهم لديه ومنزلتهم عنده، وهذا هو الجامع بين الأخبار المثبتة لجملة من الشؤون لهم والنافية لها...»[(١)].

ولم يقم أحد ليقول لشيخ آخر الزمن هذا: أيها السيد! وهل جاء نبيٌّ بعد نبيِّ الإسلام أو إمامٌ بعد أئمَّةِ الهدى فأخبرك، أو نزل عليك ملاكٌ فقال لك: إن العقائد الغالية التي كان الأئمة في زمانهم يعتبرونها غلواً ويعتبرون القائلين بها غلاةً مفسدين أشرَّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، يجب أن نعتبرها اليوم من ضروريات الدين والمذهب؟؟!! فمن أين لك هذا الادّعاء؟! ولماذا؟ هل لأنَّ أساس الدين أصبح مزلزلاً اليوم فيجب أن نواصل نشر تلك الخزعبلات حتى نشوّه الدين ونريق ماء وجهه أكثر؟! خاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه تقدّم العلوم وسعة الكون وعظمته أكثر دلالة من ذي قبل بملايين المرات على عظمة الخالق وأكثر برهاناً على نقص البشر وعجزهم أمام عالم الخليقة العظيم بملايين مجراته وما لا يحصى من كواكبه وسياراته التي يدرك الإنسان أمامها مدى ضآلته وضعف شأنه؟!.

أهذا هو العصر المناسب لنشر كتب من أمثال «عيون المعجزات»[(٢)] و«مدينة المعاجز»[(٣)] المليئة بالأساطير والخرافات المضحكة - التي صارت موضوعاً للسخرية وهزء الطبقة المثقفة

---

(١) راجع كتاب تنقيح المقال في علم الرجال (ج١/ ص٢٢٦، وج٢/ ص٩٣، وج٢-٢/ ص٨٢، وج٣/ ص١٢٢ و١٣٢ و٢٣٨).

(٢) أي كتاب «عيون المعجزات المنتخب من بصائر الدرجات في تنزيه النبوات» تأليف الشيخ حسين بن عبد الوهاب، المتوفى في القرن ٥ الهجري (بعد ٤٤٨ هـ؟)، نشر: محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، طبع النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م.، و«بصائر الدرجات» هذا هو غير كتاب «بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد» لمحمد بن الحسن الصفار. (المترجم)

(٣) كتاب «مدينة المعاجز» للسيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي الكتكاني المتوفي عام ١١٠٧ هـ (وقيل ١١٠٩هـ) من أعلام أخباريي الإمامية وصاحب تفسير: «البرهان في تفسير القرآن». (المترجم)

والناس الأفاضل بالدين- واعتبار ما فيها من مطالب مغالية من ضروريات مذهب الشيعة؟!

وإذا كان الشِّرْكُ في نظر الشرع وفي حكم العقل أكبر المعاصي بل أكبر الكبائر، فهل يجوز أن نقوم بترويج ونشر تلك العقائد الشركية بل الشرك الصريح والجليّ عينه في عبارات من مثل «أنا أخلق وأنا أرزق وأنا أحيي وأميت...» الذي هو اشدّ بكثير من شرك الجاهلية، باسم دين الإسلام وباسم مذهب الشيعة حتى نذلّ طائفة الشيعة ونفقدها احترامها ووزنها أكثر مما هو قائم أمام سائر طوائف المسلمين ومذاهبهم الأخرى في الدنيا؟! إلى الحدّ الذي أصبح مخالفو هذا المذهب (أي مذهب الشيعة الإمامية) يعتبرون هذه الطائفة -من بين جميع المسلمين- مشركين، ويعتبرون دمهم ومالهم وعرضهم مباحاً لهم، ويستفيدون من كل طريق لتشويه تلك الطائفة والإساءة إلى سمعتها ويقومون ببيع وشراء فتياتها كإماء؟

وأسأل هؤلاء الناشرين لتلك الخرافات ما هي النتيجة المفيدة أو الجيدة التي حصَّلتموها حتى الآن من إصراركم على نشر مثل تلك الخزعبلات، حتى تواصلوا نشرها؟! وما الذي يعود عليكم أو يزيد في مكانتكم من توسيع مسألة الولاية، أو تضييقها وحصرها بعدد من الأفراد، وتوسيع موضوع الشفاعة إلى حد مفرط وتعميمها لكل أحد، والدعوة إلى الزيارات المخترعة وابتداع إقامة المآتم وقراءة المراثي؟! وهل تستفيدون من هذه البدع سوى خصومة أبناء دينكم من سائر المسلمين وتسهيل ارتكاب المعاصي على العوام، وهدر الأموال الطائلة فيما لا طائل تحته، وسخرية المثقّفين والمتعلّمين وسائر شعوب العالم من مراسمكم وطقوسكم تلك؟!

إنَّ عقيدة غلاة شيعة اليوم وجُهَلائِهِم ليست متأثِّرةً بعقائد الغلاة زمن الأئمة عليهم السلام فحسب، بل أصبحت تضاهي العقائد الوثنية الباطلة للشعوب والملل القديمة؛ فكما يعلم المطَّلِعون كان أهالي مصر القدماء يعتقدون بآلهةٍ مثل الإله «أوزيرِس» وزوجته التي هي أخته في نفس الوقت إلـهة الخصوبة: «إيزيس»، فكانوا يؤمنون بآلهة متعددة، ولكن في الوقت ذاته كانوا يؤمنون بالإلـه «آمون-رَعْ» الذي يعتبرونه أكبر من جميع الآلـهة وأبو الآلهة وسيدهم، وبارئ البشر وخالقهم ورب جميع الكائنات. ولكن «أوزيرِس» الذي كان إلـه الموت، رغم خضوعه

للإلـه العظيم «آمون-رَعْ»، إلا أنه كان أكثر قدرةً من إلـه الآلهة! وكان له تأثير في الناس أكثر منه! لذا فإن المصريين القدماء كان يذكرون اسم الإلـه «أوزيرِس» أثناء أخذ العهد والميثاق، أو يوكلون عقاب المخالفين للقوانين أو الخائنين إليه.

وأنتم تعلمون أن شبيه هذه العقيدة يوجد لدى عوام شيعتنا بشأن «أبي الفضل العباس» أو «الإمامزاده داود» أو «شاه چراغ» وأمثالهم حيث لا يصدِّق الناس القَسَم بالله ولكنهم يصدِّقون القَسَم «بحضرة العباس»! ولا يخافون من انتقام الله ولكنهم يخافون من انتقام «حضرة العباس»! ولا ينذرون لِـلَّهِ ولكنهم ينذرون لحضرة العباس، وينذرون لرقيَّة أو سكينة ابنتي الحسين عليهم السلام أكثر مما ينذرون لِـلَّهِ!!

هذا في حين أن كتابهم السماوي ينهى بكل صراحة ووضوح في أكثر من مئة آية عن مثل هذه العقائد والأعمال الشركية ويذم فاعليها ويلومهم على اتِّباع مثل هذه الطرق، من ذلك قوله تعالى في سورة «المؤمنون»: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ ﴾ [المؤمنون:٨٨-٨٩]، أي لا أحد يستطيع أن يلجأ إلى آخَر كي يُجيره من عقاب الله. ولاحظ أن الآية تبين أن المشركين لما كانوا يُسْأَلُونَ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ؟ كانوا يجيبون على الفور: «الله»! فكثَّر اللهُ خيرَ مشركي ذلك الزمن (!) إذ إنهم على الأقل كانوا يجيبون بلا تردد: «الله»! في حين أن كثيراً من أبناء مجتمعنا اليوم قد لا يُحْسِنُونَ مثلَ هذه الإجابة الفورية!. ويقول تعالى في سورة النحل ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴾ [النحل:٥٦] أي كانوا ينذرون لآلهتهم النذورات والأوقاف ويجعلون لهم نصيباً مما رَزَقَهُمُ اللهُ تماماً كما يفعل العوام في عصرنا الذين ينذرون لحضرة العباس وللإمام الرضا!.

إن خوفنا من تلك المسؤولية التي أشارت إليها الآية الأخيرة ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴾ [النحل:٥٦] هو الذي حملنا على تجشم عناء خوض هذه المباحث في هذا الزمن الذي

وجدنا أنفسنا فيه في مجتمع قد انتشر فيه الكفر والبدع والشرك والإلحاد أكثر من أي وقت مضى، متحمِّلين في هذا السبيل التهم والبهتان بل حتى الضرب والقتل، إبراءً لذمتنا أمام رب العالمين، وحتى لا نكون مسؤولين عن أعمال أولئك المفسدين. ولن يهمُّنا في أداء هذا الواجب المقدَّس ما سنتعرَّض له من تكفير وإبعاد أو تهديد الغلاة وأنصارهم، لأنه في ميدان الجهاد كلما كان عددُ الأعداء وعدّتهم أكثر، كان ذلك أدعى للفخر والشموخ ورفع الرأس، ودليلاً على شجاعة المجاهدين الذي يخوضون هذه المعركة وبسالتهم وفدائيتهم، وأن أجرهم لدى ربهم وإلـههم سيكون -يقيناً- كبيراً وعظيماً، ﴿ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ [التوبة:١١١] ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

ونأتي الآن إلى شرح موضوع الغلوّ والغلاة الذين لعَنَهُم الأئمَّةُ الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين، وأعلنوا براءتهم منهم.

براءة أئمة أهل البيت من الغلو ولعنهم الغلاة

كان ظهور الغلاة في دين الإسلام من أكبر الآفات والمصائب القاتلة التي حلَّت بهذا الدين، وأدَّت إلى إدخال كل تلك الخرافات والأوهام فيه، الأمر الذي شوَّه الوجه النوراني لحقائق الإسلام.

وقد خشي الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أكثر من أي أحد آخر من هذا الخطر وحذروا منه المسلمين، ولدينا أحاديث وأخبار كثيرة صدرت عن الأئمة عليهم السلام في مذمّة هؤلاء الغلاة، حيث نجد في كتاب «الرجال» لأبي عمرو الكشّيّ[1] وحده أكثر من ٢٤ حديثاً في هذا الأمر، وقد جمعها العلامة المامقاني[2] في كتابه «مقباس الهداية في علم الدراية» (ص ٨٨)، وسنذكر فيما يلي بعضاً منها كما جاءت في كتب الرواية المعتبرة لدى الشيعة:

١- روى الشيخ الطوسي في كتاب «الأمالي» (ص ٦٥٠) بسنده عن عبد الرحمن بن مسلم، عن فضيل بن يسار، قال قال الصادق عليه السلام: «احذروا على شبابكم الغُلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ اللهِ، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ اللهِ، وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شَرٌّ مِنَ

---

(١) هو أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من كبار علماء الشيعة وأقدم رِجَالِيِّيهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ينتسب إلى منطقة «كش» من نواحي سمرقند (في آسيا الوسطى)، لم يعرف تاريخ ولادته بالضبط. قال عنه النجاشي: (كان ثقة عين، روى عن الضعفاء كثيراً وصحب العياشي وأخذ عنه، تخرج عليه في داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم) اهـ، وكان الكشيّ صديقاً للكُلَيْنِيُّ صاحب «الكافي». قيل إن وفاته كانت في حدود سنة ٣٥٠ هـ، ويُعتَبَر كتاب الكشيّ الذي سماه ابن شهر آشوب في المعالم بـ "معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين" أحد الأصول الأربعة الرجالية لدى الإمامية. (المترجم)

(٢) هو الفقيه الإمامي وأحد أبرز مراجع الشيعة في عصره آية الله الشيخ عبد الله المامقانى (١٢٩٠هـ - ١٣٥١ هـ)، أُطْلِق عليه لقب «العلامة الثاني»، وهو صاحب «تنقيح المقال في أحوال الرجال» الذي يعتبر أحد أهم كتب علم الرجال في القرن الماضي إذْ جمع فيه كل ما دُوِّنَ في الكتب الرجالية التي سبقته (المترجم)

اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أَشْرَكُوا. ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبِنَا يلحقُ المقصِّر فنقبله. فقيل له كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلا يقدر على ترك عادته، وعلى الرجوع إلى طاعةِ الله عزَّ وجلَّ أبداً، وإن المقصِّرَ إذا عرف عمل وأطاع.».

٢- وروى العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» (ج ٣٤/ ص ٣٦٢) (نقلاً عن كتاب الغارات للثقفي[1] قال: «عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ نَاجِدٍ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ فَقَالَ: إِنَّ فِيكَ مِنْ عِيسَى مَثَلًا أَبْغَضَتْهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهُ.

(ثم قال عليٌّ عليه السلام): أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ مُحِبٌّ مفرطٌ[2] يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي، أَلَا إِنِّي لَسْتُ نَبِيّاً وَلَا يُوحَى إِلَيَّ وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ الله مَا اسْتَطَعْتُ فَمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ طَاعَةِ الله فَحَقٌّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وفِيمَا كَرِهْتُمْ، وما أمرتكم به أو غيري من معصية الله فلا طاعة في المعصية، الطاعة في المعروف، الطاعة في المعروف، (قالها) ثلاثاً»[3].

قلتُ: ونقل الشريف الرضي في «نهج البلاغة» نحو ذلك عن الإمام عليٍّ فقال: وقال عليه السلام:

---

(١) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الأصفهاني، من كبار علماء الشيعة ويُعَدُّ من رواة حديثهم. ولد في الكوفة في أوائل القرن الهجري الثالث وكان في بداية عمره زيدي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية الإثنا عشرية، وتوفي في مدينة أصفهان عام ٢٨٣ هـ. (المترجم)

(٢) في كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي: مُحِبٌّ مُطْرٍ. (المترجم)

(٣) انظر إبراهيم بن محمد الثقفي، «الغارات»، ط١، دار الكتاب، ١٤١٠هـ، ج٢/ ص ٤٠١- ٤٠٢ -٤٠٣. وهذه الرواية أخرجها بتمامها من أهل السنة: عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في زوائده على مسند الإمام أحمد، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، وأبو نُعَيم في فضائل الصحابة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والبزار في مسنده (جزء منها). وانظر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه/ باب فيمن يفرط في محبته وبغضه)، والمتقي الهندي في «كنز العمال» (ج١١/ ص٦٢٣، ج١٣/ ص ١٢٥). (المترجم)

«يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ»، ثم قال الرضيّ: وهذا مثل قوله (عليه السلام): «هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غَالٍ ومُبْغِضٌ قَالٍ»[1][2].

٣- وروى الشيخ الصدوق في كتابه «اعتقادات الإمامية» (المعروف باعتقادات الشيخ الصدوق) الرواية التالية، قال:

«وكان الرضا عليه السلام يقول في دعائه: اللهم إني بريء من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادَّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ. اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك فالعن النصارى الذين صغَّروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريتك. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولاحياةً ولا نشوراً. اللهم مَنْ زَعَمَ أَنَّا أربابٌ فنحنُ منه بَراءٌ ومَنْ زَعَمَ أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براءٌ منه كبراءة عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى. اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما يدَّعُون ولا تَدَعْ على الأرضِ منهم دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً»[3].

٤- وروى الشيخ الطوسي في «الأمالي» (ص ٦٥٠) بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) قوله (محبٌّ غالٍ) الغالي هو المتجاوز للحدّ في حبِّه أي الذي يبالغ في حب الإمام حتى يخرجه عن البشرية ويضفي عليه الصفات الإلـهية أو يقول بحلول اللاهوت فيه ونحو ذلك، وقوله: (مبغضٌ قالٍ): القالي هو المبغض شديد البغض. (المترجم)

(٢) نهج البلاغة، جمع وتدوين الشريف الرضي، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني، باب حكم أمير المؤمنين عليه السلام، رقم ٤٦٩، ص ٥٥٨. (المترجم)

(٣) الشيخ الصدوق، «اعتقادات الإمامية»/ باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض، ص٧٤. (المترجم)

«اللهم إني بريءٌ من الغُلاةِ كبراءةِ عيسى ابنِ مريم من النصارى، اللهمَّ اخْذُلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً.»».

٥- وروى الكشي في رجاله (ص ٢٩٨ - ٢٩٩) بسنده عن حمدويه، قال حدثنا يعقوب، عن ابن أبي عمير، عن عبد الصمد بن بشير، عن مصادف قال: «لما لبَّى القوم الذين لبُّوا بالكوفة[١] دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرتُهُ بذلك، فَخَرَّ ساجداً وألْزَقَ جؤجؤَهُ بالأرض وَبَكَى، وَأقبل يلوذُ بإصبعه ويقول: بَلْ عَبْدُ الله قِنٌّ[٢] داخرٌ[٣] مراراً كثيرةً، ثم رفع رأسه ودموعُهُ تسيلُ على لحيته، فندمتُ على إخباري إيّاه، فقلتُ جُعِلْتُ فِداكَ! وما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف! إن عيسى لو سكتَ عما قالت النصارى فيه لكان حقّاً على الله أن يصمَّ سمعه ويعمىَ بصره، ولو سَكَتُّ عمَّا قال فيَّ أبو الخطاب لكان حقّاً على الله أن يصمَّ سمعي ويُعمىَ بصري»».

٦- وروى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا» (ج ٢/ ص ٢٠٣) بسنده عن أبي هاشم الجعفري قال: سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة؟ فقال: «الغلاةُ كفَّارٌ والمفوِّضةُ مشركون، مَنْ جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوَّجهم أو تزوَّج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدَّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وولايتنا أهل البيت.»».

والعجب أن الأمر أصبح في زماننا على عكس ما تفيده هذه الرواية الشريفة، إذْ أصبح من لا يقول بأقوال الغلاة فلا يُثْبِتُ للأئمَّة الولايةَ التكوينيةَ وتصرُّفهم في تدبير الكون، يُعْتَبَرُ ناقص الولاية، بل يُعْتَبَرُ سُنِّيَّاً ووَهَّابِيَّاً، بل يُعْتَبَرُ أسوأ من النواصب!!

---

(١) أي قالوا: لبيك يا جعفر، أي فألّـهُوا الإمام جعفر الصادق عليه السلام. (المترجم)

(٢) القِنُّ هو المتمِّحض في العبودية والرق. وقيل: القِنُّ من العبيد الذي مُلِكَ هُوَ وَأَبَوَاهُ. (المترجم)

(٣) داخرٌ: أي خاضعٌ لِـلَّهِ مُنْقادٌ لَهُ، من دَخَرَ الرجلُ، يَدْخَرُ دُخُوراً، فهو دَاخِرٌ، ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَاراً، وهو الذي يفعل ما يؤمر به، شاءَ أَو أَبى صاغِراً قَمِيئاً. ومنه الآية: أَو لم يروا إِلى ما خلق الله من شيء يَتَفيَّأُ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لِـلَّهِ وهم داخرون؛ أي خاضعون لِـلَّهِ مُنْقَادُون لَهُ. (المترجم)

اللهم إننا مبتلون اليوم بأناسٍ نبرأ إليك من كفرياتهم وشركياتهم كما كان أئمتنا يبرؤون منهم، ونُشْهِدُكَ أننا لا نعتبر أئمَّتَنا سوى هداة إلى طريق الله ورُوَاة صادقين لحديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وندعو بدعاء الإمام الرضا عليهم السلام «رَبَّنَا لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ دَيَّاراً»!.

٧- وروى الكشيُّ أيضاً في رجاله (ص ١٠٨) عن عمير عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي، قال، قال علي بن الحسين عليه السلام: «لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبإ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادَّعَى أمراً عظيماً، ما له لعنه الله؟ كان عليٌّ عليه السلام والله عبداً لِلَّهِ صالحاً، أخو رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ)، ما نال الكرامةَ مِنَ الله إلا بطاعته لِلَّهِ ولرسوله، وما نال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) الكرامةَ مِنَ الله إلا بطاعته.».

قلتُ: إن هذا الكلام للإمام زين العابدين عليه السلام حَجَرٌ في فم آيةِ الله الغالي أبي الفضل النبوي الذي قال في الصفحة ٢٤ من كتابه «امراء هستي» (أمراء الكون) «إن الكمال النهائي من ناحية الولاية التي كانت لأهل بيت العصمة نابعٌ من طينتهم التي هي نورٌ محضٌ فهي كمال ذاتيٌّ وهبيٌّ وليست كمالاً كسبيَّاً!».

ويقول في الصفحة ٣٠ من كتابه أيضاً: «خلافاً لأولياء الله الذين يصلون إلى هذا المقام والمرتبة بواسطة السعي والسلوك والرياضة والمجاهدات وطي المراحل الابتدائية، فإن ذلك المقام للأئمة هبةٌ إلـهيّةٌ وُهِبَتْ لَهُمْ ووُضِعَتْ فيهم منذ بدء وجودهم طبقاً للتقدير والمشيئة السبحانية!».

وأقول: إن هؤلاء العلماء الغلاة لما ابتعدوا عن الصراط المستقيم وعن طريق العقل والقرآن الكريم، استمسكوا بكل عقيدة موهومة وحديث مختلق لإثبات مدّعاهم، من ذلك تمسكهم برواية ملفَّقة تذكر أن عليّاً بادر إلى قراءة آياتٍ من القرآن الكريم عقب ولادته وهو لا يزال رضيعاً في المهد![1]، هذا مع أن القرآن ما نزل على نبي الإسلام إلا بعد ١٢ سنة من ولادة عليٍّ

(١) انظر الرواية في بحار الأنوار، ج٣٥/ ص٣٧-٣٨. (المترجم)

عليه السلام، وحتى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لم يكن له علم به، كما قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف:٣] وكما قال في موضع آخر أيضاً: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:٤٩]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨]، وقال كذلك: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢].

فهذه الآيات تبين بصراحة عدم اطلاع النبي على القرآن قبل أن يوحى به إليه، وعدم علمه بأنبائه وأخباره.

ولكن أولئك الغلاة الضالون يريدون نسف كل تلك الآيات بحديث هراء باطل أسطوري، لا يعلمُ أحدٌ أيُّ غالٍ عديم الإيمان أو عونٍ من أعوان الشيطان اخترعه وافتراه، رواه «ابن الفتَّال»[1] في كتابه «روضة الواعظين»، عند حديثه عن موضوع ولادة الإمام علي عليه السلام، فنسبَ فيه إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قوله: «.... ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عليٍّ فقال لي: يا حبيبَ الله! اللهُ يقرأ عليك السلامَ ويهنِّئك بولادة أخيك عليٍّ...... فقمت مبادراً فوجدت فاطمة بنت أسد، أمّ عليّ، وقد جاءها المخاض وهو بين النساء والقوابل حولها..... (إلى قوله) ثم قال لي جبرئيل: امدد يدك يا محمّد! فإنه صاحبك اليمين! فمددت يدي نحو أمه فإذا بعليٍّ مائلاً على يدي واضعاً يده اليمنى في أذنه اليمنى وهو يؤذِّن ويقيم بالحنفية ويشهد بوحدانية

(١) هو محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتال النيشابوري المعروف بابن الفتال، من علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس الهجري. من مشايخه شيخ الطائفة الشيخ الطوسي والسيد المرتضى علم الهدى، ومن تلامذته ابن شهرآشوب المازندراني. من أشهر مؤلفاته «روضة الواعظين وبصيرة المتعظين» وهو من مصادر بحار الأنوار وطبع مراراً في إيران والعراق. توفي ابن الفتال مقتولاً سنة ٥٠٨هـ. (المترجم).

الله عزَّ وجل وبرسالتي!»[١]،

هذا مع أن الأذان إنما نزل بعد الهجرة إلى المدينة! ويتابع الحديث حتى يصل إلى القول: «ثم قال لي (عليٌّ المولود حديثاً): يا رسول الله! أقرأُ؟ قلتُ: إقرأْ! فو الذي نفسُ محمَّد بيده لقد ابتدأ بالصُّحف التي أنزلها الله عز وجل على آدم فقام بها شيثٌ فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها حتى لو حضر بها شيث لأقرَّ له أنه أحفظ له منه! ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضره موسى لأقرَّ بأنه أحفظ لها منه! ثم قرأ زبور داود....! ثم قرأ إنجيل عيسى...، ثم قرأ القرآن الذي أنزله الله عليَّ من أوله إلى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة!!...الخ الحديث الطويل المليء بالأباطيل»[٢].

فانظر أيها القارئ اللبيب في أي واد من وديان الغلوِّ يقع الإنسانُ الذي يصدِّق بمثل هذا الحديث الكاذب، وفي أي حفرة من الضلالة التي لا إمكان للنجاة منها، يسقط!

ولما كان متن هذا الحديث الخرافي يخالف صريح القرآن الكريم ويناقض العقل والوجدان والتاريخ، فإننا في غنى عن البحث في سنده وبيان ضعفه، إذْ إنه على درجة من البطلان والهراء يخجل معها الإنسان من مجرد ذكره وبيان كذبه.

مع أن ذلك الحديث المفترى يناقض ما رواه ابن الفتال نفسه في كتابه ذاته من أن علياً إنما وُلِدَ داخل الكعبة[٣]، هذا ويذكر ابن الفتال رواياتٍ غريبةٍ أخرى مليئةٍ بالترَّهات حول رجلٍ عابدٍ راهبٍ يُقَال له «المثرم بن رعيب بن الشيقنام»!! وكيف أن أبا طالب ذهب إليه و...و... إلى آخر تلك الموهومات التي بمعزل عن سندها الذي فيه رواةٌ مجهولون وغلاةٌ، مَتْنُها على درجة من التهافت والبطلان تكفي لتشهد بأنه افتراء محض من نسج خيال قصاصين وضّاعين حمقى.

---

(١) ابن الفتال، «روضة الواعظين»، قم: دار الرضيّ للنشر، بدون تاريخ، وذكر فيه أنه صُوِّرَ طبقاً لنسخة طبعت سنة ١٣٨٦هـ في النجف الأشرف، ج ١/ ص ٨٣-٨٤. (المترجم).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن الفتال، «روضة الواعظين»، ج١/ ص ٨١. (المترجم).

و روايات ابن الفتال هذه متناقضة تجعل الذي يقرأها لا يدري في النهاية هل وُلِدَ عليٌّ داخل الكعبة، أم وُلِدَ في بيت أبي طالب؟؟ وهل كانت قابلةُ عليٍّ حوريةٌ من نساء الجنَّة أم كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نفسه؟!

إن أولئك الغلاة الحمقى يظنون أن مثل تلك الروايات التي تشبه أضغاث أحلامٍ لا يُعرف أولها من آخرها هي من فضائل المولى أمير المؤمنين عليه السلام! إنهم يريدون أن يثبتوا استناداً إلى تلك الترَّهات الباطلة والخرافية موضوع تصرُّف عليّ في الكون والمكان!!؟

ما هي نتيجة قبول مثل تلك الروايات؟ إنها لن تكون سوى القول بأن قراءة عليٍّ للقرآن حين ولادته وقبل بعثة رسول الله بعدة سنوات، إن لم تدل على إلـهية عليٍّ وعلمه بكل شيء، فعلى الأقل ستدلُّ على أن علياً - والعياذ بالله - أفضل وأعلم من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)!! لأن القرآن الكريم بين لنا عدم اطلاع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) جنباً إلى جنب عدم اطلاع قومه على أخبار القرآن ومطالبه، فيقول تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:٤٩]، والقول بأفضلية عليٍّ على رسول الله أو مساواته له في الفضل كفرٌ. وأصلاً لو قرأ عليٌّ كل آيات القرآن على رسول الله - كما تدعي تلك الرواية الخرافية - فإن رسول الله سيكون قد سمع من عليٍّ آيات حادثة الإفك في سورة النور التي تبيِّن تزكية وطهارة أم المؤمنين عائشة، وبالتالي تكون براءة عائشة قد أصبحت مسلَّمة له، فلماذا إذن تلك الحيرة والتفكير الذي وقع به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لما سمع ذلك الموضوع؟! ولماذا إذن اقترح عليٌّ على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طلاق عائشة في تلك الحادثة؟ ولماذا استوضح رسول الله خادمة عائشة عن الأمر؟!. ومئات القضايا الأخرى التي يتضمنَّها القرآن، والتي لم يكن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يدري بها قبل أن تقع خلال سيرته.

وإذا تركنا كل ذلك جانباً، فإننا نسأل ما هي الفائدة من صدور كل تلك الأعمال العجيبة من عليٍّ حين ولادته والتي لا بد أنها تعتبر معجزات؟ لماذا كان عليٌّ يظهر تلك المعجزات للنبيّ؟

أكان النبي منكراً لفضائل عليٍّ فأراد عليٌّ أن يبينها له؟!! فبالله عليكم أيها القراء الكرام هل هناك أحمقٌ فضلاً عن عاقل يمكنه أن يقبل بمثل تلك المطالب أو يستند إلى مثل تلك الأوهام لإثبات عقيدةٍ ما؟!

وقد ذكر المجلسي في «بحار الأنوار» أيضاً حديثاً طويلاً مفصَّلاً قريباً من هذا المعنى نقلاً عن كتاب «الأمالي» للشيخ أبي جعفر الطوسي جاء فيه أنَّه بعد ولادة عليٍّ وعودة أمِّه إلى بيتها عزمَ نبيُّ الله محمّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الذهاب إلى بيت أبي طالب لرؤية الوليد الجديد، فذهب ولما: «دَخَلَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَلَمَّا دَخَلَ اهتز له أمير المؤمنين عليه السلام وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته!. قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال: بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُون. إلى آخر الآيات. فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): قد أفلحوا بك وقرأ تمام الآيات إلى قوله: أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. فقال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أنتَ والله أميرُهُم... الحديث»[1].

ويُقال في هذه الرواية الموضوعة ما قيل في سابقتها من أن متنها مخالفٌ لصريح آيات القرآن التي تؤكد أنه لم يكن للنبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ولا لقومه، أيُّ علمٍ بالقرآن الكريم قبل نزوله، هذا فضلاً عن أن سند الرواية رواةٌ غلاةٌ وضَّاعون.

نسأل الله تعالى أن يحمينا وجميع المسلمين من أمثال تلك الموهومات والخرافات وأن ينجينا من شرِّ الغلاة الذين هم من أسوأ الآفات، ويهدينا إلى الدين الصحيح والصراط الإلـهي المستقيم الذي هو دين الإسلام واتّباع القرآن.

أجل، لقد آذى أولئك الغلاة سيدنا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كثيراً حتى لعنهم وتبرأ منهم مراراً وإليكم الحديث التالي حول ذلك:

٨- روى الكشي في رجاله قال أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة ومما وقع عبد الله بن حمدويه

(١) الملا محمد باقر المجلسي، «بحار الأنوار»، ج٣٥/ ص٣٧-٣٨. (المترجم).

البيهقي وكَتَبْتُهُ من رقعته: «أن أهل النيسابور قد اختلفوا في دينهم وخالف بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً وبها قومٌ يقولون إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) عرف جميع لغات أهل الأرض ولغات الطيور وجميع ما خلق الله وكذلك لا بد أن يكون في كل زمان من يعرف ذلك ويعلم ما يضمر الإنسان ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في بلادهم ومنازلهم، وإذا لقي طفلين فيعلم أيهما مؤمن وأيهما يكون منافقاً، وأنه يعرف أسماء جميع من يتولاه في الدنيا وأسماء آبائهم وإذا رأى أحدهم عرفه باسمه من قبل أن يكلمه. ويزعمون جُعِلْتُ فِداكَ أن الوحي لا ينقطع والنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لم يكن عنده كمال العلم ولا كان عند أحد من بعده وإذا حدث الشيء في أي زمان كان ولم يكن علم ذلك عند صاحب الزمان أوحى الله إليه وإليهم! فقال: كذبوا لعنهم الله وافتروا إثماً عظيماً»[1].

وأقول: إن هذا التوقيع واللعن والبراءة تشمل كل من يعتقد بالإمام أو النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مثل تلك العقائد المغالية، كيف لا وقد ضل كثير من عامة الناس بل خاصتهم وبعض المتسمِّين بآيات الله العظمى منهم(!) (كأبي الفضل النبوي) بسبب تلك الأحاديث الكاذبة التي وضعها الغلاة ونجدها في ثنايا كتب مثل كتاب «بصائر الدرجات» لمحمد بن الحسن الصفار (٢٩٠ هـ) أو كتاب «الكافي» للكُلَيْنِيّ (٣٢٩ هـ)، وغيرها.

٩- وفي رجال الكشي أيضاً (ص ١٩٦)[2] عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن الحسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: «لعنَ الله المغيرةَ بنَ سعيدٍ ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق إن المغيرة كذبَ على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حرَّ الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيدُ الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع إن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٢٥/ ص ١٦١- ١٦٢. (المترجم)

(٢) وهي في نسخة رجال الكشي، طبع مؤسسة النشر في جامعة مشهد/ إيران، ١٣٤٨ هـ في ص: ٢٢٥ - ٢٢٦. (المترجم)

فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون، ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم)، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون وأفزع وينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً أستعدي اللهَ عليهم، وأتبرَّأُ إلى الله منهم، أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وما معي براءة من الله، إن أطعته رَحِمَني وإن عصيته عذَّبني عذاباً شديداً أو أشدَّ عذابه.».

وأقول: انظروا كيف كذَّب الإمام الصادق عليه السلام بتلك العبارات الواضحة الصريحة كل تلك الترَّهات والأكاذيب التي ينسبها إليه الغلاة، والتي لا يزال بعض غلاة عصرنا يعتقدون بمثلها بحق الإمام الصادق وشفاعته والتوسل به!.

ولا غرو أن يقول الإمام الصادق ما قاله فقد جاء في كتاب الله العزيز إنذارٌ لجدِّه رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، هذا بعد أن ينقل القرآن الكريم لنا عن لسان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:١٥]، ومثلها في سورة يونس/ آية ١٥، وسورة الزمر/ آية ١٣. فيحق للصادق أن يكون كذلك أيضاً لأنه ليس بين الله تعالى وبين أحد من خَلْقِهِ - مهما علت منزلته - نسبٌ ولا قرابةٌ، ولن ينجيه إلا عَمَلُهُ ورحمةُ ربِّه، ألم يقل الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء:١٢٣-١٢٤].

إن ذلك الحديث الذي أوردناه عن الإمام الصادق عليه السلام يبيِّن براءته من مقالات الغلاة التي

كان غلاة عصره ينشرونها وخلَّفوها للأسف للأجيال اللاحقة حتى تلقَّفها منهم غلاة عصرنا، ألا لعنةُ الله عليهم لعناً وبيلاً.

١٠- روى الكشيّ في رجاله (ص ٢٥٤)[1] كذلك عن محمد بن مسعود، قال حدثني عبد الله بن محمد بن خالد، عن علي بن حسان، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ذُكِرَ عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب، فقيل إنه صار إلى بيروذ، وقال فيهم وهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وفِي الْأَرْضِ إِلهٌ، قال: هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله لا يأويني وإياه سقفُ بيتٍ أبداً، هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغَّر عظمةَ الله تصغيرهم شيء قط، إن عُزَيْراً جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أن عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيَّ أهلُ الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبدٌ مملوكٌ لا أقدر على شيء ضرٍّ ولا نفع.».

أقول: ولِنُدَقِّق في جملة «فمحا الله اسمه من النبوة» ففيها معنىً دقيق وعال، إذ إنها تبين عدم صحة تلك العصمة الوهبية المطلقة التي يدعيها المغالون بالأئمة وتبعاً لذلك بالأنبياء والرسل، لأن عزيراً قد مُحي اسمه من سجل الأنبياء لمجرد أنه جال في ذهنه أو تصور أن يكون له مثل ذلك المقام، فلا عصمة على ذلك النحو الذي يقولونه، حتى لو أن عيسى بن مريم أقرّ - والعياذ بالله - بما قالته النصارى بحقِّه لفعل الله تعالى به كذا كذا، كما جاء في الرواية.

١١- ويذكر الطبرسي[2] في كتابه «الاحتجاج» (ج ٢/ ص ٤٣٩) روايةً عن الإمام الرضا عليه السلام كما يلي: «فقام إليه رجل فقال: يا ابن رسول الله! صف لنا ربك فإنَّ مَنْ قَبْلَنَا قد اختلفوا

---

(١) وفي نسخة طبعة جامعة مشهد المحققة: ص ٣٠٠ - ٣٠١. (المترجم)

(٢) هو الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، لا يُعرف تاريخ ولادته أو وفاته بدقة، وكل ما يُعرف عنه أنه من علماء القرن السادس الهجري ومن معاصري أمين الإسلام الطبرسي (٥٤٨ هـ) صاحب تفسير "مجمع البيان" الشهير، وكلا الطبرسيين من مشايخ ابن شهر آشوب المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨هـ.

علينا! فوصفه الرضا عليه السلام أحسن وصف ومجَّدَه ونزَّهَه عمَّا لا يليق به تعالى. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! فإنَّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلُّها من صفات عليٍّ عليه السلام وأنه هو الله رب العالمينّ! قال فلما سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائصه وتصبَّبَ عرقاً وقال: سبحان الله عمّا يشركون! سبحانه عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً! أوليس عليٌّ كان آكلاً في الآكلين وشارباً في الشاربين وناكحاً في الناكحين ومحدثاً في المحدثين وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً بين يدي الله ذليلاً وإليه أوَّاهاً منيباً؟ أفمن هذه صفته يكون إلها؟؟ فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحدٌ إلا وهو إلهٌ لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كل موصوف بها! فقال الرجل: يا ابن رسول الله! إنهم يزعمون أن علياً لما أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله دلَّ على أنه إلهٌ، ولما ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبَّس ذلك عليهم وامتحنهم ليعرفوه وليكون إيمانهم اختياراً من أنفسهم! فقال الرضا عليه السلام: أوَّلُ ما هاهنا أنهم لا ينفصلون ممن قلب هذا عليهم فقال: لمَّا ظهر منه الفقر والفاقة دلَّ على أنَّ مَنْ هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون لا تكون المعجزات فعله، فَعُلِمَ بهذا أن الذي أظهره من المعجزات إنما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين لا فعل المحدث المشارك للضعفاء في صفات الضعف.».

١٢- وذكر الكشي في رجاله روايةً أخرى في هذا المجال فقال: «وبهذا الإسناد، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن ابن أبي نجران، عن عبد الله، قال، قال أبو عبد الله عليه السلام: إنا أهل بيت صدِّيقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أصدق الناس لهجة وأصدق البريّة كلها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدقَ من بَرَأَ اللهُ بعدَ رسولِ الله، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله الكذب عبد الله بن سبإ.» ثم تابع الكشيّ قوله: «ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبإ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في

علي عليه السلام مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية!» انتهى كلام الكشّي[1].

١٣- وروى الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» بسنده عن أبي عن الحسن بن أحمد المالكي عن أبيه عن إبراهيم بن أبي محمود قال قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله! إن عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم أفندين بها؟؟ فقال: يا ابن أبي محمود! لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: مَنْ أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

ثم قال الرضا عليه السلام: «يا ابن أبي محمود! إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة أحدها الغلو وثانيها التقصير في أمرنا وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة.»[2].

قلتُ: فانظروا أيها القراء الكرام كيف يحذِّر الإمام عليه السلام ويخوِّف حتى من الذي يقول عن الحصاة نواة ويجعل ذلك الافتراء دينه، ومثله الذي يقول عن إنسان إنه فوق إنسان، وعن بشرٍ إنه ملاكٌ، فما بالك بمن يقول عن بشر إنه يعمل أعمال الله تعالى؟!

---

(١) رجال الكشي، ص ١٠٠ في الطبعة القديمة، أو ص ١٠٨ - ١٠٩ في طبعة جامعة مشهد. (المترجم)

(٢) الشيخ الصدوق، «عيون أخبار الرضا»، ج١/ ص ٣٠٤.

١٤- روى الشيخ الصدوق في «الخصال» (ص ٦٣، المطبعة الإسلامية) بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: «أَدْنى ما يَخْرُجُ به الرجلُ عن الإيمان أن يجلس إلى غالٍ فيستمع إلى حديثه ويصدِّقُهُ على قوله، إن أبي حدَّثني عن أبيه عن جدِّه عليه السلام أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام، الغُلاةُ والقدرِيَّةُ.».

١٥- وروى المجلسي في بحار الأنوار (ج ٦٥/ ص ١٦٧) نقلا عن الكشي في رجاله عن خالد بن حماد عن الحسن بن طلحة رفعه عن محمد بن إسماعيل عن علي بن زيد الشامي قال قال أبو الحسن (أي الإمام الرضا) عليه السلام قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما أنزل الله سبحانه وتعالى آيةً في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع[1]!».

وهذه الرواية نقلها العلامة المامقاني أيضا في كتابه «مقباس الهداية» (ص ٨٩).

(١) قوله (ينتحل التشيُّع) أي ينتسب إليه زوراً وكذباً، من النِّحلة، قال ابن منظور في لسان العرب: (والنِّحْلةُ: الدَّعْوَى. وانْتَحَل فلانٌ شِعْر فلانٍ، أَو قالَ فلانٍ إذا ادّعاه أنه قائلُه. وتَنَحَّلَه: ادَّعاه وهو لغيره.) [المترجم]

تمكّن الغلاة من دسّ كثير من أخبار الغلوّ بين الآثار الصحيحة المروية عن الأئمة

رغم كل تلك الأحاديث التي وردت في ذمّ الغلاة نشأت عديد من المذاهب الباطلة باسم الشيعة مثل فرقة الكَيْسانِيَّة والإسماعيلية والحبّانية والهاشمية والرزاقية والفطحية والسمطية والناووسية والواقفية والخطابية والبيانية والمخمِّسَة والعليائية والنُّصَيْريَّة والشريفية والمفوِّضة وأمثالها... وللاطلاع المفصَّل عليها يجب الرجوع إلى كتب الملل والنحل، هذا رغم أنه لم يبق اليوم من كل تلك الفرق الغالية إلا فرقة الإسماعيلية (وتفرُّعَاتها) والنصيريَّة. إلا أن آثار وأقوال تلك الفرق الغالية بقيت بين الشيعة ووجدت طريقها إلى كتب أخبارهم وأحاديثهم التي اختلطت فيها الروايات الصحيحة بآثار وأقوال تلك الفرق. ومَرَدُّ ذلك إلى أن اختلاط وامتزاج تلك الفرق الشيعية القديمة بعضها ببعض كان أمراً حتميَّاً لا يمكن اجتنابه، فكثيرٌ من رجال الشيعة أمضَوا فترات من حياتهم أتباعاً لمذاهب مختلفة وأخيراً اهتدوا إلى المذهب الحق، أو انصرفوا عن المذهب الحق واتبعوا مذاهب باطلة، مثل «المعلَّى بن خُنيس» الذي كان - حسب ما روي - مغيريّ المذهبأ أي من أصحاب المغيرة بن سعيد الذي لعنه الإمام الصادق عليه السلام كما مرَّ، ثم اعتنق دعوة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وأُخِذ بتلك التهمة وقُتِل استناداً إليها. هذا الشخص اعتبره الشيخ الطوسي من أصحاب حضرة الإمام الصادق عليه السلام وقد روى المعلّى فعلاً أحاديثَ عن الإمام الصادق. وتوجد أمثلةٌ عديدةٌ أخرى لأشخاص كانوا من قبل من أتباع بعض الفرق الباطلة ثم اهتدوا أخيراً إلى المذهب الحق أو بالعكس.

إضافةً إلى ذلك فإن أصحاب المذاهب الباطلة كانوا يسعَون إلى تلويث المذهب الحق

بعقائدهم[(١)].

(١) للشيخ هاشم معروف الحسني في كتابه «الموضوعات في الآثار والأخبار» كلام ممتاز يؤيد تماماً ما يذكره المؤلِّف هنا حيث يقول: [[فقد كان من أخطر الدخلاء على التشيع جماعة تظاهروا بالولاء لأهل البيت، وانْدَسُّوا بين الرواة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام) مدَّةً طويلةً من الزمن استطاعوا خلالها أن يتقربوا من الإمامين الباقر والصادق واطمأن إليهم جمع من الرواة فوضعوا مجموعة كبيرة من الأحاديث ودسُّوها بين أحاديث الأئمة وفي أصول كتب الحديث، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات، وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن مقلاص الأسدي الذي يكنِّيه الشهرستاني بأبي زينب، والمقريزي بابن أبي ثور، والمغيرة بن سعيد، ويزيع بن موسى الحائك، وبشار الشعيري، ومعمر بن خيثم، والسري وحمزة اليزيدي وصائد الهندي، وبيان سمعان التميمي، والحرث الشامي، وعبد الله بن الحرث وغير هؤلاء ممن لا يسعنا استقصاؤهم، وكان بشار الشعيري وحمزة اليزيدي ومعمر بن خيثم وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد من دعاة الإلحاد والغلو، فلقد ادعى بشار بأن علياً هو الإله، وقال بالتناسخ، وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لِمَرَزام وكان جاراً لبشار، قال له: إذا قدمت الكوفة فقل له: يقول لك جعفر: يا فاسق يا كافر يا مشرك أنا بريء منك! قال مرزام: فلما قَدِمْتُ الكوفةَ بلَّغْتُهُ الرسالةَ، فقال بشار: وقد ذكرني سيدي؟ قال نعم ذكرك بهذا، فقال له جزاك الله خيراً. وأما معمر بن خثيم فقد أحلَّ جميع المحرمات، وأما حمزة فكان يدعي بأن أبا جعفر يأتيه بالوحي في كل ليلة، وأما بيان فلقد ادَّعى النبوة بعد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأما المغيرة بن سعيد فلقد ادعى النبوة وكان أكثرهم أتباعاً لأنه كان يستعمل السحر والشعبذة والأساليب التي تضلل البسطاء المغفلين.

وجاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: (كان بيان يكذب على علي بن الحسين فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة يكذب على أبي جعفر الباقر، وكان محمد ابن فرات يكذب على أبي الحسن موسى بن جعفر، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله الصادق).

وجاء عن يحيى بن عبد الحميد الحماني: أن جعفر بن محمد (أي الإمام الصادق عليه السلام) كان رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً فاكتنفه قومٌ جهال يدخلون عليه ويخرجون يقولون: حدَّثنا جعفر بن محمد، ويحدِّثون بأحاديث منكرة كلها كذب على الإمام جعفر بن محمد يستأكلون بها الناس، كالمفضَّل بن عمر وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضَّاعين ونسبوا إليه أنه قال: إن معركة الإمام تكفي عن الصلاة والصيام، وأن علياً في السحاب يطير مع الريح، وأن اللهَ إلهُ السماء والإمامَ إلهُ الأرض، إلى غير ذلك من المقالات.

وجاء في كتاب رجال الكشِّيّ (ص١٩٦)[1] عن يونس عن هشام بن الحكم أنه سمعَ حضرةَ الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «كان المغيرةُ بن سعيد يتعمَّد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة فكان يدسُّ فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثُّوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلوّ فذاك ما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم.».

قلت: فمن هنا نعلم منشأ ومصدر مثل تلك الأحاديث الخرافية الغالية ومن الذين كانوا يضعونها ويبثُّونها بين المسلمين.

ومن الجهة الأخرى كان عوام الشيعة لشدّة حبّهم وتعلّقهم بأهل بيت النبوّة، أهل بيت العصمة والطهارة، يقبلون كلما يُقال باسمهم، وقليلاً ما كانوا يدققون في صحّة وسقم الأحاديث المنسوبة إلى الأئمة ـ عليهم السلام ـ خاصّة إذا كانت تتحدث عن فضائلهم، فلم يكونوا يجتهدون في تنقيحها وتصحيحها، وكما توقّع أولئك الأئمّة الكرام ذاتهم يبدو أنّ الله ذهب بعقول جماعات من أولئك العامّة كما روى الكشِّيّ في رجاله ذيل بيانه لحال «أسلم المكيّ» مولى محمد بن الحنفية أن الإمام محمد الباقر عليه السلام كان يقول: «لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أربَاعهم لنا شُكَّاكاً والربع الآخر أحمقاً!!».

إن مثل أولئك العوام البسطاء السُّذَّج هم الذين كانوا يصدِّقون كل ما يسمعونه باسم الإمام

وتؤكد المرويات الصحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة أن المغيرة بن سعيد وبياناً وصائد الهندي وعمر النبطي والمفضل وغيرهم من المنحرفين عن التشيع والمندسين في صفوف الشيعة وضعوا بين المرويات عن الأئمة عدداً كبيراً في مختلف المواضيع.

وجاء عن المغيرة أنه قال: وضعتُ في أخبار جعفر بن محمد اثني عشر ألف حديث!، وظلَّ هو وأتباعه زمناً طويلاً بين صفوف الشيعة يترددون معهم إلى مجلس الأئمة (عليهم السلام) ولم ينكشف حالهم إلا بعد أن امتلأت أصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم كما تشير إلى ذلك رواية يحيى بن عبد الحميد السابقة.]] (المترجم).

(١) وهو في ص ٢٢٥ من طبعة مشهد. (المترجم)

ويجعلونه ملاكاً لعقيدتهم وأعمالهم ولو كان مخالفاً لصريح آيات القرآن. ومن البديهي أن هؤلاء السُذَّج لم يكونوا مقبولين لدى الأئمة ـ عليهم السلام ـ الذين كانوا زبدة الناس وأعقلهم وأحكمهم فما كان الأئمة ـ عليهم السلام ـ يحبّون أمثال أولئك السُّذَّجِ بل كانوا يحبُّون العقلاء النبهاء كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهيماً حليماً مدارياً صدوقاً وفياً».

وروى الشيخ المفيد في أماليه (ص ١١٣، المجلس ٢٣) نحو ذلك الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفيّاً. ثم قال: إن الله تبارك وتعالى خصَّ الأنبياء عليهم السلام بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرَّع إلى الله تبارك وتعالى وليسأله. قال: جُعِلت فداك! وما هي؟ قال عليه السلام: «الورع والقنوع والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والأمانة».

وكما قلنا من قبل ذيل بحثنا حول الولاية[١] وحول مودة المؤمنين بعضهم بعضاً: إن محبّة المؤمنين ومودَّتهم هي تلك السنخية في أعمالهم الحسنة التي يقومون بها تجاه بعضهم بعضاً. وإنّ محبّة عليٍّ وأولاد عليٍّ هي في الحقيقة محبة حقائق الدين والأعمال الحسنة والخصائل الفاضلة التي كان عليٌّ والخُلَّص من أولاده مظهراً بارزاً لها. فحبُّ عليٍّ يعني حبَّ الإيمان بالله، لأن علياً كان من أكبر المؤمنين بالله، بل المظهر الأتم للإيمان، وحبُّ عليٍّ يعني حبَّ الإيمان بالقيامة والحرص على إعداد الزاد لها من التقوى والأعمال الصالحة، لأن علياً كان من أكبر المؤمنين بالقيامة، كما قال تعالى بشأنه وشأن أهل بيته: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ [الإنسان:٧]، وفي النهاية حبُّ عليٍّ يعني حبَّ الصلاة والزكاة والمساواة ونصرة المظلوم ومحاربة الظالم والأخذ على يديه، وحب العدالة، وسائر الفضائل الإنسانية العالية التي كان عليٌّ أكبرَ مظهر لها، أما تلك

---

(١) أي في القسم الثاني من كتابه (طريق النجاة من شر الغلاة) وهو القسم المعنون بـ «بحث در ولايت وحقيقت آن» أي بحث في الولاية وحقيقتها. (المترجم)

المحبة الوهميَّة التي يدَّعيها المتخيِّلون أصحاب الأوهام - ويسمُّونها ولاية عليٍّ - لا ينشأ منها أي خير وفائدة.

إن التشابه في السنخ وفي الطبيعة الخلقية هي التي تجعل الأفراد أحباء بعضهم بعضاً. أما أنواع الحب الأخرى فليست بشيء، وربما كان منشؤها أموراً ماديَّةً. فشيعة عليٍّ وأتباعه معناها أنهم محبُّو العدالة والأمانة والعفَّة والتقوى و... و... كما روى الطبرسي[(١)] في كتابه «مشكاة الأنوار» عن «عبد الله بن زياد قال سلَّمنا على أبي عبد الله عليه السلام بمنى ثم قلتُ: يا ابن رسول الله! إنا قومٌ مجتازون لسنا نطيق هذا المجلس منك كلما أردناه ولا نقدر عليه فَأَوْصِنا. قال: أوصيكم بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الصحابة لمن صاحبكم وإفشاء السلام وإطعام الطعام صلوا في مساجدهم وعودوا مرضاهم واتّبعوا جنائزهم فإن أبي حدثني أن شيعتَنا أهلَ البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم وإن كان مؤذن كان منهم وإن كان إمام كان منهم وإن كان كافل يتيم كان منهم وإن كان صاحب أمانة كان منهم وإن كان صاحب وديعة كان منهم فكذلك فكونوا، حبِّبُونا إلى الناس ولا تُبَغِّضُونا إليهم»[(٢)].

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد» بسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن شهاب الزهري قال: «حدثنا علي بن الحسين عليه السلام وكان أفضل هاشمي أدركناه قال: أحبونا حب الإسلام فما زال حبُّكم لنا حتى صار شيناً علينا.»[(٣)].

---

(١) هو أبو الفضل، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي. وهو ابن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب «مكارم الأخلاق» وحفيد أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير «مجمع البيان». وهو من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري، ولم يُعْرَف بالضبط تاريخ ولادته ووفاته، ولكن بالنظر إلى أن تاريخ وفاة جده أمين الإسلام الطبرسي كانت في سنة ٥٤٨ للهجرة فمن المحتمل قوياً أنه قد أدرك جده وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن وفاته كانت خلال سنوات ال ٦٠٠ للهجرة.

(٢) علي بن الحسن الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، ط٢، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٥هـ، ص ١٤٦.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص ١٤١. (المترجم)

وكذلك روى ابن شهر آشوب[١] في «المناقب» (ج٤/ ص ١٦٢) نقلاً عن حلية الأولياء «قال يحيى بن سعيد: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول واجتمع عليه أناس فقالوا له ذلك القول يعني الإمامة فقال: أحبونا حب الإسلام فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً، وفي رواية الزهري: ما زال حبكم لنا حتى صار شيناً علينا.»[٢].

وروى الكشي في رجاله (ص ١١١)[٣] قال: حدثني محمد بن مسعود، قال حدثني أبو عبد الله الحسين بن إشكيب، قال حدثني محمد بن أورمة، عن الحسين بن سعيد، قال حدثني علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن ضريس، قال قال لي أبو خالد الكابلي أما إني سأحدثك بحديث إن رأيتموه وأنا حيٌّ فقلتَ صَدَقَنِي، وإن متُّ قبل أن تراه ترحَّمت علي ودعوت لي، سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إن اليهود أحبوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عزير منهم ولا هم من

---

(١) هو رشيد الدين، محمد بن شهرآشوب المازندراني، من علماء الشيعة الإمامية وفقهائهم ومحدثيهم البارزين في القرن السادس الهجري، وُلِدَ في مازندران (شمال إيران) سنة ٤٨٩ هـ، وطاف في البلدان يتلقى العلم عن علماء الشيعة والسنة في عصره فكان من أساتذته جار الله الزمخشري المعتزلي، والفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان والشيخ الطبرسي صاحب الاحتجاج وقطب الدين الراوندي وغيرهم. من أشهر كتبه: «مناقب آل أبي طالب عليهم‌السلام» في أربعة مجلدات وكتاب متشابه القرآن وكتاب أسباب النزول. ومما ميز ابن شهر آشوب أنه من علماء الشيعة الذين أطرى عليهم علماء أهل السنة كثيراً، فوصفه العلامة شمس الدين الداودي تلميذ السيوطي بأنه وصل إلى غاية التخصص في مختلف العلوم وكان إمام زمانه ووحيد عصره. أكثر تضلعه في علوم القرآن والحديث وهو بين الشيعة من حيث اعتباره ومنزلته كالخطيب البغدادي بين أهل السنة. اهـ. وجاء في ترجمته في كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي: أن ابن شهرآشوب حفظ القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيعة،كان يُرْحَل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وكان بهي المنظر حسن الوجه والشيبة صدوق اللهجة مليح المحاورة واسع العلم كثير الخشوع والعبادة والتهجد لا يكون إلا على وضوء.اهـ.، تُوُفِّيَ في حلب شمال سورية، سنة ٥٥٨هـ ودفن بها. (المترجم)

(٢) ابن شهرآشوب المازندراني، «المناقب»، قم: مؤسسة العلامة للنشر، ١٣٧٩هـ، ج٤/ ص١٦٢.

(٣) وفي نسخة رجال الكشي، طبع جامعة مشهد في ص ١٢٠. (المترجم)

عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سُنَّةٍ من ذلك إن قوماً من شيعتنا سيحبُّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى ابن مريم فلا هم منا ولا نحن منهم.».

قلتُ: ومن البديهي أن أحداً من أمة الإسلام لن يجرؤ على القول بأن الإمام الفلاني كان ابن الله، تعالى الله عن ذلك، لأن آيات القرآن ردت على نحو متكرر وبأشد العبارات صراحة ادعاء الابن لِلَّهِ، والمسلمون يقرؤون على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة في ركعات صلواتهم سورة الإخلاص التي تؤكد أنه تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، لذا فإن الغلو سيكون بشكل آخر ألا وهو نسبة الصفات الإلـهية المغالية للأئمة كالقول بأنهم مدبِّرو الكون والمتصرّفون في عالم الإمكان ونحو ذلك من العقائد الباطلة السخيفة، والواقع أن مثل هذه العقائد أسوأ وأقبح مما ادعته اليهود بحق العُزَير والنصارى بحق عيسى بن مريم عليه السلام، كما نبَّه إلى ذلك الأئمة أنفسهم حين قال صادقهم: «وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شرٌّ من اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أَشْرَكُوا»!

فالذي يؤمن بالله الواحد وبنبوة الأنبياء ويخشى يوم الحساب ويتبع أهل بيت النبي الطاهرين ويحبهم ويتمتع بعقل نابه ووجدان حي لا يمكن أبداً أن يتفوه بمثل تلك الكلمات التي هي من عقائد الغلاة فضلاً عن أن يسمح لمثل تلك الخيالات الباطلة والشرك المحض أن تجد طريقها إلى قلبه بل ينهض إلى محاربة مثل تلك الخرافات دون خوف من أتباعها حتى ولو خالفه آلاف ممن يتسمَّون بآيات الله العظمى، وعمدوا إلى إصدار الفتاوى في تكفيره لأن هذه الفتاوى هي في الحقيقة مردودة عليهم فهم أصحاب العقائد الكفرية والشركية بنص القرآن الكريم.

بهذا نختتم هذا الفصل آملين أن ينفع تذكيرنا هذا مجتمعنا الذي عشعشت فيه الخرافات وأن يوقظ النفوس الصادقة المتهيئة لقبول حقائق الإسلام ويهديها إلى الحق والصواب، فتبرأ من أمثال تلك الموهومات وتتمسك بعروة النجاة الوثقى القرآن الكريم والأحاديث التي يصدِّقها القرآن فتنجو من تلك الضلالات وتنال سعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مصادر التأليف والتحقيق لبحث الغلوّ

١) القرآن الكريم.

٢) ابن الفتال، الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتال النيشابوري (٥٠٨هـ.)، «روضة الواعظين وبصيرة المتعظين»، قم: دار الرضيّ للنشر، بدون تاريخ، وذكر فيه أنه صُوِّرَ طبقاً لنسخة طبعت سنة ١٣٨٦هـ في النجف الأشرف.

٣) ابن شهرآشوب المازندراني (٥٥٨هـ)، «مناقب آل أبي طالب»، قم: مؤسسة العلامة للنشر، ١٣٧٩هـ.

٤) ابن منظور، العلامة ابن منظور الأفريقي، لسان العرب.

٥) أبو نعيم الأصفهاني، الشيخ الحافظ أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ)، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، بيروت.

٦) أحمد بن حنبل، الإمام (٢٤١ هـ)، المسند، وزوائد المسند لعبد الله بن الإمام أحمد.

٧) الأشعري القمي، سعد بن عبد الله بن أبي خلف (٣٠١هـ)، «المقالات والفرق»، صححه وعلّق عليه د. محمد جواد مشكور، طهران، ١٩٦٣هـ.

٨) البَرسي، الشيخ حافظ رجب بن الشيخ محمد بن رجب البرسي (كان حيا سنة ٨١٣ هـ؟)، «مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين»، بيروت: دار الأندلس.

٩) الثقفي، أبو اسحق إبراهيم بن هلال الثقفي الكوفي (٢٨٣هـ)، «الغارات» (أو الاستنفار والغارات)، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ، حققه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

١٠) الحائري، الشيخ علي اليزدي الحائري (١٣٣٣هـ)، «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب».

١١) الحاكم النيسابوري، الحافظ محمد بن عبد الله (٢٧٥هـ)، المستدرك على الصحيحين.

١٢) الشريف الرضي (٤٠٦هـ)، نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.

١٣) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، «اعتقادات الإمامية».

١٤) الطبرسي، علي بن الحسن الطبرسي (القرن السادس الهجري؟)، «مشكاة الأنوار»، ط٢، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٥هـ.

١٥) الطوسي، الشَّيْخُ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (٤٦٠ هـ)، كتاب «الأَمَالِي» (أو المجالس)، ط١، قم: دار الثقافة للنشر، ١٤١٤ هـ

١٦) طه نجف، آية الله الشيخ محمد طه نجف، «إتقان المقال في أحوال الرجال».

١٧) الكشي، أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (حدود سنة ٣٥٠ هـ؟)، «رجال الكشي»، الطبعة القديمة، أو طبعة مؤسسة النشر في جامعة مشهد/ إيران، ١٣٤٨ هـ، بتحقيق الدكتور حسن المصطفوي.

١٨) المامقاني (أو الممقاني)، آية الله الشيخ عبد الله (١٣٥٠هـ)، «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، طبعة حجرية بدون مشخصات.

١٩) المامقاني (أو الممقاني)، آية الله الشيخ عبد الله (١٣٥٠هـ)، «مقباس الهداية في علم الدراية».

٢٠) المتقي الهندي، العلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (٩٧٥هـ)، «كنز العمال»، ضبطه وصححه ووضع فهارسه الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

٢١) المجلسي، العلامة المنلا محمد باقر بن محمد تقي (١١١٠هـ)، «بحار الأنوار»، طبعة كمپاني الحجرية القديمة في تبريز، وطبعة بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤هـ في ١١٠ مجلدات.

٢٢) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري البغدادي (٤١٣هـ)، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ط١، الناشر: قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ..

٢٣) النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى (٣٠٠ أو ٣١٠؟)، «فرق الشيعة»، صححه وعلَّق عليه: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، النجف ١٣٥٥هـ.

٢٤) هاشم معروف الحسني، «الموضوعات في الآثار والأخبار عرض ودراسة»، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.

٢٥) الهيثمي، «مجمع الزوائد»، من برنامج الموسوعة الإسلامية الشاملة والكاملة.

خلاصة مباحث كتاب "طريق النجاة من شر الغلاة"

خلاصة مباحث كتاب «طريق النجاة من شر الغلاة»

في ختام مباحثنا الخمسة نقول إن قصدنا منها كان بيان خلاصة عن العقائد الإسلامية الصحيحة. ولعلَّ القراء الكرام الذين ربّما أصيبوا بالحيرة لدى قراءَتِهم تلك المباحث التي كشفت لهم أن كثيراً من العقائد والأفكار التي كانوا يظنُّونها من قبل جزءاً من حقائق الإسلام يسألون إذن ما هي الحقيقة؟

لذا وضعنا أمام القراء الكرام العقائد والأحكام التي أوحى بها الله تعالى رب العالمين بواسطة آيات القرآن الكريم إلى نبي آخر الزمان (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ). وقد رأينا أن هذا العمل لا يتحقق بالاختصار، كما أن ذكره بالتفصيل يخرج عن حدود هذه الرسالة، ومن الجهة الأخرى يحتاج إعداد هذه المطالب بشكل مفصَّل إلى وقت أكثر ومن جهة ثالثة، ليس لدينا وسيلة لطباعة ونشر كتاب مفصل كبير في هذا الأمر، وخير شاهد على ما نقول الوضع المتواضع جداً لهذا الكتاب الذي بين يديه من حيث الطباعة والإخراج والذي اضطرُرنا إليه نتيجة قلة الإمكانات والوسائل!

لذلك صرفنا النظر عن كتابة كتاب مفصَّل في هذا الصدد وأوكلنا الموضوع إلى وقت آخر إن شاء الله عسى أن ييسِّر الله لنا في المستقبل تأليف كتاب جامع حول حقائق عقائد وأحكام الإسلام بتفصيل تام لنضعه في متناول طالبيه.

وهنا نكتفي في هذه الخلاصة الختامية بتلخيص نهائي للمباحث التي بحثناها في كتابنا «طريق النجاة من شر الغلاة» ليكون ذلك بمنزلة فهرس ختامي لمطالبه:

لقد قمنا في كتابنا هذا ببحث المطالب العقائدية الهامة التالية والتحقيق بها وفصَّلنا أمرها بقدر الوسع:

١ – في المبحث الأول أثبتنا أن علم الغيب مختص بذات الباري تعالى ولا أحد من المخلوقات من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين أو الأولياء الصدِّيقين وعباد الله الصالحين يملك علم

الغيب بل لا يعلم أحدٌ من المخلوقات مهما علا شأنه شيئاً من الغيوب إلا ما علَّمه الله تعالى وأبلغه إلى رسله عبر الوحي، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن:٢٥-٢٧]، وقد أثبتنا أن هذا المطلب ثابت وواضح في آيات القرآن الكريم وسيرة النبي الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وتاريخ الأئمة عليهم السلام وعقائد الأصحاب والخاصة وأقوال العلماء والفقهاء. وعلاوة على ذلك فإن العقل والوجدان والبينة والبرهان كلها شاهد صدق كافٍ على هذه الحقيقة. كما أوضحنا أن معرفة علم الغيب والاطلاع على الحوادث المستقبلية لا ينفع أي بشر بل هو مضر تماماً ولأجل هذه الحكمة البالغة اختص الله تعالى ذاته المقدسة بعلم الغيب وأخفاه عن مخلوقاته وستره عنها.

٢- في المبحث الثاني حول موضوع الولاية حققنا وبحثنا في حقيقة الولاية وأثبتنا أنها المحبة والولاء والمودة التي يبذلها المؤمنون لبعضهم البعض والتي أوصى بها الله تعالى وأكد عليها في قرابة مئة آية من آيات القرآن وللأسف، ليس هناك أثرٌ اليوم لتلك المودة والمحبة التي أرادها القرآن بين المسلمين. بل كما نرى بكل أسف لقد فسروا الولاية التي أرادها القرآنُ تفسيراً خاطئاً حوَّلها إلى وسيلة للعداوة بين طوائف المسلمين الذين يبتعدون يوماً بعد يوم عن بعضهم بسبب ما يثيره الأعداء بينهم إلى حد الاقتتال بين أفرادهم، ذلك لأنهم من جهة حصروا الولاية المتعلقة في الأصل بعامة المسلمين تجاه بعضهم البعض بولاية أفراد معدودين خاصين وهم الأئمة من آل البيت الذين رحلوا جميعاً عن هذه الدنيا ولم يبق أحد منهم اليوم كي يستفيد من تلك الولاية وحتى لو وُجِد فمن المسلَّم أنه لا يمكنه الاستفادة منها لأن المعنى الذي يريده أولئك من الولاية والمحبة لأولئك الأفراد الخاصين، والذي حرموا منه الآخرين ومنعوه عنهم هو نوع من المحبة الخيالية التي المحبة والمحبوب كلاهما فيها خياليان، أما كون المحبوب فيها خيالياً مُتَوَهَّماً فلأنَّ عليّاً الذي يحبّه الغلاة هو عليٌّ المحيط- حسب تخيلهم - بكل العالَم والمسيطر على جميع الأمم من بني آدم وعلى كل الموجودات والعالِمُ بالمغيبات والقادرُ على حل جميع المشكلات وقاضي

الحاجات ومحيي الأموات وأمثال هذه الصفات، وفي الوقت ذاته هو عليٌّ الذي - حسب اعتقادهم - سيدافع عن أعمالهم ويشفع لهم ويمحو سيئاتهم ويأخذهم في النهاية إلى أعلى درجات الجنان. فإذن هم يحبون كائناً لا يوجد في عالم الواقع بل لا يوجد إلا في خيالهم. وشتَّان شتَّان بين الحقيقة وتلك الخيالات! ثم آنئذ جعلوا هذه الولاية التي لا أحد يدري من المولى فيها ومن المولّى عليه وسيلة للعداوة مع سائر المسلمين من أبناء الطوائف الأخرى الذين أُمِروا في الأصل أن يوالوهم ويحبوهم.

وأما كون المحبة في تلك الولاية خيالية فلأنهم ابتدعوا ولايةً عجيبةً لا علاقة لها بالشعور أو العاطفة، إذ يقصدون بالولاية التي يدّعونها لأمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة الميامين من أولاده، الولاية التكوينية أي أن أمير المؤمنين وكل واحد من الأئمة الآخرين متصرفٌ في الكون والمكان ومدبِّرٌ لعالم الإمكان! ودليلهم علي هذه الولاية! كما يظهر في كلماتهم ومؤلفاتهم! هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة:٥٥]، هذا مع أن الآية خطاب للمؤمنين، فالولاية فيها خاصة بهم في حين أن ما يذكروه من ولاية تكوينية لا تختصّ بالمؤمنين بل تعمّ كلّ المخلوقات لأن الوالي المتصرف في الكون والمكان يملك الولاية على كل الموجودات لا على طائفة خاصة من المؤمنين؟! إن هؤلاء لم يسمحوا لأنفسهم أن يفكروا أنه لو كانت الولاية بهذا المعنى فلماذا جعلها الله مختصة بالمؤمنين، ولم يلاحظوا أن هذا لا ينسجم أبداً مع معنى الولاية التكوينية وتدبير أمور العالم، هذا بمعزل عن أن مثل هذه العقيدة بالولاية التكوينية شرك محض بل أسوأ من شرك مشركي زمن الجاهلية!! والواقع أن الآية المستشهد بها لا علاقة لها بتلك الولاية التكوينية المدَّعاة بل معناها - إذا تركنا التعصب والعناد والحماقة جانباً - واضح وضوح الشمس في وَضَح النهار، وهو المحبة والمودة والتعاون بين المؤمنين التي يدل على وجوبها العقل والوجدان وسنة الكون التي لا تتغير إضافة إلى مئات الآيات القرآنية الكريمة الأخرى. وهذه المحبة لو شاعت بين المؤمنين لحولت الدنيا إلى جنة ولارتقت بالمسلمين إلى أعلى الدرجات. أما المحبة التي يدعيها أولئك الغلاة فما الذي أفادته حتى الآن سوى العداوة والتفرقة

بين المسلمين؟! أحقاً كان هدف الله من خلق العالم وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب خاصة القرآن بكل آياته هو إثبات تلك الولاية المدَّعاة؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

ولا شك أن ولاية علي وآل علي عليهم السلام بمعنى محبتهم والإيمان بإمامتهم من جهة أنهم أفضل المؤمنين من أفضل الولايات، والأحاديث والأخبار التي صدرت حول هذا الموضوع عن النبي والأئمة سلام الله عليهم والتي حُفِظَت من دسائس الغلاة والدجالين أحاديث صحيحة وقائمة، ولكن كم كان من الأفضل أن تُقَدَّم تلك المحبة والولاء والمودة إليهم حال حياتهم لتكون منشأً لأعمال صالحة، كما هو بكل تأكيد الغاية من صدور تلك الروايات وتواترها! وإلا فما هي الخيرات والبركات المنتَظَرة من محبة الأموات وعشقهم؟ وما الثمرات الحاصلة منها سوى المحبة الخيالية لمحبوبين خياليين والمدائح المليئة بالغلو ونسبة صفات الله تعالى إلى بعض عباده المحتاجين إليه، والتي ليست سوى شرك وابتعاد عن الحقائق وتعدي على حرمة التوحيد.

ما هي الفوائد - بشهادة التجربة والحس والتاريخ - التي حصلت من ذلك المفهوم للولاية حتى اليوم حتى نستمر به؟! ولعل قائلاً يقول إن نتيجة وأثر مثل تلك الولاية والمحبة هي أن تستقرَّ محبة النبي والأئمة في القلوب وتطمئن القلوب لصدقهم وحقيتهم وبالنتيجة تتبعهم الأنفس في تعاليمهم فتطبق أحكام الله تعالى بفضل ذلك. وهذا الادعاء وإن كان صحيحاً في الظاهر إلا أن الذي نراه في مجتمعنا هو خلاف هذه النتيجة. إن هذا الادعاء إنما يكون صحيحاً عندما يكون المظروف أعز من الظرف، وعندما يكون الهدف من حفظ واحترام الظرف هو حرمة وعزة المظروف، وبعبارة أخرى، عندما تكون محبة أولياء الله الذين هم ظرف الحقائق والأحكام الإلهية فرعاً لمحبة تلك الأحكام وشرائع الدين، في حين أن القضية اليوم هي عكس ذلك تماماً، فقد استغرق القوم بمحبة الظرف ذاته (ذوات النبيّ والأئمة) إلى أبعد حد وغرقوا في محبة خيالية! وضعف اهتمامهم بالمظروف - أي بالدين والتعاليم -، والعيان يكفي عن البيان. وبعبارة ملخَّصة، إنَّ محبَّة الإمام فرعٌ لمحبة الدِّين وليس العكس!

٣- وفي المبحث الثالث الذي خصصناه للبحث في مسألة «الشفاعة وحقيقتها» بيَّنَّا أن

مفهومها الخاطئ الذي شاع بين المسلمين حول الشفاعة كان أحد الأسباب الأساسية لغرورهم وتأخرهم وتجرُّؤ أرباب الفجور على معاصي الله وتهرُّبهم من العمل بشرائعه وأحكامه، إضافة إلى أن ذلك المفهوم الخاطئ للشفاعة أدى إلى نشأة بدع وأعمال ما أنزل الله بها من سلطان، بل نهى عنها الرحمن، فذلك المفهوم للشفاعة هو الذي دعا إلى تعمير القبور وتجصيصها وبناء الأضرحة والمراقد وتزيينها بالذهب والفضة والجواهر وإضاعة الأموال على قبور الأموات واختراع زيارات وتضمينها عبارات مغاليةً كفريةً وإقامة مجالس عزاء مبتدعة ونذورات وموقوفات مخالفة لأوامر الله ومرضاته واختراع أدعية وصلوات مجهولة أو عبادات غير مشروعة ولا معقولة أملاً بتلك الشفاعة الخيالية. هذا مع أن الشفاعة بتلك الصورة والكيفية التي يتخيلونها لا يشهد لها لا العقل ولا الوجدان ولا يصدقها القرآن. بل الآيات التي جاءت في القرآن حول الشفاعة، أكثرها يتعلق برد تلك العقيدة الدينية التي كانت في أزمنة الجاهلية والتي كان أصحابها يؤمنون بالآلهة التي تدير بعض شؤون الخليقة والتي كان لكل منها مقام إلهي خاص مثل: إله المطر، إله البحر، إله الحرب، إله القحط والرخص وأخيراً تطورت تلك العقيدة إلى صورة ألطف شركاً حيث أصبحت عقيدة بملائكة وبأولياء صلحاء خاضعون لسلطان إله الآلهة الذي يحدد لهم مهامهم التي عليهم تنفيذها في الكون.

ولقد أنكر القرآن الكريم واسطة وشفاعة الملائكة في شؤون الخليقة لكنه اعتبر عملهم وسيلة بإذن رب العالمين الذي قال ﴿ ...مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ... ﴾ [البقرة:٢٥٥] ولم يقبل الشفاعة في الآخرة بتلك الصورة المتصوَّرة أبداً، لأنه أولاً لم يكن الوثنيون المشركون الذين نفى القرآن الكريم شفاعة أصنامهم يعتقدون بالآخرة والقيامة أساساً. وثانياً: إن الشفاعة بتلك الصورة تشبيه لنظام الخلق ببلاط السلاطين المستبدين الجبارين وهي منافية للإيمان بالرب العليم القدير والمختار. نعم، الشفاعة التي يقبلها القرآن والعقل والوجدان هي استغفار الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) والمؤمنين لسائر المؤمنين، وكذلك استغفار الملائكة لمن في الأرض طبقاً لإذن الله المتعال وعملاً بأمره الذي قال: ﴿ ...وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ... ﴾

[محمد:١٩] وهي الشفاعة ذاتها التي أذن الله بها قبلاً للمؤمنين والتي سيظهر نفعها يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه:١٠٩] كما مر شرحه مفصَّلاً.

٤- وفي المبحث الرابع الذي خصصناه لموضوع «زيارة المراقد» بيّنّا أنه لا أثر ولا دليل على تلك الزيارات الخاصَّة للمراقد لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ولا في عمل مسلمي الصدر الأول، بل بينا أن نهيَ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في بداية بعثته عن زيارة القبور أمر متواتر. ثم سمح بها (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لأنها تذكرنا بالآخرة. ولكننا نرى اليوم أن هذه الزيارات للقبور والمراقد قد أخذت صورة يمكن أن نقول إنها مصداقٌ كاملٌ للآية الكريمة التي ذمَّت عبّاد الأوثان فقالت: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ؟؟ ﴾ [الصافات:٩٥]. فلقد بنى المسلمون مراقد على ما اعتبروه في منامهم أو خيالهم قبوراً لأئمة أو صالحين، وشيَّدوا عليها قباباً وأضرحة وأخذوا يخترعون لها زيارات وأدعية خاصة ويعلم الله كم أصاب المسلمين، من هذا الباب، من ضرر وخسائر في دنياهم وآخرتهم.

٥- وفي المبحث الخامس درسنا موضوع «الغلو والغلاة» فبحثنا في نشأة الغلو وعرَّفنا بالغلاة وأفكارهم وفرقهم وبينَّا أنهم أعداء الدين الحقيقيين الذين أدخلوا فيه كل تلك البدع والخرافات، وبينَّا كيف قام الأئمة عليهم السلام بالتحذير من شرهم وأنهم أسوأ من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «احذروا على شبابكم الغُلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ الله، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ الله، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ الله، وَالله إنَّ الغلاةَ شَرٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أَشْرَكُوا».

وأخيراً نقول: رغم أن إزالة غبار الخرافات والأباطيل المتراكم بشدَّة فوق الوجه النوراني لشريعة الإسلام قد يبدو لأول وهلة عملاً عسيراً للغاية يتطلب جهوداً جبّارة وتحمّلاً لأذى كبير، نظراً لطول العهود التي تراكمت فيها تلك الأوساخ والشوائب حتى أصبح الكثيرون يظنُّون أنها جزء لا يتجزأ من حقيقة الدين، إلا أن هذا لا يعفينا من المسؤولية التي توجب علينا

أن نقوم بهذا الجهد الذي له من الأهمية البالغة في نظرنا ما يفوق أهميَّة أيِّ أمر آخر.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

انتهيتُ من تأليف هذه الرسالة سنة ١٣٥١ هجرية شمسية (١٩٧٢م) وستتم طباعته هذا العام أي سنة ١٣٥٩ هجرية شمسية (١٩٨٠م.) إن شاء الله.

حيدر علي قلمداران